شؤون فلسطينية

٢٩

كانون الثاني (يناير) ١٩٧٤

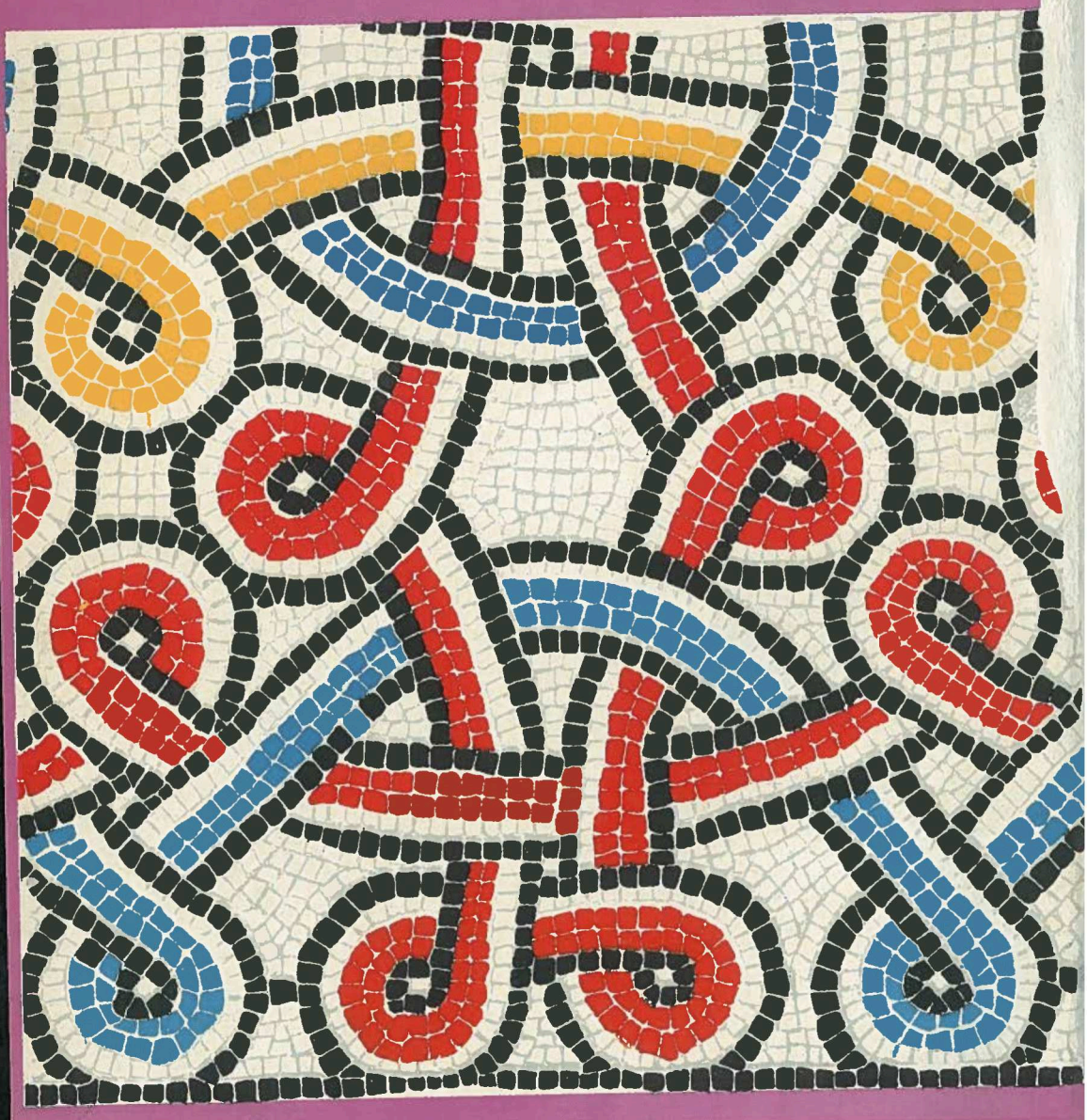

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٢٩ — كانون الثاني (يناير) ١٩٧٤

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

يشارك في التحرير : محمود درويش .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير التوزيع** : غازي خورشيد .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين.

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني
(متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت — لبنان ،
ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ،
برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٣١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٨ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٤٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٩٠ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٤٥ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

الغلاف : تسيفساء حفريات في قرية بيتونيا .

المحتويات

صفحة ٤ **شؤون فلسطينية** ، الدكتور أنيس صايغ .

٥ **أفكار جديدة أمام مرحلة غامضة** ، صلاح خلف .

١١ **وطن بقلم رصاصة** ، محمود درويش .

١٤ **أبدأ بالطفولة وأقول جذري الماء (تنويعات على ماء الاردن)** ، أدونيس .

١٧ **المرحلة الراهنة ومهماتها** ، الدكتور كلوفيس مقصود .

٢١ **بعض الدروس التربوية حول الحرب العربية ــ الاسرائيلية الرابعة** ، الدكتور عبدالله عبد الدايم .

٢٥ **الملامح الثورية في الحرب العربية ــ الاسرائيلية الرابعة** ، المقدم الهيثم الايوبي .

٣٥ **الملامح البارزة لفكر بن جوريون السياسي** ، الدكتور اسعد عبد الرحمن .

٤٥ **أسلوب اسرائيل في تجنيد يهود العالم خلال الحرب الرابعة وبعدها** ، الدكتور كميل منصور .

٥٦ **الخطرسة الصهيونية : جذورها ووظيفتها** ، نزيه قوره .

٦٨ **حرب تشرين وموضوعات حزب العمل الاسرائيلي** ، عيسى الشعيبي .

٧٩ **العلاقات الاقتصادية بين اسرائيل وافريقيا** ، انطوان منصور .

١٠٥ **العصافير تبني أعشاشها بين الاصابع : مسرحية شعرية في خمس لوحات**، معين بسيسو .

١١٦ **دليل الباحثين : أفكار فتح السياسية والعسكرية (من ٦٥/١/١ — ٣١/ ١٩٧٢/١٢)** ، اعداد المقدم الهيثم الايوبي .

١٢٧ **مراجعـــات** : الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم ، يوسف سماحة . الاشتراكية العربية ، ومجلة النيوستيتسمان والشرق الاوســـط ، دافيد ميتشيل. الجديد في العسكرية الاسرائيلية ، هشام عبدالله ومحمود عزمي. العلاقات الاردنية — البريطانية ، قيس اللافي . ١٢٧ سؤالا وجوابا عن الصراع العربي الاسرائيلي ، وليد نويهض .

١٤٦ **النفط في المعركة : خمسة تقارير** : (١) اميركا والنفط: المسؤولون الاميركيون يستعيرون قلب أسد ، سمير كنعاني . (٢) الصحافة السوفياتية والنفط العربي ، رفعت ابو العون . (٣) اشترك النفط في المعركة : تقييم لقرارات وزراء النفط العرب ، نزار الشقيري . (٤) آثار حرب تشرين وازمة النفط في الدانمارك ، آني كنفاني . (٥) التحالف الغربي يتصدع على برميل النفط العربي ، س. ك.

١٧٣ **شـــهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية ، عصام سخنيني . (٢) القضية الفلسطينية عربيا ، ناجي علوش . مع ملحق : النظام الاردني يسقط في الاختبارات المتعددة ، ع.ع. (٣) القضية الفلسطينية دوليا ، صادق جلال العظم . (٤) المناطق المحتلة ، عبد الحفيظ محارب . (٥) اسرائيليات ، عماد شقور وهاني عبدالله . (٦) القضية الفلسطينية عسكريا ، المقـــدم الهيثم الايوبي . جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية وآخر بالعمليات التي اعترف بها العدو من ٧٣/١١/١٦ — ١٩٧٣/١٢/١٠ ، غازي خورشيد .

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

تطل الذكرى التاسعة لانطلاق الثورة الفلسطينية ، والثورة ماضية في تأكيد عزمها وتجديده ، على الصمود والانطلاق لتحقيق رغبة الجماهير الفلسطينية والعربية بتحرير الوطن وانشاء المجتمع الفلسطيني الديموقراطي على التراب الفلسطيني . واذا كانت الثورة في حاجة الى تأكيد عزمها فليس مرد ذلك وهنا في العزيمة ، ولكنه مجابهة مع ظروف دولية وعربية جديدة نشأ بعضها في حرب تشرين وفي أعقابها قد تتطلب مراجعة بعض الاساليب ونقط الارتكاز ، ولكنها لا تبدل الغايات والاهداف البعيدة .

ان الثورة الفلسطينية تبحث في الجزئيات المتغيرة على ضوء الحقائق الراسخة ، وفي موجبات الاحداث المتطورة على ضوء الاهداف الثابتة التي لا تتنازل عنها . ولا يمكن لهذا البحث أن يكون مثمرا ونافعا الا اذا جرى في اطار النقاش الموضوعي الهادىء الملتزم ، بحيث تتصارع الافكار والآراء ، بمسؤولية ، لتصل في النهاية الى قناعات تلزمنا جميعا .

وتحاول « شؤون فلسطينية » أن تسهم في هذا المجال بأسلوب مزدوج : تقدم نفسها منبرا للفكر الحر الملتزم ، وللتحليل الموضوعي ، فتنشر ما يمكن أن يفيد المناقشة والحوار من المعلومات والإختبارات والتجارب من ناحية ، ولا تحرم طرفا من أطراف الحوار من هذه الامكانية من ناحية أخرى ، وذلك من ضمن رفضها الاعتراف بانقسام الفكر الفلسطيني انقساما نهائيا ، وبالتالي من ضمن سعيها لان تكون سبيلا للوصول الى فكر أنضج وموحد يساعد في اتخاذ موقف سياسي ناضج وموحد .

وتنطلق « شؤون فلسطينية » الى الموضوع من الثقة : الثقة بأن الفكر الفلسطيني ، الذي برهن عربيا وعالميا على قدرته الخلاقة ، والملتزم بالثورة وبميثاقها الوطني ، والمؤمن بحق الشعب الفلسطيني ، وبالكفاح المسلح لتحقيق رغبات الجماهير وأهدافها ، انما هو قادر على ايجاد الحلول الافضل لكافة المعطيات الجديدة والاوضاع المتطورة والمآزق التي يزج بها الفلسطينيون . وهو قادر على ذلك بحرية المناقشة وتفاعل الافكار . والثقة بأن القيادة السياسية ، التي تمثل الاغلبية الساحقة من الثوار الفلسطينيين ، تستفيد من مشورة الفكر الفلسطيني وتستنير بالآراء السليمة الهادئة والهادفة التي يقدمها هذا الفكر ، في صياغة قناعاتها وقراراتها .

واذا كان هنالك من عبرة نحاول أن نتلمسها في هذه الذكرى التاسعة لانطلاق ثورتنا ، فهي أن ثقتنا بأنفسنا ، بقيادتنا ، بمقاتلينا ، بمفكرينا ، وبأهدافنا ، وميثاقنا هي التي حمت ثورتنا وصانتها ، بحيث نستطيع أن نحتفل اليوم بهذه الذكرى العظيمة بعزم وقوة وبوجود كبير ، لننطلق نحو سنة ثورية جديدة نحقق فيها المزيد من الانتصارات ، ونكرس وجودنا ، وندعم عزمنا ، ونؤكد قوتنا .

أفكار واضحة أمام مرحلة غامضة

صلاح خلف

تدخل الثورة الفلسطينية عامها التاسع بعد حرب تشرين ، بما خلقته من معطيات ايجابية ونتائج سياسية . وقفت الثـــورة الآن أمام اختيار صعب قـــد يبدو ، للوهلة الاولى ، أنه يشكل تناقضا بين ما طرحته من استراتيجية وبين ما هو مطروح عليها في ساحة الواقع ، الامر الذي قد يشيع حيرة عند أوساط كثيرة من الجماهير الفلسطينية والعربية المؤمنة بالثورة الفلسطينية طريقا لتحرير فلسطين .

وهذه المقالة هي صياغة للافكار التي طرحتها في عـــدة ندوات جماهيرية لتصور المرحلة المقبلة ، أردت بها التأكيد على أصالة هذه الثورة والتزامها بمبادئها والتحامها بالجماهير الفلسطينية والعربية :

لعله من المفيد أن أبادر الى القول ، وبلا مقدمات ، اننا نؤمن بأن الطريق الوحيد لتحرير كامل ترابنا الوطني الفلسطيني هي طريق حرب الشعب طويلة المدى . وعندما أطلقنا الرصاصة الاولى في هذا الاتجاه عام ١٩٦٥ وابتدأنا مسيرتنا الثورية كانت هناك جيوش عربية ، وكانت هناك حدود . ومع ذلك ، فان حفنة من الرجال انطلقوا لافتتاح مرحلة جديدة من كفاح الشعب العربي الفلسطيني ، مؤمنين ، ومتجاوزين الشك الذي ثار حولهم ، بهم وببندقيتهم ، وبامكانية استمرار هذه البندقية .

ومن هنا ، فان حرب تشرين التي نشبت هذا العام لا تشكل انقلابا في مفاهيمنا الثورية ، ولا تشكل بطلانا لصحة الطريق الذي آمنا وما زلنا نؤمن بأنه الوحيد الموصل الى تحرير كامل ترابنا الفلسطيني .

لقد كان رأينا بهذه الحرب واضحا قبل اندلاعها . اننا نريدها حرب استنزاف على الاقل ، ولكن أقدار الجيوش العربية ليست في أيدينا . وليس القرار السياسي بالحرب في أيدينا أيضا . كنا الشرارة . كنا الاعلان والدعوة . ولم نكف عن القول انه لا بد من حرب طويلة .. حرب استنزاف حتى لا نقع في المأزق الذي نعيشه هذه الايام .

ولكن حرب تشرين ، بغض النظر عن النتائج العسكرية والسياسية التي أسفرت عنها حتى الآن ، قد خلقت وقائع جديدة في المنطقة لا بد من الاقرار بهـــا لتكون أرضية المناقشة حول تحديات المرحلة القادمة مرتبطة بقاعدة علمية .

اول هذه الوقائع : أن العرب قاتلوا حقا في هذه الحرب ، واستشهدوا دفاعا عن أوطانهم ، وكسروا الاسطورة القائلة ان المواطن العربي لا يريد القتال ولا يريد أن يدفع من دمه ثمنا لتحرير أرضه . لقد أثبتت حرب تشرين أن الجندي العربي يرغب في القتال ويتحرق الى القرار السياسي الذي يتيح له فرصة القتـــال واستمراره . لقد زحفت الجيوش العربية في مصر وسوريا في الاساس ، ثم لحقت بها جيوش عربية أخرى قاتلت بصمود وتضحية مؤكدة حقيقة أساسية هي أن الامة العربية لا تفتقر الى شجاعة القتال

من أجل تحرير الارض . أما الفدائيون الفلسطينيون فقد قاتلوا قبل الحرب وخلالها ، وسيقاتلون بعد وقف اطلاق النار .

ثانيها : التضامن العربي ، فسرعان ما دلت الحرب على ان المعركة مع العدو هي من أشد قواعد التضامن العربي صلابة وحيوية . وقد أخذ هذا التضامن أشكالا متعددة ومتفاوتة ، وجعل الجيش العراقي ينتقل من مسافات بعيدة للمشاركة في المعركة ، كما جعل الجيش المغربي يأتي من أماكن نائية ، وجعل الجيش الجزائري وغيره من الجيوش العربية تأتي من أماكن قصية من أجل الاشتراك في المعركة التي دخلها سلاح النفط أيضا . ان كل ذلك يشير الى أنه ليس بوسع أحد ، حاكما أو محكوما ، أن يتخلف عن التضحية في سبيل قضية فلسطين .

ثالثها : ان اسرائيل تفاجأ لاول مرة — بغير حرب الفدائيين — بالمقاتل العربي يقاتلها بشراسة ويوقع فيها خسائر فادحة . ان في اسرائيل الآن حزنا حقيقيا ناتجا عن الخسائر الحقيقية التي خلفتها حرب تشرين . خسائر في الارواح وخسائر في الاسطورة .

رابعها : على صعيد المجتمع الدولي — الذي لا يجوز أن يتجاوزه تفكيرنا — تحركت الدولتان الكبيرتان اثر حرب اكتوبر . كوسيجين جاء الى القاهرة ، وانتقل كيسنجر الى موسكو وعقدا اتفاقا أو وثيقة سرية . وتحركت الدول الاوربية التي شعرت للمرة الاولى أنها لا تستطيع تجاهل الحق العربي . ووقفت كل الدول الافريقية معنا وقطعت علاقاتها باسرائيل . وهذه المكاسب السياسية ينبغي أن نضعها أمامنا ونحن نتحدث عن حرب تشرين .

خامسها : ان القضية صارت مطالبة الآن بأن تكون على طاولة المفاوضات ، وأن تكون على مائدة البحث ، بحيث لا يجوز لنا — كما فعلنا يوم صدور قرار مجلس الامن — أن نعطي الغير الحق في قبول ما يشاء . ومن حقنا أن نرفض ما نشاء . اننا نمر الآن في مرحلة خطرة ودقيقة ، ولا يجوز لنا اطلاقا أن ننفعل بالاحداث ، بل يجب أن نفعل ونؤثر في الاحداث .

ان كل ما سمعناه عن « مؤتمر السلام » كان ما ورد في خطاب الرئيس أنور السادات في السادس عشر من اكتوبر حول دعوة الى مؤتمر دولي للسلام . ولا أعتقد من خلال فهمنا للقوى الدولية أن الرئيس السادات أو غيره من القادة العرب هم الذين يملكون حق الدعوة الى مؤتمر السلام .

قبل الحديث عن مؤتمر السلام اذن ، لا بد أن نسأل أنفسنا عدة أسئلة :

السؤال الاول : هل دعينا فعلا الى مؤتمر السلام ؟ ليس بوسع أي مسؤول في حركة المقاومة أن يقول ان منظمة التحرير الفلسطينية دعيت لمؤتمر السلام . ان كل ما يجري لا يخرج عن نطاق الاحاديث والامنيات في أن تحضر المقاومة مؤتمر السلام .

كان موقفنا منذ اليوم الاول وبناء على وقائع المرحلة الجديدة انه يجب علينا أن نسأل ونتساءل ونستشير ونشاور وأن نبحث ونتداول . ولم نترك جهة من الجهات الا وتداولنا معها وبحثنا معها في الامر حتى لا يكون قرارنا سريعا . نريد أن نأخذ قرارنا بأنفسنا ونريد أن نواجه قضايانا بأنفسنا . لقد اجتمعنا في المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية التي تمثل كل المنظمات الفدائية . وقررنا ما يلي :

أولا — التمسك بالحق التاريخي للشعب الفلسطيني لتحرير كامل أرضه وترابه .

ثانيا — عدم عودة الضفة والقطاع الى الملك حسين .

ثالثا — حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني .

وكانت هنالك قرارات اضافية . وأجرينا بعد ذلك مزيدا من المشاورات واللقاءات مع اخوتنا داخل الارض المحتلة وخارجها ، ومع اخواننا العرب الذيـــن نثق بهم ، ثم كان هنالك قرار أخير : لا يجوز اطلاقا ان تنفرد أية جهة باصدار البيانات والتصريحات . ولكنني من موقع ايماني بالوحدة الوطنية الاحظ بمرارة أن ثمة من حاول في هذه المرحلة المزاودة علينا ، وصور الامور على غير ما هي ، وكأن هنالك من يريد القتال ، وهنالك من يريد الاستسلام . وكان هناك من يحاول بث الشائعات الى درجة تشكيل وزارات وتعيين رؤساء حكومات . ولكن أشرف لقب لاي انسان في حركة فتح هو ان يكون ثائرا لا موظفا . ولم يكن تريثنا في اعلان أي قـــرار مرتبطا بأننا نخـــير أنفسنا بين السلام والاستسلام وبين استمرار القتال .

كان بامكاننا ، منذ اليوم الاول ، أن نقول كـــل اللاآت ، ولكن ليس ذلك هو الموقف الثوري . ليست اللا المطلقة دائمـــا هي الموقف الثـــوري الصحيـــح . ان مجـــرد ان نقـــول « لا » دون أن نعمل في ظروف متعـــــددة ، يتنـــــافى مـــع قرار المجلس المركزي لمنظمـــة التحرير الـــذي يقول « لا » لعـــودة الضفـــة والقطـــاع الى الملك حسين . ولو أننا أصدرنا القرار أو البيان الذي يريده البعض من أجل أن نسجل موقفا للتاريخ فقط . . لو أصدرنا مثل هذا البيان لما تبع الملك حسين في الاردن دون أن يظهر في مؤتمر القمة . فاذا كنا نريد أن نمارس أي عمل سياسي كيف يمكن أن نتحرك وقد قيدنا أنفسنا بالكلمات للمدى البعيد والقريب !

ونحن لا نتحرك في منطقة فراغ دولي . نحن نسأل عن القوى الصديقة في هذا العالم وحركة التحرر العربي وأين موقفنا منها . ان الاتحاد السوفياتي صديقنا . وأحيانا نتنكر لهذا الصديق . فاذا كان الاتحاد السوفياتي صديقنا فعلا فلا بد أن نعمق صداقتنا به ونتشاور معه ونعرف ما هي آراؤه ومواقفه . كنا نريد أن نسأل عن كيفية فهمه للحقوق المشروعة لشعب فلسطين . هل هي حدود ١٩٦٧ أم هي التقسيم أم هي تحرير كامل للارض ؟ . اننا أحيانا تختلط علينا الامور فلا نميز بين الأصدقاء والاعداء. كيف سنستطيع تحرير فلسطين ونحن لا نستطيع ، على الاقل ، أن نتفاهم مع أصدقائنا في هذا العالم . نحن ، كحركة ، لم نعلن في يوم من الايام أننا ماركسيون لينينيون . كنا نقول عن أنفسنا دائما وبكل تواضع اننا حركة تحرير وطني ، ولم نعلن أكثر من ذلك . ومع ذلك رأينا أنفسنا في موقع نفهم منه هؤلاء الاصدقاء الحقيقيين ، وتربطنا بهم علاقة أعمق من كثيرين في المنطقة العربية .

ومـــا هو مؤتمر الســـلام ؟ انه تنفيـــذ لقرار مجلس الامن الذي مـــرت عليـــه ست سنوات ، وكأن البعض نسي ان قرار مجلس الامن ينص على انهاء حالة الحرب مع اسرائيل وعلى المفاوضات وفتح الممرات المائية . هذه العنـــاصر موجودة في قرار مجلس الامن منذ ست سنوات . ولقد كنا نعتقد وما زلنا نعتقد أن اسرائيل لا ترغب في السلام ولا تريد السلام . واذا كان بعض أشقائنـــا العرب يعتقد أن اسرائيل سوف تنسحب من كافة الاراضي العربية فانه يقع في الوهم . فها هي تعلن على ألسنة قادتها انها لن تنسحب من الاراضي العربية . وأكثر من ذلك تدل المفاوضات الجارية عند الكيلو ١٠١ على أن الخلاف يدور حول سنتمترين على الخارطة . واذا كانت اسرائيل ترفض الانسحاب من سنتمترين على الخارطة ، فكيف يعقل أن تنسحب مـــن سيناء والضفة الغربية وقطاع غزة والجولان ؟.

ان نظرية الامن الاسرائيلية مرتبطة بالخطر الدائم عليها ومستندة الى القوة والتوسع. فكيف ستتمكن اسرائيل من استيعاب الخمسة عشر مليون يهودي في العالم ؟ واذا مـــا انحصرت في البقعة الضيقة فان مبررات وجودها تتساقط . فكيف تقبل اسرائيل السلام ؟ واذا كانت ترغب في السلام حقا ، فاذن هذا هو مؤتمر السلام .

السلام الاميركي أيضا مشابه لنظرية اسرائيل لان أميركا لا يمكن أن تطمئن الى وضع مصالحها في المنطقة في أيد عربية أمينة . وأميركا تعرف أن حركة الشعب في المستقبل لا بد أن تحدث تغييرا في طبيعة المجتمعات ، فتصبح هذه المصالح قابلة للتهديد . لكن أميركا في الوقت ذاته لا تستطيع أن تقول لاصدقائها في المنطقة انها لا تريد السلام . لقد صرح كيسنجر في جولته الاخيرة بأن حق الشعب الفلسطيني سيكون اما على حساب اسرائيل واما على حساب الاردن « ونحن لا يمكن أن نضحي لا باسرائيل ولا بالاردن » . وكان يقول أحيانا انه اذا كان لا بد من كيان للفلسطينيين ، فسيكون هذا الكيان ضمن مشروع المملكة العربية المتحدة .

لقد توطدت تبعية اسرائيل لاميركا بعد عام ٦٧ . لذا جاء في تصريحات ديان الاخيرة : « نرجو من أميركا صديقتنا الوحيدة في هذا العالم أن تقف معنا في السلام كما وقفت معنا في الحرب » . كما أكد أكثر المسؤولين الاسرائيليين اعتدالا (آلون) انه لا يمكن لاسرائيل اطلاقا أن تنسحب من كل الاراضي العربيـــة ، بل ستنسحب الى حدود آمنة لا تعني الانسحاب من كل الاراضي العربية . من هنا ، فان اسرائيـــل ترى أن قبولها بالسلام يرادف اقدامها على الانتحار . وان المفهوم الاسرائيلي للسلام هو سلام المنتصر وسلام المسيطر على أراض جديدة وسلام الذي يريد قواعد للانطلاق مرة أخرى الى مزيد من التوسع . وليس لدى اسرائيل سلام حقيقي لانه مخالف لطبيعة تكوينها وطبيعة وجودها .

وبالنسبة لحركة المقاومة ، يجب أن نسجل ثلاث نقاط بشأن مؤتمر السلام : أولا ـــ نحن لم نتلق دعوة للاشتراك في المؤتمر . ثانيا ـــ نحن نشك في نجاح المؤتمر في حالة انعقاده . وثالثا ـــ ان تحركاتنا تحكمها الضوابط التالية :

الاول ـــ مبادئنا الاساسية التي استشهد الشهداء من أجلها .

الثاني ـــ ان لنا حقا تاريخيا في فلسطين . ونحن أول من أطلق الصيحة التي تقول انه اذا كان هذا الجيل عاجزا عن التحرير ، فليس مطلوبا منه ان يوقع على وثيقة تنهي آمال الاجيال في التحرير .

الثالث ـــ اننا اذا كنا نناضل من أجل حق تمثيلنا للشعب الفلسطيني ، فلأننا نعرف أن هناك شخصا في عمان لنا معه تجارب قاسية . وتجربة فتح أكبر تجربة عملية لاننا جئنا الى الاردن عام ٦٧ ونحن نحمل على أكتافنا شعاراتنا التي تقول ببساطة أن لا تدخل في شؤون الدول العربية . وقد مارسنا هذا الشعار فعلا ، لكن بعد مشروع روجرز قام الملك حسين بأول ضربة قاسية واستمر ١٥ شهرا حتى الثاني عشر من أيلول ، وجيش الملك يضرب بدباباته وأسلحته أبطالنا الفدائيين . قبل أيلول كانت مهمة الملك التاريخية منع شعبنا من النضال ، وكان حارسا لاسرائيل . هذا النظام الاردني هو الذي يطلب الآن ، بكل ما في الدنيا من صفاقة ، تمثيل شعبنا . لا أفهم كيف يمثل القاتل القتيل !

أثناء حرب تشرين أرسلنا وفدا الى الاردن والى زيد الرفاعي طالبا أن تكون الضفة الشرقية مفتوحة أمام الفدائيين للعبور الى الضفة الغربية ، فرفض الرفاعي قائلا ان الاردن ليس مستعدا للتحرك الا اذا حرر السوريون الجولان كلها واذا وصل المصريون الى الممرات . كما أننا عرضنا على عبد المنعم الرفاعي اثناء وجوده في القاهرة استعدادنا لنسيان آثار أيلول اذا سمح لنا بالعبور عبر الاردن ، فكان جوابه انه « لا يمكن أن نقبل بالفدائيين قبل تحرير الجولان وسيناء » . وقد حصلنا على وثيقة سرية جدا وزعها الملك حسين على السفارات تقول :

« علمنا من قبل الرئيس السادات قبل نشوب الاعمال العدائية بأن هدف السياستين المصرية والسورية أو أن العمليات العسكرية المحتملة الحدوث لن تكون لتدمير او لابادة

اسرائيل ، وكان الغرض هو الحصول على مركز افضل للمفاوضات ، اذ ظهر جليا انه من المستحيل السير في طريق التسوية السلمية بدون حرب أولا » .

« الآن والحرب قد انتهت ونرجو أن تكون قد انتهت فعلا ، فاننا نشعر بأنه ما لم يتقرر حل سريع لورطة الجيش المصري الثالث وتسوى قضية اسرى الحرب ، وما لم تحل قضية الاراضي السورية المحتلة في اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، مع تزويد السوفيات والاميركان بالاسلحة والمعدات البديلة فانه من المحتمل ان يستأنف القتال في اي لحظة ، والآن نجد أنفسنا فجأة نواجه معركة السلام ، وهنا نرغب أن نتفق معكم الى أين نسير وكيف . القضية الاردنية تختلف عن قضيتي مصر وسوريا مع ان وحدة ضفتي الاردن في المملكة الهاشمية استمرت مدة أطول مما استمر الكيان الجغـــرافي الفلسطيني تحت الانتداب البريطاني » .

«فالضفة الغربية للاردن كانت منطقة أردنية مع انها جزء من فلسطين، فالفلسطينيون في الضفة الغربية هم مواطنون أردنيون علما بأنهم فلسطينيون » .

« ان الضفة الغربية من الاردن هي منطقة أردنية فلسطينية احتلتها اسرائيل سنة ١٩٦٧ ، انه مسؤولية وواجب وحق الاردن باستعادة هذه المنطقة الى الفلسطينيين » .

« نحن مستعدون للدخول في مفاوضات مع اسرائيل بالشكل الذي يتفق عليه جميع الاطراف المعنية للوصول الى تسوية تنفيذا لقرار مجلس الامن رقم (٢٤٢) نعتقد بأن المفاوضات يجب أن تكون بيـــن الجانب العربي والجانب الاسرائيلـــي ، تحت اشراف معين » .

« عند رجوع الضفة الغربية للاردن ، في اتفاق نهائي ومفصل ، فنحن مستعدون تنفيذا لالتزاماتنا وتنفيذا لكلمتنا للقبول بأن نعطي الشعب في الضفة الغربية للمرة الثانية الحق بتقرير مستقبله ، نقبل ذلك من أجل مصلحة اعطاء الشعب الفلسطيني تماما حقه في تقرير مصيره ، شريطة أن يطبق هذا على المناطق الفلسطينية المعادة وسكانها ، وبشرط أن يحل بعد الانسحاب الاسرائيلي وجود دولي ، هذا الوجود الذي عليه خلال أقصر وقت ممكن ان يعمل بأمانة تامة وبدون تدخل على تحقيق تقرير مصير فلسطين :

أ ـــ أن تشكل حكومة فلسطينية منفصلة في جميع تلك المناطق .

ب ـــ تتحد مع الاردن وفقا لمشروع المملكة العربية المتحدة .

جـ ـــ وأن تكون جزءا من المملكة الاردنية الهاشمية .

ان الاردن في ضفته الشرقية سيعطي مثل هذه الهيئة الدولية كل المساعدات الممكنة لتتصل بجميع الفلسطينيين ضمن حدوده ، ليقرروا بحرية أجوبتهم على الخيارات الثلاثة مجتمعة . وتتعهد المملكة الاردنية الهاشمية بأن تحترم أي خيار يختاره الفلسطينيون ويعبرون عنه بحرية مطلقة كاملة » .

هذا ما جاء في وثيقة الملك حسين للسفارات الاجنبية ، أما وزير الاقتصاد الاردني وهو عمر النابلسي في جلسة مع مجموعة عمل من أجـــل تطوير السياســـة الاردنية وسياستها الخارجية ، فقد ردد هذا الكلام بصراحة وقال :

« في النهاية سيكون للاردن حل واحد وهو أن نصل مع اسرائيل الى اتفاق لمفاوضات مباشرة ثنائية ثم نحل القضية على أساس أن اسرائيل والاردن اقامتـــا اتفاقية خاصة فيهما ، وبعدين ما فيش حدا أحسن من حدا ، الدول العربية طالبه المفاوضات المباشرة، اذا معنى هذا الكلام ممكن احنا نعمل لوحدنا صلح مع اسرائيل » .

اذن هذه هي الورقة الاخيرة التي كانت سبب عدم حضور حسين وعدم ذهابه الى مؤتمر القمة حتى لا يلزم نفسه بأي قرار عربي ، وأرسل التلهوني والرفاعي وهما أحجار شطرنج يحركهم كما يريد .

ان هذه الوقائع تشكل سببا للقول ان الضفة الغربية والقطاع لا ينبغي أن يعودا الى الملك حسين ، يجب أن نتقيد فعلا بالمبادىء التي آمنا بهـا طويلا والشعارات التي حملناها . وهذا هو محك تحركنا السياسي الآن. وهو لا يعني تغيرا في مواقفنا ومبادئنا. كما أن الاردن يراهن على اختلاف الفلسطينيين ، والاميركيون يراهنون على هذا الامر كذلك .

عندما كان زعماؤنا السابقون يقولون « لا » لم يكونوا يجسدون هذه اللا بشيء عملي يمكن الثورة والنضال من الاستمرار . وليست القضيـة أن أقول « لا » وأذهب لاجئا سياسيا الى الجزائر . يجب ان تقتنع الجماهير بمواقفنا وتعرف أننا حركة مسؤولة . هل الرفض مجرد كلمة ؟ ان الرفض ممارسة واعداد وعمل سياسي شاق . ان الموقف الآن هو أن نكون أو لا نكون . قد يكون الرفض المطلق أحيانا نوعا من الهروب . وليست اللا المطلقة تعني دائما الثورية المطلقة. اننا لسنا مترددين بين الاستسلام وبين استمرار الثورة . ولكننا نتريث من أجل البحث عن أفضل الوسائل لتحقيق أهدافنا وشعاراتنا . ولا يمكن لاحد القول ان الانفكاك عـن النظام الاردني العميل هـو نوع من التسليم باسرائيل . ونحن الآن نتريث لنعرف كيف نقول « لا » وتستمر الثورة ، ولنحرم النظام العميل من الضفة والقطاع دون ان يكون هناك تنازل في الاعتراف والصلح والمفاوضات .

وان موقف الاتحاد السوفياتي يقول « انه لا يوجد ثورة في العـالم الا ولها برنامج مرحلي ، وعليكم أن تمرحلوا نضالكم . نحن معكم في الدولة الديموقراطية الفلسطينية ، ولكن كيف تكون هذه الدولة ؟ » وبشأن المرحلية الآن ، هنالك شيء أساسي هو أن ننتزع من نظام الملك حسين الضفة الغربية والقطاع من غير تنازلات . انني أعتبرها الخطوة الاولى لكي تشكل قاعدة . سموها قاعدة ثورية . سموها قاعدة وطنية . انني أعتقد أنها خطوة أولية بشرط ألا يكون ثمن هذه القاعدة التنازل عن الحق التاريخي وعن أشياء أخرى . هذا هو عملنا السياسي وتحركنا السياسي .

وينبغي أن نكون واثقين من أن الشباب الذين فجروا الثورة في ٦٥/١/١ لا تحركهم أية دوافع للتنازل عن حقهم التاريخي في تحرير كامل التراب الفلسطيني . انهم أول من رفع السلاح بعد ثمانية عشر عاما من الهدوء على كافة الجبهات . هؤلاء الذين تحدوا الوجود الصهيوني ببنادقهم الصغيرة كانوا يعبرون عن الرفض الاسطوري . وهؤلاء لا يمكن أن يشك لحظة واحدة بأنهم سيكونون دائما دائما مع الشعب ومع الثورة .

وطن بقلم رصاصة

محمود درويش

● كانوا يقدمون له هدية السنة الجديدة . كانوا يزفون له بشرى : سينقل من غرفة التعذيب الى الزنزانة . مسيح بلا مسامير . وفي الجدران نافذة صغيرة تطل على بحر .

لم يكن له زمن من قبل . الآن يرسم خيوطا صاعدة هابطة ، وفقا لقدرة أصابعه التي صارت بلا أظافر . خيوط هابطة صاعدة يلتقي بعض أطرافها، سهوا ، ليشكل افتتاحيات دوائر . وعلى سطح البحر نسمة تمارس اللعبة اياها . لم يكن له زمن من قبل . والآن يعرف : هنا الساعة الاولى من اليوم الاول ، من الشهر الأول ، من العام الاول .

ـــ ماذا حدث ؟

ـــ أنتقل من مكان آخر الى .. زمن آخر .

ـــ وماذا يعني هذا الانتقال ؟

ـــ يعني أني أبدأ . أتحكم بالدوامة .

ـــ ولكنك لم تنتقل . السجانون هم الذين نقلوك .

ـــ هذا لا يغير شيئا . القيد يصقل الزند . وهكذا أعرف .

ـــ ماذا تعرف ؟

ـــ ان العصافير ليست حرة . وان الوطن يولد في منفى . اني أروض حالتي والتصق بالبعيد . وزندي يتحرر في قيدي .

● وكان الوطن كقدم طفل ، محبوسا في حذاء حديدي . وكان سرحان لا يعرف أكثر من ذلك . هذا يكفي ـــ كان يقول . لأن الاعتراف بما هو أبعد يفيد المحققين ويوسع العبارة .

كانوا ينقبون كل ذرة من ذرات كيانه ، ويدخلون الانابيب الدقيقـــة الحادة في مسام جلده ، بحثا عن فكرة الوطن . وحين كانوا يتعبون من النزهة في الجسد الضعيف ، كانوا يسدون المسام المتسعة بافتتاحيات صحف تحتج على الانتهاك ، ثم يغطونها بطحين جاء من كندا ، ويخبئون الجسم كله ، بما فيه من أسرار وغابات ، بقماش متبرعين يحبون الكلاب ويعطفون على الناس المساكين .

كان الوطن كقدم طفل . وكانوا يبحثون عن الفكرة بين المفاصل . وسرحان لا يفهم ولا يعترف لانه ، فعلا ، لا يعرف . « اذهبوا الى الخارطة واتركوني » . ولكن حين أقاموا له خيمة في الزنزانة حولها الى خارطة . وكانت هوامشها يوميات . قالوا : « في الجنة أيضا تجد خيمة » . قال : « في الجنة أيضا أحولها الى خارطة ، وهوامشها مرثيات » .

لم يجدوا الفكرة في لحمه المتفتت بين أصابعهم . كانوا يرسمون على جسمه خطوطا هابطة صاعدة تلتقي أطرافها في دوائر تشكل خارطة . صرخوا من الالم كأن الخطوط

التي رسموها قنبلة تنفجر بهم . هب آخرون لنجدتهم وقالوا : وجدناها . وجدنا فكرة سرحان . ولكن الوقت كان متأخرا . ونقلوه ، ثانية ، الى الزنزانة .

● حصان يحب غزالة
لا بد من ريح
ولا بد من حارس
للحيلولة دون الزفاف .

● كانت عقارب الساعة تشير الى : جبل ، ورصاصة ، وشهيد .
ثم تحركت الى سهول ، ورصاص ، وشهداء
ثم تحركت الى بيوت ، ورصاص ، وشهداء ، وقتلى ، واعراس ، ومآتم
وصار لسرحان زمن .

● بين الليل والليل فاصلة أتربص بها . تفلت من أطراف أصابعي ، وتسقط في الماء .
وهذه قطرة من دمي أقدمها مساحة تفصل بين يومين فيتحولان الى عهدين .
قطرة دم واحدة ، منذ هذا التاريخ ، تجعل اليوم الذي يسبقها عهدا ينزل الى الماء لا ليغتسل بل ليغرق .
وهذه قطرة أخرى ، أقدمها لكي لا تبقى الخارطة ورقا بلا نبات وجداول .
وهذا دمي كله . أصبه كله للشجرة التي ما زالت نائمة في التراب ، فتنبت الشجرة .. وأتحرر من دمي القديم الذي جاء من القمح الكندي والجبن الهولندي .
تخرج قدم الطفل المحبوس في حذاء المنفى الحديدي ..
يصير الوطن أصغر وأقرب ..
يصير الوطن في حجم القبلة وفي مسافة الطعنة .
فليعبر نشيد دمي جسر الحيرة وخيانة السيف . ليعبر نشيدي أناقة الوزن ، ويحقق الانسجام في الفوضى . ليعبر نشيدي خفيفا كسكتة القلب ، عنيفا كرحيل السفن . ولتلتئم ذراعان ضاعت احداهما في الغابات والاخرى في البحر . ليعبر نشيدي !.

● أنت مغامر يا سرحان .
— نعم .
— أين الفكرة ؟
— خرجت مني وصارت صخرة .
— لقد نسفنا الصخرة . كانت معبأة فدائيين وماتوا . لقد نسفنا الصخرة .
— أعرف ذلك . ولكن الصخرة لم تمت .
— رأيناها تطير في الهواء ذرات ذرات .
— لقد خرجت من الارض وصارت فكرة .
تعبوا منه . تعبوا كثيرا . وصار كل فريق مشغولا بيومه . سرحان يحاول الامساك

باللحظة الفاصلة بين الليل والنهار . والسجانون يفتشون عن الفكرة في الصخرة ، وعن الصخرة في الفكرة . ويحاولون الامساك بالفارق بينهما . ثم يعودون الى جسد سرحان الذي فرغ من الدم فتكاثرت حوله الفراشات .

● من هذه النافذة يبتدىء البحر ، ويمشي دمي .

الصيف والشتاء ذراعان ينغلقان على وطن .

اذا فتحوا مسام جلدي ، مرة أخرى ، تحول الفراش المتطاير منها الى أطفال يولدون .

نجوت من حوادث الطرق ، لاني لا أمشي على طرق . حيث تحط قدمي تكون طريق .

لا ضجيج قبلي ، ولا هدوء بعدي . يجب أن تحفظوا اسمي جيـــدا ، فقد تصابون باسمي ، قد تصطدمون باسمي فينفجر بكم .

الوقت هو زفيري وشهيقي . حطموا الساعات . واعرفوا مواعيد المطر من النحل الذي يحوم حول جراحي . واذا جاءكم السنونو ، في غير موعد ، قولوا : تنفس .

كل شيء يتغير . وأنا أدشن زمني ، ويقفز الي وطني كأسير في حضن زوجة .

وهذا سفر تكويني : في الساعة الاولى ، من اليوم الاول ، من عمر الرصاصة الاولى ، كانت الصحراء تنزل عن عنقي وتتعلم الابجدية . كانت تقرأ كتاب الشجر بقلم رصاصة . وكان الجبل العانس يتزوج رصاصة .

كان الوطن كله يختبىء خلف رصاصة .

انطلقت ... فآفاق .

ومن هذه النافذة يبتدىء البحر ، ويمشي دمي .

● يذهبون الى الحرب ، كما يذهب الحصان العاشق خلف الغزالة الشاردة .

منذ تسع سنوات ، والحب يتصاعد : أعراسا ومآتم . والزنزانة تذوب تذوب .

وفي هذه الليلة أين وصلت ؟

ـــ أعطيت الحلم قدمي ، فسار معي . لم يعد وطني لا أمامي ولا ورائي .

ـــ أين هو اذن ؟

ـــ يجب أن تفصلوا البحر عـــن الدم لكي تضعوا حدودا بيـــن جسمي ووطني . الا تشعرون بالخوف !.

كانت أجراس الميلاد تدق . وكان المسيح يملأ الليلة والعالم . وكان حوار الصخرة والفكرة يجعل الصلاة نزيفا ، ويحول النزيف الى صلاة .

مد سرحان يده الى صدره ، فأخرج منه القدس . وضعها أمامه . ثم قام ومشى على السور . « لم أتأخر كثيرا . دمي وصل » .. كان يمتد من الزنزانة الى الافق ، ويشكل قوسا نصف دائري . وكانت الريح تتحول الـــى أسلاك تلتف على حراسهـــا وتجعل المسافة بين الحصان والغزالة رؤية واضحة .

حصان يحب غزالة

لا بد من ريح
ولا بد من فارس
ليتم الزفاف .

أبدأ بالطفولة وأقول جذري الماء

(تنويعات على ماء الاردن) .

أدونيس

I

حول أشياء تطلع كلمات لا تقال ، حول كلمات تصنع أشياء لا تجدي ،
أسكن بين الانقاض ، وأهيىء شكل الطوفان .

II

الجذع حزمة رصاص وكتفاه مقبرة : يقتلع نفسه من بيته ويزرعها في بيت آخر . يضع قدميه حيث تضع السنابل أهدابها ، وفيما تتفتح أزهار الارض ، يغلق السماء ويشحذ آلة الخراب . يقتل العصافير العائدة الى أعشاشها . يرفع بين الطفل والام ، البيت والاهل ، الماء والمصب ، سدودا من الرعب .
يلصق على أرض الوطن خريطة أخرى .

ثمة جدران تتهدم وتتناسل مآتم مآتم . ثمة حقول نسيت عادة البذار والحصاد . لم يبق لذاكرتها الا أن تحضن الجثث والرماد . وبين العمق الذي يكتنز الجذر ، والسطح الذي يحتضن الورق ، تهدر طبقاتها أنينا ولهبا .
والزمن حولها جرح مفتوح كالشمس ، والفضاء يصلب عرقا عرقا .

حربة تغوص في صدر فلاح : من هنا الحقول .
رصاصة ترصد رأس عامل : من هنا يومك وغدك .
ربما انتفض قرميد ينتظر صديقه ــ زغب السنونو . ربما هدرت صخرة تلبس بردة الصمت . ربما اشتعل ماء نذر نفسه ليطفىء الحرائق .
بطيئا بطيئا يشحذ آلة الخراب ،
سريعا سريعا يفتك ويلتهم .
يسور الضفاف والماء والنهر . الجذع حزمة رصاص وكتفاه مقبرة .

أبدأ بالكفن ، وأقول جذري الماء .

III

الفجر يستيقظ ، يضع ثيابه في حقائبه ، يسافر ويغلق الـــى الابد عينيه . الزهرة تتعرى ، تترك جسدها للتراب العاشق ، وتغلق الى الابد عينيها . البطل يفتح وريده ، وبعد أن يسافر ويغلق عينيه الى الابد ، يترسب في قرارة الوطن قطرة قطرة . النهر وحده يسافر ويبقى . يبقى في السفر ، يسافر في البقاء ، وعيناه تبتكران الآفاق .

بين الضفة والضفة متاهات وأزمنة ، حيث تتلألأ أفلاك بلون الدمع وأشرعة بحجم الفضاء . وحين يقرع الليل أجراسه ويصعد القمر سلم غرفته ليحلم بمدار آخر ، يفتح بطل آخر أهدابه ، ينهض يحلم :

أبدأ بالنهر وأقول جذري الماء .

في مزيج من التواريخ والمدن تتنازع المهبات رياحها ، يبدأ خطواته . يتعثر به الغبار ، والغيوم حوله خيام وأجراس . يسمع أغنية يقول ها هو المطر . يرى فراشة يقول ها هي الطريق . ويطلب الحجر لا الجناح والعصف لا الصحو .

أبدأ بالعصف وأقول جذري الماء .

IV

البحر الميت ماء يجرحه بريق الملح .

لكن ، في تشرين حيث تبدأ الفصول هديرها الآخر ، يتحول البحـــر الميت الى جسد يجرحه تاريخ البرق . في الضفاف شفاه ترسمها حروف الصلصال . في التموجات وجوه تصبغها كآبة الحجر . لكن ، ثمة شجرة لها شكل الوجه ، وثمة وجه له نكهة الرعد .

أبدأ بالرعد وأقول جذري الماء .

V

فلاحة هي الشمس بين غزة والقدس . تحمل جرارها الـــى ينابيع تخبئها راحات الاطفال . تحمل معها خطوات بلا طرق وقرى بلا نوافذ . لكنهـــا حبلى بأجنة الفضاء والريح . وفي فضاء تزرعه أيام الفجيعة والهلع ، تكبر الطفولة وتحيا .

أخضر هو العالم الذي يتفتح بين الخطوة والتشرد . أخضر هو الزمن الذي يتحرك بين الطفل والطريق .

كل خطوة كتاب من الضوء .

أبدأ بالضوء وأقول جذري الماء .

القضايا الناشئة اثر الحرب التشرينية يفسح أمام الثورة الفلسطينية والعرب الملتزمين بأهدافها مجالات أوسع لدراسة مختلف البدائل المطروحة أمامها دون الشعور بالحاجة الى اتخاذ قرارات متسرعة فيما يتعلق باشتراكها بالمؤتمر من حيث ان الاشتراك فيه عند بدايته من شأنه أن يضيق على الثورة عدد الخيارات المتوفرة لديها الآن .

في هذا المجال يمكننا التقرير بأن العالم أخذ يدرك بشكل ملموس انه لا يمكن تحقيق السلام العادل — أو حتى غير العادل — بدون معالجة جذرية للقضية الفلسطينية ، التي هي بدورها منشأ الازمة . بكلام آخر فان ما كان يشكل بالنسبة الينا حقيقة بديهية صار بالنسبة للعالم قناعة مستجدة ومسلمة جديدة في علاقاته مع المنطقة . يستتبع هذا بالضرورة أن كل محاولة لايجاد أية حلول لازمة الشرق الاوسط بمعزل عن القضية الفلسطينية وأصحابها مكتوب لها الفشل المسبق. فمنذ هزيمة حزيران ١٩٦٧ — وخاصة أثناء مجزرة أيلول ١٩٧٠ — وصلت المحاولة لاقصاء القضية الفلسطينية عن موقعها المركزي الى أوجها . ثم كانت محاولة مشروع الملك حسين باقامة « المملكة العربية المتحدة » مبادرة أميركية — صهيونية من شأنها ابقاء العامل الفلسطيني داخل السلطة الاردنية المرضى عنها اسرائيليا .

نعيد التذكير بهذه الحقبة لاننا نشاهد اليوم كيف تعمل السلطة الاردنية من خلال اشتراكها في مؤتمر جنيف على ايهام العالم بأنها تمثل — على الاقل — قطاعا أساسيا من الشعب الفلسطيني فتشمل في وفدها ثلاثة من « الشخصيات » ذات الماضي « الوطني » نسبيا لتؤكد نوعا من « الحق » في تمثيل الفلسطينيين . كل هذا من شأنه أن يدل على امعان السلطة الاردنية في سياستها المناقضة لقرار مؤتمر القمة القاضي بكون منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثلة الوحيدة لشعب فلسطين ويدل على امعان من السلطة الاردنية بالتواطؤ مع المحور الاميركي — الاسرائيلي للحيلولة دون بروز أي كيان متميز ومستقل للفلسطينيين في قسم من وطنهم أو تأكيد حقهم التاريخي في كل وطنهم .

اما فيما يتعلق بمحاولات السلطة الاردنية تغطية ضلوعها في التواطؤ مع المحور الاميركي — الاسرائيلي بادخال « تشكيلة » من المواطنين المنتسبين جغرافيا الى الضفة الغربية والمنسلخين فعلا عن معاناته وأمانيه فان ليس لهم اية أهلية للتمثيل من حيث انهم عناصر امتصتها السلطة الاردنية الى اطارها فصار دورهم خدمة السياسة الاردنية أكثر من تمثيل أي قطاع فلسطيني . لكن تجدر الاشارة ان كثيرا من الحركات التحررية ووجهت بمثل هذه الحالات فما كان منها الا ان اتخذت اجراء بسيطا بحق من يخرج عن شرعية الثورة وهو ان اسقطت هؤلاء الخارجين الى حيث كانوا مؤهلين ان يكونوا أي موظفين عند السلطة الهاشمية . من هنا يتوجب علينا ان ننتظر في الاسابيع القادمة مزيدا من التحايل الذي ستقوم به السلطة الاردنية بغية انتزاع أهلية التمثيل لقطاع من الشعب الفلسطيني في المجال الدولي على الاقل في المراحل الاولى من مؤتمر جنيف . الا ان صك الاعتراف بمنظمة التحرير من قبل قمة الجزائر ، والذي ليس فيه من جديد الا كونه قرارا اخر بحقيقة قائمة ، يشكل ازاء العالم أحد الردود الفقهية والسياسية أمام انتحال أي وفد اردني رسمي حق تمثيل أي فلسطيني . أضف الى ذلك ان الشعب الفلسطيني داخل الاراضي المحتلة على وجه التخصيص أدرك بحسه النضالي المرهف أبعاد التآمر على شخصيته وعلى المؤهلين لتمثيله فما كان منه الا ان قام بمزيد من العمليات العسكرية ومن الاعلان الواضح عن ولائه وتعلقه بمنظمة التحرير كاطار لوجوده وتمسكه بان يكون لمؤسسات المنظمة الحق في التعبير عن مواقفه .

وبرغم عدم ضرورة تكرار هذا المنطق الا ان الاسابيع القادمة ستشهد المزيد من محاولات الاحتواء والتطويق والتضييق وربما الانقضاض . الا ان هذه المحاولات لن ترى النور ولن تتمكن من التحول الى اجراءات تنفيذية مطلقا ما دامت الثورة الفلسطينية قادرة على حماية الوحدة الوطنية عند الشعب الفلسطيني ووحدة الموقف السياسي لتوجيه المسيرة الفلسطينية في أشد مراحلها تعقيدا .

يستتبع هذا بالضرورة تكثيف التعبئة السياسية في مختلف قطاعات الشعب الفلسطيني حتى لا يؤدي التباين في ظروف هذه القطاعات واولوياتها — من حيث ان بعضها يرزح تحت نير الاحتلال والبعض الاخر داخل اطار السلطة الهاشمية والاخر في مخيمات لاجئين — الى تباين في اسلوب وفي مضامين البرامج والاولويات السياسية في المرحلة الراهنة . وبرغم الحدة في التعبير التي لازمت المناقشات العلنية لبعض قيادات المقاومة من حيث تصورها لما يجب ان يكون القرار الفلسطيني الان ، ورغم ان هذا الحوار العلني هو تعبير عن مناخ الديمقراطية الواسعة المتوفر في الساحة الفلسطينية ، الا أن الظروف الدولية والتطورات التي طرأت على مؤتمر جنيف للسلام تعني ان لا ضرورة مطلقا لاستعجال بلورة مواقف نهائية تصبح بمثابة التزام مبدئي على الاقل في المرحلة الراهنة .

هذا لا يعني ابدا ان الثورة الفلسطينية يجب ان تقفل باب الحوار . بالعكس فان دعوتنا تتوجه الى تكثيفه من حيث ان تبلور المواقف بشكل سابق لاوانه هو الذي (يسلق) المواقف وبالتالي يجهض الحوار .

المطلوب اذا مواصلة دؤوبة وتتبع دقيق لما يخططه لنا العدو على كل المستويات . فهو مثلا : ١) يريد ان يفك مستوى التلاحم الدولي الذي حصل مع الموقف العربي ابان الحرب التشرينية وبعدها حتى يستعيد مقدرته على المناورة والمراوغة في الامتثال للارادة الدولية . ٢) يسعى العدو ان يبقى موضوع مؤتمر جنيف بمنأى عن المؤثرات الدولية المتعاطفة مع الحق العربي وحصر القرار بالمعادلة الثنائية السوفياتية — الاميركية متوخيا ان تلغي الواحدة منها الاخرى في القضايا الجوهرية وبالتالي تتمكن اسرائيل من شراء الوقت الاضافي . ٣) الاستفادة من الوقت الضائع من أجل تحويل سلاح النفط العربي من تحريك الموقف الدولي الى جانب الحق العربي كما هو حاصل لغاية الان الى افساح المجال امام العدو وأجهزته الصهيونية للقيام بحملة تشهيرية ضد العرب من خلال الادعاء بأن سلاح النفط هو ابتزاز وتحريض الرواسب العنصرية والامبريالية من ان تستعيد مواقعها التوجيهية حتى ينوجد المناخ الطبيعي من أجل معاودة اسرائيل والامبريالية سياسة العدوان والتدخل والانقضاض . ٤) تمكين السلطة الاردنية من ضرب الوحدة الوطنية الفلسطينية وافساح المجال امامها من أجل تقليص فعالية وأهمية الاهلية التي تتمتع بها منظمة التحرير الفلسطينية . ٥) ابراز مفتعل لاوجه التناقض الشكلي بين اسرائيل والولايات المتحدة من أجل ان يكون الحليف الاساسي لاسرائيل قادرا على ان يلعب دور الوسيط .

هذه بنظرنا هي الخطوط العريضة لما يخطط له العدو في الاسابيع القليلة القادمة ريثما يتمكن العدو بدوره من اجتياز مرحلة الانتخابات وهضم دروس الحرب التشرينية الاخيرة وتأليف الحكومة بدون ضغوط المطاليب الدولية الملحة عليه بالانسحاب الكامل وتنفيذ بنود مقررات الامم المتحدة .

كما ان العدو الاسرائيلي يعمل جاهدا على استيعاب الاسلحة والمساعدات المالية التعويضية التي قدمتها الولايات المتحدة والبالغة أكثر من مليارى ومئتي مليون دولار

حتى تتمكن من اعادة بناء ترسانتها العسكرية واعادة بناء معالم ايديولوجيتها المهزوزة — حتى لا نقول التي بدأ يتآكلها الخطأ الاساسي الكامن فيها .

امام هذه الاحتمالات يصبح لزاما على المؤتمر الشعبي الفلسطيني المنوي عقده في اواسط هذا الشهر ان يؤكد الحقائق التالية : ١) اهلية كونه الممثل **لكل** الشـــــعب الفلسطيني **يتحرك ويتمثل ككل** . هذا يعني ان ليس هناك من جهة عربية — مهما كان أي قطاع فلسطيني قريب منها عقائديا او سياسيا او بعيدا او متناقضا عنها عقائديا او سياسيا — ان تعبر عن موقف هذا الشعب . فالاولوية في هذا المضمار هي وحدة الشعب وبالتالي وحدة موقفه المنبثق عن الحوار الديمقراطي الحاصل في صفوفه . **ثانيا** — تأكيد أهلية منظمة التحرير لاتخاذ المواقف والقرارات المصيرية عنه من حيث ان منظمة التحرير هي هذا **الكل** الفلسطيني . وتنطلق هذه المشروعية من خلال كون حركات التحرير تصبح مرادفة للشرعية عندما يكون الشعب رازحا تحت الاحتلال او كونه مشردا او الاثنين معا كما هي الحال في واقع الشعب الفلسطيني . هذا يعني بدوره انه لا يمكن ان توجد أية احتمالات — وهذا ما يتوجب على المؤتمر الشـــعبي الفلسطيني تأكيده بشكل مطلق — لان تعتبر المنظمة نفسها احدى الهيئات الفلسطينية أو حتى الهيئة الرئيسية للفلسطينيين . لانها اذا اعتبرت نفسها احدى الهيئات او حتى الهيئة الرئيسية ، تكون قد اجازت لنفسها ان تنفلت منها صفة التمثيل الشامل والكلي. وهذا ما لا تفعله أية حركة تحرير قبل انجاز التحرير او مهمات التحرير المنوطة بالحركة. **ثالثا** — ان ما يقال عن «زعامات» محلية داخل الاراضي المحتلة وكونها تستوجب مراعاة منظمة التحرير لها فهو مردود أصلا من حيث ان هذه « الزعامات » هي من أجل توفير تسهيلات يمكننا تسميتها تسهيلات بلدية وادارية وفي مجال الخدمات المحصورة . فاذا كانت هذه « الزعامات » تعتبر نفسها منضبطة في منظمة التحرير ومنفذة لسياساتها ومواقفها ، عندئذ لا بد لهذه « الزعامات » ان تكون مشمولة داخل أطر منظمة التحرير — اما في المجلس الوطني او المؤتمر الشعبي — . اما ان تعامل كقيادات مستقلة فهذا يعني تخليا عن أهلية التمثيل وتسييبا غير متوقع وغير مسموح به في حركات التحرر الوطني . **رابعا** — ان تستمر الثورة الفلسطينية بتأكيد التزاماتها المبدئية والستراتيجية وتكييفها بموجب التطورات الراهنة والمحتملة . الا ان الثورة عليها ان تدرك انها هي بدورها قادرة على ان تجعل التطورات الدولية والاوضاع الدولية تتكيف بما تتمكن من انضاجه ثوريا من خلال وحدتها الوطنية العضوية ومن خلال عدم اعتبارها ان الموقف الدولي او العربي رسمي على المعادلات التي هي عليه .

وفي ذكرى دخول حركة التحرير الفلسطينية (فتح) عامها العاشر لا بد من التذكير مما ذكرتنا به هي في اول عام ١٩٦٥ ان ما يبدو مستحيلا اليوم قادر بفعل الثورة ان يصير ممكنا في الغد ...

بعض الدروس التربوية للحرب العربية الاسرائيلية الرابعة

الدكتور عبدالله عبد الدايم

التقى عدد من المفكرين العرب في المؤتمر الوطني السابع للانماء الذي دعا له كل من ندوة الدراسات الانمائية والمركز التربوي للبحوث والانماء ، في بيروت ، في يومي الرابع والعشرين والخامس والعشرين من نوفمبر ٧٣ ، حول موضوع « استراتيجية الثورة العلمية التكنولوجية : تكوين البنية الاساسية للتقدم العلمي والتكنولوجي » . وفيما يلي نص بحث قدم لاحدى حلقات المؤتمر عن الدروس التربوية لحرب السادس من تشرين الاول ١٩٧٣ .

من العسير في هذه المرحلة ان نستخلص الدروس التربوية المباشرة التي تقدمها لنا حرب السادس من تشرين . ولهذا نكتفي ببعض الملاحظات العامة المستقاة من جو المعركة والتي تصدق في الوقت نفسه كمبادىء عامة لا بد منها في أي معركة مع العدو الاسرائيلي :

اولا : **التدرب على الحرب ينبغي ان يشمل جميع المواطنين** : اذا كان شعار « المجتمع المتعلم » شعار التربية في عصرنا فشعار « المجتمع المحارب » ينبغي ان يسير معه جنبا الى جنب في مثل مجتمعنا العربي الذي تكون المعركة قدرا مفروضا عليه حتى سنوات طويلة :

١ ــ التدريب العسكري الذي تقدمه التربية للطلاب في المدارس لا يكفي ، بل ينبغي ان يشمل افراد الشعب جميعهم (معركة مدينة السويس مؤخرا اثبتت اهمية ذلك بوجه خاص) .

٢ ــ هذا التدريب ينبغي ان يأخذ أشكالا متنوعة تبعا للاعمار المختلفة والجنسين وللاعمال التي يمارسها كل مواطن ولكفاءاته وخبراته .

٣ ــ جو المعركة ينبغي ان يسود حياة المواطنين جميعا : الاعداد للمعركة عمل مستمر دائم ــ حال السلم بالقياس الى الحرب ليست سوى استعداد للحرب .

٤ ــ اعداد المواطنين لجو المعركة لا يكون كاملا الا بالممارسة العملية للنشاطات المتعلقة بالمعركة . وسائل ذلك عديدة لا مجال هنا لتعدادها .

ثانيا : **معركة بناء المجتمع في شتى جوانب حياته ينبغي ان يكون جزءا لا يتجزأ من الاعداد للمعركة الحربية** : من الواضح ان البنية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية هي البنية الخلفية التي تستمد المعركة الحربية منها عوامل قوتها . ومن هنا لا بد التأكيد على الامور الاتية :

١ ــ المؤسسات الاقتصادية مواقع اقتصادية وحربية في آن واحد ، ولا بد بالتالي من ربط نشاط هذه المؤسسات (من صناعية وزراعية او تجارية او سواها) بالتعبئة الشاملة من أجل المعركة . أما وسائل ذلك فعديدة ، منها :

ــ ان يكون هدف زيادة الانتاج هدفا هاما لهذه المؤسسات الاقتصادية .

ــ ان يكون الاستخدام الامثل للموارد المتاحة ستارا موجها لهذه المؤسسات .

ــ ان تكون زيادة فعالية الادارة في تلك المؤسسات مطلبا أساسيا من مطالب الاعداد الدائم للمعركة .

ــ ان يكون انشاء المؤسسات الاقتصادية الرائدة احدى السبل الاساسية لتوجيه سائر المؤسسات نحو اهداف المعركة .

ان يشتمل نشاط هذه المؤسسات الاقتصادية على جانب تربوي تثقيفي ، يربط بين العطاء الاقتصادي لها وبين دورها في بناء المجتمع النامي القادر على الصمود في المعركة .

٢ ــ لا بد من تعميق دور الجمعيات والنوادي والنقابات وسائر المنظمات الاجتماعية في اشاعة جو المعركة وفي بناء المجتمع الموحد المتماسك .

٣ ــ لا بد من الاهتمام بالبناء الثقافي للمجتمع وبتربيته في شتى صوره وأبعاده ، بحيث يستطيع ان يمتلك المواقف والمهارات والخبرات اللازمة من اجل اغراض المعركة . وسيأتي تفصيل هذه النقطة في الجزء الثالث التالي .

ثالثا : **البناء التربوي والثقافي ينبغي ان يرتبطا ارتباطا وثيقا باهداف المعركة** : لا شك ان البناء التربوي والثقافي هو أهم مهاد تنطلق منه عمليات البناء الاخرى وينطلق منه الاعداد للمعركة . والحديث عن هذا البناء التربوي في شتى ابعاده حديث يطول . وحسبنا ان نشير الى اهم الجوانب التي تبدو لنا الصق باغراض المعركة :

١ ــ اهمية وحدة الثقافة في البلد ودورها في خلق كيان موحد متماسك توجهه اهداف مشتركة ورؤية مشتركة ودورها في القضاء خاصة على مختلف العلاقات الطائفية والقبلية والعائلية وسواها .

٢ ــ أهمية الربط بين ثقافة البلد وثقافة سائر البلدان العربية والدور الذي يلعبه تكوين الفرد العربي ذي النظرة الشاملة الموحدة ، وذي الافق العربي المتكامل .

٣ ــ اهمية الربط الوثيق بين التكوين الثقافي العام للطالب والمواطن وبين تكوينه العملي والتقني والمهني ، وضرورة السعي لاحداث ثورة علمية تكنولوجية موحدة في شتى جوانب المعرفة (الثقافة العلمية التكنولوجية تستلزم ازالة الحواجز بين جوانب المعرفة الانسانية ، وتزويدها جميعها باساليب الثورة العلمية التكنولوجية وتقنياتها . أساليب الثورة العلمية التكنولوجية ليست مقصورة على العلوم الدقيقة المحضة ، بل تشمل الدراسات الانسانية وشتى جوانب المعرفة) .

٤ ــ ضرورة خلق المواقف النفسية اللازمة لمجتمع الحرب والمعركة . وهنا ترد جوانب عديدة تتصل بتكوين هذه المواقف النفسية . حسبنا منها بعضها :

ــ اهمية تربية الطلاب على العمل الجماعي التعاوني وعلى روح الحياة المشتركة .

ــ اهمية تربية الطلاب على الحياة الديمقراطية السليمة وعلى أساليب القيادة الذاتية .

ـــ اهمية تكوين روح النضال والقتال .

ـــ اهمية تكوين « ارادة التغيير » والقدرة على التغيير لدى الطلاب .

ـــ اهمية تكوين ارادة البناء القومي المستقل والشخصية العربية المعتمدة على امكاناتها اولا المؤمنة بقدراتها الذاتية .

ـــ ضرورة تعهد ارادة الحياة المشتركة لدى المواطنين وتعبئتهم في سبيل الاهداف المشتركة .

ـــ تعميق دور التربية في تكوين العقلية المخططة القادرة على رسم اهداف قريبة او بعيدة وعلى السير المنظم نحوها .

ـــ تعهد التربية للتفكير العقلاني والنظرة العلمية الى الاشياء ، وعنايتها باشاعة روح البحث العلمي ووسائله .

ـــ تعهد التربية للفكر المبدع الخلاق في شتى المجالات والعمل على تفتيحه واطلاق طاقاته الفنية .

ـــ عناية التربية بتكوين النظرة المستقبلية القادرة على رسم « تاريخ الغد » وعلى صنع المستقبل وامتلاكه ـــ الخ ...

٥ ـــ الاهتمام بالتربية غير النظامية والربط الوثيق بين عطائها وعطاء المدرسة النظامية . ولا شك ان دور التربية غير النظامية (التي تتم خارج اطار المدرسة) في تكوين المواقف والمهارات والقدرات اللازمة لمجتمع المعركة ، دور كبير ، يتناول شتى اوجه التربية التي يمكن ان تقدم قبل المدرسة وبعدها . وحسبنا ان نؤكد على بعض هذه الاوجه :

ـــ وسائل البث الجماعية (صحافة ، اذاعة ، تلفزيون ، افلام ، الخ) وضرورة العناية بمضمون الثقافة والتربية اللتين تقدمهما ، بحيث يخدم هذا المضمون اهداف المعركة .

ـــ أهمية الادب والفكر والشعر والفن في خلق المواطن المعبأ للمعركة .

ـــ اهمية تعليم الكبار ومكافحة سائر أشكال الامية ، في توجيه المواطنين نحو اهداف المعركة .

ـــ أهمية مراكز التدريب والتأهيل ، وأهمية الدورات التجديدية والتثقيفية ، في تكييف القوى العاملة وفق مستلزمات المعركة .

ـــ اهمية النشاط الرياضي في خلق المواطن المؤهل للمعركة .

ـــ الاهتمام بتثقيف المرأة خاصة وبالربط بين حياتها ونشاطاتها وبين اهداف المعركة.

رابعا : **تكوين القيادات وتربيتها مطلب أساسي من مطالب الاعداد للمعركة** : طبيعي ان يكون للقيادات الممتازة في شتى جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ، دور أساسي في تحقيق اهداف التربية اللازمة للمعركة . ويتجلى هذا الدور خاصة في الامور الاتية :

١ ـــ دور القيادات الاجتماعية وضرورة تكوين مؤسسات اجتماعية فعالة في كل بلد وقرية (تتجاوز المؤسسة الاجتماعية التقليدية : الاسرة) ، لتكون الموجه لحياة المواطنين ولتكون المرجع في الايام العصيبة .

٢ ـــ اهمية تكوين القيادات السياسية القادرة على التفاعل مع الجماهير وتوجيهها

(ايمان الجماهير باهداف المعركة وبمن يقود تلك الاهداف ، ومشاركتهم في بناء الاهداف، من الشروط الاساسية لنجاح المعركة) .

٣ ــ اهمية تكوين القيادات التربوية الشعبية القادرة على التأثير في تربية الجماهير وتكوين المواقف الفكرية والنفسية الملائمة لديها .

٤ ــ اهمية تكوين القيادات العلمية والادارية والمهنية وسواها .

خامسا : **معرفة العدو** : من الاهداف الاساسية للتربية التي تعد المواطنين للمعركة، ان تعنى هذه التربية بتعريف هؤلاء المواطنين بالواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والعسكري لدى العدو . ومن الخطأ الفادح ان نعتقد ان عدم الاعتراف بالعدو يعني عدم معرفته . فالعكس هو الصحيح .. ونحن لا نغالب الاشياء ، كما قال بيكون، الا اذا عرفنا اولا طبيعتها والقوانين التي تسيرها . ومن هنا كان لا بد للتربية النظامية وغير النظامية ان تعنى بتعريف المواطنين على اهم مظاهر حياة العدو . ويشمل ذلك ، فيما يشمل :

١ ــ الاطلاع الدقيق على واقع العدو في مختلف جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية .

٢ ــ الاطلاع على الارتباط الوثيق بين واقع العدو الاسرائيلي وبين القوى الصهيونية والامبريالية في العالم .

٣ ــ معرفة البنية النفسية والفكرية خاصة لدى العدو .

٤ ــ معرفة مخططات العدو وتصوراته المستقبلية واساليبه في تنفيذ تلك التصورات.

٥ ــ معرفة نظرة العدو الى العرب والى الواقع العربي ومقوماته المختلفة (الاقتصادية ، السياسية ، الاجتماعية ، الفردية ، النفسية ، الدينية ، الخ) ومعرفة اسلوب تعامله مع هذا الواقع .

صدر عن مركز الابحاث

١٢٧ سؤالا وجوابا عن الصراع العربي الاسرائيلي

(الدليل الجديد باللغة الانجليزية)

بقلم

ابراهيم العابد

٢٠٧ صفحات بأربع ليرات لبنانية ، تضاف اليها أجور البريد الجوي : ١ ل.ل. في العالم العربي ، ٢ ل.ل. في اوروبة ، ٤ ل.ل. في سائر الدول .

أطلبه من : قسم التوزيع في مركز الابحاث

ص.ب ١٦٩١ ــ بيروت

الملامح الثورية في الحرب العربية ـ الاسرائيلية الرابعة

المقدم الهيثم الايوبي

« تكون الحرب كما يكون القائد الذي يقودها ، وكما تكون النظرية التي تحكمها »
(كلاوزفيتز)

يعتقد القادة العسكريون الذين يخوضون الحروب أنهم غدوا خبراء في العلم العسكري ، وان تجربتهم العملية في مسارح العمليات أو في غرف هيئات الاركان تسمح لهم بتقنين الاحداث التي عاشوها ، وتحليل المعارك التي شهدوها، واستخلاص القواعد والاسس والمبادىء ، والوصول في بعض الحالات الى صياغة « القوانين » . ثم يرتكز هؤلاء القادة بعد ذلك على استنتاجاتهم ، ولمحات الضوء التي رأوها من خلال دخان المعارك ، ويصيغون عقيدة عسكرية تعدل عقيدة الحرب السابقة ، ويعتقدون ان الحرب ستجري على هديها في المستقبل ، ويعدون قواتهم المسلحة وخططهم لتتلاءم مع العقيدة الجديدة التي تمتزج فيها توقعات المستقبل مع التجربة الذاتية بكل ما فيها من سلبيات وايجابيات .

وتتبلور العقائد في فترات الهدوء بين الحروب وتترسخ ، وكلما طالت فترات الهدوء ازداد تمسك القادة بالعقائد التي وضعوها ، وازداد تلاؤم القطعات وقادة الوحدات الصغرى مع الاساليب القتالية المنبثقة عنها . وتتكون مع مرور أعوام السلم حالة ذهنية معينة وتصور خاص للحرب المقبلة ، وقد تتعرض هذه الحالة وذاك التصور لبعض التعديلات الناجمة عن المخترعات والابتكارات ، ولكنها تبقى تعديلات جزئية ، نظرا لان المؤسسة العسكرية في جميع البلدان هي أقل المؤسسات قدرة على التطور الشامل السريع ، وأكثرها تعلقا بالتقاليد والافكار المسبقة . و« لان رجال الدولة والقادة العسكريين ـ كما يقول الجنرال فولر ـ متخلفون عادة عن العلماء بما يعادل جيلين»(١) . ويتعارض هذا الامر مع التطورات السريعة التي تتعرض لها النشاطات الانسانية في جميع المجالات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والعلمية . ويبدو هذا التعارض كبيرا خطير النتائج في عصرنا ، عصر التحولات السريعة والمفاهيم المتبدلة ، لانه يجعل المؤسسة العسكرية ، المبنية وفق أسس معينة والمستعدة لخوض حرب تقليدية(٢) تلائم ظرفا سابقا ، تشتبك في القتال في ظروف جديدة غير متوقعة ، أو متوقعة جزئيا ، وتتعرض من جراء ذلك لكثير من المفاجآت الاليمة أو الكارثية .

ويقل حجم هذه المفاجآت ولا شك كلما ازدادت قدرة القيادات العسكرية على التوقع والابداع والعمل بخيال واسع ، بيد أن ضخامة عدد العوامل التي تؤثر على الحرب وتطبعها بطابعها ، وسرعة تحول هذه العوامل ، وظهور عوامل جديدة باستمرار تعطي عملية التوقع والخيال حجما معينا لا تتجاوزه الا اذا كان في قيادة القوات المسلحة عبقريات عسكرية نادرة (نابليون ، ديغول ، ماوتسي تونغ ، جياب ، غودريان ، رومل) قادرة على استشفاف المستقبل من دراسة الماضي والحاضر واتجاه حركة التطور المستقبلية بكل جوانبها ، والاعداد لمعركة الغد وفق معطيات الغد المتوقعة .

والملاحظ هنا أن الابداع الفكري العسكري ، والبحث عن وسائل المستقبل القتالية يتمان داخل الجيوش المهزومة بسرعة لا يتمان بها داخل الجيوش المنتصرة ، اذ تهز الهزيمة العقائد التقليدية القديمة وتطرحها للمناقشة وتلقي على عاتقها جزءا من مسؤولية الفشل ، على حين يثبت الانتصار المفاهيم التي انتصرت ، ويدفع القادة الى التمسك بالعقائد والاساليب التي أثبتت فاعليتها على أرض المعركة . ويحاول القادة المنتصرون نقل تصوراتهم الى جيل القادة الذي يليهم ، فاذا ما تبنى هذا الجيل مفاهيم أسلافه المكللة بغار المجد ، وحاول تطبيقها بشكل حرفي ، سار أول خطوة على طريق الفشل ، وخاصة اذا كانت هزيمة الخصم في الحرب السابقة قد حفزته بشكل قوي ودفعته الى البحث عن مفاهيم جديدة ، وتطوير أساليبه القتالية وتثويرها لتتلاءم مع الحرب المستقبلية .

ومهما كانت الزاوية بين خطي تطور مفاهيم الخصمين صغيرة في البداية ، فان المسافة بين الخطين تتباعد باستمرار طوال سنوات السلم ، حتى تخلق بين عقيدتي جيشي الخصمين هوة ليس من السهل ردمها . وتظهر أهمية هذه الهوة عندما يصطدم الجيشان من جديد ، وتبدو عيوب الجيش التقليدي أمام ديناميكية الجيش الذي حطم التقليدية بأساليب ثورية حديثة مبتكرة، ويحقق الجيش الثاني عددا من الانتصارات بفضل المفاجأة بأسلوب القتال أو نوع السلاح ويتعلم الخصم بالتدريج قواعد اللعبة ، ويبدأ تطبيقها ، وتفقد المفاجأة حجمها واهميتها ، وتغدو اساليب الامس الثورية الجديدة أساليب تقليدية ، ويعود مجال المفاجأة محصورا في اختيار زمان المعركة ومكانها . ويبدأ البحث من جديد عن طريقة ملائمة لتثوير الاساليب أو الاسلحة بغية زيادة امكانات المفاجأة التكتيكية والاستراتيجية .

وتنطبق كل هذه الامور على الصراع العربي — الاسرائيلي ، مع تعديل ناجم عن خصوصية هذا الصراع . ويتمثل هذا التعديل في أن اهتمام الدولتين العملاقتين بمنطقتنا، ووقوفهما سياسيا وتسليحيا وراء الطرفين المتنازعين يجعل اية مجابهة عربية — اسرائيلية نقطة احتكاك ساخنة في اطار التنافس الامريكي — السوفياتي الذي خفت حدته الى حد بعيد بعد انتهاء مرحلة الحرب الباردة وبدء مرحلة الوفاق الدولي دون أن تختفي كل آثاره بشكل كامل . ويؤدي اهتمام الدولتين العملاقتين بأي صراع يندلع في منطقتنا الى قيامهما ببذل الجهود المكثفة لتسليح الجيوش وتدريبها وتطوير أساليبها وتثوير وسائلها وخططها القتالية ، الامر الذي يجعل التثوير والتطوير غير متناسبين مع الامكانات المادية والمستويات الحضارية للطرفين المتنازعين ، وغير نابعين من ظروف المنطقة ، ولا يمثلان انعكاسا لهذه الظروف ، بل يمثلان بالاحرى انعكاسا محليا مصغرا للتطور العسكري الامريكي والسوفياتي في مجالات العقائد الحربية والتكتيكات والاسلحة ومعدات القتال ، مع قسط من الاسهام الذاتي يتناسب مع ديناميكية القيادات المحلية المتفهمة لحقائق المنطقة ومعطياتها .

ومن المهم قبل الخوض في بحث الملامح الثورية في الحرب العربية — الاسرائيلية الرابعة أن نشير الى ان التثوير الذي نقصده هنا يقتصر على الخروج عن التقليدية ضمن اطار الحرب التقليدية . وهو لا يشمل التثوير بمعناه « الماوي » ولكنه أقرب الى التثوير بمعناه « النابليوني » او « الغودرياني » نظرا لانه يتعلق بوسائط الحرب وأساليبها أكثر من تعلقه بروحها . ولتفسير ذلك لا بد من العودة قليلا الى جوهر الحرب . يقول الجنرال أندريه بوفر بأنه « اذا كانت اشكال الحرب تتبدل فان جوهرها ثابت لا يتغير : انه يتمثل في تحطيم ارادة الخصم لاجباره على قبول الشروط التي نود فرضها عليه »(٢) . وتحاول الحرب التقليدية تحقيق هذا الهدف عن طريق الانتصار العسكري في ساحة

القتال ، مع استخدام استراتيجية مباشرة أو غير مباشرة . ولا يستهدف هذا الانتصار العسكري التدمير المادي لقوات العدو بل يستهدف ايقـــاع الاضطراب بين صفوفها . والتثوير « النابليوني » أو « الغودرياني » ... الخ في هذه الحرب يعنـــي استخدام وسائل أو أساليب مفاجئة غير متوقعة تساعد على الاسراع في عملية ايقاع الاضطراب ، وتعجل في احراز الانتصار العسكري في ساحة القتال . أما التثوير بمعناه « الماوي » فهو الخروج عن اطار الحرب التقليدية الى اطار الحرب الثورية التي لا تبحث عـــن الانتصار العسكري في ساحة القتال ، ولا تفتش دائما عن المعركة ، ولكنها تسعى الى تحاشي المعركة ما أمكن واستنزاف ارادة الخصم في مجابهة (سياسية ـــ ايديولوجية معنوية ـــ عسكرية) طويلة الامد لا تدمر القوى المادية للخصم بشكل حاسم ولا توقع الاضطراب بين صفوفها ، ولكنها تتوصل الى خلق حالة من الملل المتزايد لدى العدو ، وتنتزع منه القناعة بقدرته على الحسم في ساحة القتال ، وتجبره علـــى التخلي عن أهدافه تحت تأثير التفتت المعنوي الداخلي والضغـــط العالمي . واذا كان الانتصار في الحرب التقليدية يتم بفضل تحطيم ارادة القتال لدى الخصم ، فان الانتصار في الحرب الثورية يتم بفضل استنزاف هذه الارادة بعملية اقناع مسلح طويلة تصل بالخصم الى الاستنتاج بأن القتال لن يحسم الصراع .

واذا عدنا الى تحليل احداث الحرب العربية ـــ الاسرائيلية الرابعة وجدنا أنها دارت بأساليب الحرب التقليدية التي رافقها من الجانب العربي حـــرب عصابات ثورية وراء خطوط العدو . وبالرغم من المشاركة الجدية التي قدمتها قوات الثورة الفلسطينية خلال القتال ، فقد كان الطابع العام للحرب تقليديا بالمعنى « الكلاوزفيتزي » للكلمة ، أي انه كان قتال جيوش نظامية ، تستخدم أحدث معدات الدمار ، وتحاول تحقيـــق الانتصار بواسطة الحسم في « المعركة الدامية » . ولقد دارت المعارك على الجبهتين المصرية والسورية على شكل مصادمات جبهيـــة واختبارات قوى ماديـــة عنيفة في الاراضي المكشوفة . وكان من الواضح أن كل طرف من الطرفين يحاول تحطيم ارادة القتال لدى الطرف الآخر عن طريق تدمير القوات المسلحة للطرف الآخر أو قلب توازنها الاستراتيجي وخلق الاضطراب بين صفوفها بواسطة الصدام المادي المباشر دون استخدام المناورة الاستراتيجية على نطاق واسع رغم قدرة قوات الطرفين الميكانيكية على الحركة ، ورغم وجود مجال واسع للمناورة في صحـــراء سيناء . ويمكننا أن نذكـــر هنا ان الحركتين الاستراتيجيتين الهامتين الوحيدتين في هذه الحرب كانتا : ١ ـــ تحرك القوات العراقية وتحرك القوات الجزائرية بسرعة لتأمين الحشد والانتقال من العمق الاستراتيجي الى العمق العملياتي ، ٢ ـــ تحرك الاحتياط الاستراتيجي الاسرائيلي من منطقة الحشد الى منطقة خرق الدفرسوار والتوجه بعد ذلك بحركة نصف مروحة باتجاه مدينة السويس.

وهكذا كانت المجابهة على الجبهتين مادية لا تحمل في طياتها سوى قسط ضئيل من عناصر التفتيت الايديولوجي والنفسي . وكانت الاستراتيجية المطبقة على الجبهتين ومن كلا الجانبين مباشرة أكثر مما ينبغي . فاذا استثنينا خـــرق الدفرسوار والحركة التي تلته ، والخنق الاستراتيجي العربي عند مضيق باب المندب وجدنا أن الحرب بمجملها كانت أشبه بمبارزة ضخمة استخدمت فيها وسائط نارية كثيفة متقدمة لا تتناسب مطلقا مع واقع دول المنطقة الحضاري أو امكاناتها الاقتصادية وقدراتها الانتاجية . ويمكن القول أنها أخذت بمجملها شكل معركة من معارك احدى الحملات التي تمت خلال الحرب العالمية الثانية على جبهة من الجبهتين الشرقية او الغربية مع الاعتمـــاد على الهجوم والصد والرد أكثر من الاعتماد على المخاتلة والتملص والتجنب والتهديد والانهاك . ولم تكن القاعدة المادية للطرفين المتحاربين تسمح باستمرار القتال بالوتيرة نفسها أكثر من عدة أيام ، ولولا الجسران الجويان السوفياتي والامريكي لتوقفت الآلتان الحربيتان بعد

الاسبوع الاول من القتال ، ولاضطرتا الى استخدام وسائل أكثر بدائية ووسائط نارية أقل عنفا ، ولعادتا حتما الى الاعتماد على القوى البشرية والامكانات الهائلة الكامنة في الانسان .

وبالرغم من هذا الطابع المادي المباشر للحرب التقليدية التي دارت رحاها في الجولان وسيناء ، وبالرغم من ظهور بصمات فوش وكلاوزفيتز بصورة أوضح من بصمات فابيوس ماكسيموس وليدل هارت ، فقد ظهر في هذه الحرب عدد من الملامح الثورية في مجالي التكتيك واستخدام وسائط القتال . ويمكن اعتبار هذه الملامح اسهاما في تطوير العلم العسكري التقليدي الحديث ومدخلا لاجراء تعديلات جذرية على تنظيم وتسليح وتدريب الجيوش بما في ذلك جيوش الدول الكبرى . وتتمثل هذه الملامح في : ١ ــ اختيار لحظة بدء الهجوم ، ٢ ــ احباط التفوق الجوي من الارض ، ٣ ــ استخدام المشاة ضد الدبابات ، ٤ ــ تبادل المهمات في الثنائي « طائرة ــ دبابة » .

١ ــ اختيار لحظة بدء الهجوم

تختار القوات المهاجمة لحظة بدء الهجوم على الخط الدفاعي الاول المحصن بشكل يؤمن لها مفاجأة العدو والتوغل في عمق دفاعاته مسافة كافية قبل حلول الظلام ، ويسمح لها بعد ذلك بالتمركز عند حدود المهمة اليومية استعدادا لصد الهجمات المعاكسة الليلية أو النهارية . أما اختيار لحظة بدء الهجوم على الخطوط الدفاعية الثانية والثالثة (وهي عادة أقل تحصينا من الخط الاول) فيتم بشكل يؤمن المفاجأة ، ويسمح بالتوغل في العمق ، ويعطي المهاجم فرصة كافية لمطاردة العدو واستثمار النصر قبل حلول الظلام وقبل أن يتمكن العدو المنسحب من قطع التماس .

ويأخذ المهاجم بالحسبان عند عملية الاختيار عدة عوامل كطبيعة الدفاع ، وطبيعة الارض ، والزمن اللازم للخرق الاولي ، وطول ساعات النهار ، وساعة أول ضوء ، واتجاه الشمس والريح ، ودرجات الحرارة في النهار والليل، وعادات العدو في الحراسة والنوم والاكل، وبعد قوات العدو الاحتياطية ومستوى قدرتها على الحركة ، ومستوى السيطرة الجوية للطرفين ... الخ . وتقوم الجيوش عادة بشن الهجوم عند الفجر او في ساعات الصباح الاولى ، ويسمح لها هذا التوقيت بحشد القوى وتقديمها الى خط الانطلاق خلال الليل ، كما يسمح لها بمفاجأة العدو قبل أن يستيقظ ، ويقدم لها امكانية تحقيق الخرق الاولي قبل وضوح الرؤية تماما ، والانطلاق بعد ذلك بالعمل طوال النهار للتقدم الى أعمق مسافة ممكنة قبل حلول الظلام .

وتعتبر ساعات الصباح الاولى أفضل توقيت للهجوم على الجبهة السورية لانها تدخل في الحسبان عامل الشمس التي تكون عند شروقها مقابل دفاعات العدو ، الامر الذي يزيد امكانية الرؤية بالنسبة للسوريين ويحرم الاسرائيليين من الرؤية الواضحة والرمي الدقيق . ويختلف الوضع بالنسبة للجبهة المصرية التي لا تستطيع الافادة من عامل الشمس الا بعد الظهيرة حيث تكون الشمس في وجه المدافعين على الضفة الشرقية للقناة ، وتكون في الوقت نفسه في وجه القوات السورية المهاجمة في الجولان . ولقد أعطيت الافضلية في هذا المجال للجيش المصري نظرا لان اقتحام المواقع الدفاعية المعادية مع عبور القناة اصعب من اقتحام المواقع الدفاعية التي لا تستند الى حاجز طبيعي منيع . وكان اختيار الساعة الثانية بعد الظهر ابداعا جيدا ، وكان وراءه العوامل التالية: اعطاء المصريين أفضلية العبور والشمس في وجه العدو ، مفاجأة المدافعين في فترة لا يتوقعونها ، انهاء المرحلة الاولى من القتال (العبور على الجبهة المصرية وخرق خط آلون على الجبهة السورية) في ساعات الضوء القليلة لمنع العدو من استخدام طيرانه بفاعلية

كبيرة ، والافادة من ساعات الليل لتعزيز المواقع المستولى عليها وبناء الجسور على القناة دون أن يتمكن الطيران المعادي من التدخل على نطاق واسع .

وكانت العقبة الوحيدة أمام هذا التوقيت تتمثل في كيفية تأمين الحشد ، وتقديم قوات الهجوم حتى خط الانطلاق خلال النهار دون اثارة انتباه العدو . ولقد وجدت هذه المعضلة حلها عندما استعاضت القوات العربية عن الغطاء الليلي اللازم بغطاء اعلامي استطاع اقناع العدو بأن كل التحركات التي تتم عبارة عن تدابير دفاعية وقائية يقوم بها الجيشان المصري والسوري خوفا من هجوم اسرائيلي انتقامي . وهكذا تم الحشد تحت بصر العدو وسمعه ، وتحققت المفاجأة الكاملة وأخذ الجنود الاسرائيليون في الجولان على حين غرة — كما يذكر الجنرال حاييم بارليف — وفوجىء المدافعون عن القناة وهم يلعبون كرة القدم — وفق رواية مراسل الفيغارو في اسرائيل — ويمكن اعتبار هذا الاختيار الثوري (غير التقليدي) وما نجم عنه من مفاجأة ، ابداعا في مجال التخطيط العسكري العربي، وسببا من أسباب نجاح المرحلة الاولى بأقل خسارة ممكنة في صفوف القوات العربية(٤).

٢ — احباط التفوق الجوي من الارض

ظهرت نظرية السيطرة الجوية في الثلاثينات عندما أعلن الجنرال الايطالي جوليو دوهي أن الطيران المتفوق بشكل ساحق قادر على حسم المعركة الدفاعية والهجومية ، وتدمير القوات المعادية بشكل يجعل القوات البرية المدعومة بالطيران قادرة على العمل بحرية تامة ، ويجعل مهمة هذه القوات استثمار النصر الذي يكسبه الطيران لوحده . ولم تثبت صحة هذه النظرية خلال الحرب العالمية الثانية ، كما لم تتمكن الدول الاستعمارية من اثباتها خلال الحروب التي جرت بعد الحرب في كوريا وفيتنام والجزائر. وكانت نتائج القصف الجوي عادية في مسارح العمليات ، كما كانت أقل من عادية عندما استخدم الطيران لقصف المدن بغية تحقيق الحسم الاستراتيجي عن طريق انهيار الجبهة الداخلية . ولقد رأى أنصار نظرية السيطرة الجوية أن هذا الفشل راجع الى طبيعة الارض المغطاة كليا أو جزئيا ، وعدم امتلاك التفوق الجوي الساحق الا في المراحل الاخيرة للحرب ، وصغر الاهداف التي يقدمها العدو وخاصة في فيتنام والجزائر .

وفي عام ١٩٥٦ استطاع الطيران الانكلو — فرنسي تطبيق النظرية بنجاح عندما شل القوات الجوية المصرية وسمح للجيش البري الاسرائيلي بالتقدم في سيناء بسرعة ودون مقاومة تقريبا ، ومنح البحرية الاسرائيلية حرية عمل لا تتناسب مع حجمها الحقيقي ومع موازين القوى البحرية المصرية — الاسرائيلية . وفي عام ١٩٦٧ تمكن الطيران الاسرائيلي من تطبيقها بنجاح أكبر عندما أخذ المبادرة ودمر القوات الجوية المصرية بضربة مفاجئة ، وأعطى القوات البرية والبحرية حرية عمل واسعة وشل عمل الجيش والبحرية في مصر وسورية والاردن . ولقد بنى الاسرائيليون على تجربتي ١٩٥٦ و١٩٦٧ استنتاجات كثيرة.ويقول كتاب انشاء وتطوير سلاح الطيران الاسرائيلي « شكلت عملية سيناء تحولا في العلاقات بين الاركان العامة وسلاح الطيران . ولقد دعمت المدرعات وسلاح الطيران في هذه الحرب موقفهما دون اعتراض . وكانت وجهة النظر البرية القائلة بأن سلاح الطيران هو مجرد سلاح مساعد هي وجهة النظر السائدة ، وابتداء من عملية قادش [حرب ١٩٥٦ كما يسميها الاسرائيليون] أصبح واضحا أن لسلاح الطيران أهمية خاصة كبيرة في القدرة على الحسم في الحرب »(٥). ثم يقول في مكان آخر عن حرب ١٩٦٧ : « ان ضربة البداية التي قام بها سلاح الطيران الاسرائيلي حسمت سير الحرب »(٦). وانطلاقا من كل هذه الاستنتاجات حاولت القيادة الاسرائيلية بعد حرب ١٩٦٧ والحظر الذي فرضه الجنرال ديغول على بيع الطائرات المقاتلة لاسرائيل الحصول على الطائرات المتطورة من الولايات المتحدة الامريكية وحصلت بالفعل على

طائرات سكاي هوك وفانتوم وضمنت لنفسها التفوق الجوي اللازم . ولقد استخدمت هذه الطائرات خلال حرب الاستنزاف والاشتباكات التي جرت بعدها بفاعلية . واحتلت القوات الجوية مركز الصدارة في القوات المسلحة الاسرائيلية(٧) واخذت دورا هاما في نظرية الامن وميكانيكية الردع وأساليب العمل ضد الدول العربية المجاورة وقوات الثورة الفلسطينية . ويلخص موشي دايان وزير الدفاع الاسرائيلي وجهة النظر الاسرائيلية بالنسبة الى سلاح الطيران بقوله : « ومع احترامنا لخط بارليف ولخط الاردن ، الا ان العنصر الاساسي في قوتنا هو أولا سلاح الطيران الذي يعتمد على الاعين الالكترونية الواقعة على النقاط الطبوغرافية العالية في شرق البلاد وغربها »(٨).

وأمام هذا التضخيم في أهمية سلاح الطيران المعادي لجأت كل من مصر وسورية الى تقوية سلاحهما الجوي بغية التصدي للطائرات وفق نظرية « الطائرة تجابه الطائرة » . ولكنهما لم تكتفيا بذلك بل قامتا بتقوية جهاز الدفاع الارضي بصورة متوازية مع تقوية الطيران ، وانشأتا شبكة صواريخ أرض — جو سام ٢ و ٣ . وكان العدو يعرف قواعد هذه الصواريخ ويمتلك الاجهزة اللازمة لتشويش راداراتها وتضليل الصواريخ بعد اطلاقها . وعندما وصلت صواريخ سام — ٦ الى سورية ومصر حاول العدو اختبار هذا السلاح الجديد الذي لا يعرف ميزاته ولا يمتلك الاجهزة اللازمة لتشويشه ، فقام بعدة طلعات جوية استفزازية فوق الاراضي العربية ، وخرق الاجواء أكثر من مرة ، وكانت آخر محاولاته الاستفزازية في ٧٣/٩/١٣ قبل اندلاع الحرب بثلاثة اسابيع . بيد ان القيادتين المصرية والسورية لم تردا على الاستفزاز ، ولم تستخدما السلاح الجديد . وكانت غايتهما من ذلك الحفاظ لا على سرية وجود هذا السلاح فحسب ، بل على سرية فاعليته ايضا ، ليحقق عند استخدامه اكبر قسط من المفاجأة المادية والمعنوية .

ولقد تحققت هذه المفاجأة بالفعل . ولا أدل على ذلك من اندفاع الطائرات المعادية في الايام الاولى للحرب بكثافة كبيرة لصد الهجمات السورية والمصرية او لتدمير الجسور على قناة السويس.وكان اسلوب اندفاعها يدل على جهلها الكامل بامكانات الصواريخ سام — ٦ واعتقاد الطيارين بقدرتهم على التملص من شبكات الصواريخ بأقل خسارة ممكنة.ونجم عن هذه المفاجأة سقوط عدد كبير من الطائرات في الايام الاولى وعجز سلاح الطيران عن دعم قواته البرية او قطع الجسور التي نصبها المصريون في ليلة ٦ — ٧ تشرين الاول . ويقول مراسل نيوزويك نقلا عن احد مسؤولي الامم المتحدة ممن شهدوا المعارك الجوية على قناة السويس ان الاسرائيليين خسروا ٣ طائرات من كل ٥ طائرات حاولت الاقتراب من منطقة العبور وان الطائرات كانت تقوم بالقصف من ارتفاعات عالية هروبا من الدفاعات الارضية ، لذا فان رماياتها كانت غير دقيقة(٩). وتذكر المصادر الامريكية أن ٨٠ ٪ من الطائرات التي خسرها سلاح الجو الاسرائيلي سقطت بفعل الدفاعات الارضية على حين سقط ٢٠ ٪ منها فقط في الاشتباكات الجوية . وهكذا استطاعت القوات المصرية والسورية تقديم اسهام ثوري في فنون القتال عندما حققت الحفاظ على سرية السلاح الجديد ، ولم تستخدمه للرد على الاستفزازات رغم قوتها ، واحتفظت به ليوم المعركة الفاصلة حيث أخذت تستخدمه على نطاق واسع حارمة الطيران من حرية العمل ، ومبرهنة على ان بوسع الدفاعات الارضية الجيدة الحديثة ، بالتعاون مع المطاردات المعترضة ، شل سلاح الطيران وتجريده من التفوق الذي يملكه ومنعه من تحقيق الحسم على مسرح العمليات .

٣ — استخدام المشاة ضد الدبابات

اعتمد الاسرائيليون على سلاحهم المدرع الذي كان القوة الثانية في الثنائي « طائرة — دبابة » ، وكانت ضخامة هذا السلاح (حوالي ٢٠٠٠ دبابة) ، وارتفاع مستوى تدريبه،

وتحسين مدافع الدبابات (ركبت على جميع الدبابات المتوسطة الاسرائيلية مدافع عيار ١٠٥ مم)(١٠) تجعل القيادة العسكرية الاسرائيلية تعتبر هـذا السـلاح قبضتهـا البرية الحديدية الضاربة القادرة على الخرق والمطاردة في العمق وتدمير أية دفاعات في حالة الهجوم ، وصد أية هجمات مدرعة في حالة الدفاع . ويقول الجنرال آلون في معرض الحديث عن دروس حرب ١٩٦٧ : « ويبدو لي انه في تنظيم القوات البرية يجب اعطاء أفضلية اخرى للمدرعات كقوة رئيسية بين القوات البرية »(١١). وكان قد ذكر خـلال الحديث عن التطور الذي أعقب حرب ١٩٥٦ : « أصبح سلاح المدرعات الفرع الحاسم في القوات البرية . وعلى هذا الاساس تم توسيعـه وتحسينه ... في عدد دباباته ، وطاقتها من النيران ، وقدرتها على اجتياز أراض لم تعتدها ليلا ونهارا ، وقوة المناورة. لقد أصبحت هذه المدرعات قادرة على اختراق الخطوط الدفاعية القوية ، والالتفاف حول مدرعات العدو ، وتطويقها وسحقها »(١٢).

وفي عام ١٩٧١ تحدث الجنرال ابراهام ايـدن قائد تشكيلات المدرعات عـن تطور الدروع في المستقبل فقال : « اننا في مرحلة تعاظـم وسنواصلها في فترات الهـدوء والقتال ... والصورة التي أعطيت للدروع في الميدان تمنحنـا الثقة العالية بقدرتنا ـ ليس فقط للصمود في حرب الدفاع او لتحطيم عملية العبور ، بل كذلك لاستخدام الطرق التقليدية التي نتطلع فيها الى الوصول بالقوة المدرعة الى العمل السريع بعمق فوق أرض العدو »(١٣).

أمام هذا السلاح الكبير الحاسم كان لا بد من تكتيك جديد لا يحل محل تكتيك « الدبابة ضد الدبابة » او تكتيك « الدبابة والقانص ـ ضد الدبابة » ولكنه يتطابق معهما الى حد بعيد ليصبح « المشاة ، والصواريخ المضادة ، والدبابة ـ ضد الدبابة » . ولقد أوجدت القوات العربية هذه المعادلة فاستخدمت وحدات المشاة المزودة باعداد كبيرة من قاذفات الصواريخ ر ب ج ـ ٧ ، ووحدات الصواريخ المضادة للدبابات (ساغر وسنـابير) المحمولة على عربات مصفحة للعمل ضد دبابات العدو لوحدها او بالاشتراك مـع الدبابات المتوسطة العربية . وقامت هذه الوحدات بدورها بشكل فعـال مفاجىء ، والحقت بالعدو على الجبهتين المصرية والسورية خسائر لم يكن يتوقعها لدرجة جعلت الكتاب العسكريين الاسرائيليين يتساءلون بهلع : هل ماتت الدبابة ؟ .

ويتحدث المعلق العسكري زئيف شيف عن ضخامة المفاجأة التي حققهـا الاسلوب القتالي العربي الجديد : « أن اكبر المفاجآت في المجال التكتيكي والتقني في حرب يوم الغفران [حرب ١٩٧٣] كانت دون أدنى شك الاسلحة المضادة للدبابات التي يمتلكها العدو . أو بشكل أدق : بايدي مشاته ... والامر المذهل بصورة خاصة كان كميـات الاسلحة هذه ، والكميات التي كانت بأيدي سلاح المشاة المصري بشكل خاص . ومن الواضح أن هذه غلطة فادحة عندما لا يعلم أحد الأطراف بأن عدوه قد ادخل الى وحداته قواذف ر ب ج ـ ٧ بدل قاذفة واحدة لكل مجموعة (كانت كل مجموعة تملك ٣ قواذف) . وينطبق القول نفسه عندما لا تعرف كميات الصواريخ الموجهة المضادة للدبابـات في وحدات المشاة العادية » ثم يتابع حديثه « لقد بنى الجيش الاسرائيلي مدرعاته لمنازلة مدرعات العدو ، وبالفعل ففي اللحظة التي أمكن فيها لدباباتنا ان تخوض معارك دبابات كانت دباباتنا متفوقة ... والمشكلة كانت ان العدو خلق وضعا لم ننجح فيه دائما بخلق مواجهة بالدبابات . ففي مواجهة دبابات الجيش الاسرائيلي وضع اكثر من مرة سلاح المشاة المزود بأسلحة مضادة للدبابات . وعلى الرغم من أنه قد ضحى بكثير من جنوده، الا انه حقق مفاجأة تكتيكية ... لقد ظننا ان الدبابة تلقي الرعب دائما في سلاح المشاة المواجه لها ، وكانت المفاجأة ان رأينا المصريين يتجرأون في مهاجمة الدبابات ... وفجأة

اتضح لنا ، كما قال احد الزعماء الاسرائيليين ، ان فلاحي وادي النيل اصبحوا صيادي دبابات »(١٤).

ويدل هذا القول الاسرائيلي في معرض دروس حرب ١٩٦٧ على اثر المفاجأة المادية والمعنوية الناجمة عن الطريقة الثورية العربية في استخدام سلاح المشاة بكثافة كبيرة ضد الدبابات . وجاء دور الاسرائيليين ليقولوا : انتظرناهم من الشرق فجاؤوا من الغرب . واستطاع التطوير في استخدام السلاح مفاجأة العدو الذي كان يعرف وجود السلاح وميزاته ، ولكنه لا يتوقع هذا الاسلوب المكثف لاستخدامه . وكان بوسع القيادة الاسرائيلية لو أنها كانت أخصب خيالا وأقل دوغماسية ان تتوقع هذا المصير للدبابة . ولم يكن مستقبل الدبابة المظلم خافيا على عدد كبير من المفكرين العسكريين الاسرائيليين ، فلقد كتب العقيد السابق الدكتور يهودا فالخ في مجلة **معرخوت** (آب ١٩٧٢) مقالاً حول هذا الموضوع بعنوان « هل ماتت الدبابة ؟ » وكان مقاله دراسة حول ما كتبه المقدم الامريكي « و. لنون » بهذا الصدد . ولقد نشرت مجلة **معرخوت** نفسها اقوال المقدم لنون الذي ذكر « ان دبابة اليوم هي درع مثل درع الجسم في العهود الغابرة . ومعروف انها تتمتع بمزايا اكثر . الا أنها قد وصلت الى مرحلة تحطمها المتقدمة ، لان أهميتها تقل في مرحلة تتطلب من المعدات اكثر مما طلب منها في اي وقت مضى »(١٥). وكان المقدم الالماني ف. ميكشه قد تحدث عن هذا الموضوع اكثر من مرة ، ونشر عدة مقالات يتنبأ فيها بنهاية هذه الاداة القتالية عندما ستتطور أجهزة الدفاع ضد الدبابات ، تماما كما اختفت الخيالة كسلاح فعال بعد ظهور الرشاشات . وذكر أن أسلحة الدفاع ضد الدبابات ارخص من الدبابات واكثر منها فائدة . وطرح بشكل سافر التحدي الكبير الذي يجابه سلاح المدرعات في أية حرب مقبلة . ولكن القيادة الاسرائيلية لم تسمع اجراس الانذار هذه ، وتابعت بناء سلاحها المدرع بالاسلوب القديم التقليدي نفسه ، ولم ترفع عدد وحدات المشاة المرافقة للدبابات لحمايتها فساعدت المشاة العربية بذلك على تحقيق مفاجأتها الثورية الكبيرة .

ولم يقتصر مجال تثوير مجابهة الدبابات على الجانب العربي ، فلقد استخدم الاسرائيليون في هذه المجابهة اسلوبا ثوريا تمثل في مقاومة الدبابات بطائرات الهليكوبتر المسلحة بصواريخ جو — أرض من طراز « تاو » أو « س. س — ١١ » . وكان الامريكيون قد ابتكروا هذا الاسلوب من قبل واعدوا طائرات بيل ٢٠٤ و٢٠٥ و٢٠٦ وطائرات « هواي كوبرا — بيل ٢٠٩ » وطائرات « بيل ٢١٢ » و« كينغ كوبرا المقاتلة » و« سيكورسكي س — ٦٧ بلاك هوك » لمجابهة الدبابات بعد تزويدها بصواريخ جو — ارض . ويعتبر الاسرائيليون اول من أدخل هذا الاسلوب الثوري الى منطقة الصراع . ولقد أدى هذا الامر الى الحاق الخسائر بالمدرعات العربية على الجبهتين المصرية والسورية .

٤ — تبادل المهمات في الثنائي « طائرة — دبابة »

اكتشف الالمان اهمية الثنائي « طائرة — دبابة » خلال الحرب الاهلية الاسبانية (١٩٣٦ — ١٩٣٩) التي كانت حقل تجارب عملي واسع النطاق للعقائد الحربية والاسلحة الحديثة . ثم جاءت الحرب العالمية الثانية والحروب التي تلتها لتؤكد هذه الاهمية . ولقد بنى الاسرائيليون عقيدتهم الحربية على هذا الاساس ، وطبقوا الاسلوب التقليدي في تعاون الدبابات مع الطائرات . وكانت مهمة الطائرات بصورة عامة دعم القوات البرية (دبابات ومشاة ميكانيكية) وتدمير المقاومات المعادية وفتح الطريق أمام الدبابات لتتقدم بسرعة في عمق ترتيب العدو مع الافادة الى الحد الاقصى من الامكانات الحركية الكبيرة التي تملكها التشكيلات المدرعة الحديثة. وكانت ميكانيكية

عمل الثنائي « طائرة ــ دبابة » تتمثل في **تطهير الارض من الجو**، بغية السماح للقوات البرية بالتقدم لتنفيذ المهمات الملقاة على عاتقها .

وفي حرب ١٩٧٣ ، استطاعت شبكة الصواريخ أرض ــ جو ابطال عمل الطائرة ، واختل عمل الثنائي « طائرة ــ دبابة » الى حد ما . وهنا وجد الاسرائيليون ان آلتهم الحربية مهددة بالعطب اذا ما تمسكوا بالمفهوم التقليدي للقتال أو أصروا على ضرورة تطهير الارض من الجو قبل التقدم ، فلجأوا الى تدبير ثوري اعاد للالة الحربية المعادية حرية العمل . ويتمثل هذا التدبير في **تطهير الجو من الارض** ، اي في تدمير قواعد الصواريخ المضادة للطائرات بهجوم ارضي مفاجيء بحيث تحصل الطائرات على ممر أمين مفتوح في الجو يسمح لها بحرية العمل ، والعودة الى اسلوب تطهير الارض من الجو عند متابعة التقدم .

ولقد طبق العدو هذا الاسلوب في خرق الدفرسوار الذي كان عبارة عن اغارة مدرعة على الضفة الغربية كان من نتائجها تدمير قواعد الصواريخ واعطاء الطائرات « ممرا » ضيقا امينا لبدء العمل . ولقد وجدت الطائرات الاسرائيلية في بداية الامر صعوبة بالغة في المرور عبر هذا « الممر » ، ولكنها استطاعت رغم ذلك دعم القوة البرية على توسيع الممر الجوي من الارض . ولما اتسع الممر واخذ سلاح الجو الاسرائيلي حرية العمل الكافية بدأت طائراته مهمتها في تطهير الارض امام القوات البرية التي نفذت مناورة نصف المروحة باتجاه الجنوب .

*

هذه هي أهم الملامح الثورية في الحرب العربية ــ الاسرائيلة الرابعة . وهي تتسم بالثورية لما فيها من ابداع وتطوير وخروج عن الاساليب التقليدية . وستتحول هذه الاساليب « الثورية » مع الزمن الى اساليب تقليدية ، وتفقد ما كانت تتمتع به من مفاجأة . ولا شك في أن التطور في مجالي التسليح والتكتيك سينتزعان من هذه الاساليب الكثير من أهميتها . وقد تجد الصواريخ نفسها في الحرب الخامسة عاجزة عن انتزاع السيطرة الجوية من الطائرات بعد زيادة سرعة هذه الطائرات او رفع مستوى مناورتها او تزويدها بأجهزة تشويش ملائمة . وقد تفقد الهليكوبتر قدرتها على مجابهة الدبابات بفاعلية نظرا لاتساع نطاق استخدام الصواريخ الخفيفة المضادة للطائرات (سام ــ ٧ ، وبلوبايب ، وريد آي) ، وقد تزيد القطعات المدرعة عدد المشاة الميكانيكية المرافقة لها لمجابهة المشاة المعادية وحماية الدبابات من القانصين . وستظهر في أية مجابهة مقبلة اساليب « ثورية » جديدة تتناسب اهميتها وفاعليتها مع مدى ديناميكية فكر القيادات وسعة خيالها . ويكمن الخطر في اعتبار الاساليب « الثورية » التي نجحت في هذه الحرب « وصفة » جاهزة للحرب المقبلة ومفتاحا سحريا يضمن النجاح ، فالحرب نشاط انساني متحول يرفض الحلول الجاهزة ولا يقبل سوى الحلول العملية الملموسة الملائمة لكل ظرف على حدة.ويمكننا اعتبار فشل الجيوش الاوروبية المجمعة بكتل كثيفة امام مناورات جيش نابليون المتمفصل « بنظام فرقي » ، وتكسر حدة هجمات الخيالة امام نيران الرشاشات ، وانهيار خط ماجينو الحصين بعد التفاف المدرعات الالمانية عبر الاردين في عام ١٩٤٠ ، وتراجع الفرق الامريكية السريع امام هجمات كتل المشاة الكورية ــ الصينية الضخمة في حرب ١٩٥٠ ــ ١٩٥٣ ، وفشل القوة المادية الامريكية في احراز النصر في فيتنام (١٩٦٥ ــ ١٩٧٢) ، وتشتت المدرعات الاسرائيلية واضطراب تشكيلاتها بسبب المفاجأة الناجمة عن ضربات مشاة كثيفة مسلحة باعداد كبيرة من الاسلحة المضادة للدبابات ، امثلة تاريخية مختلفة الاهمية والحجم والنوعية ، ولكنها تمتلك عاملا مشتركا هو انها تبرهن

برهانا قاطعا على فشل العقلية التقليدية التي تقدس تجربة الماضي ، وترفض التطور وفق خط التطور الاجتماعي — الاقتصادي — السياسي — العسكري العام . ولا تحسن توقع الاساليب « الثورية » التي يمكن ان يجابهها العدو بها في جميع المجالات ، وتدخل حرب اليوم بافكار حروب الغد ، كأن حركة التاريخ تتوقف عند حدود لحظات الانتصار .

---

١ — **الحرب الميكانيكية** ، الجنرال ج. ف. س. فولر ، ص ٣٦ .

٢ — تعني « الحرب التقليدية » هنا الحرب التي تتم وفق الافكار والاساليب المتعارف عليها .

٣ — *La guerre révolutionnaire,* A. Beaufre, p. 20.

٤ — تم عبور القناة بسرعة مذهلة ، ولم يخسر المصريون خلال هذه العملية سوى ١٨٢ جنديا وضابطا مع ان التقديرات السابقة كانت تؤكد ان هذا العبور سيكلف المصريين آلاف الضحايا. اما على الجبهة السورية فقد تم خرق خط آلون واحتلال مواقع العدو في جبل الشيخ دون ان تتكبد القوات السورية خسائر تذكر ، الامر الذي جعل المعارضة في اسرائيل توجه للقيادة العسكرية اتهامات خطيرة لا تزال مستمرة حتى اليوم .

٥ — **انشاء وتطوير سلاح الطيران الاسرائيلي** ، يشعياهو بن نون ، وأوري دان ، وزئيف شيف ، ص ٥٤ .

٦ — **المرجع السابق** ، ص ٩٤ .

٧ — صرح دايان في معهد وايزمان العلمي بتاريخ ٧٢/٥/٢٤ ان مصروفات سلاحي الطيران والمدرعات ستكون في الميزانية حوالي ٨٢ ٪ من مجمل مصروفات الدفاع في اسرائيل .

٨ — **معاريف** ، ١٩٧٣/٦/٨ .

٩ — *Newsweek,* 22/10/1973.

١٠ — المدفع ١٠٥ مم الموحد المستخدم في دبابات حلف شمال الاطلسي .

١١ — **الستار الرملي** ، ييغال آلون ، ص ٤٨ .

١٢ — **انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي** ، ييغال آلون ، ص ١٧٣ .

١٣ — **بمحاني** ، ١٩٧١/١٠/١٣ .

١٤ — **هآرتس** ، ١٩٧٣/١١/٤ .

١٥ — **معرخوت** ، آب ١٩٧١ ، عدد ٢٠٩ .

صدر حديثا عن مركز الابحاث كتاب

القوات الاسرائيلية المحمولة جوا

بقلم

محمود عزمي

يتناول الكتاب سلاح المظليين الاسرائيلي بالدراسة الكاملة منذ نشأته وفي مختلف مراحل تطوره واهم العمليات التي نفذها في حروب ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ وخلال حرب الاستنزاف وفي العمليات المضادة لقوات الثورة الفلسطينية وآفاق تطوره في المستقبل .

اطلبه من مركز الابحاث قسم التوزيع ، ص.ب ١٦٩١ — بيروت

١٧٦ صفحة بثلاث ليرات لبنانية يضاف اليها أجور البريد الجوي : ٥٠ ق.ل. في العالم العربي ، ١٠٠ ق.ل. في أوروبه ، ٢٥٠ ق.ل. في سائر الدول .

الملامح البارزة لفكر بن جوريون السياسي

الدكتور أسعد عبد الرحمن

مهمة وضع الاصبع بدقة على ثقل قائد سياسي ما في الحركة التي يتزعم او تزعم ليست مهمة صعبة فحسب بل تكاد تكون أيضا ملامسة لحدود ما هو مستحيل ضمن أرقى محصول للنتاج البشري في مجال الابحاث الاجتماعية . ذلك انه ليس بالامكان بعد رسم خط محدد يفصل بين فعل الفرد في الامة او فعل الاخيرة بالاول . فالتداخل في الاثر الذي يتركه كل منهما على الاخر مؤكد ويستدعي تركيزا شاملا على محصلة التفاعل بينهما في المراحل المختلفة . وعليه فسيعالج البحث ما يمكن تسميته « بظاهرة بن جوريون » كقائد وكمدرسة في الفكر السياسي الصهيوني من زاوية كونها حالة لم تنبع من الفراغ ولا هي ، ايضا ، صبت فيه . كانت في احدى المراحل ثمرة لغرسة سبقتها تماما مثلما شكلت ، في مرحلة ثانية ، غرسة لثمار جديدة لحقتها .

على ان تناول تلك الظاهرة بالتحليل يستلزم منا في البداية ، كنوع من التمهيد الذي ربما يكون ضروريا ، تسجيلا تعريفيا سريعا ببن جوريون ذاته وبأهميته السياسية .

آ — بن جوريون واهميته السياسية :

في بولونية (الروسية آنذاك) ، وبالتحديد في بلدة « بلونسك » ، ولد دافيد جرين (الذي عرف لاحقا بالاسم العبري « بن جوريون » ومعناها « بن الشبل ») في اليوم السادس عشر من أكتوبر (تشرين الاول) عام ١٨٨٦ . هاجر الى فلسطين في العام ١٩٠٦ وبقي فيها (باستثناء فترات نفي أو رحلات عمل متقطعة) حتى وافته المنية يوم الاول من ديسمبر (كانون الاول) عام ١٩٧٣ . وبوفاته عن عمر يناهز الـ ٨٧ عاما ، نضب النبع البن جوريوني الغزير بعد أن سجل رقما قياسيا في طول مدة تدفقه بالفكر والمخططات والنشاطات الصهيونية .

بدأ بن جوريون نشاطه السياسي في سن مبكرة فأسس ، ولم يكد يبلغ الرابعة عشرة ، ما عرف باسم « جمعية الشبان الصهيونية » . وما أن بلغ السابعة عشرة حتى انضم الى « حركة عمال صهيون » . وعندما طردته السلطات التركية بسبب نشاطاته السياسية من فلسطين في العام ١٩١٥ قصد الولايات المتحدة الاميركية حيث لعب الدور الابرز في تشكيل «منظمة هيجالوتس» (الرواد) من أجل دفع حركة الهجرة الى فلسطين . وبعد أن ساهم في تكوين « الفرقة اليهودية » في الحرب الكونية الاولى ركز نشاطه على تأسيس « الهستدروت » وأصبح سكرتيرا عاما له طوال الفترة ١٩٢١ — ١٩٣٥ . كما شكل بن جوريون ، في العام ١٩٣٠ ، حزب « المباي » (منذئذ الحزب الاقوى في اسرائيل) وكان ايضا مؤسس « رافي » — الحزب المنشق عن المباي في العام ١٩٦٥ .

ومن أبرز مناصب بن جوريون الرسمية في السلطتين التنفيذية والتشريعية (قبل وبعد قيام اسرائيل) المناصب التالية : عضوا في الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية ورئيسها في الفترة ١٩٣٥ — ١٩٣٨ ، رئيسا « للادارة القومية » ومسؤولا عن الامن والدفاع بعد

٢٩ نوفمبر (تشرين الاول) ١٩٤٧ ، رئيسا لوزراء اسرائيل ووزيرا لدفاعها منذ تأسيس الدولة وحتى ١٦ يونيو (حزيران) ١٩٦٣ باستثناء الفترة ما بين ٥٣/١٢/٧ — ١١/٣/ ١٩٥٥ مع انه كان قد عاد فاستلم وزارة الدفاع منذ ١٩٥٥/٢/٢١ . هذا وقد مثل بن جوريون حزبه (سواء الماباي او رافي) في جميع البرلمانات الاسرائيلية (الكنيست) منذ قيام اسرائيل وحتى استقالته (لاسباب صحية) في مايو (ايار) ١٩٧٠(١).

هذه المناصب جميعها ، وبالرغم من أهميتها البالغة ، اكتسبت فعالية خاصة وابعادا اضافية بسبب الصفات التي تميزت بها شخصية بن جوريون . والفارق هنا هو بين « رئيس الوزراء — الموظف » او « رئيس الوزراء — المنتدب حزبيا » (وهذا ما لم يكنه بن جوريون) ، وبين القائد او الزعيم الذي يضفي عليه منصب ما الشرعية الرسمية ، وهذا بالضبط ما كانه . فبن جوريون كان « قائدا بالولادة »(٢) يصوغ القرارات ويتخذها ويضمن تنفيذها على النحو الاكمل . وباتخاذه للقرارات لا يجعل «الاوهام» او العواطف تتحكم به كما وانه لا يتورع عن اتخاذ القرارات الصعبة التي قد تنطوي على آثار سلبية من زاوية شعبيتها (وهذا من اكثر الامور التي كانت تعجبه في شخصية الجنرال ديغول) . وقد كان لقوة شخصيته وحزمه الشديد واسلوبه الصدامي أثر كبير في تركز السلطات بين يديه بحيث انه اعتبر — من قبل الكثيرين — دكتاتورا(٣). لهذا وصف بن جوريون على أنه « مركب غريب (يجمع) بين السياسي ورجل الدولة ، النبي والملك »(٤). كما أشير اليه على انه « الزعيم القومي الاهم بلا منازع »(٥). ومما قاله عنه ليفي أشكول ، خليفته في رئاسة الوزارة ، في ٢٤ يونيو (حزيران) ١٩٦٣ : « برؤياه المحلقة ، وبصيرته النافذة ، بشجاعته في اتخاذ القرار وبقدرته على العمل ، قاد شعبنا في صراعاته التاريخية التي أدت الى اقامة الدولة وجمع شتات المنفى ، وقرر مكانة (الدولة) في العالم وطابعها في الداخل . واكثر من أي رجل في جيلنا يستحق (بن جوريون) لقب « صانع الدولة »(٦).

ب — عوامل تكوين فكر بن جوريون السياسي :

كغيره من الناس ، بل ربما بشكل اوضح من معظمهم ، جاء الفكر السياسي لبن جوريون معبرا عن الظرف الموضوعي الذي وجد نفسه فيه من جهة وانعكاسا امينا لقواه الفاعلة من جهة ثانية(٧). فمنذ اللحظة الاولى لوصوله الى هذا العالم ، بدأ عقل بن جوريون ، وقبل ان يمتلك القدرة الذاتية على الاختيار او الرفض ، يتنفس هواء ثقافيا وفكريا وسياسيا خاصا . فجده يحقنه بالتراث العبري دينا وتاريخا وامالا ولغة، ووالده يكتب على صفحة دماغه البيضاء الفكر القومي السياسي الاكثر هيمنة في أوساط أبناء طبقته المتوسطة آنذاك ونعني به : الفكر الصهيوني . هذه « الادلجة » المبكرة التي تعرض لها بن جوريون منذ نعومة اظافره تركت ، كما سنرى ، بصمات واضحة وآثارا عميقة على فكر بن جوريون وسياساته التي جاءت **مزجا واضحا جمع بين تراث الماضي الديني وفكر الحاضر القومي من أجل رسم صورة عمل مستقبلية .**

هذه المؤثرات النابعة من المحيط العائلي لبن جوريون لم تصطدم بتيارات فكرية معاكسة في المحيط الاوسع . بل بامكان المرء ان يؤكد على العكس فيقول ان الاطار العائلي كان ، بحد ذاته ، امتدادا للاطار الخارجي الاشمل . فكون بن جوريون قد تلقى تعليمه الابتدائي في المدارس الدينية اليهودية من جهة ، وخضوعه التلقائي لتأثيرات « الجيتو » الذي كان يقطن فيه من جهة ثانية ، أمران عززا التأثيرات العائلية ونمياها. أيضا فان الجو الفكري العائلي كان جزءا من الجو العام السائد . وعن ذلك يقول بن جوريون ذاته : « جيلي كان (هدفا) ناضجا للصهيونية »(٨). وبهذا المجال ، وكي

تكتمل الصورة ، يجدر بنا ان نلاحظ ان العام الذي ولد فيه بن غوريون عام يبعد مسافة زمنية قدرها خمس سنوات عن المجازر اللاسامية في العام ١٨٨١ في روسيه القيصرية ومسافة عامين عن كل من « حادثة درايفوس » الشهيرة وعن « المؤتمر الاول لاحباء صهيون » المنعقد في سنة ١٨٨٤(٩). وحتى قبل ان يسمع بن جوريون عن انعقاد « المؤتمر الصهيوني الاول » ، وهو ابن أحد عشر ربيعا ، كان قد أتيح له ان يرى ثيودور هرتسل وهو يزور بلدته مبشرا بالفكر الصهيوني . فلا غرابة، اذن ، والتأثيرات بهذه القوة وبهذا الوضوح، ان يأتي تكوين بن جوريون الذهني صهيونيا . بل ان شدة المؤثرات هذه ، جعلت منه ذلك النمط من الصهيوني الذي يؤمن بضرورة العودة الى صهيون ليس هربا من اضطهاد وانما تحقيقا « **لحلم** » بكل ما يرافق عادة توجها كهذا من حماسة وزخم(١٠).

فما هو هذا « الحلم » وما هي حيثياته ؟

ج ــ المنطلقات الاساسية لفكر بن جوريون السياسي :

اهمية الاجابة على السؤال المحدد أعلاه تكمن في كون الحديث عن « الحلم » هو بالاساس حديث عن المنطلقات النظرية الرئيسية التي شكلت نقطة الاستناد الحاسمة لفكر بن جوريون السياسي . وفي هذا المجال فان أية دراسة مقارنة لكتابات وأحاديث بن جوريون ، وهي كما وردت في المراجع الاولية مصدرنا الاساسي للمعلومات(١١)، لا بد لها وأن تخرج بثلاث ملاحظات بارزة وتستنبط ثلاث منطلقات جوهرية على الاقل . اما الملاحظات فهي :

أولا : تكاد منطلقات بن جوريون الاساسية تكون ، حتى بألفاظها التفصيلية ، ثابتة ومتكررة في كل مرجع لكتاباته واحاديثه بالرغم من الفارق الزمني بين المرجع والآخر .

ثانيا : يحرص بن جوريون في تحدثه أو كتابته عن كل منطلق له على ربط الحاضر والمستقبل بالتاريخ والدين اليهوديين ومن ثم اظهار استمرارية ما بين فكر الحاضر والمستقبل الذي ينادي به وبين ماورد في التوراة . اي ان بامكان المرء ان يرصد ، وراء الاستشهادات التوراتية المكثفة ، محاولة لبناء تركيب معين يجمع ما بين الدين والدولة . ولا غرو في ذلك ، فانه لمن الامور المعروفة عن بن جوريون « انه يعيش (متحاورا) مع موسى كأن موسى يجلس على الطرف الآخر للطاولة ويعيش مع داود والآخرين (من الاعلام اليهود محدثا ومناقشا) »(١٢).

ثالثا : مع ان هذه الدراسة معنية بتسليط الضوء بشكل خاص ومحدد على فكر بن جوريون ، الا أنها لا تدعي ، ولا تستطيع أصلا أن تدعي ، أن الفكر الذي هي بصدده كان فكرا خاصا ببن جوريون وحده . فالرجل في طفولته ، كما سبق وذكرنا ، كان أشبه ما يكون « بجهاز استقبال » للفكر الصهيوني المزدهر الذي سبقه . على أن بن جوريون، وعلى ضوء الملاحظة الثانية أعلاه ، لم يكن مجرد عاكس للفكر الذي استقبله بل كان ، بالمحصلة ، صاحب مدرسة لها أسلوبها وصياغتها الخاصين ، بالرغم من التشابه الواضح في بعض نقاط الانطلاق (أو في البرامج العملية المنبثقة عنها) بينه وبين الاجتهادات المختلفة لدى المدارس الصهيونية الاخرى .

أما المنطلقات الرئيسية الثلاثة فهي :

١ ــ **خصوصية الشعب اليهودي** : الشعب اليهودي ، كما يراه بن جوريون ، شعب لا يشكل كيانا سياسيا فحسب ، بل ان اليهود منذ أن بدأ دورهم في التاريخ « يخوضون صراعا ، قد يكون ابديا ، وذلك بحكم الطبيعة الفريدة لبنائهم الروحي والخلقي »(١٣). ذلك البناء ، والكلام لبن جوريون ، يجعل من اليهود شعبا «خاصا» او شعبا «نخبة»(١٤)

يتمتع بقدرة استثنائية على الديمومة بالرغم من الظروف البالغة القسوة التي تعرض لها على امتداد التاريخ . وبامتياز الشعب اليهودي بهذه الخاصية خلافا لباقي الشعوب، نجح ليس في تجنب الانقراض فحسب بل وفي عملية بعثه لذاته بعد آلاف السنين . يقول بن جوريون : « ان سر **بقاء** الامة اليهودية في المنفى في ظروف لم يكن ليحتملها **أي شعب**، وبقاء الدولة في سنواتها العشرين الاولى على الرغم من جيران مصممين على تحطيمها ، ليس الا النوعية **المتفوقة للامة اليهودية** »(١٥).

اما حيثيات التفوق المشار اليه فتكمن في الاسماء والعبارات المستخدمة من قبل بن جوريون لوصف الشعب اليهودي . فهي أما ان ترد الى الطبيعة الفريدة للبناء الروحي والخلقي لدى الشعب اليهودي او هي ترجع الى « نخبويته »(١٦) و « تفوق الروح »(١٧) عنده او مهمته « القيادية في شؤون الروح والنوع »(١٨).

٢ ــ **الرسالة التاريخية للشعب اليهودي** : والمنطلق الثاني هذا مرتبط عضويا بالمنطلق الاول وبالذات فيما انتهى اليه بن جوريون من حديث عن مهمة الشعب اليهودي « القيادية في شؤون الروح والنوع » . وفي هذا المجال يبدو الاثر الخاص الذي تركه على بن جوريون الكلام او التعاليم التي تنسب عادة للنبي « أشعيا » . وبالتحديد قول الاخير ان اليهود « نور (أو ضوء) للامم »(١٩).

وهذا بالضبط ما يعنيه بن جوريون في احاديثه وشروحاته عن « المهمة التاريخية » التي ما انفك ، وفقا لكتاباته المتعددة ، يشير اليها منذ زمن مبكر(٢٠). يعزز ذلك كله ايمان بن جوريون أنه : « وبشكل مختلف عن جميع الامم الاخرى ، ومن ضمنها المسيحيين والمسلمين ، فان شعب اسرائيل لم يعتبر ان العصر الذهبي هو في الماضي وانما في المستقبل ــ في منتهى الايام . وحسب معتقد الشعب اليهودي فان الخلاص لم يحصل في الماضي البعيد وانما سيأتي في المستقبل »(٢١).

٣ ــ **ضرورة تحقيق دولة الشعب اليهودي** : وكما الترابط عضوي بين المنطلقين الاولين ، فان المنطلق الثالث هذا يأتي بمثابة الاستنباط الحتمي للاداة المتصورة لتنفيذ الحلم . فالدولة ــ كما يراها بن جوريون ــ « تجسيد لرؤى الخلاص عند الشعب اليهودي »(٢٢) من جهة ، وجزء من الماضي وتحقيق في المستقبل لمهمة اسرائيل التاريخية(٢٣) من جهة ثانية .

هذه المنطلقات الثلاثة ، بترابطها وتفاعلها المستمرين ، شكلت الخلفية الثابتة التي اتكأ عليها الفكر السياسي لبن جوريون وتياره ، أو بالاحرى التيار الذي قاده داخل الحركة الصهيونية قبل قيام اسرائيل أو داخل الدولة بعد قيامها . هذا مع التأكيد على ان وضوح المنطلقات لدى بن جوريون ذاته لم يكن يعني ان جميع المنضوين تحت لوائه، سواء كانوا من الجماهير العادية ام من البارزين في مدرسته السياسية ، كانوا يتمتعون ــ أو حتى يهتموا بان يتمتعوا ــ بالوضوح الذي كان هو يحس به ويسعى لتثبيته وتعميمه ازاء هذه المنطلقات . ولعلنا نقترب من كبد الحقيقة أكثر اذا ما نحن قلنا ان تيار بن جوريون وتلاميذه وافقوا على ، وبالتالي تبنوا ، **الاسلوب او المنهج** العملي المترتب على مثل هذه المنطلقات دونما ضرورة من جانبهم لمعرفة قبلية أو حتى موافقة مسبقة على نقاط الانطلاق تلك . فما هو ، باختصار شديد ، هذا المنهج العملي الذي اشرنا اليه وكيف ، وهذا ما هو بحاجة الى ايضاح اكثر تفصيلا ، عكس نفسه على العمل السياسي الخاص ببن جوريون ومدرسته قبل قيام اسرائيل وبعد انشائها ؟

د ــ المعالم الرئيسية لمدرسة بن جوريون السياسية :

١ ــ **المنهج** : ان يكون بن جوريون قد جاء في مرحلة نضج الصهيونية كفكرة وكتيار

سياسي ، وان يكون قد تعرض لتأثيرات هائلة ومتعددة الجوانب منذ طفولته المبكرة ، وأن يكون قد نذر حياته ـــ وتصور نفسه حجر زاوية لا غنى عنه ـــ لتنفيذ الحلم الخاص « باعادة بناء ارض إسرائيل »(٢٤)، وان يكون مقتنعا تماما بالمنطلقات المذكورة اعلاه ، ان يكون ذلك كله هو بالاساس امر له معنى واحد هو : **الريادة** .

والريادة في مجـــال النشـــاط الصهيوني ، بالفترة التي ترعـــرع ونشط اثنائها بن جوريون ، عنت تجاوز الفكرة الى **المباشرة في التنفيذ** . كما انها عنت ، بحكم كونهـــا مضطرة للعمل في وسط أقل ما يقال عنه انه معاد ، ضرورة توافر **الروح الصدامية** لدى القائمين على مهمة تحقيق الحلم . وكي تتم عملية التنفيذ وتحمى في مراحلها المختلفـــة كان لا بد من سلاح للحماية وتجسيد لروح الصدام عن طريق تنمية **القوة المادية** الخاصة بالمستوطنين الصهيونيين . هذه المواصفات الثلاث هي بمثابة روافد تصب في منهج محدد مؤداه العملي : **سياسة انجاز الامور عن طريق القوة المتفوقة** .

٢ ـــ **المنهج في التطبيق** : وقد عبر هذا المنهج عن نفسه بوضوح تام في جملة النشاطات والمخططات لبن جوريونية على امتداد فترة ما قبل قيام اسرائيل وبعدها ، كما انه كان وراء جميع الخلافات التي حكمت،في كثير من الاحيان،علاقات القيادات الصهيونية بعضها ببعض وبالذات قيادة حاييم وايزمن مقابل قيادة بن جوريون قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وقيادة موسى شاريت في جانب وقيادة بن جوريون في جانب اخر بعد الحرب العالمية الثانية وبالتحديد في السنوات الاولى من قيام اسرائيل(٢٥). وكي نرسم لوحـــة اجمالية للاعمدة الرئيسية التي تقوم عليها المـــدرسة السياسية لبن جوريونية ، وكي نتجنب الوقوع في مصيدة السرد التاريخي المجرد ، تنتقل الدراسة الى تحديد المواقـــف المبلـــورة لبن جوريون ازاء المسائل الاكثـــر اهمية التي جابهـــت الحركة الصهيونية واسرائيل .

أ ـــ **الصهيونية الحقة** : من المواقف التي تتجلى فيها النزعة العملية (بمعنى المباشرة بالتنفيذ وتقديم الفعل على القول) عند بن جوريون ، فهمه الخاص للصهيونية . فهو في هذا المجال من انصار الطريـــق الصعب ـــ طريق الهجـــرة والاستيطـــان الفعلي في فلسطين ـــ وتحدي الصعوبات الناشئة عن ذلك(٢٦). وليس أدل على موقفه هذا من قوله في رسالة لوالده وهو لم يزل بعد في مقتبل العمـــر : « ان اقامـــة قرية جديدة في فلسطين اهم اكثر من الف مؤتمر . ان **الصهيونية الحقة ، الوحيدة** ، هي استعمـــار فلسطين» (٢٧) .

ب ـــ **الحركة الصهيونية واسرائيل ويهـــود العالم** : سحب الفهم البن جوريونـــي الضيق والمتشدد لجوهر الصهيونية نفسه على فهمه للعلاقات التي سادت أو كان يجب ان تسود بين الحركة الصهيونية (واسرائيل لاحقا) في جانب ، ويهود العالم خـــارج فلسطين في جانب ثان . فمع ادراك بن جوريون لاهمية وضرورة التضامن بين مختلـف قطاعات الطائفة اليهودية في العالـــم ودعوته المبكرة الى ذلـــك وتعليقه اهميـــة كبيرة عليه(٢٨)، نراه متشددا معهم فيما يطالبهم به الى درجة استفزازهم . وكم من مرة أدى فيها موقفه الشهير الخاص بالربـــط بين أن يكون المرء صهيونيـــا وبين حضوره الفعلي للاستيطان النهائي في فلسطين ، الى خلافات وصدامـــات(٢٩). فاليهودي ، مهما قـــدم لخدمة الفكرة والحركة الصهيونية وأهدافها يبقى بنظر بن جوريون يهوديا ولا يصبح صهيونيا طالما انه لم يأت للاقامة في فلسطين(٣٠).

ومع قيام اسرائيل حاول بن جوريون تقديـــم شتى المغريات لتشجيـــع منطقه ذاك وخاصة وضعه « قانون العودة » في الخامس من تموز (يوليو) ١٩٥٠ . ذلك القانون الذي أكد ، في جملة ما أكده ، ان يهودية المرء هي التي تعطيه الحق بالعودة،، بكـــل

ما يرافقها من اغراءات ، وليست الدولة(٣١) . وفي الوقت ذاته ، تابع بن جوريون طرح موقفه القديم الخاص بالتأكيد على ان اسرائيل ملك لجميع اليهود وان بامكان يهود العالم ، بل — والحديث لبن جوريون — من واجبهم مساعدة اسرائيل دون اي حق مكتسب لهم بالتدخل في اي من شؤونها الداخلية والخارجية . كل ذلك « لان قلب اسرائيل ينبض في القدس وليس في نيويورك او لندن »(٣٢) .

جـ — القوة العسكرية :

ولبن جوريون في هذا الصدد تفسيره ، التاريخي والفلسفي : « سنكون مفندين لتاريخ اليهودي من زمن موسى ويشوع الى ايام جيش الدفاع الاسرائيلي اذا اطرحنا (جانبا) قيمة القوة المادية . . . ومنذ (عهد) الانبياء الى (عهد) اينشتين لم تقبل العبقرية اليهودية ازدواجية المادة والروح »(٣٣) .

ايضا ، لان « مبدأ الشر انتصر حتى الان (ولان) القوة تهيمن »(٣٤) فان على اسرائيل ، وقبلها الحركة الصهيونية ، ان تبني حساباتها على هذا الاساس . ولهذا كان بن جوريون رائدا في الدعوة الى وتنفيذ تأسيس تشكيلات « الهاشومر » (حراس المستعمرات) التي تحولت لاحقا الى الهاجاناه — نواة الجيش الاسرائيلي بعد العام ١٩٤٨(٣٥) .

ولان بن جوريون ، تقول جولدا مـاير ، لا يؤمن بالاوهام فقد « علمنا » ان قوة الجيش تأتي على رأس سلم الاولويات(٣٦) . فكل الامور تعتمد ، في النهاية ، على وجود جيش قوي ولا اساس صلب لكل بناء عداه(٣٧) . ولهذا « أهمل » بن جوريون الوزارات المختلفة عندما كان رئيسا للوزراء وركز جل جهوده على شؤون الجيش الذي كان يرأس ، بحكم كونه ، في الوقت ذاته ، وزيرا للدفاع(٣٨) . وفي هذا المجال فان الخمس عشرة سنة التي قضاها بن جوريون رئيسا لوزراء اسرائيل ومسؤولا عن دفاعها مكنته من « ختم طابعه الراسخ على جيش اسرائيل ووزارة الدفاع »(٣٩) . واكثر من أي شخص آخر كان اثر بن جوريون حاسما في كل ما يتصل بالقوة العسكرية الصهيونية قبل وبعد قيام اسرائيل . بل ان مسألة تشكيل جيش قوي لاسرائيل شغلت ، اكثر من اي موضوع اخر ، ذهن بن جوريون واستنفدت من وقته وجهده(٤٠) . وهذا ان دل على امر فانه يدل على العناية القصوى التي اولاها بن جوريون لمسألة القوة العسكرية الصهيونية في البدء والاسرائيلية لاحقا .

د — العالم والرأي العام العالمي ومنظماته :

موقف بن جوريون من الرأي العام العالمي ومنظماته (الامم المتحدة بشكل خاص) موقف غير منفصل عن افراط بن جوريون بتوجهاته الذاتية اليهودية من جهة وعن ايمانه العميق بان هذا العالم عالم غابة البقاء فيه للاقوى ، من جهة ثانية . فالمبالغة بالدور اليهودي البحت في كل ما يتم تحقيقه من الاهداف الصهيونية (« لم يصنع الدولة أحد غير الشعب اليهودي وبالذات ، قواته المسلحة »)(٤١) ادى به الى استنتاجات مغلوطة عن اثر الدور العالمي في تحقيق تلك الاهداف بشكل انتقص من هذا الدور وجعله — تعسفا — يقارب الصفر من حيث كمية تأثيره . فطالما ان المهم هو فقط ما يفعله اليهود انفسهم — هكذا ينساب تفكير وموقف بن جوريون — فان مساعدات وخدمات العالم الخارجي لهم ثانوية وتكاد تكون لا تذكر . ولانها ثانوية — يستطرد المنطق البن جوريوني قائلا — فان العالم (وبالذات الامم المتحدة) « مقصر » ازاء القضايا اليهودية(٤٢) . وهو لهذا غير جدير بالاهتمام ورأيه على سلم الاعتبارات الاسرائيلية يأتي في المرتبة الثانية(٤٣) .

هـ ــ نظرية امن اسرائيل وبقائها :

يعتمد امن اسرائيل ــ كما يراه بن جوريون ــ على **ركائز ثلاث** : القوة العسكرية ، ازدياد السكان اليهود مع الاستيطان ، « واستمرار » كون شعب اسرائيل نخبة(٤٤) . اما القوة العسكرية فقد تحدثنا عنها سابقا . واما مسألة زيادة السكان اليهود والاستيطان فهي اللحن المتكرر ابدا في كل عزف صهيوني اداه بن جوريون . وزيادة السكان ممكنة وواجبة عن احد طريقين : الهجرة والتكاثر . والهجرة ، كما ولا شك نذكر ، تشكل العمود الفقري للصهيونية ــ كما فهمها ودعا اليها بن جوريون . وفيما يتعلق بزيادة السكان عن طريق الاكثار من المواليد فان بن جوريون يذهب ، باسلوب كهنوتي ، الى القول بان ذلك « واجب مقدس » على كل امرأة يهودية . وانه « بقدر ما يعتمد الامر عليها (أي على المرأة اليهودية « فان من لا تأتي بأربعة أطفال أصحاء الى هذا العالم تخون واجبها نحو الامة مثل جندي يتملص من الخدمة العسكرية »(٤٥) .

اما الركيزة الثالثة فتؤكد على ضرورة استمرار كون الشعب الاسرائيلي « شعبا ــ نخبة » و « شعبا ــ منتقى »(٤٦) وهذا يعود بذاكرتنا الى الاول من منطلقات بن جوريون الثلاثة .

و ــ السلام مع العرب :

كتب بن جوريون في احدث كتبه يقول : « لاسرائيل هدفين : السلام مع جيراننا وهجرة يهودية عظيمة »(٤٧) . ولكن تأكيد بن غوريون على هذا الهدف لم يؤد يوما الى انجازه والاسباب متعلقة اساسا بالمنهج البن جوريوني ذاته . فهدف السلام لا يمكن النظر اليه بمعزل عن نظرة بن جوريون الى العرب وهي تلك النظرة التي تتشدد وتصر على اعتبارهم « **اعداء فحسب** »(٤٨) . ولهذا كانت سياسة بن جوريون الفعلية تجاه العرب سياسة اغتنام الفرص الواهية الحجج او افتعال المناسبات « للمبادأة » « وللانتقام » من العرب وتوجيه ضربات عسكرية لهم(٤٩) . وهكذا عندما يقول بن جوريون : « السلام بيننا وبين جيراننا يعتمد الى حد كبير على امتلاكنا قوة عسكرية كافية لتشكل رادعا فعالا »(٥٠) لا يمكن للمرء الا ان يتساءل : أهذا منطق ساع الى السلام ام منطق داعية للحرب ؟ والتساؤل ذاته يرد وبالحاح عندما نقرأ لبن جوريون ما كتبه قبل عامين : « سيأتي السلام فقط عندما تستند الدولة اليهودية الى ... تواجد **اغلبية** الشعب اليهودي في فلسطين واستيطان **اكبر** قدر ممكن من ارضنا(٥١) . (أي استيطانهم على أكبر قدر ممكن من الاراضي المحيطة « بضفتي نهر الاردن »)(٥٢) . وهكذا نرى ان صلب نظرية بن جوريون للسلام يكمن في جعل العرب « يحتاجوا » للسلام تحت **تأثير الهراوة العسكرية الاسرائيلية وضرباتها** .

ومع ان بن جوريون مال للمراهنة على احتمالات كون حرب ١٩٦٧ قد « أقنعت » العرب بضرورة السلام(٥٤) (بعد ان هزموا تلك الهزيمة العسكرية الفادحة) ، فانه بقي يؤكد ــ وان اظهر على السطح انه يقدم تنازلات ــ على ضرورة تحقيق مكاسب اقليمية جديدة . فهو مستعد ، مقابل **سلام حقيقي** (وهذا له معناه البن جوريوني الواضح) ، ان يعيد جميع الاراضي التي احتلتها اسرائيل في حرب ١٩٦٧ **باستثناء** القدس والهضبة السورية(٥٥) .

*

هذه هي المواقف المبلورة لبن جوريون من المسائل الاكثر اهمية التي واجهت وتواجه الحركة الصهيونية واسرائيل . وهي مواقف نابعة — اذا جاز لنا استعارة التعابير البسيكولوجية — من تحكم « عقدتين » بعقل بن جوريون وتلاميذه النجباء الذين يشكلون حاليا القيادة السياسية في اسرائيل بشكل عام وصقور مجموعة المعراخ الحاكمة ومجموعة التكتل المعارضة بشكل خاص*. فايمان بن جوريون ومدرسته — كما مر معنا — بالنوعية الخاصة للشعب اليهودي وكونه صاحب رسالة حضارية ستنير على العالم من خلال بعث الدولة القديمة على أكبر قدر ممكن من « أرض اسرائيل » هو ايمان مبعثه احساس ذاتي بالتفوق والنخبوية اقرب التعابير الوصفية له تعبير « **عقدة العظمة** » . يقابل ذلك الايمان الاستعلائي موقف مضاد عناوينه الرئيسية أن **لا ثقة** الا بالشعب اليهودي وقواه الذاتية وقوانه المسلحة المتواجدة على أرض فلسطين وان العالم الخارجي كان ولا يزال **معاديا** او — في احسن الاحوال — **مقصرا** تجاه الحقوق الخاصة بالشعب اليهودي وان الضمانة الوحيدة ضد استمرار اضطهاد العالم لهم يكمن في **التفوق العسكري الذاتي** وليس بالرأي العام الدولي وان سياسة **المبادأة والانتقام** العسكري ازاء العرب هو الاسلوب الوحيد **لفرض** السلام (او بالاحرى الاستسلام) عليهم . وما هذا الموقف في جوهره الا تعبيرا عن حالة أقرب العبارات الوصفية لها هو تعبير « **عقدة الاضطهاد** » . وتحت وطأة هاتين العقدتين عاش بن جوريون ومات وتحت الوطأة ذاتها لا زالت شعوب المنطقة ، ومن ضمنها الشعب اليهودي ، تعيش وتموت كل يوم الف مرة .

---

* وللتأكد من شبه التطابق القائم بين جوهر الموقف الخاص ببن جوريون وجوهر القيادات السياسية (الحاكمة والمعارضة) في اسرائيل حاليا وكيف ان القيادة الحاكمة هي ، الى حد كبير ، قيادة أهم ما يميزها بصمات المدرسة البن جوريونية في السياسة عليها ، بالامكان الرجوع الى مقالة عيسى الشعيبي « حرب تشرين وموضوعات حزب العمل الاسرائيلي » المنشورة في هذا العدد من **شؤون فلسطينية** ، والتي تقدم استعراضا شاملا للخطوط والتحركات السياسية في اسرائيل في السنوات الاخيرة وتحليلا محددا لوثيقة جاليلي واحدث بيان للجنة المركزية لحزب العمل الحاكم يوم ١٩٧٣/١١/٢٨ . هذا بالاضافة الى ان أية عملية استذكار تتم في ذهن أي منا للمواقف الاسرائيلية خاصة منذ حرب حزيران تؤكد الوزن الكبير والمستمر للنهج البن جوريوني في تقرير السياسات الاسرائيلية .

١ — المعلومات الخاصة بحياة بن جوريون ونشاطاته ومناصبه المختلفة مستندة الى مقارنة وتدقيق ما ذكر حول ذلك في المصادر التالية :

a — David Ben-Gurion, *Israel : A Personal History* (New York : Funk and Wagnalls, 1971), p. XV.

b — Thomas R. Bransten (ed.), *Recollections : David Ben-Gurion* (London : MacDonald Unit, 1970), pp. 34-36.

c — Amram Ducovny, *David Ben-Gurion In His Own Words* (New York : Fleet Press Corporation, 1968), pp. 3-17 and 143-8.

d — John R. Gilbert, *Famous Jewish Lives* (London : Odhams Books, 1970), pp. 261-78.

e — Michael Bar-Zohar, *The Armed Prophet : A Biography of Ben-Gurion* (London: Arthur Barker, 1967), pp. 4-10.

f — Robert St. John, *Ben-Gurion: The Biography of an Extra-Ordinary Man* (New York : Doubleday and Co., 1959), pp. 15-19.

هذا بالاضافة الى الدراسة الوحيدة الصادرة باللغة العربية لتهاني هلسة ، **دافيد بن جوريون** (بيروت : مركز الابحاث ، م.ت.ف.، ١٩٦٨)، الصفحات : ١٣ — ١٥ ، ١٩ — ٢٠ ، ٢٧ —

٢٨ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٧٢ ، ٨٦ ، ١١٠ ، ١٢٢ ، ١٥٥ ، ١٦٢ . واخيرا نشرة « رصد اذاعة اسرائيل » باللغة العبرية الصادرة بالعربية عن مركز الابحاث،م.ت.ف.، العدد ٤٠٥ ، الصفحات ٢٠٤٢ — ٢٠٤٤ .

٢ — Don Joseph, «Timing and Courage in a Born Leader », *The Jerusalem Post: Weekly Overseas Edition* (No. 571, October 13, 1971), p. 7.

٣ — المعلومات الواردة في الاسطر القليلة اعلاه مستندة بالاساس الى آراء مجموعة من القادة الاسرائيليين رفاق بن جوريون لسنين طويلة ، انظر :

a — Golda Meir, « Tribute to Ben-Gurion », *Jewish Frontier*, November, 1971, p. 4.
b — Yigal Yadin, «The Decisions of 1948», *The Jerusalem Post : Weekly* (No. 571, October 13, 1971), p. 8.
c — Don Joseph, *loc. cit.*
d — Bar-Zohar, *op. cit.*, p. 272.

٤ — Yadin, *loc. cit.*

٥ — انظر مقابلة اجراها Ari Rath مع بن جوريون بمناسبة عيد ميلاده الخامس والثمانون كما نشرت في
The Jerusalem Post : Weekly, No. 571 - October 13, 1971, p. 5.

٦ — Ben-Gurion, *op. cit.*, p. 694.

٧ — كل ما يرد من معلومات بهذا الجزء من البحث ، الا ما اشير اليه بمصادر محددة خاصة به ، مستخلص من مصادر الحاشية رقم (١) وبالصفحات المبينة اياها .

٨ — Bransten (ed.), *op. cit.*, p. 34.

٩ — Bar-Zohar, *op. cit.*, p. 4-8.

١٠ — يؤكد بن جوريون انه كان مشبعا بفكرة العودة الى « أرض اسرائيل » لدرجة كان معها وهو لم يتجاوز بعد سن الثالثة يرى احلاما اثناء نومه بهذا الخصوص . كما انه يشير الى انه ما ان بلغ العاشرة من عمره حتى كان قراره بضرورة الهجرة الى فلسطين قرارا لا نكوص عنه . واخيرا يوضح بن جوريون ان بلدته بالذات كانت بعيدة عن موجات اللاسامية وان رغبته بالرحيل الى فلسطين كان يحدوها هدف « ايجابي لبناء الوطن القومي » وليس الهروب من الاضطهاد . أنظر :
Bransten (ed.), *op. cit.*, pp. 34-36.

١١ — هذه المصادر الاولية هي حسب تسلسلها الزمني :

1 — David Ben-Gurion, *Rebirth and Destiny of Israel* (New York : Philosophical Library, 1954).
2 — David Ben-Gurion, *Israel : Years of Challenge* (New York : Holt, Rinehart and Winston, 1963).
3 — *David Ben-Gurion, Looks Back* in talks with Moshe Pearlman (New York: Simon and Schuster, 1965).

واخيرا ذكريات بن جوريون كما جمعها Bransten ونشرت بانجلترا عام ١٩٧٠ ، حسب ما ذكر اعلاه ، ومذكرات بن جوريون كما صاغها بنفسه وصدرت تحت عنوان اشير اليه سابقا في هذه الحواشي وهو *Israel : A Personal History* في العام ١٩٧١ . وهذا الاخير هو المرجع الاهم والاشمل والاحدث .

١٢ — Yadin, *loc. cit.*

١٣ — Ben-Gurion, *Israel : A Personal History*, pp. XVII and 795.

١٤ — Ben-Gurion, *op. cit.*, p. 822.

١٥ — *Ibid.*, p. 843.

١٦ — Ben-Gurion, *Rebirth and Destiny of Israel*, p. 441.

١٧ — Ben-Gurion, *Israel : Years of Challenge*, p. 211.

١٨ — Ben-Gurion, *Rebirth and Destiny of Israel*, p. 437.

١٩ — Bransten (ed.), *op. cit.*, p. 29.

٢٠ — ورد حديث بن جوريون عن المهمة التاريخية للشعب اليهودي في جميع ما نشر له من مقالات ومقابلات ومذكرات على النحو التالي :

1 — Ben-Gurion, *Rebirth and Destiny of Israel*, p. 316.
2 — Ben-Gurion, *Israel : Years of Challenge*, pp. 212, 235-6, and 240.
3 — *Ben-Gurion Looks Back*, pp. 136, 225, 230 and 232.
4 — Bransten (ed.), *op. cit.*, p. 122.
5 — Ben-Gurion, *Israel : A Personal History*, pp. XVII and 795.

٢١ — Ben-Gurion, *Israel : A Personal History*, p. 834.

٢٢ — Ben-Gurion, *Rebirth and Destiny of Israel*, p. 490.

٢٣ — *Ben-Gurion Looks Back*, p. 224.

٢٤ — انظر المختارات من رسائل بن جوريون المختلفة لزوجته باولا والتي توضح كيف انه كان

يعتبر نفسه رجل مهام عظيمة وانه سيحقق الامنية .

The Jerusalem Post : Weekly Edition, (No 571, October 13, 1971), p. 10.

أيضا رأي ابا ايبن في مبالغة بن جوريون بالربط بين نفسه وبين تاريخ الامة :

Michael Brecher, *The Foreign Policy System of Israel* (London : Oxford University Press, 1972), p. 266.

٢٥ — من أجل دراسة مقارنة مكثفة ودقيقة بين مدرسة بن غوريون ومدرسة موسى شاريت ووايزمن وغيرهم أنظر كتاب Michael Brecher المذكور اعلاه تحت الفصـــل المخصص لبن غوريون وشاريت .

٢٦ — Ben-Gurion, *Rebirth and Destiny of Israel*, p. 37.

٢٧ — Bar-Zohar, *op. cit.*, p. 12.

٢٨ — *Ben-Gurion Looks Back*, p. 241-50; Also in Gilbert, *op. cit.*, p. 265.

٢٩ — Brecher, *op. cit.*, p. 258.

٣٠ — *Ibid., p. 257*, Also Ben-Gurion *Looks Back*, p. 240.

٣١ — Ben-Gurion, *Israel : A Personal History*, p. 827.

٣٢ — Bar-Zohar, *op. cit.*, p. 273.

٣٣ — Ben-Gurion, *Israel : A Personal History*, pp. XXI-XXII.

٣٤ — Ben-Gurion, *Rebirth and Destiny of Israel*, p. 430.

٣٥ — Gilbert, *op. cit.*, p. 264.

٣٦ — Golda Meir, «Tribute to Ben-Gurion», *Jewish Frontier*, November, 1971, p. 4.

٣٧ — Ben-Gurion, *Rebirth and Destiny of Israel*, pp. 411-12; Also Ben-Gurion, *Israel: Years of Challenge*, p. 262; Aso *Ben-Gurion Looks Back*, p. 145.

٣٨ — Yadin, *loc. cit.*

٣٩ — Amos Perlmutter, *Military and Politics in Israel* (London : Frank Cass and Co. Ltd., 1969), p. 54.

٤٠ — راجع مقال اسعد عبد الرحمن « العلاقات المدنية — العسكرية في اسرائيل » ، **شؤون فلسطينية** (بيروت : رقم ٩ ، ايار ١٩٧٢) ، ص ٤٤ — ٦٣ .

٤١ — Brecher, *op. cit.*, pp. 258-9.

٤٢ — *Ibid.*, pp. 256 and 258-60.

٤٣ — Golda Meir, *loc. cit.*

٤٤ — Ben-Gurion, *Rebirth and Destiny of Israel*, pp. 411-12; Ben-Gurion, *Israel : Years of Challenge*, p. 212; *Ben-Gurion Looks Back*, p. 145; and finally in Ben-Gurion, *Israel : A Personal History*, pp. 803, 812, 825, 837 and 842-3.

٤٥ — *Ibid.*, p. 839.

٤٦ — *Ibid.*, pp. 816 and 823; Also in Ben-Gurion, *Rebirth and Destiny*, p. 270.

٤٧ — Ben-Gurion, *Israel : A Personal History*, p. 803.

٤٨ — Brecher, *op. cit.*, p. 258 .

٤٩ — *Ibid.*, p. 261.

٥٠ — Ben-Gurion, *Israel : Years of Challenge*, p. 189.

٥١ — Ben-Gurion, «What We Must Do», *Jewish Frontier* (November, 1971), p. 8.

٥٢ — Ben-Gurion, *Rebirth and Destiny*, p. 32 and 35; Also Ben-Gurion, *Israel: A Personal History*, p. 797.

٥٣ — Brecher, *op. cit.*, p. 284.

٥٤ — *Ibid.*, pp. 284-5.

٥٥ — Interview with Ben-Gurion by Ari Rath, *op. cit.*, p. 5.

اسلوب اسرائيل في تجنيد يهود العالم خلال الحرب الرابعة وبعدها

الدكتور كميل منصور

ان ميزة الكيان الصهيوني (قياسا مثلا الى دولة جنوب افريقيا الاستيطانية) هي انه لا يعتمد فقط على القوى الامبرياليسة ذات المصلحة في دعمه بغيـــة ضرب التطلعات التحررية العربية (قوميا واقتصاديا واجتماعيا) ، بل انه يستمد أيضا جزءا من قوته من جماعات يهودية تعتبر اسرائيل انجازا مقدسا (أو شبه مقدس) لا يمكن التخلي عنه . ان يهود العالم بمثابة المادة التي استعان بها مخططو الصهيونية والاستعمار لاقامة دولة اسرائيل على ارض فلسطين وتقويتها . فمن البديهي القول انه لولا العنصر البشري اليهودي الذي جيء به من انحاء العالم كافة (وعلى الاخص من أوروبا الشرقية) ، لما قامت دولة اسرائيل . غير انه ليس من البديهي ولا من الصحيح القول بأن استمرار الدولة في الوجود رغم الرفض الفلسطيني ــ العربي يرجع الى تأييد يهود العالم لها . يجدر بنا الا نغفل دور الامبريالية الاساسي في ضمان حياة اسرائيل وغطرستها في منطقتنا العربية دون التغاضي طبعا عن أهمية مساندة اليهود لاسرائيل مـــن النواحي البشرية والمالية والسياسية(١) . من هنا يمكن القول ان اسرائيل في تعاملها مع العالم الخارجي لا بد وأن تسعى الى هدفين هامين :

ــ اقناع القوى الامبريالية بأنها قادرة على اداء الدور المنوط بها في المنطقة .

ــ ضمان تأييد يهود العالم بحيث يطلب من هذا التأييد أن يتخـــذ الاشكال الثلاثة التالية : الهجرة الى فلسطين ، المساعدة المالية ، العمـــل السياسي للتأثير على الرأي العام وعلى السياسة الرسمية في هذا البلد أو ذاك .

ما هو أسلوب اسرائيل في تجنيد يهود العالم في سبيل تحقيق الاهداف المشار اليها ؟ وبشكل أدق ، ماذا كان أسلوبها خلال الحرب الاخيرة وبعدها مباشرة ؟ لا يمكن الاجابة عن هذا السؤال الا بعد تحديد **الركائز الثابتة** التي تستند اليها الدعاية الاسرائيلية في الاوساط اليهودية في الخارج :

١ ــ ان يهود العالم عامة ــ رغم معارضة بعضهم للفكرة الصهيونية في السابق ــ يؤيدون قيام واستمرار « دولة يهودية » على أرض فلسطين لانها حققت وتحقق آمال « الشعب اليهودي » الذي لم يستطع يوما الاندماج في « الشتات » والذي عانى من جراء ذلك الاضطهاد والبؤس والقتل الجماعي وضياع الهوية ... انهم يريدون مـــن اسرائيل أن تكون الملجأ الهادىء الذي يقصده اليهودي المتدين والمشرد والمضطهد . ولا يمكن القول أنهم بمناصرتهم لفكرة الدولة اليهودية ، يقبلون بالضرورة وعن وعي الدور الفعلي الذي تؤديه اسرائيل لاسيادها الامبرياليين .

٢ ــ ان القادة الاسرائيليين والصهيونيين يعون هذا الامر تمام الوعي . انهم يعرفون انه كلما « انفضح » دور اسرائيل في تنفيذ مخططات الامبريالية ، تضاءل عطف يهود

العالم وتزايدت الشكوك والتساؤلات . ولذا فالدعاية الصهيونية تميل دوما الى الادعاء بأن اسرائيل في خطر ومحاطة بالاعداء الذين ينتظرون اللحظة المناسبة للاجهاز عليها ، وبالتالي فان « الشعب الاسرائيلي » لا يمكن أن يتكل في نضاله من أجل البقاء على أحد الا على « الشعب اليهودي » الموجود في الشتات . ان القيادة الصهيونية — من حيث طبيعتها وتنظيمها — تطلب من يهود العالم أن يقدسوا كل موقف تكتيكي أو سطحي لحكومة اسرائيل وكأنه وحده الكفيل بضمان قدسية بقاء اسرائيل ، حتى وان أدى هذا الموقف او ذاك الى طرق مسدودة (خاصة ازاء التعامل مع العرب) ، او ابتعد عن هدف الوطن اليهودي كملجأ هادىء لليهود ، او زاد في ربط الدولة بالامبريالية ، او لم يعبر عن رغبات معظم الاسرائيليين أنفسهم ...(٢).

وجد هذا الاسلوب أوج عزه عشية حرب حزيران ١٩٦٧ وخلالها ، اذ توفرت حينذاك جميع العناصر الممكنة لاضفاء طابع « حرب البقاء » على الاحداث الجارية . فسهل ذلك مهمة الدعاية الاسرائيلية — الصهيونية في الاوساط اليهودية بشكل يصعب تصور تكراره . ان العديد من الصهيونيين يصرحون أن أزمة ١٩٦٧ أيقظت يهود العالم من سباتهم ولامبالاتهم ازاء اسرائيل وانها هزت أعماق أعماقهم ، فضلا عن قيامهم بنجدة اسرائيل « المهددة » ... ان الظروف التي سبقت حرب ١٩٦٧ كانت بالفعل الفضلى بالنسبة للقيادة الاسرائيلية من ناحية تجنيد يهود العالم اذ تمكنت من اشعارهم « بالخطر » الذي يحدق باخوانهم في اسرائيل دون لفت انتباههم الى مصلحة الامبريالية في افتعال الازمة واشعال الحرب . وقد وصل الامر الى الحد الذي جعل يهوديا فرنسيا يساريا يؤثر عواطفه المتخبطة على التحليل الموضوعي للاحداث الجارية ويعلن بكل جراة في أوساط اليسار استعداده لكي يهتف ويصيح : « عاش جونسون »(٣)!

هل كانت الظروف مشابهة عندما اندلعت حرب تشرين الاخيرة ؟ هل كان باستطاعة اسرائيل استعمال الاسلوب التعبوي نفسه ؟ من المفيد للاجابة عن هذا السؤال استعراض الفوارق في الظروف بين الحربين واستخلاص الظروف التي كان من شأنها أن **تصعب** وتلك التي كان من شأنها أن تسهل عمل اسرائيل التعبوي في الحرب الاخيرة (بالنسبة للحرب التي سبقتها) .

كيف اذا بدت الحرب الاخيرة **أكثر صعوبة** من حرب ١٩٦٧ بالنسبة للاعلام الاسرائيلي في الاوساط اليهودية ؟

١) **الظروف السياسية** : لم تكن تحتل اسرائيل في أيار (مايو) ١٩٦٧ أراضي دول عربية قائمة ، ولم تكن تبرز بعد على الساحة العالمية قضية شعب فلسطين السياسية . اما في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٣ ، كان العالم لا يزال يتكلم عن احتلال اراضي ثلاث دول عربية (فضلا عن قضية « الفلسطينيين ») . وفي حين تمكنت اسرائيل عام ١٩٦٧ — ودون مشقة — من تصوير النضال العربي بأنه اعتداء عليها وعلى « أرضها » ، كان أصعب عليها نعت سعي الدول العربية لاسترجاع الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ بأنه اعتداء عليها . زد على ذلك بأن البعض من الدول العربية المعنية لم يغلق قبل حرب تشرين باب المفاوضات ، بل بدت اسرائيل على العكس وكأنها تفضل « الاراضي » على « السلام » .

٢) **اندلاع الحرب** : اندلعت حرب الخامس من حزيران بعد أن جندت جميع أبواق الدعاية الصهيونية مدة عشرين يوما تقريبا لتهيئة النفوس للهجوم الاسرائيلي تحت ذريعة التوتر الحاصل في الشرق الاوسط . اما في حرب تشرين ، فقد فوجىء الاسرائيليون والعالم بأنباء نشوب الحرب دون سابق توتر أو انذار ، الامر الذي لم يمكن القيادة الاسرائيلية من تهيئة المناخ النفسي المناسب لدى الجماعات اليهودية في العالم .

٣) **الاعلام العربي** : لم يكن الاعلام الاسرائيلي بحاجة الى عناء شاق لمقاومة الاعلام العربي قبل عام ١٩٦٧ ، بل وجده مرارا نصيرا له بسبب غبائه **وانعدام الخط السياسي الواضح** لدى الدول المحيطة باسرائيل بالنسبة لقضية فلسطين . فبينما كانت تلك الدول تعي واقع التفوق الاسرائيلي دون الاستعداد الجدي لمجابهته ، كانت دعايتها تناقض وعيها وواقعها : فكانت في الداخل (الاذاعات والجرائد) تتكلم عن الثأر وعن « النزهة » الى تل ــ ابيب ، وفي الخارج تمتنع عن شرح الحقوق العربية في فلسطين اذ ظنت ان ثقتها العمياء بهذه الحقوق امر بديهي (او هكذا يجب ان يكون) في اعين العالم لا يحتاج الى دليل وجهد وتنظيم . ازاء هذا الفراغ الخارجي وهذه الثرثرة الداخلية ، استطاعت اسرائيل ان ترسم لليهود والعالم (الماثلة امامهم ذكريات المجازر النازية) صورة العملاق العربي الذي لا يخفي نيته في الانقضاض على اليهود بغية ابادتهم والقائهم في البحر . أما قبيل حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ لم يمكن العرب الاسرائيليين باستعمال هذا السلاح الرخيص ، اذ سعوا الى الا يتجاوز اعلامهم ارادتهم الحقيقية في الميدان الفعلي الا وهو استرجاع الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ ، دون المساس اعلاميا (او عسكريا خلال حرب تشرين) بما وراء خطوط ٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . اما فيما يخص المقاومة الفلسطينية ، فرغم الاثر السلبي الذي قد تركته العمليات الخارجية (وهذا امر لا مفر منه) ، فكان من شأن تفريقها بين الكيان الاسرائيلي واليهود واعلانها برنامج الدولة الديموقراطية ان يضعفا الى حد كبير مصداقية الادعاء الصهيوني حول لا سامية العرب ونياتهم العدوانية تجاه يهود اسرائيل .

٤) **الرأي العام العالمي** : لا حاجة هنا الى تحليل التحول البطيء الذي طرأ لصالح العرب خلال السنوات الست الاخيرة . فبينما كانت الجماعات اليهودية تجد في السابق من يشاطرها الراي بشكل عفوي وشامل ، اخذت تشعر الان بأن عواقب التأييد الاعمى لسياسة اسرائيل في جميع منحدراتها ، قد تؤدي بها الى نوع من العزلة في بيئاتها المختلفة التي لم تعد تساند اسرائيل باندفاع (معارضة اليسار لسياسة اسرائيل التوسعية ، مناهضة الصهيونية من قبل « اليسار الجديد » ، فتور الدول الغربية عدا الولايات المتحدة تجاه اسرائيل ...) .

٥) **موقف يهود العالم** : استطاعت الدعاية الصهيونية عام ١٩٦٧ ان تخلق اجماعا عند يهود العالم (رغم لامبالاتهم السابقة) حول ضرورة مساندة اسرائيل المهددة بالابادة . اما عشية حرب تشرين ، فكانت امور عديدة قد انكشفت لاعين العديد من يهود العالم : أ) علاقات اسرائيل الثنائية (والوحيدة) بالامبريالية الاميركية (الامر الذي يزعج اليهود المعادين للامبريالية او الاعضاء في الاحزاب اليسارية او الليبرالية والذي قد يثبت ان حليف اسرائيل الفعال ليس «الشعب اليهودي» بل السيد الاميركي)، ب) صلف العسكرية الاسرائيلية وكشف النقاب رويدا رويدا (بعد تصريحات عدة جنرالات اسرائيليين) عن زيف ادعاء اسرائيل السابق بانها واجهت عام ١٩٦٧ « حرب بقاء » (الامر الذي قد ينعكس في فقدان الثقة ازاء الشعارات المأساوية الاسرائيلية اللاحقة) ، ج) عدم جدية اسرائيل في السعي نحو السلام (الامر الذي شجع قيام جماعات يهودية معارضة لسياسة اسرائيل ــ خاصة في اوروبا ــ وتنادي مثلا بالاعتراف « بالقومية الفلسطينية » ، والذي اثار الانتقادات التي وجهها مرارا رئيس المؤتمر اليهودي العالمي ناحوم جولدمان للحكومة الاسرائيلية بسبب رفضها جميع « فرص السلام » السرية والعلنية التي طرأت خلال السنوات الست) ، د) ارادة الحكومة الاسرائيلية في احكام سيطرتها على المؤسسات اليهودية والصهيونية العالمية

(الامر الذي ازعج العديد من اليهود غير الاسرائيليين وجعل مثلا مدير الاعلام في المؤتمر اليهودي العالمي جاك وينكور يستقيل في ١٧ نيسان (ابريـــل) ١٩٧٢ ويقول : « اذا اريد للشعب اليهودي ان يحافظ على هويته كشعب ، فانه يجب ان يكون مستقلا عن الحكومات بما في ذلك حكومة اسرائيل ... اعتقد ان المؤتمر [اليهودي العالمي] سيقع تحت سيطرة حكومة اسرائيل ») .

قد يستنتج القارىء مما سبق ــ وربمـــا يكون مصيبا ــ ان الدعـــاية الاسرائيلية الموجهة الى يهود العالم واجهت عند اندلاع الحرب الرابعة صعوبات اكثر مما واجهت عندما كانت تهيىء لعدوان حزيران . على انه يجب ان لا يغفل عنا ان هذه المرة توفـــر لعمل اسرائيل التعبوي سلاحا هاما لم تكن تملكـــه لدى اندلاع الحرب في ٥ حزيـــران ١٩٦٧ :

ــ كون العرب هم البادئون بالحرب ، الامر الـــذي مكن اسرائيل من التحدث عـــن عدوان عربي مدبر او برأها (نوعا ما) من مسؤولية أشعال الحرب مباشرة .

ــ اختيار العرب ليوم ديني يهودي لمفاجأة الاسرائيليين .

ــ ولكن الامر الاهم الذي كان من شأنه ان يسهل هذه المرة تجنيد اليهود هو توفر **الاطر والخبرات التنظيمية** بعد ممارسة كثيفة دامت ست سنوات على الاقل (ان لم نرجع عشرات السنين الى الوراء) تخللها **التعود على وضع برامج طارئة** وتنظيم المظاهرات والاحتجاجات والاجتماعات وجمع الاموال والاسمـــاء والعناوين (يسهل الرجوع الى اصحابها عند الحاجة) . ونذكر على الاخص (عدا الحملات الخاصة بالنزاع العربي ــ الاسرائيلي ومن بينها تلك التي اثيرت حول وضع يهود البلـــدان العربية) الحمـــلات الضخمة (على الاصعدة الوطنية والدولية) من اجل هجـــرة يهود الاتحاد السوفياتي الى اسرائيل . عدا هذه الخبرات التنظيمية المكتسبة ، كان من شأن التدابير المتعلقـــة « بالعلاقات بين المنظمات الصهيونية والجماعات اليهودية ودولة اسرائيل » والهادفـــة « الى اخضاع العمل اليهودي ــ الصهيوني في الخارج لمقتضيات الدولة الاسرائيليـــة وللاولويات التي تحددها هذه الدولة »(٤)، كان من شأن هـــذه التدابـــير التنظيمية ان تجعل التعليمات والتوجيهات الطارئة في القمة تصل فورا الى القاعدة اليهودية وتنفذ ، حتى وان ضايقت بعض اليهود كما اسلفنا . عندما تبقى الفعالية ، قد يكون التنظيـــم الدقيق اجدى من التعاطف العفوي .

نأمل ان نكون الان قد رسمنا مجمل الخطوط العريضة للعناصر التي كان من شأنها ان تعترض سبيل المخططين الاعلاميين الاسرائيليين والصهيونيين او ان تسهل مهمتهم عندما وصلتهم انباء نشوب القتال . والسؤال الـــذي يواجهنـــا الان هو : كيف تخطى الاسلوب التعبوي الصهيوني السلبيات وكيف اســـتفاد من الايجابيات الناجمة عـــن الظروف الجديدة ؟

في الواقع ، ما زال ينقصنا الكثـــير من المعطيات للاجابة عن هـــذا السؤال بدقة . لا نتحدث طبعا عن انباء عدد المظاهرات والمتظاهرين او سفر الشخصيات الاسرائيلية الى الخارج او قيمة التبرعات ... ان هذه الانباء تصل الينا بسرعـــة البرق ولكنها لا تفي بحاجتنا الى تقييم شامل عن مدى نجاح الدعاية الاسرائيلية ومدى تجاوب اليهود معها (اللذين لا يمكن في اي حال من الاحـــوال ان يقاسا بقيمة الهبات والتبرعات) . فيتوجب علينا اذا انتظار التحليـــلات التي لا ريب سترد في المجـــلات الفكرية اليهودية والصهيونية بعد هدوء التوتر وسكون العواطف الهائجة . الا ان العناصر المتوفرة لدينا حاليا تمكننا من ملاحظة بعض الوقائع واستخلاص بعض النتائج .

اولا : من حيث اختيار المقولات التعبوية

لا شك ان الهجوم السوري ــ المصري احدث ارتباكا اسرائيليا ليس فقط من الناحية العسكرية ، بل ايضا من الناحية الاعلامية . لقد عودت اسرائيل مؤيديها على الاعتقاد انها دائما يقظة وانه يستحيل على العرب القيام بهجوم مفاجيء ، بل انها ستقوم هي بحرب وقائية سريعة لمنع اي احتمال لهجوم عربي . فكان على اسرائيل في السادس والسابع والثامن من تشرين الاول (اكتوبر) ان تبذل جهدها لاقناع الرأي العام العالمي ويهود العالم بأنها لم تكن هي البادئة . فرأينا مثلا موشي دايان (١٠/٦) يحتاج الى ان « يقسم اليمين » عندما اعلن ان سوريا ومصر بدأتا القتال . وكذلك اصر ابا ايبن على القول امام الزعماء اليهود الاميركيين (١٠/٨) ان بامكان الطائفة اليهودية ان تكون « واثقة بشكل مطلق » ان اسرائيل لم تكن البادئة في القتال(٥). ان هذا يعني ان القيادة الاسرائيلية خشيت بالفعل ان يكون اقتناع يهود العالم بحرب وقائية تقوم بها دائما اسرائيل ارسخ من ان يهزه مجرد التصريح بالعكس مساء ٦ تشرين الاول (خاصة وانه لم يكن اي مبرر هذه المرة لحرب اسرائيلية خاطفة) .

تجدر الملاحظة هنا الى ان الامر حتى الان لا يتعدى نفي التهمة في بدء القتال . اما فيما يخص القاء التهمة على الغير (على العرب) فهو يتطلب طرحا صعبا اذ قد لا يكون مقنعا بحد ذاته وقد يجر حججا معاكسة : كيف يمكن اقناع الرأي العام بأن مسؤولية الهجوم العربي لا تقع على عاتق اسرائيل ذاتها (بعد رفضها الانسحاب من الاراضي المحتلة) ؟ يوجد احتمالات طبعا ازاء هذا السؤال : مواجهته او التهرب منه .

آ ــ لقد اختار ابا ايبن مواجهة السؤال ويبدو انه استعمل خياله ودهاءه الديبلوماسيين الى اقصى حد حيث قال ان حالة وقف اطلاق النار التي كانت سائدة هي افضل بكثير في سبيل السلام من حالة الحرب الناجمة عن الهجوم العربي . وبهذه الطريقة يظن الوزير الاسرائيلي انه استطاع نفي مسؤولية اسرائيل في اندلاع الحرب . من المفيد هنا نقل الرسالة التي بعث بها (الاحد ١٠/٧) مراسل اذاعة اسرائيل في نيويورك حاييم يفين حول الاجتماع الذي حصل بين ابا ايبن واعضاء نادي رؤساء المنظمات اليهودية الاميركية الرئيسية : « لقد انتهى اللقاء (...) وتوصل اعضاء نادي الرؤساء مع وزير خارجيتنا الى وضع عدة بنود هي بمثابة توجيهات لرؤساء المنظمات اليهودية في انحاء الولايات المتحدة ، لكي يتبنوا في اعلامهم اليهودي خطوط الاعلام الاسرائيلي نفسه . وهذه هي النقاط الرئيسية : كان الهجوم المصري ــ السوري هجوما محسوبا ، بادرت به الجيوش العربية . وهذا تأكد في تقارير مراقبي الامم المتحدة ، كما انه واضح بالنسبة لخبراء وزارة الدفاع في الولايات المتحدة . ان هذا الهجوم يدفن اتفاق وقف اطلاق النار الذي اوجد الامل في وقف سفك الدماء . وقد أدى هذا الاتفاق الى استقرار معين في المنطقة . اما القرار الآخر الذي اتخذ في الجلسة نفسها فهو يقول : لقد جرى تدمير الاستقرار في المنطقة وقد جرت الامور ضمن روح مقررات الخرطوم ، لقد اخطرت اسرائيل مصر بواسطة طرف ثالث انها لن تهاجم وبالرغم من هذا ، لم يذعن الطرف الآخر وبدأ الهجوم . ان كل اليهود مدعوون الى مخاطبة الرأي العام العالمي لتوعيته وتنبيهه الى تسامحنا ، اذ اننا غفرنا للعرب وللمصريين وللمخربين كل عملياتهم الهجومية وكل اعمال العنف التي يقومون بها . وكان هناك اجماع في الجلسة على القول ان على اسرائيل الاحتفاظ بالحدود البعيدة عن المناطق المأهولة . هذا هو الدرس المستخلص من الاحداث التي وقعت في يوم الغفران. اننا نستطيع ان نتكهن بما كان يمكن ان يحدث لو لم نكن نملك هذه الحدود الآمنة التي نملكها الان »(٦).

ب ــ غير انه يبدو ان الدعـــاية الصهيونية آثرت التهـــرب من مواجهة موضـــوع مسؤولية اسرائيل في نشوب الحـــرب الرابعة . فاكتفت بالتحـــدث عن « العدوان » العربي يوم عيد الغفران حينما كان اليهود مشغولين في الصلاة والعبادة . لا يسعنا الا ان نشعر بانعدام الثقة بالنفس عندما نقرأ بعض النداءات الاولى الموجهة الى اليهـــود كي يساعدوا اسرائيل . نشعـــر ان الدعاية الاسرائيلية لا تجرؤ عـــلى مطالبة اليهود بمساعدة المجهود الحربي بل فقط تمويـــل هجرة اليهود السوفيـــات (!)(٧). هذا مثلا « نداء الفدرالية الصهيونية في بريطانيا العظمى وايرلنـــدا » : « في وقت تكافـــح فيه اسرائيل من اجل حياتها ، تدعو الفدرالية الصهيونية الطائفة اليهودية الانكليزية الـــى اظهار التضحية الذاتية التي بذلتها ايام حزيران ١٩٦٧ القاتمة . وبينما نحن نصلي من اجل انتصار اسرائيل واعادة السلام ، اننا نعي تماما الثمن الغالي الذي يدفعه رجـــال ونساء اسرائيل لرد المعتدي . ان اسرائيل لا تضحي مـــن اجلها فقط ، بل من اجـــل الشعب اليهودي بأكمله . لقد استمرت طائرات العال ، وحتى في ذروة المعارك في نقل العائلات اليهودية من بلاد البؤس الى ملجئها في وطنها . وحيث ان اليهودية العالميـــة المنظمة لا تستطيع التدخل في الكفـــاح الجسدي ، فواجبها العاجـــل هو ان تضطلـــع بالمسؤولية المالية الكاملة الناجمة عن تجميع المنفيين . ولذلك ندعو اليهود البريطانيين الى مساعدة « النداء الاسرائيلي الموحد » الى اقصى حد »(٨).

يبدو مما سبق ان نشاط اسرائيل الاعلامي في الايام الاولى من الحرب عكس موقفـــا دفاعيا (رغم العنتريات حول « كسر عظام » العرب او احتلال دمشق ...) ويظهـــر هذا الموقف الدفاعي ايضا في اعلان الدعاية الإسرائيلية ان شعار استرجاع الاراضي المحتلة ما هو الا حيلة لاشعال الحرب . ونجد خير تعبير للضيق الناجم عن المناقشات التي قسمت يهود العالم قبل الحرب حول مسألة اولويـــة « الاراضي » او « السلام » في النداء الموجه الى يهود فرنسا من قبل « النداء اليهودي الموحد في فرنسا » : « في كل مرة تكون فيها اسرائيل **مضطرة** للقتال من اجل الدفاع عن وجودها ، يضع يهود العالم حدا **لشكوكهم وتحفظاتهم** ... »(٩).

ولكن عندما ظهرت الى الجميع صلابة القتال العربي ، تبدل الموقف في العمل التعبوي الاسرائيلي واصبح الكلام يدور اكثر حول نضال اسرائيل من اجـــل البقاء ، بطـــولات الاسرائيليين الافراد في الميدان ، نية العرب في القائهـــم في البحر ، اختـــلاف الوضـــع العسكري عما كان عام ١٩٦٧ ، الاسلحة السوفياتية المرسلة الى الجيوش العـــربية (بعد الحديث في الايام الاولى عن الخلافات العربيـــة ــ السوفياتيـــة حول اشعـــال الحرب) . هذا مثلا ما نقلته اذاعة اسرائيل عن اجتماع سفير العدو في الولايات المتحدة مع اعضاء مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الكبرى (١٠/١٠) : « قال سفير اسرائيل لدى الولايات المتحدة سيمحا دينيتس الليلة ، ان اسرائيل تتكبد خسائر كبيرة بسبـــب ايمانها بالسلام والديبلوماسية (...) وقال ان الاتحاد السوفياتي قام قبل عدة ايـــام من بدء الهجوم السوري ــ المصري بتزويد البلدين بكميات كبيرة من الاسلحة . واضاف قوله ان هذا التدخل السوفياتي غـــير المباشر لا يتلاءم مـــع المصالحة السوفياتية ــ الاميركية ... »(١٠).

هذه هي اذا نوعية الموضوعات التي اثارتها الدعاية الاسرائيلية حول اندلاع الحرب في الاوساط اليهودية (وفي اوساط الرأي العام العالمي) . هنـــاك ايضا موضوعـــات اخرى تتعلق اما بسير الحرب او بظروف انتهائها او بقضايا كل دولة على حدة . وتجدر الاشارة الى ان هذه المسائل تتماشى مع قدرات الصهيونية الهائلة في العالم الغـــربي وتلاقي طبعا تجاوبا عاما في الاوساط اليهودية ، زيادة عـــلى مهارة القيادة الصهيونية

في التحرك في الظروف المناسبة لاثارة هذه المسائل . ونذكـــر منها : اعادة الكلام عن وحدة « الشعب اليهودي » ، عن معنى قيام دولة اسرائيل بالنسبة ليهود العالم (وهما يطابقان ركائز الدعاية الصهيونية الثابتة) ، اثارة موضوع الاسرى الاسرائيليين في مصر وسوريا ، سلاح النفط كعملية « ابتزاز » عربي ، مؤتمر السلام والحدود الآمنة ... ونذكر بالنسبة **للولايات المتحدة** : الضغط على الحكومة لمد اسرائيل بالاسلحة ، ومن ثم كي لا تبدل اميركا سياستها في الشرق الاوسط ، تصوير سياسة اسرائيل وكأنها نضال من اجل الحرية والديموقراطية وضد تقدم الاتحـــاد السوفياتي في المنطقة ، المطالبـــة بمقاطعة اليابان وبمساعدة هولندا نفطيا ... وبالنسبة **لبريطانيا** : الضغط لالغاء الحظر على شحن الاسلحة الى الشرق الاوسط لانه يؤذي اسرائيل اكثر مما يؤذي العرب... **ولفرنسا** : نقد تصريح وزير الخارجية جوبير لانه رفض التنديد بالهجوم العربي ، مطالبة الحكومة بالحياد وبفرض الحظر على ارسال الاسلحة الى الشرق الاوسط وبالاخـــص الى ليبيا (قضية الميراج خاصـــة بعد ادعاء اسرائيل انهـــا أسقطت طـــائرة مـــيراج ليبية)(١١) ... **ولاوروبا** عامة : اتهامها بأن قرارها المشترك الخاص بالشرق الاوسط يشبه الى حد بعيد الاتفاق مع هتلر في ميونيخ عام ١٩٣٨ (« ان الدول المتمدنة **تبيـــع** اسرائيل مثلما باعت تشكوسلوفاكيا ... ») .

يجب الا ننسى ايضا من ضمن اختيار الموضوعات الكفيلة بتجنيد يهـــود العالم الى جانب اسرائيل ، نشر الاخبار المشجعة (التي ترفع المعنويات) او النتائج المرجوة من هذا التجنيد نفسه : نشر الاخبار مثلا عن استمـــرار وصول اليهود السوفيات خـــلال الحرب او افواج المتطوعين الى اسرائيل ، التكلم عن حاجات اسرائيل المالية بشكـــل دقيق وعن الخسائر الناجمة عن الحرب ، اذاعة النتائج الاولية للتبرعات (المبلغ المقدم من فلان او فلان ...) ، تطمين يهود العالم بأن الاسرائيليين يشتركون هم ايضـــا في المجهود المالي ... ونورد ـــ تأكيدا للمثل الاخير ـــ ما قاله بنحاس سابير وزير مالية اسرائيل بعد عودته من الولايات المتحدة (في ١٠/٢١) حيث قاد حملة جمع تبرعات : « اكد وزير المالية على التأثير الكبير الذي نجم عن تطـــوع الشعب في اسرائيل لشراء سندات القروض الاختيارية بمبلغ مليار ليرة اضافة الى القرض الالزامي الذي فـــرض على شعب اسرائيل »(١٢). وهـــذا يعني ربما انه لا يمكـــن اقناع الممولـــين اليهـــود (الاميركيين خاصة) بالتبرع بسخاء لاسرائيل الا اذا شاهـــدوا الاسرائيليين انفسهـــم يتحملون قسطا ملموسا من الاعباء الاقتصادية التي قد تكون ناتجة عن سياسة سابقة لا مسؤولة من جانب اسرائيل .

اما عند **انتهاء القتال** ، اتجهت الدعاية الاسرائيلية الى مقولتين تعكسان الارتبـــاك الناتج عن الوضع الجديد : الاقرار بأنه حصلت اخطاء قبل الحرب وخلالها ، الاصرار على تأكيد انتصار اسرائيل عسكريا وسياسيا . وهذا يعني ربما ان حماس مؤيـــدي اسرائيل فتر بعد اعلان وقف اطلاق النار وان الثقة في قوة اسرائيل وجيشها رغم احتلال اراض مصرية وسورية جديدة قد خفت . فكان على القيادة الاسرائيلية ان تقوم بدعاية تشجيعية مضادة . الا اننا نود الاشارة الى ما قاله مراسل اذاعة اسرائيل في نيويورك بتاريخ ١٢/٢ حول شلل التوجيهات الاعلامية (ولا نقول شلل الدعاية نفسها) التـــي كانت تصدرها عادة من قبل المراجع الاسرائيلية العليا لرؤساء المنظمات اليهوديـــة . يقول المراسل حاييم يفين : « يشير بعض الديبلوماسيين المؤيدين لنا الى بعض النقاط التي يجدر باسرائيل ان تستخدمها في هذه الحرب الاعلامية واولها قوة جيش الدفـــاع الاسرائيلي التي تم اثباتها على الرغم من الاخطاء التي ارتكبت ، والحقيقة ان جيـــش الدفاع الاسرائيلي متمسك الان بمواقع ممتازة تطبق على خناق كل من الجيش السوري والجيش المصري ، وكذلك حقيقة ان مؤتمـــر السلام هو انجـــاز سياسي بالنسبـــة

لاسرائيل ، وان العرب قد اعترفوا بضرورة اجراء مفاوضات دون شروط مسبقة ، وان اسرائيل مهتمة بعقد مؤتمر السلام . وبالاضافة الى هذا كله ، فان اتفاق كيسنجر ــ بريجنيف يتحدث عن القرار ٢٤٢ الصادر عن مجلس الامن كقاعدة للتسوية . وهذا القرار يتحدث عن حدود آمنة ومعترف بها وعلى جدول زمني للانسحاب وبصورة خاصة عن السلام العادل . يحتمل ان تكون هذه الامور واضحة للغاية ولكنها قد نسيت هنا ولم تعد تظهر في الصحافة او تذاع في الاذاعات وشبكات التلفزيون . والان يتوجب على اسرائيل التحدث بكثرة حول موضوع الحدود الآمنة والمعترف بها ، كما ان باستطاعة اسرائيل التحدث عن موضوع النفط وحول موضوع التدخل السوفياتي في الشرق الاوسط . ويتضح من كل هذا ان لدى جهات الاعلام الاسرائيلي مواد عديدة ، ولكن كل هذا بانتظار اوامر وتعليمات من القدس »(١٣).

ثانيا : من حيث تنظيم العمل التعبوي

لا يكفي اختيار المقولات التعبوية المناسبة بل يجب ايضا توفير الوسائل الكفيلة بايصال الدعوة الاعلامية الى المدعوين اليها بغية تحقيق الاهداف المشار اليها سابقا : الهجرة الى اسرائيل ، المساعدة المالية ، الضغط على الحكومات والرأي العام . وكما رأينا ، يمكن القول ان الآلة الدعائية الاسرائيلية ــ الصهيونية تهيأت لها الاسباب لمواجهة الظروف الطارئة . فما هي الوسائل التي استعانت بها الآلة الدعائية الاسرائيلية ــ الصهيونية عند نشوب حرب تشرين الاول ١٩٧٣ ؟ يمكن تلخيصها (ولا بد من تلخيصها اذ لا معنى من سردها بكل تفاصيلها) كالاتي :

١) عقد الاجتماعات فورا ابتداء من ٦ و ٧ تشرين الاول في تل ابيب والقدس لبحث اساليب التجنيد (وخاصة ضمن اطار المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية) ، والاتصال بسرعة بالجمعيات اليهودية الكبرى وتحديد نوع المساعدة المطلوبة . يذكر مثلا بول زكرمان ، رئيس النداء اليهودي الموحد في الولايات المتحدة في حديث اجراه في ١١/١٢ مع مراسل الوكالة التلغرافية اليهودية ، « كيف انه تلقى يوم ١٠/٧ ، اي يوما واحدا بعد بدء الحرب ، مخابرة هاتفية من القدس تطلب منه جمع مبلغ مئة مليون دولار نقدا خلال خمسة ايام »(١٤). ويجوز الافتراض ان منظمات اخرى تلقت نداءات دقيقة مشابهة ، كل حسب قدرتها المعروفة عنها سلفا .

٢) ارسال الشخصيات السياسية الاسرائيلية الى الخارج وخاصة الى الولايات المتحدة (وزير المالية بنحاس سابير ، رئيس ادارة الوكالة اليهودية بالوكالة اريه دولتسين ، رئيس الاركان سابقا حاييم لاسكوف ، السفير السابق في الولايات المتحدة يتسحاق رابين ، واخيرا موشيه دايان وزير الدفاع ...) .

٣) تنظيم الاجتماعات والندوات والمظاهرات ، والصلوات والخطب في الكنس ، ارسال البرقيات والاحتجاجات ، اقامة المكاتب الادارية وتأسيس الجمعيات ذات الصفة الدائمة او الموقتة (جمعيات صداقة مع غير اليهود ضمن اطار المجالس النيابية او الاحزاب او النقابات ...) ، جمع التواقيع والتبرعات من اجل اسرائيل ، اعطاء اهداف محددة للتبرعات (شراء سيارات اسعاف ، ادوية ، هدايا للجرحى ...) . وتجدر الملاحظة الى ان منظمي الاجتماعات التي تقام في التجمعات اليهودية حتى وان كانت ضئيلة العدد ، يحرصون دائما على دعوة افراد اسرائيليين (ديبلوماسيين ، مثقفين ، ضباط قدامى ...) للاشراف عليها (بغية شرح الموقف العسكري او حاجات اسرائيل المالية ، او اصدار التعليمات الخاصة بتوزيع العمل الدعائي وتنسيقه)(١٥).

٤) الاتصال السريع عن طريق الهاتف او اي وسيلة اخرى ، بالشخصيات او

الاشخاص العاديين المدونة اسماؤهم في قوائم معدة سلفا (قوائم المتبرعين الدائمين ، قوائم المتبرعين عام ١٩٦٧ ، قوائم المتطوعين لشتى الاعمال الدعائية ...) . فقد صرح مثلا رئيس النداء الاسرائيلي الموحد في بريطانيا ، ميخائيل ساشير فور بدء الحرب : « ان النداء يسعى الى الاتصال بالثلاثين الف متبرع الذين استجابوا عام ١٩٦٧ ولم يعد يسمع عنهم شيء منذ ذلك الحين »(١٦).

٥) دعوة رؤساء المنظمات اليهودية (وخاصة الاميركية) الى عقد مؤتمراتهم في اسرائيل (ابتداء من تشرين الثاني) كي يتحسسوا مشاكل الدولة وينشطوا السياحة .

٦) اعداد قوائم المتطوعين المستعدين للسفر الى اسرائيل للعمل في المشروعات الاقتصادية مكان المجندين الاسرائيليين ، شرط ان يدفعوا اجور السفر وان يمكثوا في اسرائيل مدة لا تقل عن ستة اشهر .

ثالثا : النتائج

اذا نظرنا الى نتائج العمل التعبوي الاسرائيلي في الاوساط اليهودية من **الناحية المالية** ، يبدو انها فاقت ما كان ينتظره منظمو حملات التبرع (على حد قولهم) . ان مسؤولي جباية الطوارىء يأملون جمع مبلغ ١٢٥٠ مليون دولار حتى نهاية ١٩٧٤ . ويساوي هذا المبلغ ثلاثة اضعاف ونصف ضعف المبلغ الذي جمع عام ١٩٦٧ . وبينما يطلب من يهود اميركا التبرع بـ ٧٥٠ مليون دولار ، ينوى جمع الباقي (اي ٥٠٠ مليون) من يهود اوروبا وافريقيا الجنوبية واستراليا . اما فيما يخص « سندات اسرائيل » (البوندس) ، يأمل مسؤولو الجباية بيع سندات بقيمة مليار دولار بعد ان كان هدفهم الاولي (في الاسبوع الاول من الحرب) ٧٥٠ مليونا . كما انه بلغ عدد المسجلين اسماؤهم في قوائم التطوع (بغية العمل في اسرائيل) ٣٠،٠٠٠ ، لكن لا ينتظر ان تستوعب منهم اسرائيل بالفعل اكثر من ٢٠٠٠ متطوع .

ان معظم المسؤولين الصهاينة يبدون ارتياحهم ــ كلما اثير الموضوع ــ حول تجاوب يهود العالم مع متطلبات اسرائيل ويقارنون نتائج اليوم مع نتائج عام ١٩٦٧ . موشي ريفلين ، المدير العام للوكالة اليهودية يقول مثلا (١٠/٣٠) : « لقد اعتدنا الاعتقاد بان تجاوب يهود الشتات عام ١٩٦٧ كان اقصى ما يمكن ان يفعلوه بالنسبة لاسرائيل . ولكننا كنا مخطئين »(١٧). ويتابع ريفلين قوله ان التبرعات الاخيرة تخطت كل التوقعات. أما من ناحية التنظيم ، فيقول ميخائيل ساشير : « رغم المفاجأة التامة التي احدثتها البطوارىء ، اننا اليوم احسن تنظيما مما كنا قبل ست سنوات »(١٨). وفي تقرير كتبته صحيفة لوموند (١٠/١٦) حول التعبئة الصهيونية في فرنسا ، نقرأ الآتي : « ان صفوفنا تنتفخ بشكل هائل ــ ان الاضطراب الذي تشعر به الطائفة اليهودية والعمل المؤيد لاسرائيل اصبحا الان اعمق مما كانا عليه عام ١٩٦٧ ... لم يشعر يهود فرنسا انهم معنيون بمصير اسرائيل بهذه القوة الا نادرا ، والتجنيد الحاصل للدفاع عن « دولتهم » جاوز ما كان عليه في حرب الايام الستة . وحسب السيد سيمون ابستاين ، امين عام الحركة الصهيونية الفرنسية ، ان طبيعة هذا التأييد تغيرت : لقد استعملنا عام ١٩٦٧ العواطف ، اما تضامن اليوم فانه ينطوي على احساس بانتماء (identification) اكمل الى الدولة اليهودية . وتنظيم التأييد هو ايضا تغير بشكل ملحوظ : لقد شهدنا منذ ست سنوات مزيدا من النضوج في النضال اليهودي ، وخاصة من خلال عمل لجنة مناصرة يهود الاتحاد السوفياتي . فسمح ذلك بوضع أطر الحشد التي تعمل اليوم بكامل امكانياتها »(١٩).

هل هذا يعني ان عمل الصهيونية التعبوي نجح خلال الحرب الاخيرة وبعدها ؟ انه

من البديهي ان التقييم الذي يجريه رجال الاعلام الصهيونيين **اليوم** لا يمكن الا ان يكون مفرطا في التفاؤل بسبب قرب الاحداث وضرورة مواصلة العمل التعبوي نفسه . لـذا يتوجب علينا ـ كما اسلفنا ـ انتظار فترة لا تقل عن عدة اشهر لتكوين فكرة واقعية عن مدى تجنيد يهود العالم ورضاهم (الفعلي وليس الدعائي) عن هذا التجنيد . غير انـه لدينا الملاحظات التالية :

١) ان مبلغ المال الذي يمكن جمعه قد لا يعبر عن مدى التعاطف الحقيقي اذ يرجع الامر بشكل هام الى مدى قدرة التنظيم في استيعـاب التعاطف الكاسـح او في تخطي التعاطف الضعيف . ومن جهة ثانية ، تجدر الملاحظة الى ان برنامج التبرعات الموضوع لغاية نهاية ١٩٧٤ لا يستند فقط الى الهبات المحصلة فعـلا ، بل الى الوعود التي قـد يتراجع عنها الواعد فيما بعد (وهنا ايضا يجب الانتظـار) . ومن جهة ثالثـة ، من الطبيعي ان يحرص المتبرع على ان تزيد مساهمتـه عما كـانت عام ١٩٦٧ ، بسبب « تحسن احواله » (ان لم نقل التضخم المالي !) او منعا لاي نقد قد يوجه اليه من قبل الدوائر الصهيونية .

٢) ان حسن التنظيم قد لا يعوض ـ في المدى البعيد ـ النقص في التعاطف ، بل انه قد يعرقل الابداع التعبوي من قبل القاعدة . ولدينا اشارة الى ذلك من خلال مقابلـة اجرتها اذاعة اسرائيل (١١/٦) مع حاييم هرتسوج الذي بيّن مسـاوىء اشـراف اسرائيل التنظيمي على المؤسسات اليهودية العالمية :

« س : هل تعتقد انه كان أفضل لو كان ثمة وزارة اعلام في اسرائيل .

ج : (...) ان مشكلة الاعلام هي في نفوسنا ، وينبغي ان نكون على استعداد في كافة الاوقات ، لاننا نواجه هجوما كبيرا من جانب العرب . وهـم يستعملون سـلاح النفط وقد كان باستطاعتنا العمل ضد هذا الامر . واعتقد ان هذا بالذات هو الـذي **خيب املنا في يهود العالم** ، لانهم لا يتمتعون بقيادة .

س : لماذا لا توجد قيادة ليهود العالم ؟

ج : لانني اعتقد ان الاتجاه كان طوال الاعوام يسير نحو ان تكون قيادة يهود العالم مريحة لنا في اسرائيل ، لا ان تكون قيادة مستقلة . ولذلك توصلنا الى وضع لم تعد فيه هذه القيادة مستقلة »(٢٠) .

٣) **يبدو انه ـ اذا وضعنا مزايا التنظيم الصهيوني الذي لا شك فيه جانبا ـ لـم يثبت خلال هذه الحرب ورغم ادعاءات معظم الصهيونيين (عدا هرتسوج) ان تعبئـة اليهود من الناحية النفسية بلغت مستوى ١٩٦٧** . لم نسمع كثيرا خلال هذه الحـرب الحملات الصهيونية الانفعالية ضد العرب ولا يبدو ان التظاهرات المؤيدة لاسرائيل بلغت المستوى المطلوب . لا يعني ذلك طبعا ان يهود العالم بدأوا يبتعدون عن اسرائيـل ـ وان كان ذلك هدفنا البعيد المدى ـ بل انهم لم يشعروا هذه المرة بأن اسرائيل حقـا في خطر (رغم انه من الناحية الموضوعية قد تكون هذه الحـرب نقطة تحول تاريخية في الصراع العربي ـ الاسرائيلي) .

٤) بالنسبة لاهمية يهود العالم في المعركة ، تأكد هذه المرة ايضا ، دور الطائفـة اليهودية الاميركية ونفوذها : دورها في المساعدة المباشرة ، ونفوذها بسبب امكانياتها في الادارة الاميركية . ولكنه تأكد ايضا انه ما لم تعط اسرائيل تعليمات واضحة للقيادة الصهيونية الاميركية بالنسبة لما عليها ان تفعل وان تمارس من ضغوط ، **قد يؤدي ذلك** الى وضع « يقف فيه يهود اميركا حائرين مضطربين يتمسك بهم الخوف »(٢١) . يبـدو

ان الحكومة الاسرائيلية لا تعرف اليوم تعبئة قوة اليهود الاميركيين ، اذ انها بقولها « لا وجود لضغوط اميركية على اسرائيل » ، تشل تحركهم في الاتجاه المناسب . وهذا صحيح خاصة بالنسبة لقضية النفط .

٥) اخيرا ، مهما بلغ تأييد يهود العالم الى اسرائيل ، يتوجب علينا الا نقع في فخ الدعاية الصهيونية التي تصور ان جميع يهود العالم بلا استثناء يساندونها مئة بالمئة (او هكذا يجب ان يفعلوا) وتريد منا ان نقبل بهذا التصوير . ان للتأييد درجات ، ويبدو ان من محاسن فترة السنوات الست الاخيرة (رغم هزيمة حزيران واجماع يهود العالم شبه التام ضد العرب حينذاك) لم ينجر العرب الى اعتبار جميع اليهود في صف الاعداء. لا ريب انهم قطفوا ثمار موقفهم التقدمي في الحرب الاخيرة .

---

١ ــ وخاصة أهمية الطائفة اليهودية في الولايات المتحدة ، ان من حيث حجم مساعداتها لاسرائيل، او من حيث نفوذها في الاوساط الحاكمة . أنظر مثلا حول النشاط الصهيوني في اميركا خلال الحرب الاخيرة :

Antonin Jacobi, «Il y a deux Israél», *Jeune Afrique,* No.669, 3 novembre 1973.

٢ ــ والغريب ان يجد المرء في « الشتات » من هم « ملكيون أكثر من الملك » فيؤيدون دائما سياسة الحكومة الاسرائيلية كما هي وبشكل مطلق .. وهذا يرجع الى العلاقة العضوية بين وسائل الاعلام الصهيونية في العالم وحكومة اسرائيل .

٣ ــ أنظر :

Claude Lanzmann, in *le Monde,*2 juin 1967: «Cinq intellectuels de gauche dénoncent violemment la politique des pays arabes».

٤ ــ أنظر الدكتور كلونيس مقصود ، **الاهرام** ، ٢٨ يونيو ١٩٧١ .

٥ ــ أنظر :

Jewish Telegraphic Agency (J.T.A.), October 9 , 1973

٦ ــ **رصد اذاعة اسرائيل** (ر.ا.ا.) مركز الابحاث في م.ت.ف. ، بيروت . الاحد ١٠/٧ الساعة ٢٢،١٥ رقم ٣٤٢ .

٧ ــ هذا صحيح فقط في المرحلة الاولى من الحرب .

٨ ــ أنظر :

Jewish Observer and Middle East Review, Vol. XXII, No. 41, 12 October 1973.

٩ ــ أنظر

Information Juive, Octobre 1973

١٠ــ ر.أ.أ. ، الاربعاء ١٠/١٠ ، الساعة ٤ ، رقم ٣٤٥ .

١١ــ يلاحظ هنا كيف تتكيف الدعاية الصهيونية مع واقع كل بلد . ففي حين يطلق في بريطانيا شعار الغاء الحظر على شحن الاسلحة ، يكتفي في فرنسا بشعار فرض الحظر (اذ يعرف الصهيونيون انه لا جدوى بمطالبة الغاء الحظر على ارسال الاسلحة من فرنسا الى اسرائيل).

١٢ــ ر.أ.أ. ، الاحد ١٠/٢١ ، الساعة ١٥ ، رقم ٣٦٨ .

١٣ــ ر.أ.أ. ، الاحد ١٢/٢ ، الساعة ١٩ ، رقم ٤٠٥ .

١٤ــ أنظر : *J.T.A.* Nobembre 13, 1973

١٥ــ أنظر :

Jewish Observer and Middle East Review, Vol. XXII, No. 42, 19 October 1973.

١٦ــ **المرجع السابق** ، ١٢/١٠/١٩٧٣، رقم٤١ .

١٧ــ *J.T.A.* October 31, 1973.

١٨ــ *Jewish Observer and Middle East Review,* Vol. XXII, No. 41, 12 October 1973.

١٩ــ *Le Monde,* 16 Octobre 1973.

٢٠ــ ر.أ.أ. ، الجمعة ١١/١٦ ، الساعة ٩ (ملحق الرقم ٣٩٣) .

٢١ــ أنظر شموئيل شنيتسر « الحلف المحيّد » في **معاريف** ١٩٧٣/١١/٢٣ . (أرشيف مركز الابحاث الفلسطينية) .

الغطرسة الصهيونية : جذورها ووظيفتها

نزيه قوره

درجت معظم الدراسات التي تناولت الجوانب المختلفة لمسلك اسرائيل في المجالات السياسية والعسكرية والدعائية والايديولوجية ، على محاولة اثبات زيف وبطلان الادعاءات الصهيونية ، قياسا على المنطق والقانون ومبادىء الامم المتحدة وشرعة حقوق الانسان . ونستطيع ان نجد مئات المقالات والدراسات والكتب التي تأتي بمئات الادلة والبراهين والاستشهادات لتثبت مثلا ان اسرائيل تنتهك حقوق الانسان في الارض المحتلة أو تستهتر بميثاق الامم المتحدة او تمنح نفسها حق الاعتداء على الدول المجاورة وسكانها المدنيين الامنين ، او تصدر قوانين تتنافى مع مبادىء العدالة ، او هي تزور التاريخ .

ان اسوأ مظاهر المواجهة مع العدو الصهيوني هو نظرتنا الى أنفسنا كمحامين نقوم بمرافعة حقوقية أمام محكمة كونية مطلقة الحياد . وكان أسوأ مستند قدمناه في مرافعتنا هذه هو مشاهد البؤس والتعاسة والبطالة التي يحياها شعبنا والتي كان العدو يخرج منها باستنتاج واحد : هؤلاء لا خطر منهم ولا بأس من تجاهلهم .

ان المطلوب الان ، في ضوء النتائج التي أسفرت عنها حرب تشرين ، ليس ايراد الشواهد والبراهين على غطرسة العدو الصهيوني واستهتاره بحقوق شعبنا وبمبادىء الامم المتحدة وشرعة حقوق الانسان ، بل البحث عن جذور هذه الغطرسة **والوظيفة** التي لعبتها هذه الغطرسة ، وستستمر في تأديتها ، ضمن استراتيجية العدو .

يجب ان نؤكد اولا ان الغطرسة الصهيونية ليست مطلقة ، أي انها ، كما تتجلى في كتابات مفكري الحركة الصهيونية ، التي هي حركة علمانية بالاساس ، لا تنسحب على علاقة اليهود بكافة شعوب الارض ، وبشكل خاص عندما يتعلق الامر بالشعوب الاوروبية . وعندما كتب هرتسل مخاطبا آل روتشيلد « ... يجب ان ننسحب من اوروبا ، لن نستطيع البقاء هنا بعد أكثر »(١) كان يعبر عن مشاعر الطبقة الوسطى اليهودية التي فقدت توازنها امام نمو الاحتكارات في اوروبا . وكان هرتسل متخوفا من نتائج الاعمال الخيرية التي يقوم بها بعض الاثرياء اليهود لفقراء اليهود ، وهذا التخوف لا يدل على ان الرجل يشعر بالانتماء الى عنصر متفوق . يقول هرتسل في حديثه لهيرش، وهو أحد المحسنين اليهود الكبار : « هناك ، اول كل شيء ، فكرة الاحسان ، التي أعدها خطأ كبيرا . انك بها تنشيء جيلا من المتسولين . اذ ليس هناك شعب أكثر من اليهود اتكالا على التسول وتأثرا بالاحسان »(٢). ومن ناحية ثانية كان هرتسل يدرك ادراكا عميقا ان اقامة دولة يهودية في أي مكان تتطلب تبني دولة كبرى لهذه الدولة اليهودية ، وادرك بحسه العملي ان هذا لن يتم الا اذا رأت الدولة الكبرى في اقامة دولة يهودية ، مصلحة اساسية لها تغطي بمردودها تكاليف الجهود السياسية والاقتصادية التي ستبذلها الدولة الكبرى في اقامة الدولة اليهودية . وقبل الوصول الى سياسيي الدولة الكبرى سعى هرتسل الى الحصول على توصية من مرجع استعماري له خبرة في مجال استعمار بلدان الشعوب الفقيرة . ولم يجد خيرا من

سيسيل رودس (وهو الاستعماري البريطاني الذي قام باستعمار روديسيا وسميت باسمه بعد ذلك) ، فكتب اليه يطلب منه ان يصادق على مشروعه : « كيف حدث اذن ان اتجهت نحوك ، ما دام الامر خارج طريقك ؟ لانه أمر استعماري ، ولانه يقوم على فكرة تنمية تستغرق عشرين او ثلاثين سنة... لكنك انت يا سيد رودس سياسي خيالي، او خيالي عملي . وقد برهنت على هذا . ما اريده منك ليس ان تعطيني او تقرضني قبضة من الجنيهات ، بل ان تصدق على المخطط الصهيوني ، وان تعلن التصريح التالي امام عدد من الناس : أنا ، رودس قمت بفحص هذا المخطط ووجدته صحيحا وعمليا . انه مخطط مملوء بالحضارة ممتاز بالنسبة الى الشعب الذي يتوجه المخطط نحوه ، لا يعيق تقدم البشرية العام ، مفيد جدا لانجلترا ولبريطانيا العظمى »(٣).

من المهم اذن ان يكون المخطط الهرتسلي « مفيدا جدا لانجلترا » ، وان يقتنع بفائدته لانجلترا ، أحد أعمدة الاستعمار البريطاني ، وان يعلن ذلك أمام « عدد من الناس » ، وبذلك يحوز هرتسل من الدعم البريطاني ما حازه قبله رودس . هل نستطيع الاستنتاج اذن ان هرتسل كان يحلم بشيء يختلف عن الاستيطان الاوروبي في جنوب افريقيا وروديسيا ؟ ان فكرة اقامة مجتمع متفوق ، يسكنه عنصر متفوق ، ويكون ذا مميزات فريدة في تنظيمه وقيمه ، هذه الفكرة لا نجد لها اثرا في التفكير الهرتسلي ، وعلى العكس من ذلك نجد فكرا محافظا : « قد يظن البعض انهم يستطيعون ان يقيموا دولة اشتراكية في المستقبل هناك ، ولكن لا أظن ذلك . قد نستطيع ان ننظم الامور بطريقة أفضل مما كانت عليه في المجتمع القديم ، ولكن على العموم ، ستبقى الامور على ما كانت عليه . اذا كنت أعتقد ان شيئا غير هذا سيكون ، فسوف أكون مثاليا أكثر من اللازم »(٤).

• أما شعور الاستعلاء والتفوق فانه لا يتجلى عند هرتسل الا عند حديثه عن « أهالي البلاد » ، وهو بهذا الشعور لا يختلف عن غيره من الاستعماريين الاوروبيين في نظرتهم الى « السكان المحليين » . ان هؤلاء السكان المحليين لا يمكن ان ينظر اليهم الا باعتبارهم « مشكلة » من مشاكل الطبيعة القاسية للبلاد ، في أسوأ الاحوال . ويمكن ، في الاحوال العادية استعمال هؤلاء السكان في التغلب على بعض الصعوبات التي تفرضها الطبيعة : « اذا رحلنا الى منطقة فيها من الحيوانات البرية ما لم يتعود اليهود عليه مثل الافاعي الكبيرة وغيرها ، سأستخدم أهل البلاد — قبل ان أعطيهم أعمالا في البلدان المجاورة — ليقضوا على مثل هذه الحيوانات . جوائز كبيرة لمن يأتي بجلود الافاعي وبيضها ، الخ »(٥) ان حديث هرتسل عن العرب بهذه الصيغة ، لا يعبر عن رأي هرتسل الخاص بسكان فلسطين العرب ، اذ انه لم يكن يعرف عنهم شيئا في ذلك الحين ، ولكنه الرأي الاوروبي الاستعماري بالشعوب الافريقية ، وشعوب المستعمرات عامة .

النقطة الثانية التي يجب تأكيدها ، فيما يتعلق بجوهر الغطرسة الصهيونية ، هو ان هذه الغطرسة لا تستمد أصولها — كما هو شائع — من الدين اليهودي والاساطير التوراتية القائلة بأن الشعب اليهودي هو « الشعب المختار » ، وان كان هذا المفهوم قد استثمر الى أقصى مدى . ان التمييز الذي يتعرض له اليهود الشرقيون (السفاراديم) في اسرائيل ، ونظرة الاستعلاء التي ينظر بها اليهود الغربيون (الاشكنازيم) تجاه الشرقيين ، والخوف من ان تصبح اسرائيل دولة « شرق — أوسطية » والقلق الذي يبديه القادة الصهيونيون امام ظاهرة تكاثر العنصر الشرقي في الدولة ، وما يحمله هذا التكاثر (الذي يبلغ الان نسبة تزيد عن ٦٠ ٪ من مجموع سكان « الدولة » ، من احتمالات التشرق (Levantinization)، كل هذا يشير الى ان شعور الغطرسة والتعالي ليس شعورا يهوديا جماعيا ، وانما هو شعور فئة واحدة هي فئة اليهود الغربيين الذين

يفاخرون بأصولهم الاوروبية وانتمائهم الى العالم الحر ، وبكون حضارتهم هي جزء من الحضارة الاوروبية .

معنى الفطرسة ووظيفتها السياسية : ان الفطرسة هي تعبير عن شعور الحركة الصهيونية بالتفوق المطلق على جميع الخصوم الآنيين والمحتملين ، في الوقت الراهن وفي المستقبل . وهذا الشعور ليس ذاتيا بحتا ، وانما يستند الى مقارنة مظاهر القوة والضعف لدى الخصم بمظاهر القوة والضعف لدى الذات . وادراك مظاهر القوة والضعف هذه لا يستبعد تطور الخصم وتغيره ، ولكنه يثق بقدرته على التقدم الاسرع من ناحية ، ومن ناحية اخرى بقدرته على منع تطور الخصم واحرازه اية نجاحات في مجال التغلب على عناصر ضعفه ، أي ان الحركة الصهيونية تثق بقدرتها على تخليد الفجوة الحضارية بينها وبين خصومها .

لقد استثمرت الحركة الصهيونية مظاهر الضعف العربي الى اقصى حد ممكن : اذ ان هذه الحركة كانت بحاجة الى اقناع نفسها اولا بامكانية نجاح مخططها ، وكانت بحاجة الى اقناع اليهود غير الصهيونيين بامكانية نجاح هذا المخطط وبأن مخاطره محدودة بالقياس الى مكاسبه ، وبأن خصوم هذا المخطط عاجزون عجزا تاما عن الوقوف في وجهه . والاهم من هذا انه كان على الصهيونية ان تقنع ساسة العالم الاستعماري ، بمنطق بارد وبحسابات عملية ، بأن بامكانها انجاح هذا المخطط . اذ لم يكن يكفي للحركة الصهيونية ان تقنع الساسة الاستعماريين بالفوائد التي سيجنونها من وراء قيام الدولة اليهودية ، فقد كان يتوجب اقناع هؤلاء الساسة بأن هذه الحركة تملك القدرة والكفاءة اللازمتين لانجاح المشروع . أي ان الحركة الصهيونية كان عليها ان تثبت أمرين :

أ ــ قدرتها على تجنيد وتعبئة الطاقات اليهودية الى الحد الاقصى ، وعلى اكمل وجه ، وبحيث تعطي هذه التعبئة أعلى مردود ممكن ، بالنظر الى ما كانت تزعمه من تميز اليهود بالنشاط ، والمثابرة ، والقدرة على استيعاب العلوم ، أي قدرتهم على الاستخدام الامثل لكل ما يوضع في أيديهم من موارد بشرية ومالية واقتصادية وعسكرية .

كان على الحركة الصهيونية ان تثبت نفسها بشكل دائم : ان تقيم على الارض التي تمتلكها زراعة عالية التطور (استخدام أمثل للارض) ، وان تقيم صناعة حديثة (استخدام أمثل للموارد المالية) ، وان تقيم مؤسسات علمية متقدمة مثل الجامعات ومؤسسات البحث العلمي (استخدام أمثل للقوى البشرية) وان تبني قوة عسكرية فعالة (استخدام أمثل للسلاح) . ولا يكفي ان تنجز الصهيونية هذه الانجازات بل كان عليها ان تستعمل افضل جهاز دعائي ممكن لتصوير كل ما تنجزه على انه معجزة ، وذلك عن طريق المبالغة في تصوير الصعوبات التي واجهتها (فلسطين عبارة عن صحراء قاحلة وعن مجموعة مستنقعات تعج بالملاريا) ، وعن طريق تضخيم المنجزات التي احرزتها . وكلما كانت صورة هذه المنجزات ساطعة ، كانت قدرة الحركة الصهيونية على جباية التبرعات أعظم ، وبالتالي قدرتها على الحصول على دعم ومساندة الحكومات الاستعمارية ، هذه الحكومات التي كانت تحاكم الحركة الصهيونية على اساس فائدتها للامبريالية وكفاءتها في تحقيق برنامجها .

وكانت الحركة الصهيونية تعلم جيدا ان اية مظاهر ضعف أو عجز تظهر عليها ، سوف تنعكس على حجم التبرعات اليهودية اولا والمساندة الامبريالية ثانيا ، مع علمها اليقيني بمدى حيوية هذه التبرعات وتلك المساندة للمشروع الصهيوني .

ب ـــ لم يكن يكفي ان تثبت الحركة الصهيونية نفسها في مجالات الزراعة والصناعة والعلم . كان يجب أن « يتحلى » العرب بنقيض كل المميزات التي ادعتها الصهيونية لنفسها . فمقابل الوحدة والتلاحم كان هناك التشتت والضياع . فالامة العربية اسطورة، ولا يوجد غير مجموعات طائفية وقبلية لا تدري احداها عن الاخرى شيئا وتناصبها العداء الدائم . ومقابل التقدم الزراعي والصناعي كانت هناك الصحاري القاحلة والزراعة البدائية . ومقابل القدرة على تعبئة الطاقات البشرية واستخدامها ، كان هناك الطغيان والقهر واهدار القوى البشرية . ومقابل النشاط والحركة والابداع كان هناك الخمول والكسل والترف الموروث عن عصور الف ليلة وليلة . أما بالنسبة لفلسطين فقد كان يفصلها عن التجمعات البشرية العربية صحاري واسعة ـــ صحراء الاردن من الشرق وصحراء سيناء من الغرب . وعلى هذا تستطيع الحركة الصهيونية ان تنجز الكثير على الارض الفلسطينية قبل ان يؤدي تضخمها الى الاصطدام بالتجمعات البشرية العربية الاساسية في كل من مصر وسوريا والعراق .

على أساس هذه المعطيات قامت الحركة الصهيونية بتنفيذ مخططها في فلسطين ، مكتسبة من كل نجاح تحققه ثقة متزايدة في قدرتها على تحقيق نجاحات أكبر ، وادت انتصاراتها المتكررة ، وشبه المجانية ، في اعوام ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، وخاصة الانتصار الاخير في حرب ١٩٦٧ ، الى تعاظم شعور الحركة الصهيونية بالتفوق ، الى درجة الاستخفاف المطلق بالشعوب العربية وبطاقاتها ، بصورة أفقدتهم الاتصال بواقع عالمنا المعاصر .

مظاهر الغطرسة الصهيونية : التشديد على الهوة النوعية : ان مظاهر الغطرسة الصهيونية تشمل كافة مجالات الحياة من علم وسياسة واخلاق واقتصاد وحرب . ولم يبق في اسرائيل سياسي او عسكري او عالم الا وادلى بدلوه في هذا المجال . ففي مجال المقارنة بين تفوق اسرائيل في المجال العلمي وتخلف العرب صرح البروفسور ا. د. برغمان(٦) : « ان الثغرة في المستوى العلمي وفي الانجازات التكنولوجية بين اسرائيل والدول العربية آخذة في الاتساع ... ان العرب متأخرون عن اسرائيل في العلوم والتكنولوجيا مائة عام » . باستطاعة الاسرائيليين اذن ان يطمئنوا ، فالعرب يحتاجون الى مائة عام للحاق بالمستوى الحالي لاسرائيل ، وبالتالي فان هذه الفجوة ستبقى الى الابد . اما البروفسور يوفال نئمان ، وهو رئيس قسم الفيزياء في جامعة تل ابيب ، فقد صرح « ان اسرائيل تتمتع بتفوق نسبي مقداره ١:٧ على مصر في المجالات التكنولوجية ، وكانت هذه النسبة ١:٤ سنة ١٩٦٧ ... اذا استمر التطور الاسرائيلي في سرعته الحالية ، فستزداد الهوة اتساعا بين البلدين في المستقبل القريب ... ان هذا الفرق يعود الى ان مصر تستورد تكنولوجيتها جاهزة من الخارج ، دون أية قاعدة قوية في الداخل ، كما لا يوجد في مصر مناخ علمي للبحوث النظرية ... »(٧) ان البروفسور هنا لا ينفي فقط امكانية لحاق مصر باسرائيل علميا ، ولكنه يؤكد ان هذه الفجوة ستزداد اتساعا .

اما الزعيم الصهيوني شمعون بيريس ، وهو أحد زعماء حزب العمل ، ووزير المواصلات في اسرائيل فيرد على الذين ينتقدون سياسة تشغيل العرب في الاعمال الحقيرة بقوله : « أريد ان اسأل الذي يقول ان العرب « حطابين وسقائين » : ماذا يستطيع العرب ان يفعلوا ؟ هل يستطيعون ان يشغلوا عقولا الكترونية او ان يكونوا مديري أجنحة في [مستشفى] بيلينسون ؟ ما هو الخيار أمامهم ؟ انه البطالة او عمل يستطيعون القيام به » (٨). ان يكون العرب قادرين على عمل شيء غير جمع الحطب أو حمل الماء ، أمر لا يستطيع شمعون بيريس تصوره . ان مجرد احتمال ان يكون

العربي قادرا على ادارة عقل الكتروني ، يبعث صورا كئيبة في نفس شمعون بيريس .

ان الهوة بين اسرائيل والعرب ، في نظر قادة اسرائيل ، ليست ناتجة عن ظروف طارئة ، يمكن تغييرها ، وانما هي هوة نوعية بين الانسان الاسرائيلي والانسان العربي، وبهذه الصفة ليست فقط غير قابلة للردم ، وانما من مميزاتها انها تتسع باستمرار . يقول تسفي تسور ، مساعد وزير الدفاع ، وأمين سر اللجنة الاسرائيلية الامريكية لتحلية مياه البحر ، في ندوة لرؤساء الاركان السابقين بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاما على قيام اسرائيل : « بالنسبة الى مسالة ما اذا كان هناك الان خطر على أمن دولة اسرائيل ، طبيعي ان اجابتنا جميعا ستكون سلبا ، للاسباب الاتية : اولا : ان وضعنا الان جيد من الناحية الجغرافية . نجلس عند حدود من السهل منها نسبيا الدفاع عن حدود دولة اسرائيل وأمنها. ثانيا : نحن الان أقوى من العدو بصورة مطلقة. ثالثا : الهوة بيننا وبين العرب ، الهوة النوعية والهوة التكنولوجية آخذة في الاتساع لمصلحتنا ... مضت فترة كنا نخشى فيها ان يكون العكس هو الذي يجري . كان هذا قبل نحو عشر سنوات ، كنا خلالها قلقين من عدد الطلبة الكبير في جامعات الدول العربية . ولكن اعتقد اننا نعترف اليوم جميعا بحقيقة ان الهوة بيننا وبين العرب قد اتسعت سواء في قدرتنا على الانتاج ، او على الصيانة ، او على التحكم في أسلحة معقدة جدا ، وهذه هي المشكلة الان ... أضف الى ذلك ان هناك ايضا هوة واسعة بما فيه الكفاية بين دافع الشباب عندنا — بقدر ما يتعلق الامر بالامن — وبين الدافع الذي يميز الان الجندي العربي »(٩).

اذن تبدد الفزع الذي انتاب الجنرال تسفي تسور من عدد الطلبة الجامعيين العرب ، وبات على يقين من ان التحاق الشباب العرب بالجامعات يؤدي الى زيادة الهوة بينه وبين العرب في كل المجالات . ان تشويه صورة الجندي العربي والانسان العربي ، أمر ضروري وحيوي بالنسبة للقيادة الصهيونية ، بغض النظر عن صحة او عدم صحة ما يضطرون لقوله . فالاعتراف بانسانية الانسان العربي ، تفرض على القيادة الصهيونية تغييرا شاملا في برامجها وسياستها ، وهو أمر ليست مستعدة له . ولكن لا يمكن استمرار التزوير الى الابد . فقد دفعت نتائج حرب تشرين أحد الصحفيين الاسرائيليين الى الكشف عما يعرفه عن حقيقة الجندي العربي والانسان العربي ، بل ما تعرفه القيادة الصهيونية نفسها : « كانت هناك ثغرة بين توقعات الجمهور وبين الحسم الذي أحرز . لقد برزت هذه التوقعات من خلال مبدأ (الحرب ليست لهم [للعرب]) . ولذا خاف الكثيرون من ظاهرة ان العدو حارب ولم يهرب ... ان الثغرة بين التوقعات والنتائج التي احرزت هذه المرة ، تكمن في الحقيقة التي نسيها شعبنا ، وهي ان العربي لم يكن خلال الاعوام العشرين الماضية مقاتلا سيئا ... بيد ان هذه الحقائق نسيت . كما نسيت الابحاث السيكولوجية التي أجريت على الاسرى المصريين الذين قبض عليهم سنة ١٩٦٧ . وكانت النتائج بعيدة عن الاستهتار بالجندي المصري . فقد وجد ان الجندي المصري يتمتع بقوة تحمل كبيرة ، وكفاية جسدية جيدة ، وبروح هجومية...»(١٠). غير انه ليس بمثل هذه الاعترافات تبنى دولة اسرائيل . فحتى تبنى دولة اسرائيل لا بد من شعب « أسمى » ، فكون شعب اسرائيل « شعبا أسمى » ضرورة لقيامه بدوره التاريخي وليس شوفينية : « اننا محتاجون الى امرين : الهجرة الكبيرة المطردة ، وكوننا شعبا أسمى ، وبهذين الامرين فقط يمكننا ان نعيش ونقوم بدورنا التاريخي ... ان الشعب لم يصمد الا كشعب أسمى ولم تقم الدولة الا بفضل كوننا شعبا أسمى ، وحظينا أيضا بجيش أسمى . وهذه الاقوال ليست أقوالا شوفينية »(١١). ان قائل هذه الكلمات ليس مهووسا بحب كلمة « أسمى » وانما هو مهندس الدولة الاسرائيلية ، دافيد بن غوريون .

ومقابل الشعب الاسمى هناك المجتمع القبلي المتخلف الذي يخيب آمال اصدقائه فيه: « ان الاتحاد السوفياتي خابت آماله في بنية المجتمع العربي القبلي ، ووصل الى قناعة بأنه ستمر سنون كثيرة قبل ان يكون بامكانه الارتباط بعناصر جادة في المجتمع العربي »(١٢). انّ اطمئنان اسرائيل يجب ان يبلغ حده الاقصى ، فاذا كان حلفاء العرب لم يجدوا بينهم « عناصر جادة » يرتبطون بهم ، فالاحرى بالاسرائيليين ان لا يحسبوا أي حساب لمجتمع مؤلف من عناصر غير جادة .

الفطرسة العسكرية : اذا كان الشعب الاسرائيلي « شعبا أسمى » ، واذا كانت « الثغرة في المستوى العلمي » آخذة في الاتساع ، زيادة عن اتساعها ، واذا كانت هناك « هوة واسعة » بين حوافز الجندي العربي وحوافز الجندي الاسرائيلي ، فمن الطبيعي والحالة هذه ان يكون الجيش الاسرائيلي جيشا لا يقهر . فحتى من الناحية النظرية البحتة لا يجوز أفتراض احتمال هزيمة الجيش الاسرائيلي . ان أقصى ما تستطيعه الدول العربية هو « ازعاج » اسرائيل ، على حد تعبير يتسحاق رابين ، رئيس الاركان السابق : « ليس في استطاعة الدول العربية وحدها ان تشكل خطرا على كيان اسرائيل بالذات ، قد تزعج الدول العربية اسرائيل ، ولكنها لا تشكل ، في المستقبل المنظور ، خطرا عسكريا على كيان دولة اسرائيل . . . كما لا ارى انه يمكن القول ان الدول العربية تمثل خطرا حقيقيا على اسرائيل »(١٣). وحتى لو كانت الدول العربية كلها مجتمعة ، وقررت ليس فقط شن حرب خاطفة ، ولكن حربا تدوم سنين طويلة ، فان اسرائيل قادرة على رد هذا الهجوم. ان هذا الكلام يقوله رابين ليسمعه الاميركيون، الذين ضعفت ثقتهم بالقوة العسكرية نتيجة تجربتهم في فيتنام ، فهو يقول في خطاب أمام اللجنة الاميركية الاسرائيلية للشؤون العامة بتاريخ ٧٢/٥/٧ : « ان باستطاعة اسرائيل ان تدافع عن نفسها بنفسها ضد قوى العالم العربي مجتمعة ، لاية فترة ممكنة — خمس او عشرين او خمسين سنة — ما دمنا لا نحرم من المعدات اللازمة »(١٤). ان الامر في النهاية يتعلق بالمعدات اللازمة وبثمن هذه المعدات اللازمة ، وبضرورة اقناع من سيدفع ثمن هذه المعدات اللازمة بجدوى دفع هذا الثمن . ويستعين رابين بالتاريخ ليؤكد ان اسرائيل لا يمكن هزيمتها اليوم كما كان من غير الممكن هزيمتها في التاريخ البعيد على يد جيرانها ، « ما لم تتدخل قوة كبرى » ، أما الجانب الاخر الذي لا يكلف نفسه عناء الاشارة اليه ، فهو امكانية قيام الدولة اليهودية بدون دعم الدولة الكبرى : « اننا نعيش في اسرائيل مع ذكرى حقيقة تاريخية بسيطة : ان المناسبتين اللتين تم فيهما تدمير دولة يهودية مستقلة في ذلك الجزء من العالم حيث توجد — وأشير هنا الى الدولتين الاولى والثانية — هما اللتان تم فيهما التدمير على يد قوة كبرى في ذلك الوقت. لم ينجح أحد من جيراننا في الماضي — الفلسطينيون ، الموآبيون ، الميديانيون ، الآراميون، في حشد القوة اللازمة لتدمير الدولة اليهودية »(١٥). لا داعي لتقديم تفسير لهذه الظاهرة الفريدة فخصائص الشعب اليهودي الفريدة هي التفسير . أمام القوى غير الكبرى لا تهزم اسرائيل بغض النظر عن التفوق العددي او التفوق في التسليح . وها هو زئيف شيف ، معلق صحيفة هآرتس العسكري يردد ما يقوله رابين : « لا توجد أية علامات استفهام بالنسبة لانتصار قواتنا . ومن الواضح انه كان من الافضل لـو أن سلاح الطيران الاسرائيلي مزود بطائرات فانتوم اخرى ، ولكن عدم وجود هذه الطائرات لـن يقلب الامور رأسا على عقب »(١٦). نستطيع بالطبع ان نقابل هذا القول لمعلق هآرتس العسكري قبل حرب تشرين بما كتبه معلق آخر من معلقي الصحيفة نفسها — هآرتس، بعد حرب تشرين : « ان جيش الدفاع لم يحقق أبدا اية قوة ردع بالنسبة الى العرب ، وانما على العكس : كلما كانت ضرباته قوية قويت الرغبة في افئدة العرب لتنمية قوتهم ومنازلتنا من جديد »(١٧). ان موشيه دايان لم يكن يكتفي بالقول ان الجيش الاسرائيلي

أقوى من الجيوش العربية ، فالجيش الاسرائيلي أقـوى من الجيوش الاوروبية . يقول دايان في خطاب له القاه في المؤتمر العالمي لمهاجري مراكش ، المنعقد في مدينـة أسدود بتاريخ ٧٣/٣/٣١ : « جاء في منشورات حلف الاطلسي الاخيرة عن القوات فـي حوض البحر الابيض المتوسط ، ان فرنسا هي صاحبة اكبر قوة في حوض المتوسط ، وانها تملك اكثر من ٧٠٠ طائرة . وتحتل اسرائيل المكانة التالية ، فهي تملك اكثر من ٣٧٠ طائرة من نوع فانتوم وميراج ، والدول التي تأتي بعدها في القـائمة هي ايطاليـا وتركيا واليونان ... ان اسرائيل تملك عددا كبيرا من الطائرات والطيارين الجيدين ، وهذه في وضعنا ميزة كبيرة »(١٨). وفي مناسبة اخرى ، وفي عز نشوته بانتصار حزيران ١٩٦٧صرح موشيه دايان بتاريخ ١٩٦٧/٧/٧، لصحيفة فرانكفورتر الجماينه تسايتونج، الناطقة بلسان الحزب الديمقراطي المسيحي بأنه « لن يتردد في نصح حكومته بمحاربة الاتحاد السوفياتي اذا ما استخدمت القوات السوفياتية ضد اسرائيل »(١٩) وبتاريـخ ٦٧/٩/١٠ نفى دايان ان يكون باستطاعة العرب بعد عشر سنوات الاخذ بثأرهم قائلا « فاذا اصبح العرب عندئذ يملكون قوات أكبر ومعدات اكثر فكذلك سنملك نحن ، ومهما علمهم الروس كيف يستعملون السلاح فان يستطيعوا تعليمهم كيف يقاتلون »(٢٠) غير أن التبجحات العسكرية ليست مقتصرة على العسكريين فقد صرح ابا ايبان وزير الخارجية، في مقابلة مع وكالة الصحافة الفرنسية نشرت بتاريخ ١٩٦٩/٧/٢ ، ردا على سؤال يتعلق بامكانية شن اسرائيل هجوما وقائيا واسع النطاق ضد الدول العربية ، قائلا « ليس هناك أي شيء يجب اتقاؤه ، لانهم لا يستطيعون القيام بـأي شيء يستحـق الوقاية » (٢١).

ان تصريحات القادة الاسرائيليين حول مناعة خط بارليف ، واستحالة عبور الجيش المصري لقناة السويس تكاد تتكرر يوميا منذ عام ١٩٦٨ . ولم يكن باسـتطاعة القيادة الاسرائيلية ان تسمح للشك بفعالية هذه الموانع الدفاعية ، ان يتسرب الى نفـوس الاسرائيليين ، لان الشك بمناعتها ، يعني ظهور تيار ينادي بالانسحاب . يقول عيزر وايزمن ، أحد القادة العسكريين الاسرائيليين : « ان اي قائد عسكري جدي يعرف أن قناة السويس هي أفضل حاجز مضاد للدبابات بني في تاريخ الانسانية ... افضل ان تكون سيناء تحت سيطرة اسرائيل مع طائرات أقل ، من ان تكون مخازننا مليئة بطائرات الفانتوم ، وسيناء تحت سيطرة مصر »(٢٢). وبما أن الجيش الاسرائيلي جيش ديناميكي متجدد دائما وابدا ، ولا يؤمن بنظرية الدفاع من مواقع ثابتة ، فهو يعد نفسه دائما لنقل المعركة الى ارض العدو . وقد كتب المعلق العسكري زئيف شيف ، معلق هآرتس العسكري ، بمناسبة اجراء مناورات عسكرية في سيناء ، محددا هدف هذه المناورات : « اذا كان جيش اسرائيل يفكر ، حتى سنوات قليلة ، بخصائص منطقة لا تتعدى سيناء، والضفة الغربية وهضبة الجولان ، فعليه الان ان يستعد لحرب تدور وراء هذه المناطق. اذا كنا نريد توجيه هجوم مضاد ، علينا ان نفكر ونتدرب على أساس الحواجز الموجودة وراء قناة السويس والخليج ونهر الاردن ، ونتعلم طرق اختراقها ، ونتدرب على جميع المعدات اللازمة لذلك »(٢٣). ان احتمال عبور الجيش المصري لقناة السويس يعنـي احتمال خوض الجيش الاسرائيلي حربا دفاعية ، وبما أن العقلية العسكرية الاسرائيلية ترفض مجرد تصور هذا الوضع ، فانها تجد نفسها مضطرة دائما الى التفكير باحتـلال اراض جديدة للاحتفاظ بالاراضي التي احتلتها سابقا . ان الهجوم هو قـانون وجود بالنسبة لاسرائيل . ليس باستطاعة اسرائيل ان تفكر دفاعيا : أي ان تبني خطوطـا دفاعية وتقعد تنتظر هجوم اعدائها عليها . وهذه عينة من مذكرات دافيد بن غوريون كتبها بتاريخ ٢٤ أيار ١٩٤٨ ، أي عندما لم يكن يزيد عـدد اليهود في فلسطين عـن ٦٠٠،٠٠٠ نسمة وعندما كانت مشتبكة مع الجيوش العربية والمناضلين الفلسطينيين

الذين لم يكونوا قد تركوا أرضهم بعد ، وعندما لم يكن لدى اسرائيل سلاح طيران ذو قيمة أو سلاح مدرع يعتد به : « الحلقة الضعيفة في الائتلاف العربي هي لبنان . حكم المسلمين هناك اصطناعي وتسهل زعزعته . ومن الضروري اقامة دولة مسيحية يشكل الليطاني حدودها الجنوبية . ونعقد معها حلفا . وعندما نقصم قوة لبنان ونقصف عمان ونصفي شرق الاردن ، عندها تسقط سوريا . واذا جرؤت مصر على الحرب ، قصفنا بور سعيد والاسكندرية والقاهرة . وهكذا ننهي الحرب ونصفي حساب آبائنا مع مصر وآشور وآرام »(٢٤).

الاستخفاف بالاعراف والقوانين الدولية

بعد حرب حزيران ١٩٦٧ لم يعد القادة الاسرائيليون يشعرون بضرورة تمثيل دور الدولة التي تحترم القوانين الدولية ، ولم يعودوا يجهدون أنفسهم بمحاولة اخفاء تعارض تحقيق برامجهم مع هذه القوانين. فبعد خطف الطائرة اللبنانية من مطار بيروت، صرح موشيه دايان لاعضاء كتلة رافي ، ردا على الانتقادات التي وجهت اليه قائلا : « لا اعرف اسلوب حرب ضد منظمات التخريب دون خرق القانون الدولي »(٢٥). أما صحيفة هآرتس فقد علقت على قرار مجلس الامن بشأن قضية القدس قائلة « لا قيمة لقرار مجلس الامن ، وهو مجرد مظاهرة دعائية ، ولن يغير الواقع في المدينة التي تم توحيدها من جديد »(٢٦). وقد أجاب بن غوريون عن سؤال لمراسل صحيفة معاريف يقول فيه « لماذا لم يشمل اعلان الاستقلال مسألة حدود الدولة ؟ » بقوله « ادركت ان الدولة ستقوم بقوة جيشنا لا بقوة الامم المتحدة . وهذا ما ساعدني في قضية الحدود . وتساءل رجلا القانون بنحاس روزن وشطريت : كيف نعلن الدولة دون أن نعين حدودها ؟ فأجبت لسنا مجبرين . لقد قامت الولايات المتحدة الاميركية عندما كانت تضم ١٥ ولاية ولم تعين الحدود (في اعلان الاستقلال) . . . لقد كنت ادرك أن الجيش اليهودي هو الذي سيعين الحدود »(٢٧). ان هذه الاجابة تبين لنا ما هو النموذج الذي يعتبره بن غوريون مثلا أعلى ، وأي دور يعطي لنفسه ولحركته الصهيونية ، وأي دور يعطي للشعوب العربية . ان نموذج المستعمر الابيض والشعوب البدائية هو الذي يوجه مسلك الحركة الصهيونية ويحدد مواقفها . ولا يمكن فهم مواقف الحركة الصهيونية دون ادراك هذه الحقيقة . ان هدم القرى وطرد السكان ومصادرة الاراضي ، مع اعتبار هذه الاعمال « حقا » امور لا نجد لها مثيلا الا في تاريخ استعمار الرجل الابيض لامريكا الشمالية وجنوب افريقيا وروديسيا . ففي تصريح لتيدي كوليك، رئيس بلدية القدس بتاريخ ١٨/٥/٧١ ، بشأن مصادرة اراضي عرب القدس يقول : « لقد دخلت قضية مصادرة الاراضي في ضواحي القدس قبل عدة أشهر في نقاش سياسي حاد . ويجب ان يكون واضحا انه يحق لنا ان نبني في اي مكان نريد . وان وزارة الخارجية الاميركية والفاتيكان ليسا هما اللذان يقرران اين نبني » . ان تيدي كوليك يرد بعصبية وكأنه هو المعتدى عليه . أما موشيه دايان فيجيب ، مندهشا ، على انتقادات بشأن معاملة العرب في فلسطين المحتلة ، قائلا : « لا أرى كيف يمكن ان نقيم دولة هنا دون أن ندوس على المحاصيل . سيادة تحل محل سيادة ، ويهود يقيمون في مكان أقام فيه العرب فقط ، من قبل ، لاننا اذا قلنا انه من أجل توطين يهود في أي مكان أقام فيه عرب ، يجب الحصول على اذن من العرب . عندئذ لن يكون هناك مكان لدولة يهودية »(٢٨). ان موشيه دايان يطرح القضية بالطريقة الوحيدة التي يمكن طرحها بها في حالة انتفاء الحاجة الى النفاق . انه يقول انه ما دام قادرا على دوس المحاصيل وطرد العرب فسيأتي باليهود ويقيم بهم دولة ، اما في حالة عجزه عن دوس المحاصيل وطرد العرب فلن يكون هناك أي سبب يدعو للتفكير باقامة دولة يهودية . ان موشيه دايان يؤكد في كل مناسبة ان اسرائيل لن تخضع الا للمقاييس التي تضعها هي : « ان تحديد

هذا المقياس ، بأنه لكي نقيم مستوطنة يهودية ينبغي ضم الارض الى دولة اسرائيل ، هذا يعني ان كافة الاماكن التي لم نضمها لا يجوز لنا ان نقيم مستوطنات فيهـا ... واعتقد أن من حقنا وباستطاعتنا الاستيطان خارج الخط الاخضر دون ضم الاراضي ... واذا أخذنا هذا المقياس على أنفسنا نكون قد وضعنا علامة استفهام على كافة المناطق التي نجلس فيها »(٢٩) .. ان المقياس الاوحد الذي تستطيع الحركة الصهيونية تطبيقه هو قدرتها على فرض ارادتها والافلات من عواقب مسلكها . اذ في اللحظة التي يصبح فيها من غير الممكن الافلات من دفع الثمن ، لا يعود من الممكن ان تستمر الحركـة الصهيونية . ولهذا توجب على القادة الصهيونيين ان يزرعوا يوميا في عقول وقلوب اليهود ، ان الحركة الصهيونية كلية القدرة ولا يستطيع شيء ان يقف في طريقها .

دور اسرائيل في المنطقة : تدرك الحركة الصهيونية ان كافة نجاحاتهـا العسكرية والاقتصادية والعلمية ، وقدرتها على الدفاع عن منجزاتها ، لا تشكل ضمانا لاستمرار وجودها ، ما لم توظف هذه النجاحات في لعب دور يستهدف التحكم بمصير المنطقـة . فاسرائيل لا تستطيع الاكتفاء بقوة نسبية بل هي بحاجة الى قوة مطلقة . وقد كتب يوئيل ماركوس معلق جريدة هآرتس بمناسبة زيارة غولدا مائير للولايات المتحدة في شهر اذار ١٩٧٣ ، مشددا على هذه النقطة : « ان اسرائيل قوية هي في الحقيقة ضمانـة للمحافظة على المصالح الاميركية في المنطقة . وقد أوضحنا ان الجيش الاسرائيلـي — **بقوته المطلقة لا النسبية** — هو خط الدفاع الاول عن المصالح الاميركية في حوض البحر الابيض المتوسط اكثر من معظم دول حلف الاطلسي . اضف الى ذلك ، اننا قلنا على مسمع الاميركيين اننا ايضا الضمانة الوحيدة للمحافظة على الانظمة الاسلامية الموالية لهم في المنطقة . ومهما يبدو هذا الامر غريبا ، فان اسرائيل في نهاية الامر هي التي تحمي نظام الاردن الموالي للغرب — كما ثبت نظريا وعمليا في اليوم الذي دخل فيه السوريون الاردن بالقوة »(٣٠) . ان اسرائيل بحاجة ليس فقط الى أن تثبت رغبتها في خدمة مصالح الولايات المتحدة ، ولكن ان تثبت قدرتها على ذلك . وهي تقدم الدليل على ذلك — « حماية نظام الاردن الموالي للغرب » . وحتى تستطيع الحصول على اعلى ثمن ممكن مقابل خدماتها ، عليها ان تصور هذه الخدمات على انها تفوق الخـدمات التي تقدمها « معظم دول حلف الاطلسي » . فالمسألة هنا لا تتعلق بدولة صغيرة تريد الدفاع عن نفسها ، وانما بدولة تريد أن تكون « خط الدفاع الاول عن المصالح الاميركية في حوض البحر المتوسط » ليس صحيحا الزعم القائل ان نفقات الدفاع الكبيرة في اسرائيل تشكل عبئا على عاتق المواطن الاسرائيلي ، فمن المعروف ان فلسطين خالية من مصادر الثروة الطبيعية ، ولا يستطيع أي استثمار عادي ان يوفر لهذا المواطن المستوى المعيشي الذي يحياه الان ، وذلك رغم الانفاق الامني الباهظ . ولا نجـانب الحقيقة اذا قلنـا ، انه بسبب هذا الانفاق الامني ، الذي تتحمل اغلبه مصادر اجنبية — الولايات المتحدة ، التبرعات اليهودية — تستطيع اسرائيل ان توفر هذا المستوى المرتفع للدخل ، اذ أن هذا الانفاق ، في النهاية ، يصب في الدورة الاقتصادية الاسرائيلية بشكل استثمارات ، وطلبات على المنتجات اللازمة للجيش ، وتشغيل لجزء كبير من القوى العاملة .

ان القيادة الاسرائيلية لا تجهل الشروط اللازم توفرها، لكي تلعب دور القوة العظمى، فقد كتب شفيتسر ، معلق هآرتس ، بمناسبة تعيين كيسينجر وزيرا للخارجية الاميركية في شهر آب ١٩٧٣ : « ... ان اسرائيل كدولة كبرى اقليمية (وبقاؤها كذلك مشروط بالدعم الاميركي كما يحدث الان) ، هي احدى الضمانات المهمة للاستقرار ، وهي الشرط الاول للمحافظة على الاستمرار في تزويد البترول »(٣١) . هناك اذن « استقرار » يهم الولايات المتحدة المحافظة عليه ، وهناك بترول يجب ضمان الاستمرار في تزويـده ، وهناك اسرائيل تستطيع ضمان ذلك ، وحتى تستطيع ضمان ذلك يجب أن تكون دولة

كبرى اقليمية ، وحتى تكون دولة كبرى اقليمية يجب ان تتحمل الولايات المتحدة التكاليف بكل ما تتضمنه كلمة تكاليف . ويؤكد هذه المعادلة اجابة يتسحاق رابين — سفير اسرائيل في الولايات المتحدة ، على سؤال يتعلق بتفسير تأييد مرشحي الرئاسة الاميركيين لاسرائيل، حيث قال « تبدو اسرائيل وما ترمز اليه في اسلوب حياتها، في نظر الاميركيين، انها تقف في وجه الاتحاد السوفياتي والشيوعية . يعتبرنا الاميركيون دولة صغيرة تتجاسر على تحدي المساعدات والاسلحة السوفياتية للعرب ومقاومتها ، وتقف كصخرة جبل طارق في وجه العالم العربي بأسره ، الذي يستعين بالشيوعية »(٣٢). ان هذه الاطروحة تحتاج الى تأكيد دائم ، وخاصة في أوقات الازمات ، عندما تلجأ الولايات المتحدة الى المناورة بقصد امتصاص ردود الفعل العربية ، او عندما تجري تغييرات سياسية في الولايات المتحدة . ان الاسرائيليين يؤكدون للاميركيين ان ما تدفعه الولايات المتحدة هو ثمن بخس للحفاظ على مصالحها الحيوية « ان اميركا لن تخدم مصلحتها ، اذا هي رأت في دعمها لاسرائيل ، دعما لمحتاج عليه ان يدفع ثمن المساعدة بالتنازل عن استقلاله ، وليس **انفاقا مجديا** للمحافظة على المصالح الحيوية للولايات المتحدة . وفي نهاية الامر ، تلحق الولايات المتحدة ضررا بنفسها ان هي تصرفت وكأن اسرائيل فقير يقف على بابها »(٣٣) . اننا نلاحظ هنا تغيرا في اللهجة التي يخاطب بها المعلق الاسرائيلي في هآرتس الولايات المتحدة ، وهذا لا يعني أن اميركا بحاجة الى تأكيد رغبة اسرائيل في خدمتها، الا ان العصبية التي تتميز بها لهجة الكاتب تنم عن خوف الكاتب من تسرب الشك الى قلوب الاميركيين بقدرة اسرائيل على لعب الدور الذي تنسبه لنفسها ، وخاصة ان هذا الكلام كتب بعد حرب تشرين .

قبل حرب تشرين كانت اسرائيل تستطيع دائما ان تجد من يشتري اقوالها ، وكانت حالة العجز العربي تعطي مصداقية كبيرة لمزاعمها ، حتى لو كانت هذه المزاعم خيالية . لم يكن الكتاب والصحافيون الاسرائيليون يترددون في اطلاق التبجحات : « يجب الاعتراف بأنه بفضل وجود اسرائيل قوية فقط ، تستطيع الولايات المتحدة ان تأمل باستمرار وجود انظمة محافظة او معتدلة متعاطفة مع الغرب في دول النفط العربية . والا وجهت الدول العربية المتطرفة ، سوريا ، مصر ، العراق، ليبيا، جهودها للاستيلاء على السلطة في الدول المعتدلة عن طريق عناصر معادية للغرب .. ان وجود اسرائيل قوية معناه ان هناك خطرا دائما في امكان القيام بعمل عسكري تشارك فيه اسرائيل ، في حالة وصول الامور الى حد محاولة العرب شل الصناعة في الغرب عن طريق وقف الضخ »(٣٤). ان الصناعة في الغرب لا تتوفر لها الحماية الا اذا امنتها اسرائيل . أما اذا لم تقتنع الدول الاوروبية بهذه الادعاءات الصهيونية ، فان صحافيي اسرائيل لا يترددون بتوجيه التهديد الى الدول الاوروبية ، في حالة اتخاذ هذه الدول أية مواقف لا ترضى عنها اسرائيل ، فليس العرب وحدهم قادرين على وقف النفط عن اوروبا وانما اسرائيل كذلك . وهذا أمر منطقي ، فالقادر على الحماية قادر على الاستباحة . يقول حغاي اشد ، احد الكتاب الرئيسيين في صحيفة دافار : «... تدرك دول اوروبا الغربية والدول العربية نفسها انه ينبغي عدم المبالغة في استعمال سلاح النفط ضد اسرائيل ، لان اسرائيل ايضا يمكن أن تعرقل تدفق النفط من الشرق الاوسط الى اوروبا »(٣٥)..

ان الاسرائيليين يفاخرون بسعة خيالهم ، وهذا الخيال الواسع يساعدهم على تخطي كافة الموانع التي يفرضها الواقع ، ويصور لهم أن ثروات المنطقة تحت تصرفهم ، وليس عليهم الا ان يستعملوا هذا الخيال ويبدوا رغباتهم . أما شعوب المنطقة فلا تزيد عن ديكور يخفف من كآبة المشهد . واذا ما أحس الاسرائيليون مثلا بأزمة مياه فما عليهم الا ان يستعملوا هذا الخيال ، لتحمل القنوات مياه النيل اليهم ، وخاصة اذا كانت تكاليف

نقل مياه النيل الى النقب أقل من تكاليف نقل مياه الليطاني . يقول اليشع كلي ، مدير شعبة التخطيط البعيد المدى في شركة تاهل ، بمناسبة ازمة المياه التي بدأت تستفحل في اسرائيل في صيف ١٩٧٣ : « انه من الصعب ، طبعا ، التفكير في استغلال مياه النيل في اسرائيل دون التفكير في الوضع الجغرافي السياسي الحالي . ولكن ربما يستطيع من هو مستعد لاستخدام خياله وتصور اوضاع سياسية ، مختلفة تماما عن الوضع الحالي، الاستعانة بحقيقة أن النيل سيبقى يمد مصر كل عام بنحو ٨٠ مليار م٣ ... »(٣٦).

الغطرسة الاسرائيلية وحرب تشرين : تتميز حرب تشرين ، رغم عدم الوصول الى نتائج حاسمة فيها ، عن كافة الحروب التي خاضتها اسرائيل،بأنها أجبرت الاسرائيليين، بما في ذلك قطاعات من المؤسسة الحاكمة ، على اعادة النظر في كافة المسلمات التي اجبروا على الايمان بها بمختلف الوسائل ، وذلك ابتداء من الثقة التي لا حدود لها بالقوة العسكرية مرورا بالقدرة الاقتصادية ووصولا الى تقييمهم للعرب . يقول اهرون بيخر « .. كنا نقف ، من حين لاخر ، امام المرآة ، ونعرض عضلاتنا ، ونؤكد لانفسنا انه اذا حاول شخص ما تغيير الوضع الراهن فأننا سنكسر عظامه ، اننا نستطيع الوصول الى بنغازي ، ومدافعنا موجودة في مدى المرمى من دمشق . الجندي المصري لا يساوي مليما . والعرب يجيدون الكلام فقط ، ولكنهم يهربون حفاة في ساعات القتال »(٣٧). ان القادة الاسرائيليين الذين عملوا طوال السنوات الماضية على زرع هذه الصورة في رؤوس الاسرائيليين والامريكيين وحتى العرب ، لم يعملوا على اعداد اي اسرائيلي على تقبل فكرة الهزيمة، بل لم يحاولوا ان يفهموا الاسرائيليين ان هناك امكانية أمام العرب في الصمود ، بأية درجة كانت ، في وجه القوة الاسرائيلية . ما الذي ترتب ، اذن على اهتزاز هذه المفاهيم ؟ لقد قرأنا عن الاعداد الكبيرة التي اصيبت بالانهيارات العصبية ، وعن عجز المصحات العقلية عن استقبال المحتاجين للمعالجة . وهذه ظاهرة ليست طبيعية . لقد انهار أمام هؤلاء عالم كامل من القناعات والتكوينات النفسية والعقلية . ولهذا لم تستطع عقولهم أن تستوعب ما حصل .

ويحاول المفكرون واساتذة الجامعات ان يقدموا تفسيرا لما حدث ، ولكن خيبتهم لم تكن أقل من خيبة المواطن العادي.ولكنهم بدأوا يدركون سر اللعبة الصهيونية الجهنمية. كتب البروفسور يشعياهو ليبوفيتش ، استاذ العلوم وفلسفة العلوم في الجامعة العبرية في القدس في ملحق هآرتس بتاريخ ١٩٧٣/١١/٣٠ ، يقول : « بماذا اخطأنا طوال الاعوام الستة الاخيرة ؟ ان الخطأ لم يكن طوال هذه الاعوام فحسب ، وانما كان طوال الخمسة وعشرين عاما الاخيرة ايضا ، منذ توقيع اتفاقية رودس . **كان الخط المرشد لسياستنا ولا يزال الرأي [القائل] ان وضعا دائما من اللاسلم واللاحرب مع حرب كامنة هو أحسن وضع بالنسبة الينا ، وينبغي المحافظة عليه بكل الطرق** ... ومن الممكن في وضع كهذا أن تنشب حروب فعلية من فترة الى اخرى ، تكون عادة قصيرة، ونتائجها مضمونة مسبقا ، لان الفجوة بيننا وبين العرب آخذة في الازدياد ، وبهذه الطريقة ننتقل من احتلال الى احتلال . لقد سادت هذه السياسة الاجرامية والشريرة ، طوال ٢٥ عاما كما توقع باعثوها ، حتى أدت بنا الى الازمة التي نعيشها الان ، بعد أن دحضت جميع افتراضات تلك السياسة ... **اننا لم نسع للسلام طوال خمسة وعشرين عاما .** وكل التصريحات بشأن ذلك ليست الا تصريحات متلونة وكذبا مقصودا » . ها هم علماء اسرائيل اخيرا يكتشفون قوانين اللعبة السياسية التي يلعبها قادتهم ، ويصفون هذه السياسة بأنها اجرامية وشريرة ، ليس بحق الفلسطينيين فحسب ، فالاسرائيليون لم يعودوا يتمتعون بالاعفاء من ثمن هذه السياسة الذي يصل حد الجنون . لقد حرصت القيادة الصهيونية على أن يكون الثمن الذي يدفعه اليهود رخيصا . فهل تتمكن المؤسسة الصهيونية من المحافظة على « الخط المرشد » لسياستها والقائل بأن « وضعا دائما

من اللاسلم واللاحرب مع حرب كامنة هو أحسن وضع بالنسبة الينا ، وينبغي المحافظة عليه بكل الطرق » . أما بالنسبة لنا فالسؤال هو « هل تستطيع اسرائيل ان تتبنى خطا مرشدا غير هذا الخط ؟ أي هل تستطيع اسرائيل ان تكون دولة طبيعية بحجم طبيعي ؟ وعند ذلك من هو الذي سيحتاج هذه الدولة ؟

---

١ — **يوميات هرتسل** ، اعداد ، انيس صايغ . مركز الابحاث في م. ت. ف. بيروت . ص ٤١٣.

٢ — **المرجع نفسه** ، ص ٤١٠ .

٣ — **المرجع نفسه** ، ص ٨٧ .

٤ — **المرجع نفسه** ، ص ٤٩٢ .

٥ — **المرجع نفسه** ، ص ٧٧ .

٦ — البروفسور آ. د. برغمان ، **دافار** ، ١١ /٧١/٤ .

٧ — البروفسور يوفال نئمان . رئيس قسم الفيزياء في جامعة تل ابيب ، **الوكالة التلغرافية اليهودية** ، ٧١/٤/١٤ .

٨ — شمعون بيريس . **يديعوت آحرونوت** ، ٧٢/١١/١٣ . مناقشات السكرتارية العامة لحزب العمل حول المناطق المحتلة .

٩ — تسفي تسور ، في ندوة رؤساء الاركان السابقين ، **معاريف** ، ٧٣/٢/١٦ . (كان تسفي تسور رئيسا لاركان الجيش الاسرائيلي بين عامي ١٩٦١ — ١٩٦٣) .

١٠ — تيدي بروس ، **دافار** ، ٧٣/١٠/٢٥ .

١١ — بن غوريون ، من خطاب له في الكنيست بتاريخ ٦٨/٥/١٠ ، نشرته جريدة **الاتحاد** .

١٢ — دان مرغليت ، معلق صحيفة **هآرتس** ، ١٩٧٣/٦/٢٢ ، بمناسبة مؤتمر القمة السوفياتي الاميركي .

١٣ — يتسحاق رابين ، جريدة **معاريف** ، ٧٣/٢/١٦ ، ندوة رؤساء الاركان السابقين . كان رابين رئيسا للاركان بين عامي ١٩٦٤ — ١٩٦٨ ، ثم عين سفيرا لاسرائيل في واشنطن حتى شباط ١٩٧٣ .

١٤ — يتسحاق رابين ، *Near East Report* ، ١٩٧٢/٥/٧ . من خطاب في مؤتمر اللجنة الاميركية الاسرائيلية للشؤون العامة American Israel Public Affairs Committee.

١٥ — يتسحاق رابين ، **المرجع نفسه** .

١٦ — زئيف شيف ، معلق هآرتس العسكري ، **هآرتس** ، ١٩٧١/١١/٢٤ .

١٧ — شبتاي طيفت ، **هآرتس** ، ٧٣/١١/٨ .

١٨ — **دافار** ، ٧٣/٣/٣١ .

١٩ — **اليوميات الفلسطينية** ، مركز الابحاث في م. ت. ف. ، بيروت ، ١٩٦٧/٧/٧ .

٢٠ — **اليوميات الفلسطينية** ، ٦٧/٩/١٠ ، تصريح من موشيه دايان لصحيفة « **صنداي تايمز** » اللندنية .

٢١ — **اليوميات الفلسطينية** ، ٦٩/٧/٢ .

٢٢ — **معاريف** ، ٧١/٤/١٥ .

٢٣ — **هآرتس** ، ٧٢/٢/٢٤ .

٢٤ — أورد هذا المقطع نكديمون في مقالة له في ملحق **معاريف** بتاريخ ١٩٧٣/٥/٦ .

٢٥ — **هآرتس** ، ١٩٧٣/٨/٢٣ .

٢٦ — **هآرتس** ، ٧١/٩/٢٧ .

٢٧ — **معاريف** ، ٧١/٤/٢٨ .

٢٨ — **معاريف** ، ٧٣/٢/١٦ ، ندوة رؤساء الاركان السابقين .

٢٩ — مقابلة اذاعية مع موشيه دايان في ٨/١١/١٩٧٣ . **نشرة رصد اذاعة اسرائيل** ، مركز الابحاث ، م.ت.ف. ، بيروت .

٣٠ — يوئيل ماركوس ، **هآرتس** ، ١٩٧٣/٣/٧ .

٣١ — **هآرتس** ، ٧٣/٨/٢٤ .

٣٢ — **معاريف** ، ٧٢/١/١٤ ، مقابلة مع يتسحاق رابين .

٣٣ — جرشوم شوكن ، **هآرتس** ، ٧٣/١١/٢٣ .

٣٤ — اريئيل غيناي ، معلق صحيفة **يديعوت احرونوت** ، ٧٣/٦/١٠ .

٣٥ — **دافار** ، ٧٢/٧/١٦ .

٣٦ — **دافار** ، ٧٣/٧/١٢ .

٣٧ — **يديعوت احرونوت** ، ٧٣/١١/٩ .

حرب تشرين وموضوعات حزب العمل الاسرائيلي

عيسى الشعيبي

سوف يظل المتتبعون للشؤون الاسرائيلية ، ولفترة طويلة ، يقفون أمام النتائج التي رتبتها حرب تشرين الاول (اكتوبر) على بنية المجتمع الاسرائيلي ، السياسية منها والاقتصادية ، يختلفون في مدى الاثر الذي ستتركه هذه النتائج على السياسات الاسرائيلية المستقبلية . ولا يخفي الكثيرون من قادة ومخططي الاستراتيجية الاسرائيلية قلقهم حيال نتائج هذه الحرب وآثارها المتفاعلة باطراد ، في مختلف نواحي الحياة في اسرائيل . وقد تكون الحياة الحزبية الاسرائيلية — الى جانب الامن والاقتصاد — قد بدأت تظهر بوضوح مدى الاثار العميقة التي خلفتها الحرب في اسرائيل . واذا كانت استقالة وزير العدل الاسرائيلي يعقوب شمشون شابيرا ، وهو من وزراء حزب العمل الحاكم ، أبرز مظاهر تأثر السياسة الحزبية والحكومية الاسرائيلية بالحرب ، فان النقاش الذي ادارته مختلف الاحزاب والفئات السياسية ، وهي على أعتاب انتخابات الكنيست الثامنة ، يشير بغير شك الى كثير من المتغيرات التي ترتبت على الحرب، والتي تحتاج الى كثير من الدراسة والبحث لاستخلاص النتائج .

الائتلاف الحكومي واختبار السلام

عندما صدر قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، وقبل به العرب كأساس كاف لتحقيق شعار « ازالة آثار العدوان » ، لم تصدر اسرائيل بيانا علنيا واحدا يشير الى قبولها بهذا القرار الدولي ، طيلة الثلاث سنوات التي أعقب حرب حزيران وسبقت تقدم وزير الخارجية الاميركي السابق وليم روجرز بالمشروع الذي عرف باسمه صيف عام ١٩٧٠ . ولم يكن يوجد خلال السنوات الثلاث تلك ، ما يشير الى أن اسرائيل مستعدة لقبول قرار مجلس الامن ، كمقدمة **لمفاوضات** تؤدي الى **انسحاب** من الاراضي العربية المحتلة . وقد لعبت في تصلب الموقف الاسرائيلي هذا عدة عوامل يتعلق جزء منها بالموقف العسكري العربي ، وآخر يتعلق بالوضع السياسي الاسرائيلي ، سواء على صعيد الائتلاف الحكومي في الداخل أو على صعيد العلاقات مع الولايات المتحدة الاميركية في الخارج ، هذه العلاقات **الخاصة** التي أمنت لاسرائيل غطاء دوليا للخروج على قرارات مجلس الامن والجمعية العامة للامم المتحدة .

أدرك الجانب العربي في تلك الفترة المتوسطة من تاريخ النزاع العربي الاسرائيلي حول الالتزام بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، **الاهمية السياسية لقبول اسرائيل العلني والرسمي بذلك القرار** . فخلال الفترة الاخيرة من حرب الاستنزاف التي يطلق عليها بعض الكتاب الاسرائيليين « حرب الالف يوم » ، كان الشرط الرئيسي الذي أعلن عنه جمال عبدالناصر لقبوله بوقف حرب الاستنزاف ، **قبول اسرائيل سلفا بقرار مجلس الامن** الشهير ، تمهيدا لموافقة الطرفين على مشروع روجرز كصيغة تطبيقية لبنود القرار الدولي . وبالفعل ، عندما أعلن عبدالناصر في خطابه بمناسبة الذكرى الثامنة عشرة للثورة المصرية قبوله بمشروع روجرز ، ظلت الحكومة الاسرائيلية مترددة من ناحيتها

طوال المدة من ٧/٢٣ ــ ١٩٧٠/٨/٤ ، حيث صدر قرار رسمي اسرائيلي بقبول مشروع روجرز كصيغة تنفيذية لقرار مجلس الامن .

لم يكن هذا الاعلان من جانب اسرائيل مؤشرا لقدرة وفاعلية ضغط الولايات المتحدة على اسرائيل ، في هذه الواقعة المحددة ، بل كان اختبارا للحكومة الائتلافية الاسرائيلية أمام « فرص السلام » . فقد كان وزراء ونواب احد أطراف الائتلاف الحكومي الذي تشكل عشية حرب حزيران واستمر بعد انتخابات الكنيست السابعة عام ١٩٦٩ ، يقفون موقفا معارضا أمام قبول الحكومة الاسرائيلية بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . لذلك لم يجد وزراء هذه المجموعة المعارضة من حزبي حيروت والاحرار (جاحال) بدا من انسحابهم من الحكومة ، انسجاما مع موقفهم الرافض للقرار الدولي وبالتالي الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ .

المعارضة والبديل الحكومي

شن الوزراء المنشقون ، استنادا الى قاعدتهم النيابية في الكنيست ، حملة سياسية عنيفة على الحكومة ، متهمين اياها بالاستسلام للضغط الأميركي تمهيدا للتنازل عن المناطق « المحررة » من أرض اسرائيل الكاملة . وقد شارك نواب ووزراء جاحال مجموعة أخرى من الاحزاب السياسية اليمينية ويمين الوسط في حملتهم السياسية على الحكومة . غير انه بفعل عوامل كثيرة ، ليس هذه مجال عرضها ، استطاعت الحكومة الاسرائيلية احتمال الضغوطات الاميركية واستيعابها بالتالي ، دون أن يؤدي قبولها بمشروع روجرز الى انسحابها من الاراضي العربية المحتلة . وفوتت بذلك على المعارضة اتهاماتها لها بالاستسلام .

وقد تكون المعارضة اليمينية ، الى جانب عدة عوامل أخرى أيضا ، قد نجحت خلال السنوات الثلاث التي سبقت حرب تشرين الاول (اكتوبر) في صبغ سياسات الحكومة الاسرائيلية ــ خاصة تجاه المناطق المحتلة ــ بصبغة « صقرية » متشددة . الا أن ذلك لم يمنعها من السعي لطرح نفسها بديلا للحكومة . وقد نظمت هذا السعي وسارت به خطى حثيثة على أعتاب المرحلة التمهيدية لانتخابات الهستدروت التي جرت في شهر أيلول (سبتمبر) الماضي وانتخابات الكنيست التي كان من المقرر اجراؤها في أواخر شهر تشرين الاول (اكتوبر) وتأجلت الى آخر شهر كانون الاول (ديسمبر) بسبب الحرب . فقد جرت خلال تلك الفترة حركة واسعة في صفوف المعارضة ، بهدف ايجاد تكتل انتخابي كبير يستطيع طرح نفسه كبديل قوي ومحتمل للائتلاف العمالي الذي يشكل العمود الفقري في الحكومة الراهنة . وكان أول من طرح فكرة التكتل بصورة عملية وجادة ، العميد (احتياط) اريك شارون . ففي المؤتمر الصحفي الذي عقده في تموز (يوليو) ١٩٧٣ ليعلن عن دخوله الحياة السياسية الى جانب حزب الاحرار ، طرح شارون فكرة التكتل هذه ، مقترحا اقامته من أحزاب حيروت ، الاحرار ، الاحرار المستقلون ، القائمة الرسمية ، المركز الحر ، وحركة أرض اسرائيل الكاملة . وتمت بالفعل اقامة هذا التكتل من الاحزاب المقترحة باستثناء حزب الاحرار المستقلين ــ أحد أطراف الائتلاف الحكومي الحالي ، الذي اشترط لانضمامه الى التكتل ، اعلان الاخير سلفا عن استعداده للتنازل عن بعض المناطق المحتلة .

خاض « التكتل » انتخابات الهستدروت الثانية عشرة التي جرت في أيلول (سبتمبر) الماضي ، وحقق بعض النجاحات على حساب تجمع الاحزاب العمالية الحاكمة المعروف باسم « المعراخ » ، والمكون أساسا من حزب العمل (ماباي ، أحدوت هاعفودا ، رافي) وحزب المابام . واستنادا الى انتخابات الهستدروت ، والى بعض الاستفتاءات الجزئية

التي أجرتها معاهد متخصصة بقياس الرأي العام في اسرائيل(١)، فقد كان من المتوقع أن يحرز « التكتل » اليميني المعارض تقدما هاما في انتخابات الكنيست الثامنة ، من غير أن يؤدي ذلك التقدم الى تهديد مركز الائتلاف العمالي الحاكم الى الحد الذي يحول دونه وتشكيل الحكومة الجديدة للاربع سنوات القادمة .

الحرب تؤجل الانتخابات

من بين ما أدت اليه حرب تشرين الاول، استحالة اجراء انتخابات الكنيست في موعدها المقرر في ١٩٧٣/١٠/٣٠ ، نظرا لما طرحته هذه الحرب من وقائع جديدة وما أدت اليه من نتائج هامة على كافة المستويات في اسرائيل خاصة ، والمنطقة بشكل عام . فقد كان الابقاء على الانتخابات في موعدها المقرر يعني دعوة الناخب الاسرائيلي الى الاقتراع على برامج وقوائم انتخابية أعدت في ظروف ما قبل تشرين . اضافة الى ذلك فقد حالت بعض الصعوبات الفنية واجراء الانتخابات في موعدها . ونعني بها حالة التعبئة والاستنفار العام ووجود بعض المرشحين من ضباط الاحتياط في الخدمة الفعلية ، وهو أمر يتعارض مع اللوائح والقوانين الانتخابية التي تهدف في مجموعها الى اقصاء الجيش الاسرائيلي عن الحياة السياسية الحزبية بكل ما فيها من صراعات(٢) .

أمام هذا الوضع الاستثنائي ، بادر التجمع العمالي الذي يستند الى ٥٧ مقعدا في الكنيست الى الاتصال بزعيم « التكتل » مناحيم بيجن ، الذي يستند بدوره الى ٣١ مقعدا في الكنيست ، لاستصدار قرار من الهيئة التشريعية بتأجيل الانتخابات الى ١٩٧٣/١٢/١١ . غير أن الكنيست ، وبعد اجراء النقاش ، أقرت بأغلبية كبيرة تأجيل الانتخابات الى ١٩٧٣/١٢/٣١ .

لاول مرة في تاريخ الحياة السياسية الاسرائيلية جرى تحت تأثير ظرف استثنائي تمديد سلطة الهيئة التشريعية (الكنيست) لمدة شهرين . الا أن فترة التأجيل هذه بدت أمام بعض القوى السياسية الاسرائيلية ، ومن بينها أحزاب من ضمن الائتلاف الحكومي ، غير كافية لاحداث تبديلات معينة في البرامج والقوائم الانتخابية على ضوء ما أسفرت عنه حرب تشرين . وكان من أبرز القوى السياسية المطالبة بتأجيل الانتخابات ، حزب المفدال (القوميون الدينيون) الذي طالب بتأجيلها لمدة سنة كاملة(٣) . فقد طالب المفدال ـــ عضو الائتلاف الحكومي الراهن ـــ بتشكيل حكومة وحدة وطنية خلال هذه السنة تضم مختلف الاتجاهات السياسية الرئيسية في اسرائيل . ولم تقتصر المطالبة بتأجيل الانتخابات على حزب المفدال بل تعدت ذلك الى حزب العمل نفسه . وقد أظهرت هذا الامر المناقشات التي جرت في اللجنة المركزية لحزب العمل التي عقدت يوم ١٩٧٣/١١/٢٨ ، والتصويت الذي أجرته اللجنة عقب المناقشة على مشروع قرار باجراء الانتخابات في موعدها المقرر في ١٩٧٣/١٢/٣١ . فقد صوت مع قرار اجراء الانتخابات في نفس موعدها ٣٠١ عضو بينما عارض القرار ٨٧ عضوا(٤) ، الامر الذي يؤكد ان هناك أقلية قوية في الحزب تنادي بالتأجيل ، غير ان قيادة الحزب ووزراءه الرئيسيين استطاعوا ان ينالوا أغلبية الاصوات لكي يمرروا مشروع القرار القاضي باجراء الانتخابات في موعدها المقرر الجديد .

الحرب تعدل البرامج الانتخابية

المعارضة اليمينية من خلال « التكتل » ، اعتبرت أن حرب تشرين جاءت لتثبت صحة ما قالته بعدم التخلي عن المناطق المحتلة حتى لا **تدور الحرب مستقبلا** داخل « حدود » اسرائيل ، وبالتالي وانسجاما مع خطها السياسي هذا اعتبرت برنامجها لانتخابات الكنيست الثامنة يتلائم مع الضرورات الامنية الاسرائيلية ، ويحقق لها افضل

الاوضاع العسكرية خلف حدود طبيعية ، كما يتيح لها تحقيق اسرائيل في حدودها التوراتية(٥). أي ان « التكتل » لم يعتبر ان الحرب ، بكل نتائجها وانعكاساتها البعيدة المدى في الحياة الاسرائيلية ، تستوجب مراجعة البرنامج الذي أعد في ظروف ما قبل حرب تشرين . ولا نستطيع القول — في الاسبوع الاول من كانون الاول (ديسمبر) — ما اذا كان القرار الذي اتخذه حزب الاحرار ، أحد الشركاء الاساسيين في « التكتل » ، والذي أعلن فيه استعداده للقبول « **بتسوية اقليمية في سيناء** بشرط أن تؤخذ فيها مصالح الدولة الحيوية بعين الاعتبار » ، يمكن أن يشير الى استعداد لدى « التكتل » لتقديم تنازلات ، واجراء تغييرات معينة في برنامجه الانتخابي(٦).

غير ان أكبر التأثيرات التي خلفتها الحرب في الحياة الحزبية الاسرائيلية ، كان يبدو جليا في النقاشات التي أدارتها منظمات حزب العمل الاسرائيلي الحاكم ولجانه وشريكه حزب المابام . فمن المعروف أن اتجاهات « الصقور » قد سادت برامج وسياسات الائتلاف العمالي الحاكم ، خصوصا خلال الثلاث سنوات الماضية . وقد عبرت هذه السياسة المتصلبة عن نفسها فيما أصبح يعرف بوثيقة جاليلي ، الوزير بلا وزارة في حكومة جولدا مائير . وقبل أن نتطرق الى شرح وتبيان ما خلفته حرب تشرين على برنامج حزب العمل ، لا بد من مراجعة سياسة هذا الحزب تجاه المناطق المحتلة من خلال وثيقة جاليلي الشهيرة ، التي وضعت قبل الحرب والتي تعتبر تجسيدا لنهجه السياسي الذي ازداد تصلبا خلال السنوات الثلاث الماضية .

وثيقة جاليلي

لم يدخل حزب العمل على برنامجه الانتخابي لعام ١٩٧٣ أية تعديلات . واعتبر الحزب أن برنامجه لانتخابات الكنيست السابعة عام ١٩٦٩ ، هو برنامجه لانتخابات الكنيست الثامنة لهذا العام . غير انه ارضاء لصقور الحزب ومحافظة على وحدته أمام تهديدات موشيه ديان بالخروج من الحزب ، أضيف على برنامج حزب العمل الانتخابي لعام ١٩٦٩ ما أصبح يعرف باسم وثيقة جاليلي ، التي جاءت كحل وسط بين اتجاهات الحزب المختلفة بما يرضي بشكل أساسي رغبة « الصقور » .

ووثيقة جاليلي هذه « ليست قرارات متفق عليها من الحزب والمعراخ ، بل هي توصيات من وزراء حزب العمل . وتقدم رئيسة الحكومة هذه التلخيصات للتصديق عليها من قبل المؤسسات ذات الصلاحية »(٧). وهذه المؤسسات كما يسميها جاليلي هي : الحزب ، المعراخ والحكومة . ويمكن استعراض الخطوط الرئيسية في هذه الوثيقة كما يلي :

١ — فيما يتعلق بقطاع غزة تعمل الحكومة على تأهيل اللاجئين وتطوير القطاع اقتصاديا خلال الاربع سنوات القادمة . ويتضمن ذلك اقامة مباني سكنية للاجئين بالقرب من مخيماتهم وترميم هذه المخيمات .

٢ — اعداد خطة عمل لتطوير الضفة الغربية اقتصاديا وتحسين الخدمات الحيوية فيها . وتؤمن الحكومة الجديدة التمويل اللازم للتنفيذ .

٣ — يتم تمويل خطة تطوير الضفة الغربية بتنسيق بين وزارتي الدفاع والمالية . وتبذل جهود خاصة للحصول على تمويل من الخارج لخطة توطين وتأهيل اللاجئين وتطوير المناطق .

٤ — تقدم الحكومة تسهيلات لتشجيع المبادرين الاسرائيليين في اقامة المشاريع الصناعية في المناطق المحتلة ، بنفس القدر من التسهيلات التي تقدمها الحكومة للمستثمرين الاسرائيليين في أفضل المناطق باسرائيل .

٥ ــ تقديم المساعدة للنشاطات الذاتية لسكان المناطق المحتلة ، تمهيدا لشغلهم المناصب المدنية في ادارة الحكم العسكري بما لا يتعارض والمقتضيات الامنية الاسرائيلية.

٦ ــ تعتمد الحكومة نفس سياستها السابقة تجاه مسألة سياسة الجسور المفتوحة.

٧ ــ يظل العمل غير العبري في اسرائيل مراقبا من الناحية العددية والاقليمية . على أن تعمل الحكومة على تحسين ظروف العمال العرب و« مساواتهم » بالعمال الاسرائيليين .

٨ ــ فيما يتعلق بالمستوطنات العسكرية والمستوطنات ، تقام مستوطنات جديدة وتقوى شبكة المستوطنات وزيادة عدد السكان فيها عن طريق تطوير الخدمات والصناعات والاصطياف فيها . وتحدد الميزانية السنوية المطلوبة لاقامة هذه المستوطنات ، وفقا لتوصيات قسم الاستيطان وتصدق عليها اللجنة الوزارية للاستيطان بهدف اقامة مستوطنات اضافية خلال الاربع سنوات القادمة في مشارف رفح وغور الاردن وهضبة الجولان .

ــ مستوطنة مدينية ــ صناعية في هضبة الجولان .

ــ مركز اقليمي في غور الاردن .

ــ تطوير شمال شرق بحيرة طبريا وشمال غرب البحر الميت .

ــ تنفيذ مشاريع المياه المخططة .

٩ ــ المركز الاقليمي في مشارف رفح يؤمن استمرار تطويره حتى يصل الى ٨٠٠ وحدة سكنية حتى سنة ٧٧ ــ ١٩٧٨ .

١٠ ــ تجميع وشراء الاراضي في المناطق المحتلة .

ــ زيادة الجهود في تجميع الاراضي لاحتياجات المستوطنات القائمة والمخطط لها .

ــ تعمل ادارة الاراضي الاسرائيلية على زيادة شراء الاراضي والاملاك في المناطق المحتلة لاحتياجات الاستيطان والتطوير ومبادلة الاراضي .

ــ تقوم الادارة بتأجير الارض للشركات والافراد لتنفيذ خطط التطوير المعتمدة .

ــ تعمل الادارة على شراء الاراضي بكل الطرق عن طريق الافراد والشركات وذلك بالتنسيق مع الادارة ولملكيتها .

ــ اذا لم تكن ادارة الاراضي غير معنية بشراء بعض الارض فعليها أن تصدق على مشتريات الافراد والشركات من هذه الاراضي . ويتم التصديق على الشراء فقط اذا كان بهدف البناء وفي اطار سياسة الحكومة .

ــ تستعمل الادارة أيضا لشراء الاراضي التي تم شراؤها من قبل اليهود .

١١ ــ فيما يتعلق بالقدس ، يستمر الاسكان والتطوير للعاصمة وضواحيها بهدف تركيز الاستيطان خارج الحدود البلدية للقدس « الموحدة » بعد حرب حزيران . وتبذل الحكومة جهودها لشراء الاراضي واستغلال أراضي الدولة في اطار المناطق الواقعة شرق وجنوب القدس ، وهي المناطق التي قررت الحكومة اعتبارها مناطق مغلقة .

١٢ ــ تنفيذ قرار الحكومة بشأن اسكان النبي صموئيل .

١٣ ــ تدرس المعطيات الطبيعية والاقتصادية والسياسية بهدف اتخاذ الحكومة قرارا بانشاء ميناء عميق جنوب مدينة غزة .

١٤ ــ تؤمن الظروف المطلوبة لاقامة مركز صناعي لمدينة كفار سابا فيما وراء « حدود » اسرائيل لعام ١٩٦٧ ، بهدف تطوير صناعة اسرائيلية في منطقتي قلقيلية وطولكرم .

خلفيات الصراع داخل حزب العمل

يمكن اعتبار الصراع الاساسي داخل حزب العمل متجسدا في الصراع بين الكتلتين الرئيسيتين فيه ، وهما كتلة حزب الماباي وحزب رافي سابقا . فحزب الماباي (حزب عمال اسرائيل) هو الكتلة الرئيسية الاولى في حزب العمل . وهو الذي ظل منذ قيام اسرائيل، وتأسيسه على يد دافيد بن غوريون ، رئيس وزراء اسرائيل الاسبق ، يشكل الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة ويحتكر المناصب الرئيسية فيها ، مثل رئاسة الحكومة ، وزارة الخارجية ، الدفاع والمال . والاستثناء الوحيد الذي احتل فيه منصب وزير الدفاع شخص من خارج حزب الماباي ، كان ذلك موشيه ديان الذي فرضته الاحزاب اليمينية والدينية عشية حرب حزيران ، كوزير للدفاع في حكومة الائتلاف القومي السابقة .

فقد كان ديان منذ انتخابات الكنيست السادسة عام ١٩٦٥ ، على رأس قائمة انتخابية منشقة عن حزب الماباي ، إلى جانب دافيد بن غوريون . وقد عرفت هذه القائمة باسم قائمة عمال اسرائيل (رافي) . الا أن « رافي » لم تحرز في انتخابات الكنيست السادسة غير عشرة مقاعد فقط ، مما قضى على أحلام بن غوريون ــ ديان في تشكيل بديل لحزب ماباي الام يستطيع الوصول بهما الى السلطة . غير ان ديان الحالم بما هو أكثر من وزارة الدفاع ، لم يجد طريقا لذلك غير العودة الى الحزب الام . وبالفعل ، وقبيل انتخابات الكنيست السابعة عام ١٩٦٩ ، بدأ ديان يلوح بالانضمام الى التكتل اليميني (جاحال) ضد التجمع العمالي ، الامر الذي دفع بحزبي الماباي وأحدوت هاعفودا الى افساح المجال لحزب رافي بالانضمام اليهما في حزب العمل الاسرائيلي . ولكن رغم اندماج الاحزاب الثلاثة ، فقد ظل كل حزب فيهما محافظا على استقلاليته وقاعدته داخل الحزب الجديد .

ولقد لعب انتصار اسرائيل العسكري ، في حرب حزيران عام ١٩٦٧ ، في جعل ديان بطلا قوميا في اسرائيل ، الامر الذي عزز من سلطته ونفوذه داخل حزب العمل . ولذلك فقد كانت مفاهيم ديان واستراتيجيته هي السائدة في سياسات الحزب منذ تكوينه . خصوصا بما يتعلق من هذه السياسات بالنزاع العربي الاسرائيلي ومسألة المناطق العربية المحتلة . ولم تستطع « حمائم » كتل أحدوت هاعفودا وحزب المابام ــ شريك حزب العمل في الائتلاف العمالي ــ الحد من نفوذ وسيطرة ديان داخل الحزب والائتلاف العمالي والحكومة الاسرائيلية . وهكذا فقد صبغت سياسات الحزب خلال السنوات الاخيرة بمزيد من الاتجاهات « الصقرية » وبمزيد من التحول العام نحو اليمين . وقد عبر ديان عن انتصاره على زعماء الحزب الاخرين فيما عرف باسم وثيقة جاليلي التي جاءت ملبية لرغبات ديان ، بل وكأنها فرض رأي من جانبه على قادة الحزب والحكومة .

وبالطبع، لم يكن قادة الكتل الاخرى في الحزب قد رضخوا لاتجاهات ديان «الصقرية». غير أن الامر كان متعلقا بوحدة الحزب وهو على أبواب مرحلة من الصراع السياسي القاسي مع الاحزاب اليمينية التي تجمعت في « التكتل » بقيادة مناحيم بيجن ، المنافس الرئيسي لجولدا مائير على رئاسة الحكومة . لهذا السبب يمكن فهم عودة جولدا مائير عن اعلانها السابق بعزمها على عدم ترشيح نفسها لرئاسة الحكومة الجديدة ، بعد انتخابات الكنيست لعام ١٩٧٣ . فقد أدركت مائير أن تركها منصب رئاسة الحكومة في هذه المرحلة ، سوف يؤدي الى تأجيج الصراع داخل الحزب بين كتله وزعمائه المتنافسين على مقعد رئاسة الحكومة ، مما قد يؤدي بالتالي الى انهيار وحدة حزب العمل . فبعد

أن رددت مائير طوال الاشهر الاخيرة من عام ١٩٧٢ والاشهر الاولى من عام ١٩٧٣ ، عزمها على عدم الاستمرار في منصب رئيسة الحكومة في الولاية الجديدة، لاسباب صحية كما ادعت ، عادت لتعلن تراجعها عن ذلك وترك الامر لما يقرره الحزب . وبالطبع فقد كان الحزب بحاجة اليها في هذه المرحلة التي تهدد مصير الحـــزب بأكمله . وقد علقت جريدة دافار على تراجع مائير عن قرارها السابق بقولها ، ان ذلك « يكمن في شبكة من التقديرات ، في جوهرها تقديرات تتعلق بالجو المخيم حاليا داخل حزب العمل ، والذي يستدعي استمرار بقاء مائير في مركز القيادة لضمان وحدة الحزب »(٨).

نقاشات حزب العمل وموضوعاته

احتدمت المظاهر العلنية للصراع الداخلي في حزب العمل الاسرائيلي بعد حرب تشرين، من خلال استقالة وزير العدل في حكومة مائير الحالية ، يعقوب شمشون شابيرا ، الذي عرض استقالته في جلسة الحكومة التـــي عقدت يوم ١٩٧٣/١٠/٣٠ ، اثـــر مطالبته باستقالة موشيه ديان ورفض الحكومة لطلبه هذا(٩).

لقد حمل شابيرا ـــ أحد وزراء حزب العمل من كتلة ماباي ـــ مسؤوليـــة الخسائر الكبيرة التي تحملتها اسرائيل في حرب تشرين الى موشيه ديان بصفته المسؤول الاول عن الامن واعداد البلاد للحرب . الا أن مائير التي أدركت حراجة الظرف السياسي الذي طرح فيه شابيرا وجهة نظره علانية ، جعلها تقف موقفا صلبا الى جانب ديان ، ليس حفاظا على وحدة الحزب فقط وانما **لخطورة الوضع العسكري الدقيق الذي وجدت فيه اسرائيل نفسها بعد وقف اطلاق النار**. وقطعا على كل المواقف المحتملة من جانب خصوم ديان في الحزب والحكومة ، اعتبرت مائير الحكومة كلها مسؤولة بالتضامن عما حدث في حرب تشرين . غير ان هذا الموقف الصلب من قبل مائير لم يضع حدا للمطالبة بعزل ديان من منصبه . فقد وصلت المطالبة الى الشارع ، حيث أخذ المتظاهرون من ذوي الاسرى والمفقودين يطالبون بطرد ديان من منصبه(١٠). لكن مائير لم تكن تعير المطالبين بعزل وزير دفاعها من خارج الحزب والشارع ، القدر نفسه من الاهتمام الذي ركزته على خصوم ديان داخل حزب العمل نفسه . لذلك بقي كل شيء في الحزب تحت السطح ، حتى موعد انعقاد اللجنة المركزية للحزب (٦٠٠ عضو) في تل أبيب يوم ١٩٧٣/١١/٢٨.

أدركت قيادة الحزب ووزراؤه في الحكومة ، أهمية اجتماع اللجنة المركزية للحزب . وقد وصف هذا الاجتماع بأنه الاخطر في تاريخ الحـــزب منذ تأسيسه(١١)، لانه سيقرر البرنامج الانتخابي للحزب ويبت في كثير من المسائل التي أثارتها الحرب علـــى مختلف نواحي الحياة في اسرائيل .

فالى جانب وضع الخطوط العامة لحملة الحزب الانتخابية ، كان على حزب العمل أن يثبت او يعدل في قيادته الحالية ، كما كان على اللجنـــة المركزيـــة كذلك ان تبت في مصير وثيقة جاليلي التي وضعت في ظروف ما قبل حرب تشرين الاول (اكتوبر). ولم يكن كل ذلك فقط ما هو على جدول أعمال اللجنة المركزية . فقد كان عليها أن تنظر في طلب حزب المفدال ـــ شريك حزب العمل في الحكومة ـــ وعدد من أعضاء حزب العمل نفسه بتأجيل موعد الانتخابات لمدة سنة أخرى على أن تشكل خلال تلك الفترة حكومة ائتلاف قومية أو حكومة طوارىء وطنية . كما كان على لجنة حزب العمل المركزية أن تنظر في العديد من المطالبات من داخل الحزب وخارجه بفتح قوائم المرشحين لانتخابات الكنيست وادخال تبديل في ترتيب أسماء المرشحين ، واستبدال بعضهم بآخرين من أعضاء الحزب من غير المرشحين .

واجهت جولدا مائير ـــ رئيسة الحزب ـــ كل هذه المسائل وهي مستندة الى تمسك

مختلف كتل الحزب بزعامتها الوحيدة القادرة على حفظ وحدة الحزب واستمراره . كما بادرت عدة لجان حزبية من عدة مناطق بالاعراب سلفا عن تأييدها العلني لزعيمة الحزب ورئيسة الحكومة . ففي يوم ١١/٢٧ ، وقبل انعقاد مؤتمر اللجنة المركزية ، أعلن أعضاء لجنة تل أبيب في حزب العمل عزمهم على الوقوف الى جانب مائير في اجتماع اللجنة المركزية التي ستعقد في اليوم التالي . كما قررت لجنة تل أبيب ضمان استمرار مائير في منصبها كرئيسة للحزب وللحكومة المقبلة ، الا أنها أعلنت الى جانب ذلك رغبتها في جعل برنامج الحزب يتلاءم مع الواقع الجديد الناجم عن حرب تشرين . وأيدت كتلة تل أبيب ، مؤتمر قادة الطلبة والعاملين المركزيين من أعضاء الحزب ، الذين دعوا اللجنة المركزية أيضا الى اجراء تعديلات بعيدة المدى في البرنامج الانتخابي عن طريق الغاء وثيقة جاليلي بصورة فورية . كما طالبوا رئيسة الحكومة أن تبدل تمثيل الحزب في الحكومة المقبلة والاعلان عن التشكيلة الجديدة للحكومة قبل الانتخابات(١٢) .

وقبيل انعقاد اللجنة المركزية بساعات ، اجتمعت لجنة مكونة من عشرة أشخاص من زعماء حزب العمل ، يمثلون المجموعات الرئيسية الثلاث ، بغية بلورة موقف سياسي مشترك ، يعرض على اجتماع اللجنة المركزية ، على انه وجهة نظر مشتركة . وكان من بين أعضاء هذه اللجنة الوزراء : بنحاس سابير وزير المالية ، ييجال آلون نائب رئيسة الحكومة ووزير المعارف ، حاييم بارليف وزير التجارة والصناعة وابا ايبن وزير الخارجية . وهؤلاء جميعا يعتبرون من جناح « الحمائم » في الحزب . كما شارك في أعمال هذه اللجنة أيضا الوزيران : موشيه ديان وزير الدفاع وشمعون بيرس وزير النقل المعتبران من جناح « الصقور » في حزب العمل(١٣) .

أقرت لجنة العشرة الخطوط العريضة للبرنامج الانتخابي وعرضته على اجتماع اللجنة الموسع مساء يوم ١٩٧٣/١١/٢٨ . ويبدو ان المسائل الرئيسية التي شغلت بها لجنة العشرة ، كما شغلت فيما بعد اللجنة المركزية ، كانت مستقبل المناطق المحتلة في ضوء نتائج حرب تشرين واحتمالات عقد مؤتمر جنيف للسلام . لذلك فقد انصب اهتمام الاعضاء على وثيقة جاليلي بين المطالبين فورا بالغائها وبين المطالبين باعتمادها في المرحلة المقبلة . فقد وقفت الغالبية في قيادة الحزب الى جانب الوثيقة للحد من النقاشات والاتهامات التي كانت متوقعة ان تثار في وجه قيادة الحزب والحكومة بما في ذلك وزير الدفاع ورئيسة الحكومة ، وللحيلولة دون انفجار الخلافات الشخصية غير المرغوب فيها من قبل الحزب وهو على أعتاب انتخابات الكنيست .

لكل ذلك ، جاء البرنامج الانتخابي السياسي للحزب تعبيرا عن الخلافات العميقة داخل اللجنة المركزية . « فالحمائم » اعتبرته انتصارا لها كما اعتبره الصقور انتصارا لهم في المقابل . وتستند « الحمائم » في رأيها هذا على جملة معطيات في البرنامج الانتخابي السياسي الجديد . ومثال ذلك ان البرنامج لم يأت على ذكر لوثيقة جاليلي ، كما انه خلافا للمبادىء الشفهية التي وجهت مسار الحزب حتى الآن ، لم يأت ذكر للمناطق « الحيوية » لاسرائيل مثل هضبة الجولان وغزة وشرم الشيخ، أو أن نهر الاردن يعتبر حدود اسرائيل الامنية الطبيعية . ففي الوثيقة الجديدة جرى الحديث عن حدود قابلة للدفاع وعن عدم العودة الى خطوط الرابع من حزيران ١٩٦٧ . والامر الوحيد التفصيلي في برنامج الحزب هو **أن القدس الموحدة ستبقى عاصمة اسرائيل** . وباستثناء هذا النص فان الوثيقة الجديدة تشير الى مزيد من المرونة في المفاوضات المحتملة . أما « الصقور » الذين يعتبرون الوثيقة انتصارا لهم ، يستندون الى ذلك على معطيات أخرى من بينها أن الوثيقة لا تزال غير واضحة ، وان التغيير الذي طرأ هو **تغيير في النص فقط وليس تغييرا مبدئيا**(١٤) . غير أن المراقبين والمعلقين في الصحف الاسرائيلية يعتقدون ان « الحمائم »

كانت لهم هذه المرة الكفة الراجحة (معاريف ١٩٧٣/١١/٢٩) ، فلأول مرة تورد في وثيقة رسمية صادرة عن حزب العمل الاسرائيلي عبارة الكيان الفلسطيني ، بالرغم من أن سكرتير حزب العمل أهرون يادلين ، لا يعتبر ذلك اعترافا بالكيان الفلسطيني كما تفهمه منظمات المقاومة الفلسطينية ، بل هو **اقتراح على مؤسسات الحزب لاخذ موقف** من الكيان الفلسطيني . اذ جاء في الوثيقة أن الكيان الفلسطيني والاردن **يمكن** التعبير عنهما في دولة واحدة عربية تقع شرقي دولة اسرائيل(١٥) .

ورغم كل الاجتهادات المختلفة في أوساط حزب العمل والصحافة الاسرائيلية حول ما اذا كانت الوثيقة الجديدة تشكل تراجعا لمصلحة « الحمائم » بالتعبير السياسي ، أم أنها على العكس من ذلك ، فانها تظل باعتراف العديد من الاسرائيليين لم تكرس نهجا سياسيا جديدا للحزب بل تكرس بالفعل مختلف اتجاهات كتل الحزب لتبقى في النهاية قاسما مشتركا بين جميع الاتجاهات والمواقف المتصارعة . فسكرتير حزب العمل ، يادلين يقول بأن المبادىء (وثيقة الاربعة عشر بندا الاخيرة) الجديدة لم تأت لنفي او دعم وثيقة جاليلي وان هذا البرنامج يؤكد الاستنتاجات الاساسية التي تحتمها الظروف ونتائج حرب تشرين ، فهذه المبادىء لم تتطرق الى ما يسمى بالنظرية الشفهية ولم ترسم خرائط(١٦) . وقد جاءت تصريحات جولدا مائير في اختتام اجتماع اللجنة المركزية يوم ١٩٧٣/١٢/٦ لتؤكد ذلك حينما تحدثت عن وثيقة جاليلي بقولها : « ان الوثيقة لم تلق في سلة المهملات ، فاذا توفرت لدينا الاموال ، نستطيع ان نجلس ونقرر ما ينبغي تنفيذه من مخطط العمل الوارد في وثيقة جاليلي ، ولكن اذا كان الاشتراك بمؤتمر جنيف يتطلب الغاء هذه الوثيقة كشرط لتحقيق السلام فدعونا اذن نقترع (على الغائها)(١٧) . اما تعليق ارييه اليف ــ عضو حزب العمل واكثر الحمائم اعتدالا ــ على الوثيقة الجديدة ، فهو يؤكد صحة الاستنتاج بان برنامج حزب العمل الجديد جاء توفيقيا بين مختلف الاتجاهات المتصارعة داخل الحزب . اذ ان اليف الذي يقدم اقتراحا صريحا بالغاء وثيقة جاليلي يقول : « انه بعد جلسة اللجنة المركزية قبل ايام ، بدا ان ثمة مئة تفسير للاربعة عشرا بندا (الوثيقة الجديدة) ومنها تفسيرات متناقضة يراها الذين وضعوا نص الوثيقة ، فبعضهم يقول ان وثيقة جاليلي لا تزال قائمة (!)(١٨) .

ما الذي أسفرت عنه نقاشات حزب العمل

ان أهم النتائج السياسية التي اسفرت عنها نقاشات اللجنة المركزية لحزب العمل ، فيما يتصل بالنزاع العربي ــ الاسرائيلي ، هو البرنامج الانتخابي السياسي الذي سيتقدم على ضوء مرشحو الحزب الى انتخابات الكنيست القادمة ، والذي ستلتزم به الحكومة كمرشد لعملها السياسي ، في حال نجاح الحزب في الانتخابات ، خلال الاربعة اعوام القادمة . وفي هذا البرنامج يؤكد الحزب التزامه بعدم العودة الى حدود الرابع من حزيران عام ١٩٦٧ بل الى حدود يمكن الدفاع عنها ترتكز على حل اقليمي وسط ، كما يؤكد الحزب على وجوب المحافظة على الطابع اليهودي للدولة من اجل تحقيق اهدافها الصهيونية ومهماتها في هجرة واستيعاب يهود العالم . وينص الحزب في برنامجه الانتخابي السياسي على ضرورة ان تكون الصيغة التطبيقية للسلام تعني قيام علاقات طبيعية بين اسرائيل والدول العربية في مختلف الحقول السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وفيما يتعلق باتفاق السلام مع الاردن ينص البرنامج على وجوب قيام دولتين مستقلتين : اسرائيل وعاصمتها القدس الموحدة ، ودولة عربية الى الشرق منها تمكن للهوية الذاتية للفلسطينيين والاردنيين ان تعبر عن نفسها **بسلام** وعلاقات وجوار جيدة مع اسرائيل . والى جانب ذلك يرفض البرنامج قيام دولة عربية فلسطينية منفردة غرب نهر الاردن (في الضفة الغربية وقطاع غزة)(١٩) .

اما النتائج العملية الاخرى التي اسفرت عنها اجتماعات اللجنة المركزية لحزب العمل ، على الصعيد الداخلي الاسرائيلي ، فيمكن اجمالها كما يلي :

١ ــ برزت جولدا مائير كزعيمة قادرة وحدها دون غيرها من قيادة حزب العمل على التوحيد بين مختلف اتجاهاته والمحافظة على وحدته التنظيمية في هذه المرحلة . فبقدر ما ابرزت نقاشات اللجنة اختلاف الاراء وتصارع الاتجاهات ، ابرزت بالقدر نفسه اجماع الكل على اختلافها على التمسك بزعامة مائيرا للحزب وللحكومة القادمة في حال تشكيلها من قبل حزب العمل بعد فوزه في الانتخابات القادمة ، الامر الذي اكد بالضرورة سيطرة الاتجاه « الصقري » في الحزب معززا من قبل سلطة ونفوذ مائير الذي لا ينازع داخل الحزب . وتؤكد ذلك صحيفة معاريف الاسرائيلية بقولها : « ان موقف جولدا مائير ازداد قوة في حزبها على الرغم من التقصير الظاهر والمستتر في حرب يوم الغفران »(٢٠) . وتثني صحيفة دافار قائلة : « ان السيدة مائير تحظى بثقة كافة كتل الحزب (حزب العمل)(٢١) .

٢ ــ اتخذ حزب العمل قرارا ضد مبدأ فتح لوائح المرشحين لانتخابات الكنيست(٢٢) . وهذا يعني بالضرورة منح ثقة الحزب لمرشحيه الذين وضعهم على قائمته الانتخابية قبل حرب تشرين ، دون تبديل في الاسماء او في ترتيبها على القائمة . ان الصيغة العملية لهذا القرار تعني بشكل مباشر نجاح القيادة التقليدية للحزب في الاحتفاظ بمواقعها رغم اتهامات الفشل والتقصير الذي واجهتها داخل الحزب وخارجه .

٣ ــ اتخذ الحزب قرارا بعدم تأجيل انتخابات الكنيست القادمة ، واجرائها في موعدها الجديد الذي حدد يوم ١٩٧٣/٢/٣١(٢٣) . وهذا يعني قطع الطريق على اية محاولة من الاحزاب الاخرى للفوز بقرار من الكنيست يحظى بالاغلبية اللازمة للتأجيل لما يملكه حزب العمل بالاشتراك مع حليفه في الائتلاف العمالي ، حزب المابام ، من أغلبية اصوات اعضاء الكنيست .

٤ ــ ارتبط هذا القرار بصورة مباشرة برفض حزب العمل لامكانية قيام حكومة طوارىء وطنية تضم احزاب المعارضة . وكانت مائير قد رفضت قبل اتخاذ الحزب لقراره بعدم تأجيل الانتخابات ، طلب الحزب الديني القومي (المفدال) تأجيل موعد الانتخابات لمدة عام وتأليف حكومة طوارىء وطنية(٢٤) . فعندما اجتمعت بوزراء المفدال الثلاثة في حكومتها الحالية (وزير الداخلية يوسف بورج ، وزير الاديان زيرح فارهفتيج ، وزير الشؤون الاجتماعية ميخائيل حزاني) ، الحوا عليها بان الوضع الحالي يحتم تأليف حكومة واسعة ، سواء لمواجهة أمكان انعقاد محادثات السلام او لمواجهة اذا لم تعقد . لكن مائير رفضت طلبهم لانها تريد تفويضا سريعا من كنيست لم تنته مدة ولايته لدخول محادثات جنيف . فرئيسة الحكومة تعرف من تجربتها السابقة مع حكومة الائتلاف المنحلة في صيف عام ١٩٧٠ ، ان مثل هذه الحكومة ستكون قيدا على حركتها السياسية وحريتها في المناورة خلال مفاوضات جنيف .

---

١ ــ حصلت قائمة جاحال في الاستفتاء الذي اجرته مؤسسة « بوري » على ٣٢ مقعدا ، اي بزيادة ستة مقاعد . وزاد المركز الحر عدد نوابه من اثنين الى خمسة نواب ، بينما حصل التجمع العمالي على خمسين مقعدا ، اي بخسارة ستة مقاعد (هآرتس ١٩٧٣/٨/٣) .

٢ ــ من ابرز ضباط الاحتياط الذين دخلوا الخدمة الفعلية خلال حرب تشرين وبعدها ، العميد (احتياط) اريك شارون من قائمة التكتل ، والعميد (احتياط) اهارون ياريف من قائمة المعراخ وممثل الجانب الاسرائيلي في مفاوضات الكيلو متر ١٠١ على طريق القاهرة ــ السويس .

٣ — ١٩٧٣/١١/٢٧ . **نشـرة رصـد اذاعة اسرائيل** . عدد ٤٠١ .
٤ — ١٩٧٣/١١/٢٨ . **ر.أ.أ.**
٥ — تصريح مناحيم بيجن زعيم « التكتل » الذي القاه في اجتماع للتكتل في الرملة يوم ١٢/٥/ ١٩٧٣ الذي قال فيه ان الطريق الى السلام ... دون شروط ودون مقابل لن يقرب السلام، بل انه سيسهل على العرب تدمير اسرائيل **ر.أ.أ.** . عدد ٤٠٨ .
٦ — ١٩٧٣/١٢/١ . **ر.أ.أ.** . عدد ٤٠٤ .
٧ — **يديعوت أحرونوت** ١٩٧٣/٨/١٦ .
٨ — **دافار** ١٩٧٣/٦/١٨ .
٩ — ١٩٧٣/١٠/٣٠ . **ر.أ.أ.** . عدد ٣٧٨ .
١٠ — حمل عدد من المتظاهرين امام مقر اجتماعات اللجنة المركزية لحزب العمل بتل ابيب شعارات مكتوب عليها : « لا نريد حرب يوم ديان » ١٩٧٣/١١/٢٨ . **ر.أ.أ.** . عدد ٤٠٢ .
١١ — ١٩٧٣/١١/٢٧ . **ر.أ.أ.** ملحق العدد ٤٠١ .
١٢ — ١٩٧٣/١١/٢٧ . **ر.أ.أ.** . عدد ٤٠١ .
١٣ — ١٩٧٣/١١/٢٨ . **ر.أ.أ.** . عدد ٤٠٢ .
١٤ — **المصدر نفسه** .
١٥ — ١٩٧٣/١١/١٩ . **ر.أ.أ.** . ملحق العدد ٤٠٢ .
١٦ — ١٩٧٣/١١/٢٩ . **ر.أ.أ.** . عدد ٤٠٣ .
١٧ — ١٩٧٣/١٢/٦ **ر.أ.أ.** ملحق العدد ٤٠٨ .
١٨ — ١٩٧٣/١٢/٥ . **ر.أ.أ.** . ملحق العدد ٤٠٧ .
١٩ — **دافار** ١٩٧٣/١١/٢٩ .
٢٠ — **معاريف** ١٩٧٣/١١/٢٧ .
٢١ — **دافار** ١٩٧٣/١١/٢٨ .
٢٢ — ١٩٧٣/١١/٢٨ . **ر.أ.أ.** . ملحق ٤٠٢ .
٢٣ — **المصدر نفسه** .
٢٤ — ١٩٧٣/١١/٢٧ . **ر.أ.أ.** . عدد ٤٠١ .

صدر حديثا عن مركز الابحاث كتاب

القوى السياسية في اسرائيل

١٩٤٨ — ١٩٦٧

بقلم

السيد عليوه حسن

والكتاب عبارة عن رسالة نال عليها الكاتب شهادة الماجستير ، وهو في ستة اقسام تتناول بالشرح والتفصيل السمات الرئيسية للمجتمع الاسرائيلي ، والقوى والمنظمات الدينية ، والهستدروت ، ومجموعة الاحزاب العمالية في اسرائيل ، والكنيست ويتناول القسم السادس والاخير منها المؤسسة العسكرية .

اطلبه من قسم التوزيع في مركز الابحاث — ص.ب ١٦٩١ — بيروت

٢٦٠ صفحة من القطع الكبير بثماني ليرات لبنانية يضاف اليها اجور البريد الجوي : ١ ل.ل. في العالم العربي ، ٢١/٢ ل.ل. في اوروبة ، ٥ ل.ل. في سائر الدول .

العلاقات الاقتصادية بين اسرائيل وافريقيا

انطوان منصور

تحاول هذه الدراسة أن تساهم بتوضيح اهميـــة العلاقات الاقتصادية القائمة بين اسرائيل والقارة الافريقية من خلال ابراز الدور الذي تلعبه في تركيـــز وتدعيم الكيان الصهيوني ، لمواجهة العزلة الخانقة التي تتهدده في المنطقة العربية . ولا بد لاية محاولة جادة أن تضع بالحساب دور اسرائيل كقاعدة للامبريالية في هذه المرحلـــة التي تتميز بمحاولة الامبريالية ايجاد قواعد تساهم في تركيز وتدعيـــم نفوذها بالتصدي لكافـــة التيارات الوطنية والتحريرية والثورية لتحطيمها . كما يتبين ذلك مـــن دور الحارس الامين لمصالح الولايات المتحدة في اميركا اللاتينية الذي تلعبه البرازيل وكذلك جنوب افريقيا وايران وتركيا بالنسبة للمناطق الاخرى .

لذلك تلتقي الجهود الاقتصادية والسياسية التي تبذلها اسرائيل في القارة الافريقية مع جهود كافة القوى الامبريالية كالولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وفرنسا والبرتغال وغيرها . واذا كانت علاقة اسرائيل بافريقيا تكتسب أهمية كبرى من هذه الزاوية لانها تجسد التطور في الوسائل والاساليب التي تعتمدها الامبريالية الجديدة ، الا انها على الصعيد الكمي ما زالت الشريك الصغير للقوى الامبريالية الكبرى المتواجدة في القارة الافريقية .

ولا بد هنا من الاشارة بأن قطع علاقات دول منظمة الوحدة الافريقية الديبلوماسية باسرائيل لا يعني قطع العلاقات الاقتصادية ، فاسرائيل تسلم دولا أخرى الاشراف على مصالحها ، كما حصل بالنسبة للمصالح الاميركية في جمهورية مصر العربية ، التي كانت تشرف عليها سفارة أخرى . ولكن قرار الدول الافريقية قد يكون له بعض الاثر على المصالح الاقتصادية الاسرائيلية في المستقبل . فالتغلغل الاسرائيلي في القارة الافريقية قد يواجه عدة صعوبات تختلف حسب الدول .

أهمية القارة الافريقية من الناحيتين السياسية والاقتصادية

كون اسرائيل محاطة على طول حدودها البرية بالدول العربية ، ولم يبق لها سوى طريقي الجو والبحر للاتصال بدول العالم ولا سيما الافريقية منها . يقول بن غوريون في هذا الشأن : « اننا محاصرون بريا والبحر هو طريقنا الرئيسية للمرور الحر الى يهود العالم وللاتصال بالعالم »(١) . واجهت اسرائيل عدة صعوبات للاتصال بالدول الافريقية وبذلت كل الجهود من أجل ذلك . لهذا اشتركت في حرب السويس في عام ١٩٥٦ من أجل ضمان مرور سفنها والسفن القادمة اليها والسفن المغادرة موانئها في البحر الاحمر ومضائق تيران لان ذلك يشكل قضية حيوية بالنسبة للاقتصاد الاسرائيلي وروابطه مع الدول الافريقية والاسيوية .

ومن جهة أخرى ، تشكل الدول الافريقية أكثر من ثلث أعضاء الامم المتحدة وتعتبر سوقا هاما للمنتوجات الصناعية الاسرائيلية ومصدرا للمواد الخام لاسرائيل . ولا تتمكن اسرائيل من تحقيق الارباح وبيع منتوجاتها الا اذا خرقت أسواق الدول النامية ولا سيما

الافريقية . ويعتمد مستقبل الاقتصاد الاسرائيلي على الروابط الاقتصادية التي تستطيع اقامتها مع الدول الافريقية . فهي تعاني من أزمة اقتصادية ناتجة عن العجز الكبير في ميزان المدفوعات بسبب حجم الواردات الضخم وتعمل على رفع الصادرات لحل هذه الازمة . وهنا تأخذ القارة الافريقية أهمية خاصة ، هذا ما عبر عنـــه بن غوريون في المؤتمر الصهيوني الخامس والعشرين حينما قال : « يعتمد مستقبلنا الاقتصادي وموقفنا الدولي على طبيعة الروابط السياسية والاقتصادية التي ننجح في اقامتهـــا مع الاقطار الافرو ــ أسيوية . وبعد كسب الاصدقاء على نطاق واسع نتمكن من التخلص من جدار الكراهية الذي يحيط بنا من كل جانب »(٢).

ان المحاولات المستمرة التي تقوم بها اسرائيل لايجاد أسواق خارجية لبضائعها هي تحد يهدد في حال فشلها اسرائيل بالاختناق في عزلتها . فكل الجهود التي تبذل لانشاء صناعات مختلفة سوف تذهب هدرا اذا لم تلاق أسواقا تابعة لها في حـــال استمرار القطيعة الاقتصادية مع الدول العربية المحيطة بها . اذا كانت اسرائيل تبني اقتصادها على نمط الانتاج الرأسمالي ، فان استعمار الدول الاخرى (والمتخلفة بشكل خاص) لاستغلال ونهب مواردها شرط لاستمرار نموها .

التغلغل الاسرائيلي في افريقيا

الهستدروت

لم يكتف الهستدروت (اتحاد العمال) باستغلال الطبقة العاملة الاسرائيلية ــ العربية وتمييع نضالها وذلك عبر مساهمة الهستدروت في نشاطات اقتصادية هامة في اسرائيل، بل أكثر من ذلك انه يستخدم كوسيلة بيد حكام اسرائيل من أجـــل التغلغل في الدول الافريقية والدول النامية الاخرى . باسم « القطاع العمالي » او « القطاع التعاوني » يتغلغل الهستدروت في افريقيا ، وبالتالي يفسح المجال للشركات الاسرائيلية الاخرى العامة والخاصة لاستثمار رؤوس الاموال واستغلال ونهب الموارد الطبيعية . وبالنسبة للدول الافريقية الرجعية ، من السهل جدا لها تبرير مساهمة الهستدروت في المشاريع الاقتصادية أمام شعوبها وذلك باخفاء الدور الذي تلعبه اسرائيل كقاعدة للاستعمار في المنطقة ، خاصة ان الشعوب الافريقية عرفت جيدا دور الاستعمار الاميركي خاصة والغربي عامة بنضالها المرير ضد الاستعمار لتحقيق الانتصار والاستقلال الوطني .

يعمل الهستدروت بواسطة مؤسساته الاقتصادية وأهمها السوليل بونيه التي يتركز نشاطها في المشاريع الانشائية ، ومؤسسة مكوروت المائية وشركة « كور » ويعمل أيضا بواسطة معهد الدراسات الافرو ــ الاسيوي .

أ ــ **السوليل بونيه** : تعتبر السوليل بونيه أكبر شركة بناء في اسرائيل ، وقد نفذت عدة مشاريع في العديد من الدول الافريقية ، منها :

ــ انشاء مباني ضخمة للدوائر الحكومية في ساحل العاج وغـــانا وتانزانيا وكينيا واثيوبيا وسيراليون .

ــ بناء الفنادق في نيروبي في كينيا (فندق « هيلتون ») وفي انوغو في نيجيريا (٤ فنادق) وفي لوملي في سيراليون .

ــ انشاء الطرقات في غانا وفي نيجيريا (١٥٠ ميلا من الطرقات) وفي اثيوبيا (انشاء طريق تربط اثيوبيا بكينيا وانشاء ١٢٠ كيلومترا من الطرقات) .

ــ بناء المطارات : في اكرا (غانا) وفي اديس ابابا (اثيوبيا) وفي لونجي (سيراليون) وبناء المرافىء في هرافات وايبادان ولاغوس (نيجيريا) ومرفأ للصيد في ال مينا (غانا).

ـــ بناء الجامعات في ايف (نيجيريا) وفي اديس ابابا (اثيوبيا) وانشاء مبنى للبرلمان في انوغو (نيجيريا) وفي فريتاون (سيراليون)(٢).

هذا وقد بلغ حجم المشاريع التي نفذتها السوليل بونيه بين عام ١٩٥٧ و ١٩٦٩ ، ٥ر١٧٥ مليون دولار منها مبلغ ٠ر٥٠ر١٠٤ ملايين دولار قيمة المشاريع التي نفذت بالاشتراك مع الدول الافريقية . وبلغ حجم المشاريع في قيد التنفيذ يوم ١٩٧٠/١/١ ٤٣ر٦٥ مليون دولار . ونلاحظ أن السوليل بونيه تعمل خاصة في نيجيريا الغربية حيث بلغت قيمة المشاريع المنفذة بين عام ١٩٥٧ و ١٩٦٩ ، ٤٩ر٦٥ مليون دولار . ويتبعها اثيوبيا (١٩٫٤ مليون دولار) ثم ساحل العاج وغانا . وفي ما يلي جدول بحجم المشاريع التي نفذتها السوليل بونيه والتي تعهدت بتنفيذها حسب الدول الافريقية (جدول ١) .

وفيما يخص المؤسسات الاقتصادية الاخرى للهستدروت ، سوف نتعرض لها لاحقا أثناء معالجتنا للوسائل الاخرى للتغلغل الاسرائيلي في افريقيا .

جدول (١)

المشاريع التي نفذتها سوليل بونيه والمشاريع التي تعهدت بتنفيذها
(بملايين الدولارات) : ١٩٥٧ ـــ ١٩٧٠

البلد	المشاريع المنفذة ١٩٥٧—١٩٦٩	سنوات العمل	معدل الانتاج	الاعمال في قيد التنفيذ في ١٩٧٠/١/١
أعمال باشتراك مع الدولة				
غانا	١٧٫٥	٤	٤٫٣٧٥	—
نيجيريا الغربية	٣٥٫٤	١٠	٣٫٥٤٠	—
نيجيريا الشرقية	١٧٫٨	٧	٢٫٥٤٠	—
سيراليون	١٣٫٢٥	٨	١٫٦٥	—
ساحل العاج	٢٠٫٥	٦	٣٫٤٢	٢٫٥٥٠
الشركات الفرعية				
أثيوبيا	١٩٫٤	٧	٢٫٧٧	—
تانزانيا	١٢٫٢	٧	١٫٧٤	٧٫١٠
دجيبوتي	٥٫٥	٧	٠٫٧٨٥	١٫٣٠
نيجيريا الغربية	١٤٫٢٥	٤	٣٫٥٦	١٫٧٢٥
نيجيريا الشرقية	٢٫٤٠	٢	١٫٢	١٧٫٢٠
كينيا	٩٫٥٠	٤	١٫٨٢٥	—
زامبيا	٧٫٣٠	٣	٣٫١٧٠	١٫٩٠
أوغندا	٠٫٢٧	١	٠٫٢٧٠	٩٫٥٣
ساحل العاج	٠٫٢٤	١	٠٫٢٤٠	٢٫٣٥

المصدر: Z. Y. Hershlag, *Israel Africa Cooperation*, Research Project, Progress Report, Tel Aviv 1970.

ب ـــ **معهد الدراسات الافرو ـــ آسيوي** : أنشأ الهستدروت « معهد الدراسات الافرو ـــ آسيوي » في عام ١٩٦٠ في اطار برامج التعاون الاسرائيلي ـــ الافريقي . والهدف المعلن لهذا المعهد هو تدريب الطلاب الاسيويين ـــ الافريقيين في عدة مجالات

(النقابات والزراعة والطب ...) ويتخرج منه ٣٠ الى ٥٠ كادرا كل ثلاثة أو أربعة أشهر . ولكن ما هو الهدف الحقيقي لهذا المعهد ؟

بدأ المعهد بالعمل بمساعدة من اتحاد النقابات الاميركية AFL-CIO في عام ١٩٦٠ تقدر قيمتها بـ ٦٠ ألف دولار ومنحته ايضا ٣٠٠ ألف دولار بين عام ١٩٦٠ و١٩٦٢(٤). والمعروف ان هذا الاتحاد له علاقات وثيقة مع وكالة الاستخبارات الاميركية CIA (٥). هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يحاول المعهد من خلال الحلقات الدراسية والمحاضرات تلقين الطلاب الافريقيين بأفكار جديدة بحيث تخدم الاستراتيجية الاسرائيلية خاصة والامبريالية عامة في دول « العالم الثالث » ، من أجل تحسين سمعة اسرائيل السياسية وتوسيع نفوذها في هذه الدول . وقد عبر لوفر عن ذلك بقوله : « هذه الدروس تحاول تلقينهم (أي الافريقيين) بأفكار جديدة ومواقف جديدة ... لقد تعلم الاسرائيليون أن الاشخاص الذين يتلقون تدريبا في اسرائيل لفترات قصيرة ، عبر دروس شديدة الكثافة والتركيز ، يأخذون معهم صورة عن وضع البلد ، أفضل من الصورة التي تتكون لدى الذين يمكثون في البلد فترة أطول . وبما أن الاتصال مع اسرائيل يأخذ وجها انتقائيا ، فان المتدربين لا يتعرفون الا على أكثر مظاهر الحياة والمجتمع الاسرائيلي اغراء »(٦).

وتتجه أغلبية الدروس الى الكوادر الوسيطة وغير المتخصصة حيث لا يمكن للدول الافريقية الاستفادة الفعلية من كوادرها الذين يتلقون التدريب في اسرائيل . فمثلا من بين ٤٤٨٢ طالبا افريقيا تلقوا تدريبا في اسرائيل بين ١٩٥٨ و ١٩٦٦ ، نجد أن ١٠٣ فقط تلقوا تدريبا في دراسات جامعية فردية (كالهندسة ...) و٣٧ فقط في الاقتصاد والادارة الصناعية . أما القسم الاكبر منهم فكانوا في مجالات الزراعة والنقابات والتنمية المجتمعية(٧).

فالطلاب الافريقيون الذين يتلقون التدريب على الآلات الاسرائيلية وعلى التقنية الاسرائيلية قد يطالبون بلادهم بشراء المعدات والسلع الاسرائيلية وبالتالي يساهم المعهد الافرو ـ آسيوي بتوسيع النفوذ الاسرائيلي في الدول النامية .

ويبين لنا الجدول (٢) عدد الطلاب الافريقيين الذين يتلقون الدروس في اسرائيل بالنسبة لمجموع طلاب « العالم الثالث » وحسب مجال التدريب :

جدول رقم (٢)

الطلاب الافرو ـ اسيويين الذين يتدربون في اسرائيل : ١٩٥٨ ـ ١٩٦٦

مجال التدريب	من افريقيا	المجموع
الزراعة	٨٠٥	٢٢٦٤
التعاونيات والنقابات	٦٦٤	١٠٤٨
ادارة الشباب	٢٨٥	٥٢٩
التنمية المجتمعية	٤٩٣	٧١٢
طب وصحة عامة	٢١١	٢٦٥
تجارة ، نقل ، مال ، صناعة	٣٧	١٥٦
بعثات وحلقات دراسية	٥٣٧	١٦٢٢
دراسات جامعية فردية	١٠٣	٢٣٠
متنوع	١٣٤٨	٢٢٨٤
المجموع	٤٤٨٢	٩٠٧٤

المصدر : L. Laufer, *Israel and the developing countries*, p. 77.

وسائل ربط الاقتصاد الافريقي بالاقتصاد الاسرائيلي

أ ــ انشاء صناعات تستخدم المواد الاولية او النصف مصنعة في اسرائيل : تعمل اسرائيل على انشاء صناعات في الدول الافريقية تستخدم المواد الاولية أو النصف مصنعة والتي مصدرها اسرائيل . والهدف من ذلك هو ربط الصناعات الافريقية بالاقتصاد الاسرائيلي واعتمادها عليه وجني أرباح مرتفعة باستخدام اليد العاملة الافريقية الرخيصة . وفي أكثر الاحيان ، تنشأ شركات مشتركة اسرائيلية ــ افريقية تأخذ اسرائيل على عاتقها مسؤولية التخطيط والادارة وتجهيز المصنع . وتعمل هذه الصناعات خاصة في مجال انتاج المواد البلاستيكية والكيماوية والادوية . هذا وقد أقامت شركة مساهمة اسرائيلية ــ كونغولية مصنعا لانتاج الادوية في ليوبولدفيل في الكونغو ــ كينشاسا . وأقامت شركة مساهمة أخرى اسرائيلية ــ تانزانية مصنعا لانتاج المواد البلاستيكية في دار السلام(٨). وتستخدم هاتان الشركتان المواد الاسرائيلية النصف مصنعة . ومن جهة أخرى تساهم شركتان اسرائيليتان « آسيا ــ تيفا » للادوية وشركة التصدير « ألدا » بنسبة ٥٠ بالمئة من رأسمال شركة اثيوبية « ايفارم » للادوية(٩). وتمون شركة « آسيا ــ تيفا » المصنع الاثيوبي بالمواد الاسرائيلية النصف مصنعة وتقوم بادارة الشركة وتسيير أعمالها ــ يقدر حجم أعمالها بـ ٧٠٠ ألف دولار في البداية .

وفيما يتعلق بالمواد الكيماوية ، أقامت شركتان اسرائيليتان « الدا » وشركة كيماوية مصنعا لانتاج المواد الكيماوية في اوغندا في عام ١٩٧١ ، تستخدم أيضا المواد الاولية الاسرائيلية وبلغت مساهمتها نسبة ٣٣ بالمئة من رأس المال أي ما يوازي قيمة ٣٦ر٤ ألف دولار(١٠).

ان سياسة اسرائيل الاقتصادية في انشاء صناعات في الدول الافريقية ، تستخدم المواد الاولية او النصف مصنعة من اسرائيل، انما هي احدى الوسائل للتغلغل في القارة الافريقية وربط الصناعات الافريقية بالاقتصاد الاسرائيلي .

ب ــ انشاء صناعات واقامة مشاريع زراعية تعتمد لبيع انتاجها على السوق الاسرائيلي : والوسيلة الاخرى لربط اقتصاد دول افريقيا باسرائيل هي انشاء صناعات أو اقامة مشاريع زراعية تعتمد لبيع الانتاج على السوق الاسرائيلي . فمن ناحية الربح الاقتصادي ، تقيم اسرائيل هذه الصناعات حسب احتياجاتها لبعض المواد المصنعة غير المتوفرة في اسرائيل . وتستخدم اذا المواد الاولية المتوفرة في افريقيا لتحويلها وتصنيعها ثم تسويقها في اسرائيل وبالتالي تكون هي الرابحة في النهاية من جراء استخدامها اليد العاملة الافريقية الرخيصة . وفي أغلب الاحيان ، تهتم اسرائيل بالمواد الخشبية وزراعة القطن واللحوم . هذا وقد أقامت مصانع لانتاج الصناديق الخشبية في ساحل العاج لتعبئة الحمضيات الاسرائيلية(١١). وأنشأت شركة « تروموديكس » الاسرائيلية شركة محدودة في كينيا برأسمال مشترك بالتساوي بين البلدين تبلغ قيمته ١٣٥ ألف جنيه استرليني . وتنتج هذه الشركة أيضا صناديق لتعبئة الحمضيات الاسرائيلية(١٢). وقد وقع اتفاق بين حكومة كينيا وشركة « تروموديكس » الاسرائيلية في ١٠ آذار ١٩٦٦ تزود كينيا بموجبه مجلس تسويق الحمضيات الاسرائيلية بأربعة ملايين صندوق لتعبئة الحمضيات سنويا . ويوفر الاتفاق اذا صناعة جديدة لكينيا وصادرات جديدة للاخشاب الكينية وقد تبلغ قيمة الصادرات ١٣٠ الف جنيه استرليني في السنة على أن ترتفع الى ٢٠٠ الف جنيه خلال ٣ سنوات . وصناعة الاخشاب تمتد أيضا الى الكونغو ــ برازافيل حيث أقام الصناعيون الاسرائيليون مصنعا للاخشاب في الـ « بوانت نوار » يسوق انتاجه في اسرائيل(١٣).

ومن جهة أخرى ، ان احتياجات اسرائيل للحوم جعلتها تبحث عن مصادرها خاصة

في الدول النامية حيث تستطيع استثمارها بأسعار رخيصة جدا . هذا وقد تمكنت من استغلالها في ارتريا الواقعة تحت سيطرة اثيوبيا . وفتحت اثيوبيا أبوابها أمام التسلل الاسرائيلي المتمثل بشركة « انكودا » في مجال اللحوم . تعتبر شركة « انكودا » من اكبر الشركات الاسرائيلية في ارتريا . وقد تأسست في عام ١٩٥٢ بعد فترة وجيزة من قيام الاتحاد الفدرالي بين ارتريا واثيوبيا . وقد جاء في نشرة خاصة أصدرتها الحكومة الاثيوبية في حزيران ١٩٥٧ ما يلي : « بدأت شركة انكودا الضخمة أعمالها في ارتريا سنة ١٩٥٢ وهي أكبر شركة لتعبئة اللحوم في ارتريا ، فلها من الآلات الميكانيكية ما يمكنها من انتاج ٣٥ ألف علبة يوميا من اللحم المعبأ ، بالاضافة الى ٣٠٠ طن من اللحم المثلج ، و٣٥٠٠ قطعة من الجلود المدبوغة شهريا . وللشركة مصانع لتحويل فضلات اللحوم والعظام والشحم الى مواد أخرى نافعة . وبامكانياتها التكنيكية الحالية يمكنها ان تنتج يوميا عشرات الاطنان من الشحوم المقطرة التي تلزم لصناعة الصابون ، كما أن العظام والدم تحول الى سماد للارض ، وتنتج هذه المصانع ١٠٠ طن من السماد شهريا . كما أقامت الشركة مصنعا آخر ينتج يوميا طنا ونصف طن من قطع اللحوم التي تزن الواحدة منها كيلوغرام للاستهلاك المحلي . وتعتبر مصانع انكودا من المصانع المهمة للحوم في العالم . ويقع مركزها في أسمرة عاصمة ارتريا وللشركة فروع في اديس ابابا والصومال الفرنسي وتل أبيب وزيوريخ »(١٤) .

هذا ويباع قسم من انتاج هذه الشركة الى اسرائيل . وبالاضافة الى هذه النشرة الرسمية ، فان لشركة « انكودا » مصنعا كبيرا في أسمرة تذبح فيه يوميا ٣٦٠ بقرة تشتريها الشركة بأثمان بخسة من الجزء الغربي من ارتريا . وقد جعلت الحكومة الاثيوبية امتيازات شراء الابقار محصورا بهذه الشركة ، وتنقل اللحوم بالثلاجات الى ميناء « مصوع » ومنها الى اسرائيل . كما يبلغ ما تصدره الشركة من الاسماك المطحونة ٥ آلاف طن سنويا .

أما بالنسبة للزراعة ، تحتاج اسرائيل خاصة الى القطن وقد استثمرت مشاريع كبيرة في اثيوبيا واستطاعت السيطرة في نهاية عام ١٩٦٤ على اكبر شركة زراعية في ارتريا وهي شركة « سيا » الايطالية سابقا . وتمكنت من شراء المشروع عن طريق الحكومة الاثيوبية وتبلغ مساحة هذا المشروع ٥٠ الف فدان وهو يقع بالقرب من الحدود السودانية ، وله ترعة رئيسية تسحب مياهها من نهر القاش . كما يتبع المشروع محلج للقطن وادارة مركزية لمياه الشرب . ويزرع المشروع قطنا ثم يصدر الى اسرائيل بسعر منخفض لاستخدامه في مشاريع صناعية اسرائيلية . ولا بد هنا أن نشير الى أن هذا المشروع يشكل خطرا على عدة مشاريع زراعية سودانية تعتمد في ريها على نهر القاش الذي يربط بين ارتريا ومنطقة « كسلا » السودانية . ان اسرائيل ، من خلال دمج اقتصاد اثيوبيا وارتريا باقتصادها ، تعمل في الوقت نفسه ليس على التغلغل في هذه البلدان فقط بل أكثر ، انها تحاول من وراء ذلك ضرب الاقتصاد العربي كالسودان . وقد أشارت عدة صحف الى هذا الخطر . فقالت جريدة المنار السودانية الصادرة في ١/١/٦٥ : « ان اسرائيل ترتع على بضعة كيلومترات من حدودنا ، تستثمر الاراضي الارترية وتستعمل مياه الانهر نفسها التي نعتمد عليها في السودان ، وهي القاش وبركة والنيل الازرق ، وتزرع الفاكهة وخاصة الموز ، وتربي الماشية لتصديرها الى اسرائيل . واميركا لها قاعدة عسكرية ضخمة في أسمرة ، ومعنى هذا اننا بين فكي أفعى ، اسرائيل واميركا » . ومن جهة أخرى ، بعد أن أشارت الى المدى الذي بلغه التسلل الاسرائيلي في ارتريا ، قالت جريدة الصحافة السودانية الصادرة بتاريخ ١٩٦٤/١٢/٢ : « واجبنا أن ننتبه الى هذا الخطر الاسرائيلي الذي أصبح يهددنا تهديدا مباشرا ، فالسكوت خطأ مهين ، وواجبنا ثانيا اتخاذ خطوات أكثر ايجابية مع الدول التي تتعاون مع اسرائيل وتمهد

لها كل هذه الوسائل لتقيم كل هذه المشاريع »(١٥). وما زالت اسرائيل حتى يومنا هذا تستثمر مشاريع زراعية لانتاج القطن . وقد مددت لها الحكومة الاثيوبية العقد في عام ١٩٧٢ لاستثمار مشروع القطن طيلة ٥ سنوات أخرى(١٦).

ومن جهة اخرى تحتاج اسرائيل الى الحبوب ولا سيما القمح ، فهي تستورد سنويا بقيمة ٢٥٠ مليون دولار من الحبوب وخاصة القمح . ولذلك فهي تأمل من خلال استغلال بعض المشاريع الزراعية في اثيوبيا تأمين ١٠ بالمئة من وارداتها من القمح على الاقل خلال بضع سنوات . هذا وقد بدأت المحادثات بين حكومة اثيوبيا والمسؤولين الاسرائيليين في بداية عام ١٩٧٢ لاقامة مشروع زراعي مشترك اسرائيلي — اثيوبي من أجل زراعة الحبوب . ويعد هذا المشروع من أضخم المشاريع الزراعية التي قد تحصل عليه اسرائيل في اثيوبيا وقد يقام على بعد ١٥٠ كيلومترا جنوب غرب اديس ابابا(١٧). ولكن لم نعرف ما اذا بدأ العمل في هذا المشروع لعدم وجود معلومات عن هذا الشأن .

ان اسرائيل مهتمة للغاية باستثمار مشاريع صناعية كانت او زراعية لتأمين حاجاتها من المواد غير المتوفرة لديها وبسعر رخيص جدا . ويمكنها تحصيل الارباح باستغلالها الدول النامية وخاصة الدول الافريقية وتضطر هذه الدول الاعتماد الكامل على اسرائيل من أجل بيع انتاجها .

ج — **انشاء صناعات واقامة مشاريع زراعية تعتمد على التكنيك الاسرائيلي الحديث (الآلات ، الخبراء ، الفنيين)** : ان التغلغل الاقتصادي في الدول المتخلفة من قبل الدول الرأسمالية الغربية والامبريالية لا يتم فقط باستثمار رؤوس الاموال من أجل نهب الثروات الطبيعية بل هنالك وسائل أخرى تستخدمها الدول الامبريالية بتقديم المساعدات التقنية وبيع الآلات والمعدات لربط الدول المتخلفة بواسطة التكنيك بحيث تجعل هذه الاخيرة مضطرة لان تشتري دائما كل معداتها وآلاتها من الدول الرأسمالية أو تستخدم الفنيين والخبراء الاجانب وبالتالي تكون معتمدة عليها ومرتبطة بها مما يمكن الدول الرأسمالية من السيطرة عليها . هذا هو الاسلوب الذي تعتمده اسرائيل للتغلغل في دول افريقيا . فهي تقيم الصناعات المشتركة واذا كانت في بعض الاحيان تبيع مساهمتها من راس المال الا أنها لا تتخلى عن ادارة الشركة وتجهيزها بالآلات والفنيين والخبراء . والامثلة كثيرة ومتعددة في هذا الشأن .

ففي اوغندا انشأت شركة « كور » الاسرائيلية مصنعا للمواد الكيماوية وزودته بالآلات والمعدات الضرورية لانتاج هذه المواد(١٨). وفي غانا ، ساهمت شركة « الدا » مع شركة اسرائيلية أخرى في بناء منشآت حديثة لمصنع المنيوم الذي قد يحصل على مساعدة فنية من شركة اسرائيلية للابواب والنوافذ مقرها في حيفا . وقد جهز المصنع بآلات مصنوعة في اسرائيل ويقدر انتاج المصنع لعام ١٩٧٢ ما يقارب قيمة نصف مليون دولار(١٩).

أما في ساحل العاج ، فتلعب شركة « اغريدف » التابعة لمؤسسة « مكوروت » المائية دور المستشار والاداري لمؤسسة حكومية « موتورغري » هدفها التخطيط الزراعي(٢٠). وقد وقع منذ اكثر من سنتين عقد جديد بين شركة « اغريدف » وحكومة ساحل العاج تقوم الشركة الاسرائيلية بموجبه بتزويد مزارع في ساحل العاج بالآلات الاتوماتيكية(٢١). وتلعب مؤسسة « مكوروت » ايضا دور المستشار والاداري لمدة ١٠ سنوات في مشاريع مائية نفذتها احدى فروعها وهي شركة « فيرد » ، بين عام ١٩٥٩ و١٩٦٥ في نيجيريا . هذا وقد نفذت الشركة عدة مشاريع في غرب وشرق نيجيريا تبلغ تكاليفها ٣٢ مليون دولار . من اهم هذه المشاريع : بناء اربعة سدود و ١٠٠٠ ميل من

الانابيب بحجم مختلف وانشاء محطات ضخ للمياه . وقد نفذت « فيرد » هذه المشاريع بواسطة شركتين نيجيريتين الاولى وهي شركة التنمية للموارد المائية النيجيرية في غرب نيجيريا والثانية وهي شركة التخطيط للماء والبناء في شرق نيجيريا(٢٢) .

وتهيمن اسرائيل ايضا على شركات افريقية اخرى . ذكرت جريدة عل همشمار الاسرائيلية ان الاسطول التجاري في ليبيريا الذي انشأ عام ١٩٦٤ بمساعدة شركة الملاحة الاسرائيلية في حيفا يستعين بالملاحين الاسرائيليين كما ان اسرائيل تملك ٢٥ بالمئة من اسهم شركة الاسطول الليبيري . وقالت ان معظم اعضاء مجلس ادارة شركة الاسطول التجاري في ليبيريا قد اصبحوا من الاسرائيليين برئاسة اهرون روزتفليد وهو صاحب شركة للسفن في حيفا(٢٣) .

اما في غانا ، فقد اسست الشركة الاسرائيلية للنقل وحكومة غانا ، شركة مساهمة وهي شركة النقل البحرية الغانية ــ بلاك ستار ــ وساهمت اسرائيل بنسبة تتراوح بين ٤٠ و ٦٠ بالمئة من اسهم هذه الشركة . ولكن في عام ١٩٦٦ ، باعت الشركة الاسرائيلية اسهمها الى الشركة الغانية على ان تظل هي المستشارة الوحيدة اقتصاديا وفنيا . ولا يمكن ان تبت الشركة الغانية بأي قرار الا بعد ان تأخذ مشورة اسرائيل خاصة وان اغلب الفنيين والاشخاص المهيمنين على الشركة اسرائيليون(٢٤) .

وفي غانا ايضا ، اسست الشركة الاسرائيلية للبناء باشتراك مع احدى المؤسسات الحكومية في غانا ، شركة غانا الوطنية للبناء التي اشترت فيما بعد الاسهم الاسرائيلية لكن هذه الشركة بقيت ايضا تحت سيطرة الخبراء والفنيين والمديرين الاسرائيليين(٢٥) . تستخدم اسرائيل هذه الوسيلة للتغلغل في غانا من خلال عدة مشاريع اقتصادية ، هذا وقد ساعدت ايضا في انشاء معملين للملح في غانا حيث نرى ان جميع المهندسين والفنيين وقسم من المدراء اسرائيليون(٢٦) .

وفي كونغو كينشاسا ، تتعاون شركة اسرائيلية لانتاج الاجهزة الالكترونية « موتورولا » مع شركة محلية من اجل ادارة العمل في مختبر الكتروني وتقديم المساعدة الفنية ــ ومن جهة اخرى انشأت الشركة الاسرائيلية جهاز مواصلات ارض ارض يربط جميع المطارات الكونغولية بعضها ببعض(٢٧) .

المؤسسات المشتركة الاسرائيلية ــ الافريقية واهدافها

تسعى الدول الامبريالية في علاقاتها بالدول المتخلفة ، اما الى استخراج المواد الاولية (المناجم او الزراعة) لتأمين حاجات صناعاتها ، أو لتأسيس عدد من الصناعات في الدول المتخلفة تتحكم بها الدول الامبريالية اولا لانها تملك المواد الاولية او النصف مصنعة التي تحتاج اليها هذه الصناعات . وثانيا لان الانتاج يجد أسواقه في البلدان الامبريالية نفسها .

هذا ينطبق تماما على سياسة اسرائيل الاقتصادية في الدول المتخلفة وخاصة في افريقيا . ففي اغلب الاحيان تعمل الشركات الاسرائيلية بالتعاون مع الشركات المحلية الافريقية او تساهم بالرأسمال ، اذ ان هذا الاسلوب هو جديد من نوعه في ممارسة الدول الامبريالية بالنسبة للدول المتخلفة . وتستخدم الدول الامبريالية ولا سيما اسرائيل هذه الوسيلة لاسباب عديدة ومن اجل تحقيق عدة اهداف . وهي اذ تعتبر نفسها دولة نامية تستخدم هذه الوسيلة بشكل لا يثير حساسيات الافريقيين . ففي عام ١٩٦٣ كان هناك اكثر من ٤٢ مؤسسة ذات رأسمال مختلط اسرائيلي (عام او خاص) وافريقي (عادة عام) . هذا وقد فسرت مجلة الايكونوميست هذه الاساليب الجديدة على الوجه التالي : « بدل أن يطالبوا بالسيطرة على المؤسسة او بامتيازات لفترات

طويلة ، يضع الاسرائيليون كشرط مسبق لاشتراكهم في الشركات الافريقية ان تظل حصتهم اقلية بالنسبة لمجموع الاسهم ويوضع للعقود حد اقصى يصل الى ٥ سنوات ، يستطيع المساهمون المحليون اصحاب الاكثرية ان يشتروا بعده الحصص الاسرائيلية قبل غيرهم من الاطراف الخارجية »(٢٨) .

ويفسر ليوبولد لوفر السياسة الاسرائيلية الاقتصادية في هذا المجال على الشكل التالي : « لقد سمحت المؤسسات المشتركة للشركات الاسرائيلية ان تدخل أسواقا جديدة عبر تثمير رساميل محدودة نسبيا ، وتحت الحماية المتعاطفة لحكومات الدول النامية ، وبما ان الشركات الغربية او الشركات التي يملكها مواطنون قاطنون في الخارج لا تزال تسيطر بشكل عام على الاسواق الافريقية ، كان من الصعب جدا على الشركات الاسرائيلية ان تدخل هذه الاسواق دون مساعدة الرأسمال العام الافريقي(٢٩) .

فبهذه الوسيلة تستخدم الشركات الاسرائيلية الرأسمال الافريقي لاهدافها الخاصة فهي تسيطر في الحقيقة على المؤسسات المشتركة من خلال دورها الاداري والاستشاري ، فهي تقرر نوعية الالات المستخدمة وطريقة الانتاج وحجمه . وبالاضافة الى ذلك ، فانها تحقق الربح الاكبر . ومن ناحية اخرى ، ان الذي يتحمل الخسارة في حالة سوء الاعمال هو البلد الافريقي .

لماذا يقبل الاسرائيليون ان تظل حصتهم اقلية بالنسبة لمجموع الاسهم ؟

فالشركة الاسرائيلية هي التي تمنح الالات والخدمات الفنية والمساعدة التقنية وبالتالي تكون قد وجدت سوقا لبضائعها ، وهكذا تستفيد الشركة الاجنبية (اي الاسرائيلية) بتزويدها بالاليات والخبرة التقنية اذ تصبح مؤهلة اكثر من الشركات المزاحمة الاخرى لنيل عقود جديدة .

ان الرأسمال الاجنبي يرضى ان تبقى حصته محدودة نسبيا ، بل انه يقترح ذلك . لماذا ؟ انه يعلم ان اي مشروع لا يمكن ان ينجح الا بواسطة براءات الاختراع الاجنبية ، والاعتدة الاجنبية (آلات وقطع غيار) و « الرأسمال التقني » الاجنبي . وحتى ان كان الرأسمال المحلي اكثرية في المشروع ، فانه رأسمال مكبل . وقد يكون الاستثمار المختلط الشكل الاسوأ في الاستغلال الامبريالي الجديد لانه يكبل الرأسمال المحلي ولان الرأسمال الوطني يكون بذلك قد فقد قوميته(٣٠) .

دعم الاشركات والاستثمارات الاميركية للتغلغل الاسرائيلي في افريقيا واهدافه

شكل الرأسمال الخارجي في العشرين سنة الاخيرة ٧٥ بالمئة من مجمل الاستثمارات في اسرائيل . هذا ما قاله أخيرا اشير يدلن سكرتير الـ « هفزات اوفديم » للشركة الاسرائيلية للاستثمارات في نيويورك(٣١) .

بالرغم من اهمية الدعم المالي الخارجي لاسرائيل ، لن نتعرض هنا الى دراسة حجم الرساميل والمساعدات الهائلة التي تتلقاها اسرائيل من الامبريالية والصهيونية العالمية بحيث تمكنها من تنفيذ مشاريع اقتصادية في القارة الافريقية ، بل سوف نبين من خلال بعض الامثلة هيمنة الرأس المال الاميركي على شركات اسرائيلية عديدة تعمل في الدول الافريقية — ان الرساميل الاميركية تدعم تغلغل الشركات الاسرائيلية (اسرائيلية بالاسم) وتستخدمها الامبريالية الاميركية للتسلل بواسطتها . وفي المقابل يقول الاسرائيليون : اننا برأس مال محدود ، توصلنا الى كسب صداقة الحكومات الافريقية! وعبر عن ذلك بوضوح ، الاقتصادي الاسرائيلي دافيد هوروفيتش في افتتاح مؤتمر رحوفوت الدولي للنمو الاقتصادي في الدول النامية الذي انعقد في القدس يوم ٥ ايلول

— سبتمبر ١٩٧٣ في وقت كان ينعقد فيه مؤتمر دول عدم الانحياز في الجزائر . وقال هوروفيتش وهو رئيس اللجنة التحضيرية لمؤتمر رحوفوت الذي ضم ممثلين عن ٤٧ دولة نامية : « من الواضح اننا لا نملك المال والمواد لمساعدة هذه الدول — لكننا نملك امرا اخر . هو العلم والمعرفة والخبرة ، ان ما يميز مؤتمر رحوفوت هو اللقاء بين الخبراء والعلماء ورجال السياسة(٣٢) .

لكن رأس المال الاسرائيلي لم يكن ، في الحقيقة ، محدودا ، فقد كان يعتمد على رأس المال الاميركي وعلى رؤوس اموال من اوروبا الغربية . وقد كتب صموئيل ديكالو يقول : « ان الاحتكارات الاميركية وغيرها دعمت المنشآت الاقتصادية المشتركة التي يسهم فيها الرأسمال الاسرائيلي في دول العالم الثالث . فمثلا .. انشاء « فندق العاج » في ابيدجان ، كان وراء اسرائيل فيه مؤسسة الانتركونتيننتال وهي احدى فروع شركة بان اميركان(٣٣) .

وبالاضافة الى ذلك ، فان شركة « موتورولا » الاسرائيلية التي تحدثنا عنها من قبل والتي نفذت عدة مشاريع في العديد من الدول الافريقية (خاصة في كونغو — كينشاسا وغانا واثيوبيا ونيجيريا) هي في الحقيقة شركة تسيطر عليها الشركة الام وهي اميركية . ويساهم في « موتورولا » الاسرائيلية الشركات التالية : موتورولا اوف شيكاغو بنسبة ٦٠ بالمئة من رأس المال ، باسن هولدنغز اوف ازرائيل بنسبة ٢٧ بالمئة من رأس المال ، لفي كاتزبا هولدنغز بنسبة ١٣ بالمئة من رأس المال . هذا وقد تضاعفت صادرات « موتورولا » الاسرائيلية الى القارة الافريقية في عام ١٩٧٠ بالنسبة لعام ١٩٦٩(٣٤) .

ومن جهة اخرى ، تتغلغل المؤسسة الاميركية للتلفون والالكترونيك العالمي في الدول الافريقية بواسطة فرعها في اسرائيل . والجدير بالذكر ان لدى هذه المؤسسة ٥٠ فرعا في انحاء العالم . هذا وقد نفذ الفرع الاسرائيلي عدة مشاريع في القارة الافريقية وخاصة في نيجيريا حيث انشأ محطة ارضية بمساعدة الشركة الام ومشاريع اخرى في الكامرون واثيوبيا وغيرها من الدول . ويصدر الفرع الاسرائيلي منتوجاته الى اثيوبيا ودول افريقية اخرى(٣٥) .

وتتسلل الولايات المتحدة الاميركية الى القارة الافريقية ايضا بواسطة شركة « زيم » اي الشركة الاسرائيلية للملاحة البحرية ، وبواسطة الشركات التابعة للهستدروت . يساهم في شركة « زيم » بالتساوي : اولا « اسرائيل كوربوراسيون » وهي شركة تتلقى الرساميل من اميركا وانكلترا لاستثمارها في مشاريع اقتصادية اسرائيلية . وثانيا تساهم في شركة « زيم » الحكومة الاسرائيلية والوكالة اليهودية والهستدروت ، بنسبة ٥٠ بالمئة .

هذا وقد ساهمت « زيم » في عدة مشاريع في افريقيا ولا سيما في شركة النقل البحرية الغانية — بلاك ستار . كما رأينا من قبل .

اما فيما يتعلق بالشركات التابعة للهستدروت التي تعمل في القارة الافريقية . كـ « السوليل بونيه » و « كور » و « مكوروت » ... فان هذه الشركات ممولة من قبل مؤسسة « امبال » وهي مؤسسة اميركية للاستثمارات .

وبعد كل ذلك ، هل يمكننا التحدث عن رأس مال اسرائيلي محدود او فقط عن رأس مال اسرائيلي ؟ ان الشركات والاستثمارات الاميركية تدعم اسرائيل للتغلغل بواسطتها وتستخدم اسرائيل اذا كأداة للاستعمار الجديد في افريقيا .

« المساعدات » التقنية الاسرائيلية الى الدول الافريقية

تشكل البعثات الفنية الاسرائيلية في افريقيا اهمية خاصة في اطار التغلغل الاسرائيلي في هذه القارة . ان « المساعدات » التقنية للدول المتخلفة تعتبر وسيلة جديدة تستخدمها الامبريالية ووجه اخر لها بهدف استغلال شعوب « العالم الثالث » . هذا وقد ارتفع عدد البعثات الاسرائيلية في القارة الافريقية من ٢٥ بعثة عام ١٩٥٨ الى ٤٠٦ بعثات عام ١٩٦٦ وتتلقى القارة الافريقية نسبة كبيرة من مجمل البعثات الاسرائيلية في الخارج اذ بلغت هذه النسبة ٧٥ر٦ بالمئة عام ١٩٦٤ وتدنت الى ٦٣ر٤ بالمئة عام ١٩٦٦ . ويوضح لنا الجدول التالي (جدول ٣) تطور عدد البعثات الاسرائيلية في افريقيا ونسبتها من مجموع البعثات الاسرائيلية في الخارج في الفترة ما بين ١٩٥٨ — ١٩٦٦ .

جدول (٣)

عدد البعثات الفنية الاسرائيلية في افريقيا ونسبتها المئوية من مجموع البعثات الاسرائيلية في الخارج

السنة	عدد البعثات	النسبة المئوية
١٩٥٨	٢٥	٪ ٦٢٫٥
١٩٥٩	٥١	٦٣٫٧
١٩٦٠	١٢٢	٧٤٫٧
١٩٦١	٢١١	٧٥٫٣
١٩٦٢	٢٦٥	٦٧
١٩٦٣	٤٢٤	٧٧٫٩
١٩٦٤	٥٢٨	٧٥٫٦
١٩٦٥	٤٥٣	٧١٫١
١٩٦٦	٤٠٦	٦٣٫٤

المصدر : ج. كنارك ، **المساعدات النقدية الاسرائيلية الى الدول الافريقية** ١٩٦٩ ، ص ٩٦ .

جدول (٤)

الخبراء الاسرائيليون في الخارج : ١٩٥٨ — ١٩٦٦

مجال العمل	افريقيا	المجموع
الزراعة	٢٦١	٥٢٣
تنظيم الشباب	٢٣٤	٢٥٦
مهندسون	٤٢	٦٤
الطب والصحة العامة	١٧٣	٢٠٢
التربية	١٠٢	١٠٦
التعاون	٢١	٢٤
الادارة	٤٦	٦٣
البناء	٤٩	٦٥
العمل الاجتماعي	٢٢	٢٣
متنوع	٣١١	٤٨٩
المجموع	**١٢٦١**	**١٩١٥**

المصدر : Leopold Laufer, *Op. cit.*, p. 77.

ان البعثات الاسرائيلية في الخارج ولا سيما في افريقيا تلعب دورا هاما في التغلغل الاسرائيلي ، اذ انها بواسطة خبرائها تسهل العمل للشركات الاسرائيلية من اجل نيل عقود جديدة وتساهم في ايجاد اسواق للمنتجات الاسرائيلية ، بل وتربط الاقتصاد الافريقي بها .

ويعمل الخبراء الاسرائيليون في عدة مجالات واهمها الزراعة والطب وتنظيم الشباب الخ ... كما بين لنا الجدول رقم (٤) .

القروض والهبات والاستثمارات الاسرائيلية : مساعدة أم استغلال ؟

ليس لدى اسرائيل برامج مشابهة للولايات المتحدة الاميركية وانكلترا لمنح القروض والهبات الى الدول النامية لانها لم تصل بعد الى مستوى هاتين الدولتين الامبرياليتين ، منحت اسرائيل قروض تقدر من ٢٠ الى ٢٥ مليون دولار الى الدول النامية بين عام١٩٥٨ و ١٩٦٦ . وقد عقدت الاتفاق الاول بخصوص قرض مع غانا في تموز ١٩٥٨ ومنحت ايضا هبات تقدر ببضعة ملايين دولار(٣٦). وفي أغلب الاحيان ، تقدم اسرائيل هذه القروض او الهبات لدعم مشاريع اقتصادية اما تكون فيها شريكة في رأس المال اما تكون مسيطرة عليها بواسطة الفنيين والخبراء الاسرائيليين .

هذا وقد منحت القروض الى بعض الدول الافريقية على النحو التالي(٣٧) : ٨ر٤ ملايين دولار لنيجيريا ، ٤ ملايين دولار لغانا ، ٣ ملايين دولار لليبيريا ، ٥ر١ مليون دولار لساحل العاج ، و ٢٠٠ الف دولار لجمهورية ملاغاسي .

ومقابل هذه القروض لم تكتف اسرائيل بتزويد الدول الافريقية بالالات والمعدات بل انها تطالب بفائدة عالية . فمثلا .. كانت تبلغ الفائدة للقرض الذي منحته اسرائيل لنيجيريا في عام ١٩٦٠ نسبة ٦ بالمئة ! وقد خصص ثلثا القرض للمنطقة الشرقية لنيجيريا : مليون جنيه استرليني لبناء فندقين بواسطة شركة البناء النيجيرية الشرقية التي هي مؤسسة براسمال مختلط يشترك فيه السوليل بونيه وحكومة نيجيريا الشرقية ـ اما بالنسبة للجزء الثاني من القرض الذي منح الى نيجيريا الشرقية والذي يبلغ مليون جنيه استرليني ، قدمت اسرائيل منه مبلغ ٥٠٠ الف جنيه (سيولة) وخصصت ٥٠٠ الف جنيه اخرى لشراء المنتجات الاسرائيلية . واما الجزء الباقي اي مليون جنيه استرليني فقد منح لحكومة نيجيريا الوسطى : نصف هذا المبلغ خصص لمشاريع البناء والموارد المائية في اطار مؤسسات مشتركة اسرائيلية ـ نيجيرية ، والنصف الاخر كان معدا لشراء المنتجات الاسرائيلية(٣٨).

اذا ، هل يمكننا التحدث عن مساعدة اسرائيل للدول الافريقية من اجل تنمية الاقتصاد الافريقي والعمل لمصلحته ؟ كما رأينا ، ان اسرائيل تشترط بمنحها القروض ان تخصص لمشاريع تكون هي مسيطرة عليها او تخصص لشراء الاتها ومنتجاتها ، فتستفيد من هذه القروض لتتغلغل في القارة الافريقية ولتوسيع اسواق منتجاتها .

اما بالنسبة للاستثمارات الاسرائيلية في القارة الافريقية ، فان هدفها هو ، كما رأينا من قبل ، اما ايجاد اسواق للمنتجات الاسرائيلية بانشاء الصناعات التي تستخدم المواد الاولية او النصف مصنعة من اسرائيل ، اما تحقيق ارباح هائلة باستغلال الموارد الطبيعية للدول الافريقية . والهدف الاخر للاستثمارات الاسرائيلية هو ربط الاقتصاد الافريقي باقتصادها .

بالرغم من انها تعتبر نفسها دولة نامية لاخفاء تغلغلها في القارة الافريقية ، فاسرائيل تعمل لمصلحتها ولاستغلال الموارد الطبيعية لهذه القارة كأي دولة راسمالية اخرى .

وقد اعترفت اسرائيل بهدفها هـذا بواسطة احـد الصناعيين الاسرائيليين « يكوتيل غدرمان » الذي طلب من أصحاب المؤسسات والشركـات الاسرائيلية العمـل لانشاء المصانع في القارة الافريقية . قال ذلك في حديث القاه في نادي الروتاري في تل ابيب يوم ٢٢ ايلول ١٩٦٦ . وأضاف غدرمان بأن ذلك لم يساعد التنمية في الدول الافريقية فقط، بل قد **تستفيد منه اسرائيل اقتصاديا وسياسيا**(٣٩) .

واخيرا الم يكن الرئيس الاميركي جورج واشنطن على حق عندما قال : « انه مـن الحمق ان تنتظر دولة ما مساعدة غير مشروطة من قبل دولة اخرى » ! ويزيد علـى ذلك جون فوستر دالاس بقوله : « ليس للولايات المتحدة اصدقاء ، بل لها مصالح »!!

تأثير الاستثمارات الاسرائيلية على بنية الاقتصاد الافريقي

ان بناء الاقتصاد الوطني يتطلب اعطاء الاولوية للاستثمارات في القطاعات الصناعية الاساسيـة اي في انشاء المعـدات والادوات (الفولاذ ، الالات ، معـدات النقـل ، التراكتورات ...) الضرورية من اجل تكوين القاعدة للتصنيع والتنمية . ولكن ما الذي يحصل بالنسبة للشركات الاسرائيلية العاملة في الـدول الافريقية ؟ تعمل الشركـات الاسرائيلية في الدول الافريقية على انتاج السلع غير الضرورية من اجل تحقيق اكثـر الارباح وربط اقتصاد هذه الدول بالاقتصاد الاسرائيلي الرأسمالي . وبالتالي لم تساهم الاستثمارات الاسرائيلية في التنمية الاقتصادية بل اكثر والاخطر انها تؤثر عـلى البنية الاقتصادية للدول الافريقية بحيث تعرقل تنميتها وتطورها وذلك لكي توسع النشاطات الاقتصادية المفيدة لها . وفي اغلب الاحيان تتجه الاستثمارات نحو الصناعات التي تنتج بضائع معدة للتصدير لربط اقتصادها بالنظـام الرأسمالي العالمي . وبالتالي سيؤدي ذلك في النهاية الى توسيع السوق المحلي الافريقي بامتصاص المزيد من الواردات مـن الدول الغربية الرأسمالية عامة واسرائيل خاصة .

ان نوعية الشركات والمجالات التي تستثمر فيها الرساميل تؤدي الى تشويه البنية الاقتصادية بتضخيم القطاعات غير المنتجة على حساب القطاعات الاساسية . وهذا ما يمنع هذه الدول من تخطي التخلف .

التبادل التجاري بين اسرائيل وافريقيا

يهدف هذا الفصل الى دراسة تطور التبادل التجاري بين اسرائيل والقارة الافريقية ومعالجة التغلغل الاسرائيلي من خلال التجارة الخارجية الاسرائيلية . وسنعالج على حدة مسألة العلاقات الاقتصادية بين اسرائيل وجنوب افريقيا بسبب خصوصية هذه العلاقات .

١ ـ أهمية القارة الافريقية في التجارة الخارجية الاسرائيلية

فيما يتعلق بأهمية القارة الافريقية في التجارة الخارجية الاسرائيلية مع مجمل العالم ، نلاحظ ان القارة الافريقية تعتمد اكثر فأكثر علـى المنتجات والسلع الاسرائيليـة وان اسرائيل تتخلى اكثر فأكثر عن اعتمادها على المواد الافريقية بالنسبة لمجمل وارداتها . هذا وقد ارتفعت نسبة الصادرات الاسرائيلية الى افريقيا بالنسبة لمجموع صادراتها الى العالم من ٣ر٣ بالمئة عام ١٩٦٣ الى ٤ر٣ بالمئة عام ١٩٦٨ والى ٥ بالمئة عام ١٩٧١ . بينما انخفضت نسبة الواردات الاسرائيلية من افريقيا بالنسبة لمجموع وارداتها مـن العالم في السنوات نفسها من ٢ر٣ بالمئة الى ٨ر٢ بالمئة والى ١ر٣ بالمئة ! وهذا يعني ايضا أن الصادرات الاسرائيلية الى القارة الافريقية ترتفع بنسبة أكبر من صادراتها الاجمالية الى العالم وان الواردات من هذه القارة تنخفض بسرعة أكبر مـن مجمـل

وارداتها من العالم . يعطي الجدول التالي (جدول ٥) فكرة واضحة عن التجارة الاسرائيلية مع افريقيا بالنسبة للتجارة مع مجمل العالم اذ انه يبين بوضوح التزايد الكبير للتغلغل الصهيوني في القارة الافريقية في السنوات الاخيرة وخاصة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ .

جدول (٥)

التجارة الاسرائيلية مع القارة الافريقية بالنسبة للتجارة مع مجمل العالم
(بملايين الدولارات)

	١٩٦٣	١٩٦٦	١٩٦٨	١٩٧١
صادرات اسرائيل الى افريقيا	١١٬٥٦٤	١٩٬٥٤٦	٢٧٬٩٤٥	٤٧٬٤٢١
مجموع صادرات اسرائيل الى العالم	٣٥١٬٤٩٤	٥٠٣٬٤٤٤	٦٣٩٬٦٩٠	٩٥٧٬٢٤٩
نسبة الصادرات الى افريقيا/العالم	٪ ٣٬٣	٪ ٣٬٨	٪ ٤٬٣	٪ ٥
واردات اسرائيل من افريقيا	٢٢٬٠١٥	٢٦٬٦٧١	٣٠٬٩٣٩	٢٥٬٢١١
مجموع واردات اسرائيل من العالم	٦٧٣٬٦٠٥	٨٣٤٬٩٤٠	١٠٨٨٬٩٢٣	١٨٠٧٬٦٢٠
نسبة الواردات من افريقيا/العالم	٪ ٣٬٢	٪ ٣٬١	٪ ٢٬٨	٪ ١٬٣

المصدر : *Statistical Abstract of Israel*, 1966, 1969 and 1972

٢ ـ التجارة الخارجية الاسرائيلية مع القارة الافريقية وحسب الدول الافريقية

تعتبر القارة الافريقية مصدرا هاما للمواد الاولية وسوقا متنامية للبضائع والمنتجات ولها اهمية كبيرة بالنسبة للقارات الاخرى . فقد ارتفعت الصادرات الاسرائيلية الى هذه القارة من ١١٫٥ مليون دولار عام ١٩٦٣ الى ١٩٫٥ مليون عام ١٩٦٦ والى ٤٧٫٤ مليون عام ١٩٧١ . وعرفت اسرائيل عجزا في ميزانيتها مع القارة الافريقية حتى عام ١٩٦٨ اذ بلغ ٣ ملايين دولار في هذا العام الا أن هذا الوضع ما لبث أن تغير فأصبحت الصادرات في عام ١٩٧١ ضعفي الواردات تقريبا . بينما لم تعرف الواردات زيادة هامة في السنين العشر الاخيرة ، فقد ارتفعت من ٢٢ مليون دولار عام ١٩٦٣ الى ٢٦٫٦ مليونا فقط عام ١٩٦٦ وانخفضت الى ٢٥٫٢ مليون دولار عام ١٩٧١ ! ويبين الجدول التالي (جدول ٦) حجم التبادل التجاري مع القارة الافريقية بملايين الدولارات .

ان ارتفاع الصادرات الاسرائيلية الى القارة الافريقية يعود الى اتساع أسواق البضائع الاسرائيلية وزيادة الطلب عليها في دول شرق افريقيا والدول الناطقة بالفرنسية وجنوب افريقيا . ويرجع هذا الارتفاع الى عدة اسباب ، منها قرب المسافة بين هذه الدول واسرائيل واغلاق قناة السويس ومنها العلاقات الوثيقة التي توطدها اسرائيل معها . وقد سهلت اسرائيل عمليات التصدير والاستيراد لهذه الدول عبر البحر المتوسط عن طريق ايلات على البحر الاحمر وحيفا وأسدود على البحر المتوسط ومن ثم الى القارة الاوروبية . وقد جاء ذلك بعد الاقتراح الذي حمله وفد اسرائيلي اقتصادي في نهاية شهر آب ١٩٦٧ على اثر جولة قام بها في دول شرقي افريقيا (اثيوبيا وكينيا وأوغندا وزامبيا) . وهذا المشروع الاسرائيلي قد يزيد من اعتماد تجارة افريقيا الشرقية على اسرائيل . كتبت مجلة « جويش اوبزرفر » في أول أيلول ١٩٦٧ حول هذا الموضوع فقالت ان دول افريقيا الشرقية تبدي اهتماما بالبديل الذي قدمته اسرائيل لقناة السويس . لقد كانت هذه الدول أكثر تضررا من غيرها بسبب اغلاق القناة ، فأسعار

الشحن في هذه الدول قد زادت كما ارتفعت أسعار السلع الضرورية التي تستوردها بشكل يفوق طاقة المستهلك المحلي ، هذا بالاضافة الى التعقيدات الناجمة عن طول الرحلات حول رأس الرجاء الصالح والتي أدت الى زيادة تكاليف النقـــل بحوالي ١٥ بالمئة . وأضافت المجلة ان الخطة الاسرائيلية لربط شرق افريقيا بالبحر المتوسط عبر ايلات وحيفا وأسدود ، سوف تحصن اقتصاد شرقي افريقيا ضد أي ضغط من مصر وحلفائها في المستقبل .

جدول (٦)

التجارة الخارجية الاسرائيلية مع القارة الافريقية (بملايين الدولارات)

	الصادرات	الواردات	العجز (ـ) او الفائض (+)
١٩٦٣	١١،٥٦٤	٢٢،٠١٥	ـ ١٠،٤٥١
١٩٦٤	١٢،٧٣٩	٢٧،٤٤٠	ـ ١٤،٧٠١
١٩٦٥	٢١،٤٩٠	٢٧،١٩٢	ـ ٥،٧٠٢
١٩٦٦	١٩،٥٤٦	٢٧،٦٧١	ـ ٧،١٢٥
١٩٦٧	٢٤،٤٢٧	٢٧،٠٨٣	ـ ٢،٦٤٦
١٩٦٨	٢٧،٩٤٥	٣٠،٩٣٩	ـ ٢،٩٩٤
١٩٦٩	٣٤،٢٤٦	٣١،١٣٣	+ ٣،١١٣
١٩٧٠	٤١،٥٤٢	٣٠،١٤١	+ ١١،٤٠١
١٩٧١	٤٧،٤٢١	٢٥،٢١١	+ ٢٢،٢١٠

المصدر : *Statistical Abstract of Israel,* 1964, 66, 69, 72

ان اغلاق قناة السويس وزيادة تكاليف النقل بحوالي ١٥ بالمئة عبر رأس الرجاء الصالح أدى ، بالاضافة الى الاعتماد على الموانىء والمرافىء الاسرائيلية ، الى زيادة حجم واردات افريقيا الشرقية من اسرائيل . وبالاضافة الى ذلك ، نرى ان هذه الدول لها برامج تعاون فني مع اسرائيل . هذا ويقول لوفر : « ان كون أكبر نمو في الصادرات الاسرائيلية هو نمو تلك الصادرات التي تتجه الى الاقطار التي لها برامج تعاون فني مع اسرائيل، ليس طبعا من قبيل الصدفة (مثل اثيوبيا وغانا وكينيا ونيجيريا وأوغندا)»(٤٠).

هذا وتحتل جنوب افريقيا المرتبة الاولى في التجارة الخارجيـــة الاسرائيلية بالنسبة للدول الافريقية الاخرى وتشكل الصادرات الاسرائيلية الى جنوب افريقيا نسبة ٢٠ بالمئة من مجمل صادراتها الى القارة الافريقية في عام ١٩٧١ . اما الواردات فتبلغ حوالي ثلث مجمل واردات اسرائيل من القارة (سنعالج فيما بعد على حدة تجـــارة اسرائيل مع جنوب افريقيا) .

وتأتي اوغندا في المرتبة الثانية بالنسبة لاستهلاك البضائع الاسرائيلية ، فقد بلغ ما استوردته من اسرائيل بالنسبة لمجمل ما تستورده القارة الافريقية ١٦ بالمئة عام ١٩٧١ بينما لم تبلغ الا ١٢ بالمئة عام ١٩٦٨ . هذا وقـــد ارتفعت الصادرات الاسرائيلية الى أوغندا بوتيرة سريعة بعد عام ١٩٦٧ من ١ر٦ مليون دولار في هذا العام الى ٧ر٩ ملايين دولار في عام ١٩٧١ وبلغت قيمة الصادرات خمسة أضعاف الواردات من اوغندا .

اما فيما يتعلق بأثيوبيا التي لها علاقات وثيقة جدا باسرائيل ، فان نسبة الصادرات الاسرائيلية الى هذه الدول (بالنسبة لمجمل صادراتها الى القارة) قد انخفضت بطريقة

استثنائية في عام ١٩٧١ حيث بلغت ٥ر٧ بالمائة بينما كانت تبلغ ١٨ بالمئة عام ١٩٦٨ . وظل الميزان التجاري الاسرائيلي مع اثيوبيا لصالح اسرائيل منذ عام ١٩٦٥ . والجدير بالذكر ان العلاقات الوثيقة بين اسرائيل واثيوبيا بدأت قبل الدول الافريقية الاخرى بسبب الاهمية الاستراتيجية لاثيوبيا وقد عبر السيد عثمان صالح سبتي سكرتير عام هيئة جبهة التحرير الارترية عن هذه العلاقات بقوله : « ان اثيوبيا منحت كل مجالاتنا الاقتصادية للرأسمالية الاسرائيلية واصبحت بلادنا الان المركز الثاني بعد فلسطين المحتلة مجالا حيويا للحركة الصهيونية العالمية »(٤١).

ومن بين الدول الاخرى التي لها أهمية خاصة في الصادرات الاسرائيلية ، كينيا ونيجيريا : الاولى تشتري نسبة ٩ بالمئة من مجمل صادرات اسرائيل الى القارة الافريقية والثانية ١٠ بالمئة . بالنسبة لنيجيريا كان الميزان التجاري منذ ١٩٦٣ حتى يومنا هذا لصالح اسرائيل ، فقيمة الواردات ضئيلة جدا (٣٠ ألف دولار فقط) اما بالنسبة لكينيا فقد بدأ الميزان التجاري يتحول لصالح اسرائيل منذ عام ١٩٦٧ وبلغت الصادرات ٤ أضعاف الواردات في عام ١٩٧١ . (جدول ٧) .

جدول (٧)

التجارة الخارجية الاسرائيلية حسب الدول الافريقية (بالنسبة المئوية)

	الصادرات		الواردات	
	١٩٦٨	١٩٧١	١٩٦٨	١٩٧١
أوغندا	١٢	١٦	٦	٦
أثيوبيا	١٨	٧٫٥	٧	٩
الغابون	٠٫٤٢	٠٫٤٤	١٥	٣
غانا	٧	٧	٦	٣
جنوب افريقيا	٢٠	٢٠	١٧	٣٢
ساحل العاج	٥	٣	١٠	٢
تانزانيا	٤	٣	١	١
ليبيريا	٠٫٤٠٦	٧	٣	١٢
نيجيريا	٨	١١	٠٫٤٠٤	٠٫٤١
كينيا	٩	٩	٤	٤
الدول الاخرى	١٦	١٧	٣٢	٢٨
مجموع الدول الافريقية	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

المصدر : *Statistical Abstract of Israel*, 1969, 1972

وبالنسبة للواردات نلاحظ ان اسرائيل تستورد خاصة من الدول الافريقية التي لم تحتل مرتبة هامة في الصادرات الاسرائيلية (ما عدا جنوب افريقيا) . فمثلا ، كانت تستورد بنسبة ١٥ بالمئة من مجمل وارداتها من القارة من دولة الغابون و٩ بالمئة من ساحل العاج و١٣ بالمئة من ليبيريا عام ٧١ .

تكوين الصادرات والواردات : تحاول اسرائيل ايجاد أسواق في افريقيا تعوضها عن المقاطعة العربية وتسد بعض العجز في ميزانها التجاري البالغ ٤٠٠ مليون دولار تقريبا عام ١٩٦٨ و٨٥٠ مليون دولار عام ١٩٧١ . ويقول صموئيل ديكالو مدير قسم العلوم

السياسية في جامعة « رود ايلند » في الولايات المتحدة « ان الصادرات الاسرائيلية الى افريقيا بالرغم من اصنافها (الاثاث والاسمنت وزيت الصويا) وبالرغم من ضعف حجمها بلغت نسبتها ٥٠ بالمئة من مجموع الصادرات الاسرائيلية من هذه الاصناف . وهناك أصناف أخرى مثل الانابيب العازلة والمنتجات الصيدلية والسجاد ، تستورد افريقيا منها أكثر من ربع مجموع الصادرات الاسرائيلية »(٤٢).

هذا وقد تتكون الصادرات الاسرائيلية الى القارة حسب الصناعات كما أشارت اليها الاحصاءات الاسرائيلية في عام ١٩٧٠ كما يلي(٤٣): منسوجات ١٧ ٪ ، مواد بناء ١٥ ٪ ، مواد كيماوية ١٨ ٪ ، منتجات البلاستيك والمطاط ١٠ ٪ ، معدات للنقل ٦ ٪ . وتشكل هذه المواد المصنعة السلع الرئيسية التي تستوردها الدول الافريقية من اسرائيل . فمثلا استوردت زامبيا من المنسوجات الاسرائيلية بنسبة ٥٨ بالمائة بالنسبة لمجمل وارداتها من اسرائيل في عام ١٩٧٠ . وشكلت المنتجات المعدنية الاسرائيلية نسبة ٥٦ بالمائة و ٣٠ بالمائة من مجمل واردات اوغندا واثيوبيا من اسرائيل. اما فيما يتعلق بالمواد الكيماوية والتي تدخل في صناعة الادوية فبلغت الصادرات الاسرائيلية من هذه المواد الى اثيوبيا وكينيا ونيجيريا نسبة ٢٣ بالمائة و١٧ بالمائة و٢١ بالمائة بالنسبة لمجمل صادراتها لهذه الدول الثلاث . وشكلت منتجات البلاستيك والمطاط نسبة ١٩ و٢١ بالمائة لدول كينيا ونيجيريا(٤٤). وفيما يلي جدول بالمنتجات الرئيسية التي تستوردها بعض الدول الافريقية من اسرائيل وقد أخترنا هذه الدول حسب أهميتها في التبادل التجاري مع اسرائيل لهذه المنتجات (جدول ٨) .

جدول (٨)

الصادرات الاسرائيلية الى دول افريقية حسب المنتجات الرئيسية (بالنسبة المئوية) (١٩٧٠)

	اثيوبيا	اوغندا	كينيا	نيجيريا	زامبيا
منتجات معدنية	٣٠	٥٦	٢٣	—	—
مواد كيماوية ومواد تدخل في صناعة الادوية	٢٣	—	١٧	٢١	١٧
منتجات البلاستيك والمطاط	—	—	١٩	٢١	—
منسوجات وازياء	١٥	—	١٧	٢٥	٥٨
منتجات مختلفة	٣٢	٥٤	٢٤	٣٣	٢٥
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

هذا فيما يخص بالصادرات الاسرائيلية . اما بالنسبة للواردات ، فتشكل افريقيا مصدرا هاما للمواد الاولية التي تدخل في الصناعة التحويلية الاسرائيلية . تستورد اسرائيل من هذه القارة الخشب والقهوة والكاكاو والماس الخام والقطن . فمثلا صناعة الماس وحدها شكلت ٣١ بالمائة من مجمل صادرات اسرائيل الى الخارج في عام ١٩٧١ و٣٧ بالمائة من صادراتها الصناعية (٤٥).

وتستورد اسرائيل القهوة والكاكاو خاصة من الغابون وأوغندا حيث بلغت واردات اسرائيل من حبوب القهوة من أوغندا ما قيمته ١٫٩١٩ مليون دولار أي ما يوازي نسبة ٩٠ بالمائة من مجمل وارداتها من هذه الدولة في عام ١٩٧٠ وتشكل المنتجات الزراعية والغذائية أهم واردات اسرائيل من اثيوبيا ، أي اللحوم والقطن اذ بلغت وارداتها من هذه المنتجات ٩٧ بالمائة بالنسبة لمجمل وارداتها من اثيوبيا .

٣ ــ العلاقات الاقتصادية بين اسرائيل وجنوب افريقيا

تتميز علاقات اسرائيل بجنوب افريقيا بالنسبة لعلاقاتها بالدول الافريقية الاخرى بأنها علاقات دولة رأسمالية عنصرية (اسرائيل) بدولة رأسمالية عنصرية اخرى (جنوب افريقيا) . ولهذا السبب نعالج هذه العلاقات في فصل على حدة .

وكما أشرنا من قبل ، يأخذ التبادل التجاري بين اسرائيل وجنوب افريقيا أهمية خاصة بالنسبة للتجارة الخارجية الاسرائيلية مع القارة الافريقية . يقول « الكتاب السنوي اليهودي الاميركي » (١٩٧٠ : ٥٣٥) ان العلاقات بين البلدين آخذة في التحسن ، ونراه يلاحظ « نجاح (اسبوع اسرائيل) لتشجيع التجارة في جنوب افريقيا في آب ٦٩ الذي عرضت فيه أربعة مخازن حكومية منتجات اسرائيل في فروعها الممتدة في انحاء البلاد كافة » . فقد تضاعفت تقريبا الصادرات الاسرائيلية الى جنوب افريقيا والواردات منها في عام ١٩٧٠ بالنسبة لعام ١٩٦٨ ، اذ بلغت الصادرات ١٠ر٦٨٩ ملايين دولار والواردات ١٠ر٢٢١ ملايين دولار في عام ١٩٧٠ . وأصبح الميزان التجاري لصالح اسرائيل منذ عام ١٩٦٧ كما يبينه الجدول التالي :

جدول (٩)

تجارة اسرائيل مع جنوب افريقيا (بملايين الدولارات)

	الصادرات	الواردات	العجز (ــ) او الفائض (+)
١٩٦٣	٢٠٥٤٩	٤٠٦٥٥	ــ ٢٠١٠٦
١٩٦٤	٢٠١٣٨	٤٠٧٨٨	ــ ٢٠٦٥٠
١٩٦٥	٢٠٧٢٢	٤٠٢٥٨	ــ ١٠٥٣٦
١٩٦٦	٢٠٣١٠	٤٠٤٢٧	ــ ٢٠١١٧
١٩٦٧	٣٠٩٩٦	٣٠٣٢٨	+ ٠٠٦٦٨
١٩٦٨	٥٠٦٦٠	٥٠٢٣٩	+ ٠٠٤٢١
١٩٦٩	٨٠١٨٩	٥٠٨٠٥	+ ٢٠٣٨٤
١٩٧٠	١٠٠٦٨٩	١٠٠٢٢١	+ ٠٠٤٦٨
١٩٧١	٩٠٣٩٨	٨٠٠٨٠	+ ١٠٣١٨

المصدر : *Statistical Abstract of Israel*, 1964, 1966, 1969, 1972.

وبالنسبة للمنتجات التي تدخل في التبادل التجاري بين البلدين ، قال اميتاي بن جوزيف ، مفوض اسرائيل الى جنوب افريقيا في عام ١٩٦٨ : « ان اسرائيل بحاجة الى الصوف والماس الصناعي والمعادن ... وستتمكن اسرائيل من تزويد جنوب افريقيا بالمنسوجات والاقمشة والمواد الكيماوية والصيدلية » (أنباء عن جنوب افريقيا ٣٠ تموز ١٩٦٨) .

وفيما يتعلق بالماس فلم نره يدخل في الاحصاءات الاسرائيلية بالنسبة لوارداتها من جنوب افريقيا . ان ذلك ناتج عن ان اسرائيل تشتري جزءا كبيرا من الماس الخام من جنوب افريقيا بطريقة غير مباشرة . انها تشتريه بنسبة كبيرة (٦٥ ٪) من منظمة البيع المركزية (ومقرها في بلجيكا) التي تسيطر عليها جنوب افريقيا . وتستورد أيضا الماس الخام من ناميبيا (وهي منطقة مستعمرة من قبل جنوب افريقيا) حيث بلغت قيمة ما اشترته في عام ١٩٦٩ بـ ١٠ ملايين دولار تقريبا(٤٦) .

وتشهد العلاقات الاقتصادية نموا خاصا بانشاء الشركات المختلطة وقد ذكرت صحيفة « فرانكفورتر الغمانيه تسايتونغ » الالمانية الغربية ان الشركة الاسرائيلية « جرسون ناجلن » قد أسست شركة جديدة في جوهانسبرغ في جنوب افريقيا مع الشركة الجنوب افريقية « هندلر أند هندلر » تحت أسم شركة « باجلن — هندلر » . وستقوم الشركة في اول الامر ببناء الافران لاغراض صناعية(٤٧) .

تتميز جنوب افريقيا عن الدول الافريقية الاخرى بأنهـا تستثمر أموالا ضخمـة في اسرائيل وتمنح لها المساعدات والهبات . هذا كان هدف الوفد الذي جاء مـن جنوب افريقيا واشترك في مؤتمر الملياردير اليهود في القدس في نيسان ١٩٦٨ . ولدى عودة أعضاء الوفد الى بلادهم شكلوا جمعية تجارية مشتركة برئاسة موريس لوبنز ، من أجل تنمية التبادل التجاري بين البلدين . وبالاضافة الى ذلك ، خففت جنوب افريقيا القيود على الاستثمارات وسمحت للشركات الجنوب افريقية بأن تستثمر حتى ١٤ مليون دولار في اسرائيل . وقد جاء هذا القرار في أعقاب اعتماد قدره ١٤٫٩ مليون دولار من مصلحة الانماء الصناعي في جنوب افريقيا في تموز ١٩٧٠ لزيادة صادرات جنوب افريقيا الى آسرائيل(٤٨) .

ملاحظات حول بعض الفضائح التي اكتشفتها حكومتا تانزانيا وسيراليون

في سيراليون : قررت حكومة سيراليون تشكيل لجنة للتحقيق في المشروعات التي كانت اسرائيل تتولى تنفيذها وحققت فشلها . جاء ذلك في تقرير للخارجية في مصر عام ١٩٦٩ . وهذه المشاريع هي :

— مشروع انشاء فندق سياحي بالقرب من فريتاون تقدمت لاقامته شركة «ديزنجوف» وقد تم بناؤه في يونيو ١٩٦٧ بعد ٧ سنوات من العمل ولم يفتتح حتى الان لنقص شديد في الكثير من لوازمه .

— مشروع انشاء مصنع للاسمنت كان الغرض منه خفض كيس الاسمنت من ٨٠ الى ٧٠ سنتا ولكنه بدلا من أن يحقق خفضا حقق عبئا ماليا لا مبرر له .

— مشروع آخر تعهدت به شركة ديزنجوف أيضا باقامة مصنع لانتاج الابواب والنوافذ المعدنية ، وقد بلغت خسائره في السنوات الثلاث الاخيرة رقما كبيرا .

وقال السيد سياكا ستيفنس رئيس وزراء سيراليـون في خطاب رسمي ما نصه : « ان كثيرا من المشروعات التي قامت بها اسرائيل في سيراليون الحقت الضرر باقتصادنا، وترتبت على هذه المشروعات أضرار جسيمة وذلك اما لانها قامت على غير أساس أو لسوء ادارتها . وقد أنفقت حكومتي الكثير من الاموال الباهظة مساهمة منا في انجاح هذه المشروعات »(٤٩) .

في تانزانيا : ألغت حكومة تانزانيا الاتفاقية الزراعية بينها وبين اسرائيل . فقد رفضت الحكومة رسميا تجديد الاتفاقية المبرمة مع اسرائيل عام ١٩٦٣ لزراعة نحو الف فدان قطن ، والتي انتهى العمل بها في أول هذا الشهـر . وطلبت تانزانيا مـن الخبراء الاسرائيليين تسليم الآلات والمعدات الزراعية ومغادرة البلاد نهائيا . وقد فشلت جميع الجهود التي بذلتها الحكومة الاسرائيلية لتجديد الاتفاقية .

وتستند حكومة تانزانيا في قرارها الى الفشل التام في تنفيـذ المشروع ، الى جانب التصرفات المالية المشبوهة التي كشفها الخبير المحاسب . فقد بلغت جملة الخسائر التي حققها الاسرائيليون نحو ١٥٠ ألف جنيه استرليني خلال السنوات الثلاث الماضية ، وهو نفس المبلغ الذي قدمته اسرائيل كقرض يسدد على سبع سنوات .

وقد انفق الاسرائيليون هذا القرض في المرتبات التي يتقاضاها خبراؤهم ، وفي شراء المعدات والآلات من اسرائيل . وقد اكتشفت تانزانيا ان الخبـــراء الاسرائيليين الذين يتقاضى كل منهم ٢٨٠ جنيها استرلينيا شهريا لا يحملون سوى مؤهلات متوسطة لا تزيد عن دبلومات الزراعة الثانوية .

وهذه المعلومات التي اتضحت ان اسرائيل كانت تعلم ان مشروعها الزراعي ليس مشروعا اقتصاديا ، وانما يهدف الى اساءة العلاقات بين تانزانيا والجمهورية العربية المتحدة . وقد اعترف أحد الاسرائيليين ان الغرض الخفي لهذا المشروع هو اثارة جو معين حول اتفاقية مياه النيل التي تربط تانزانيا والجمهورية العربية المتحدة باستخدام كميات كبيرة من بحيرة فيكتوريا .

ملاحق للدراسة

تجارة اسرائيل مع نيجيريا (بملايين الدولارات)

	الصادرات	الواردات	العجز (—) او الفائض (+)
١٩٦٣	١٬٩٤٣	٠٬١١٤	+ ١٬٨٢٩
١٩٦٤	١٬٧٩٩	٠٬٢٩٠	+ ١٬٥٠٩
١٩٦٥	٢٬٥٢٠	٠٬١٠٥	+ ٢٬٤١٥
١٩٦٦	٢٬٩٦٠	٠٬٠٥١	+ ٢٬٩٠٩
١٩٦٧	٢٬٥٣٨	٠٬٠٨٥	+ ٢٬٤٥٣
١٩٦٨	٢٬١٢٠	٠٬٠١٤	+ ٢٬١٠٦
١٩٦٩	٢٬٥٧٥	٠٬٠٣٢	+ ٢٬٥٤٣
١٩٧٠	٣٬٥٨٥	٠٬٠٤٠	+ ٣٬٥٤٥
١٩٧١	٤٬٩٥٠	٠٬٠٣٠	+ ٤٬٩٢٠

تجارة اسرائيل مع غانا (بملايين الدولارات)

	الصادرات	الواردات	العجز (—) او الفائض (+)
١٩٦٣	١٬٦١٥	١٬٢٠٧	+ ٠٬٤٠٨
١٩٦٤	٣٬٢٩٢	٠٬٩٥٤	+ ٢٬٣٣٨
١٩٦٥	٥٬٣٤٨	٠٬٨٧٥	+ ٤٬٤٧٣
١٩٦٦	٤٬٩٣٧	٠٬٦٠٠	+ ٤٬٣٣٧
١٩٦٧	٣٬٨٨٠	٠٬٦٣٩	+ ٣٬٢٤١
١٩٦٨	١٬٩٤٩	١٬٨٣٥	+ ٠٬١١٤
١٩٦٩	١٬٩٠٨	١٬٩٤٠	— ٠٬٠٣٢
١٩٧٠	٢٬١٤٤	٠٬٥٩٤	+ ١٬٥٥٠
١٩٧١	٣٬١٠٣	٠٬٨٤٧	+ ٢٬٢٥٦

تجارة اسرائيل مع أوغندا (بملايين الدولارات)

	الصادرات	الواردات	العجز (—) او الفائض (+)
١٩٦٣	٠٫٠١٧	٠٫٦٤٤	— ٠٫٦٢٧
١٩٦٤	٠٫١٥١	٠٫٤٨٨	— ٠٫٣٣٧
١٩٦٥	٢٫٩٨٩	٠٫٣٦٧	+ ٢٫٦١٣
١٩٦٦	٠٫٤٨٥	١٫٣٩٦	— ٠٫٩١١
١٩٦٧	١٫٦٣٢	٢٫٨٦٩	— ١٫٢٣٧
١٩٦٨	٣٫٥٨٠	١٫٨١٥	+ ١٫٧٦٥
١٩٦٩	٣٫٣٠٣	١٫٨٣٥	+ ١٫٤٦٨
١٩٧٠	٥٫٦١٣	٢٫١٣٧	+ ٣٫٤٧٦
١٩٧١	٧٫٩٥٨	١٫٤٣٥	+ ٦٫٥٢٣

تجارة اسرائيل مع تانزانيا (بملايين الدولارات)

	الصادرات	الواردات	العجز (—) او الفائض (+)
١٩٦٣	٠٫٥١٧	٠٫٠٨٤	+ ٠٫٤٣٣
١٩٦٤	٠٫٩١١	٠٫٤٧١	+ ٠٫٤٤٠
١٩٦٥	١٫١٤٩	٠٫٣٧٩	+ ٠٫٧٧٠
١٩٦٦	١٫١٧٢	٠٫٤٢٨	+ ٠٫٧٤٤
١٩٦٧	٠٫٤٤٧	٠٫٢٧٩	+ ٠٫١٦٨
١٩٦٨	١٫١٥٦	٠٫٤٢٥	+ ٠٫٧٣١
١٩٦٩	١٫٤٤٦	٠٫١٩٣	+ ١٫٢٥٣
١٩٧٠	١٫٩٠٦	٠٫١٣٠	+ ١٫٧٧٦
١٩٧١	١٫٤٠٢	٠٫١٩٧	+ ١٫٢٠٥

تجارة اسرائيل مع اثيوبيا (بملايين الدولارات)

	الصادرات	الواردات	العجز (—) او الفائض (+)
١٩٦٣	١٫٢٢٥	١٫٠٥٧	+ ٠٫١٦٨
١٩٦٤	١٫٢١٤	١٫٣٨٣	— ٠٫١٦٩
١٩٦٥	١٫٦٣٥	٠٫٨٦٤	+ ٠٫٧٧١
١٩٦٦	١٫٧٩٨	١٫٦٠١	+ ٠٫١٩٧
١٩٦٧	٣٫٣٧٤	١٫٤٥٦	+ ١٫٩١٨
١٩٦٨	٤٫٩٥٣	٢٫٠٧٥	+ ٢٫٨٧٨
١٩٦٩	٤٫٢٨٩	١٫٦٩٨	+ ٢٫٥٩١
١٩٧٠	٤٫٣٦٦	١٫٩٩٤	+ ٢٫٣٧٢
١٩٧١	٣٫٥٧٤	٢٫١٩٤	+ ١٫٣٨٠

تجارة اسرائيل مع كينيا (بملايين الدولارات)

	الصادرات	الواردات	العجز (ـ) او الفائض (+)
١٩٦٣	٠٫٥٣٥	٢٫٥٧٣	٢٫٠٣٨ —
١٩٦٤	٠٫٧٣٢	٣٫٦٧٧	٢٫٩٤٥ —
١٩٦٥	١٫١٦٧	١٫٧١٠	٠٫٥٤٣ —
١٩٦٦	١٫٦١٣	١٫٨٢٧	٠٫٢١٤ —
١٩٦٧	٢٫٥١٢	١٫٥٤١	٠٫٩٧١ +
١٩٦٨	٢٫٦٠٣	١٫١٧٦	١٫٤٢٧ +
١٩٦٩	٢٫٩٤٨	٠٫٧٩٠	٢٫١٥٨ +
١٩٧٠	٣٫٦٥٦	١٫١٨١	٢٫٤٧٥ +
١٩٧١	٤٫١٨٧	١٫٠١٢	٣٫١٧٥ +

تجارة اسرائيل مع اوغندا (بآلاف الدولارات)

	١٩٦٩	١٩٧٠
صادرات اسرائيل الى اوغندا :		
منتجات زراعية وغذائية	٥٥	٦٣
مواد كيماوية وصيدلانية	٢٥٨	١٦١
منتجات البلاستيك والمطاط	١٢٠	٢٩٥
خشب وورق	١٩	٦١
منسوجات وألياف	١٦٥	١١٦
سيراميك وزجاج	١٦	٥٨
منتجات معدنية	١٦٨٣	٣١٥٦
آلات وقطعها	١٧٦	١٥٧
منتجات كهربائية والكترونية	٢٠	٨٥
معدات للنقل	٣٢٨	٩٢٨
أدوات تصوير وأدوات فنية	٤٦٧	٥٣٤
المجموع	**٣٣٠٥**	**٥٦١٤**
واردات اسرائيل من اوغندا		
حبوب القهوة	١١٩٧	١٩١٩
بذور السمسم	٨	—
قطن	٦٢٦	٢١٣
مختلفة	٤	٤
المجموع	**١٨٣٥**	**٢١٣٦**

تجارة اسرائيل مع غانـــا (بآلاف الدولارات)

	١٩٦٩	١٩٧٠
صادرات اسرائيل الى غانا		
منتوجات زراعية وغذائية	٢٤٤	٣١٩
مواد كيماوية وصيدلانية	٢١٣	٣٨٢
منتجات البلاستيك والمطاط	٧٣٧	٦٩٦
منتجـات الخشب والورق	٥٦	٢
منســـوجات وازيـــاء	٥٧	٧١
منتجات من الاسمنت والسيراميك	٢٦٣	٥٥
منتجـــات معـــدنيـــة	١٤٣	١٤١
آلات ومعدات	٩٧	١٥٥
معـــدات كهربائية والكترونية	٨٥	٣٩٧
مختلفـــة	١١	٢٣
المجمـــوع	١٩٠٧	٢١٤٥
واردات اسرائيل من غـــانا		
حبـــوب القهـــوة والكاكاو	١٢٩	٣٤٢
التبـــغ	—	٧
الخشـــب	٣٥٨	٢٤٠
مختلفـــة	١٤٥١	٥
المجمـــوع	١٩٣٨	٥٩٤

تجارة اسرائيل مع زامبيا (بآلاف الدولارات)

	١٩٦٩	١٩٧٠
صادرات اسرائيل الى زامبيا		
منتجات زراعية وغذائية	١٢	٦٥
مواد كيماويـــة وصيدلانيـــة	٣٥٣	٥١٤
اطـــارات	—	٩
خشـــب وورق	٩٠	٢٦٢
منســـوجـــات وازيـــاء	٢٢٦٦	١٦٩٧
تركيبـــات صحيـــة	١١	—
مـــاس مصقول وعملات معدنيـــة	٢	٤
منتجـــات معـــدنيـــة	٥٦	١٦٧
آلات ومعدات	٨٧	١٣٦
معـــدات نقل	—	٨
أخشـــاب	٥٢	٣٧
مختلفـــة	٢٧	٢٢
المجموع	٢٩٤٥	٢٩٢٠

واردات اسرائيل من زامبيا		
جلود حيوانات	٢٤	٩
أخشاب	٢٩	—
مختلفة	٣٠٥	٦
المجموع	**٣٥٨**	**١٥**

تجارة اسرائيل مع اثيوبيا (بآلاف الدولارات)

	١٩٦٩	١٩٧٠
صادرات اسرائيل الى اثيوبيا		
منتجات زراعية وغذائية	٣٢٢	٣٤٥
مواد معدنية وكيماوية وصيدلانية	٦٩٢	١٠٢٨
منتجات البلاستيك والمطاط	٣٠٠	٣٣٧
منتجات الخشب والورق	٤١٩	٢٤٣
منسوجات وأزياء	٧٩٧	٦٨٥
بلاط وسيراميك ومنتجات زجاجية	٣٦	٦٤
منتجات معدنية	٤١٨	١٣٠٣
آلات معدت	٢٤٥	١٥٠
منتجات كهربائية والكترونية	٨٩٥	١٦٢
معدات نقل	٥١	٤٦
المجموع	**٤٢٨٥**	**٤٣٦٢**
واردات اسرائيل من اثيوبيا		
منتجات زراعية وغذائية	١٦٢٧	١٩٣١
أخشاب	٤٨	١٥
صوف وشعر	١	١٣
مختلفة	٢٤	٣٩
المجموع	**١٦٩٨**	**١٩٩٨**

تجارة اسرائيل مع نيجيريا (بآلاف الدولارات)

	١٩٦٩	١٩٧٠
صادرات اسرائيل الى نيجيريا		
منتجات زراعية وغذائية	٤٩	٨٥
مواد كيماوية وصيدلانية	٥٤٤	٧٤٧
منتجات بلاستيك ومطاط	١٠١٩	٧٤٩
خشب وورق	٨	٨٥
منسوجات وازياء	٥٩٦	٩١٢
منتجات من الاسمنت والسيراميك	١١	١٠٣

آلات ومعدات	٦٤	١٥٠
معدات كهربائية والكترونية	٩٨	٢٧١
معدات نقل	٣٠	٢٤٠
المجمـــوع	**٢٥٧٤**	**٣٥٨٥**
واردات اسرائيل من نيجيريا		
كاكاو	٣١	١٠
صفائح لصناعة الخشب المعاكس	—	٢٥
مختلفـــة	١	٥
المجموع	**٣٢**	**٤٠**

تجارة اسرائيل مع تانزانيا (بآلاف الدولارات)

	١٩٦٩	١٩٧٠
صادرات اسرائيل الى تانزانيا		
منتجـــات زراعية وغذائية	١٤	٦٣
مواد خفيفـــة	٩	—
مواد كيماوية وصيدلانيـــة	١٨٦	٢١١
منتجـــات البلاســـتيك والمطاط	٣١٤	٢٩٣
منتجات الخشب والورق	١٥٢	٨١٢
منســـوجات وازيـــاء	٢٢٥	١٨٤
منتجات من الاسمنت والسيراميك والزجاج	٥٠	٣٨
منتجـــات معدنيـــة	١٤٨	١٤٥
آلات ومعـــدات	٢٦٩	١٢٥
معدات كهربائية والكترونية	٣٠	١٥
مختلفـــة	٣٤	٤١
المجموع	**١٤٤١**	**١٩٠٢**
واردات اسرائيل من تانزانيا		
مكسرات	—	٦
حبوب القهوة	٥١	٩٢
توابـــل	١٢	٢٨
قطن وألياف	١١٩	—
مختلفـــة	١١	٤
المجمـــوع	**١٩٣**	**١٣٠**

الحواشي :

١ — Ben Gurion, *Rebirth and Destiny of Israel*, p. 310.

٢ — جريدة **البلد** العراقية ، ٦ أيلول ١٩٦٦ .

٣ — *Israel Economist*, June - July 1969 and April 1969.

٤ — L. Laufer, *Israel and the Developping Countries*, New approach to cooperation, p. 48.

٥ — *Tricontinental*, No. 4, 1969: «Irael Mission Imperialiste en Afrique»,p.99.

٦ — L. Laufer, *op. cit.*, p. 49.

٧ — *Op. Cit.*, p. 77.

٨ — *Israel Economist*, June - July 1966

٩ — *Israel Economist*, October - November 1970.

١٠ — *Israel Economist*, December 1971

١١ — *Israel Economist*, June - July 1966

١٢ — جريدة **الحياة** ، ١١ آذار ١٩٦٦ .

١٣ — *Israel Economist*, June - July 1966

١٤ — **ملحق المحرر** ، « فلسطين » ، ٢٣ شباط ١٩٦٧ .

١٥ — **المصدر نفسه** .

١٦ — *Israel Economist*, July 1972.

١٧ — *Israel Economist*, February - March 1972.

١٨ — *Israel Economist*, Feb. - March 1972.

١٩ — **المصدر نفسه** .

٢٠ — *Israel Economist*, June - July 1966

٢١ — *Israel Economist*, December 1970

٢٢ — *Israel Economist*, June - July 1966

٢٣ — جريدة « **فلسطين** » ، ٦ أيلول ١٩٦٦ .

٢٤ — « **الجمهورية** » **العراقية** ، ٣ أيلول ١٩٦٧.

٢٥ — **المصدر نفسه** .

٢٦ — **المصدر نفسه** .

٢٧ — *Israel Economist*, September 1971

٢٨ — *The Economist*, 24/8/1963.

٢٩ — Leopold Laufer, *op cit.*, p. 148.

٣٠ — Pierre Jalée, «*Le Pillage du Tiers-Monde*», Ed. Maspero, p. 91.

٣١ — *Israel Economist*, June 1972.

٣٢ — **نشرة « رصد اذاعة اسرائيل »** ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ٧٣/٩/٥ .

٣٣ — مجلة **الحوادث** ، ١ ايار ١٩٧٠ .

٣٤ — *Israel Economist*, September 1971

٣٥ — *Israel Economist*, November 1971

٣٦ — Laufer, p. 138

٣٧ — *Israel Economist*, 8/1/1966.

٣٨ — Laufer, p. 138 - 139.

٣٩ — *Jerusalem Post*, 23 September 1966.

٤٠ — **الحوادث** ، ١ أيار ١٩٧٠ .

٤١ — **الحياة** ، ٨ نيسان ١٩٦٧ .

٤٢ — **الحوادث** ، ١ أيار ١٩٧٠ .

٤٣ — *Israel Economist*, June 1971

٤٤ — Central Bureau of Statistics, *Imports and Exports*, 1970.

٤٥ — *Statistical Abstract of Israel*, 1972, p. 208 - 209.

٤٦ — *Central Bureau of Statistics*, 1968 & 1969 : Imports and Exports.

٤٧ — مجلة **الهدف** اللبنانية ، ١٢ أيلول ١٩٧٠ .

٤٨ — *Christian Science Monitor*, 5/6/1970.

٤٩ — **الاهرام** ، ٩ حزيران ١٩٦٩ ، تقرير للخارجية في مصر .

العصافير تبني أعشاشها بين الأصابع

[مسرحية شعرية في خمس لوحات]

معين بسيسو

يسر « شؤون فلسطينية » أن تنشر هذه القصيدة الدرامية للشاعر الفلسطيني المعروف معين بسيسو . ونحن لا نقدم هذه المسرحية بقدر ما نرحب بها . انهـا صراع القدم المعلقة بين الهواء والتراب في رحلة وصول طويلة . « من ليس له قدم .. ليس له أرض » . ولا يكون الوصول الا بالمسيرة .. بالثورة .

ليس بمقدور أية قوة أن تفصـم هذه العلاقة بين القدم ـــ الرمز وبين الارض ـــ الوطن ، « ماذا يفصل قدمي عن الارض ؟ لو شريان حبيبي حبل يفصلني عـن هذي الارض ، فسأقطع شريان حبيبي » .

انها ليست قصيدة مرحلة ما في صراع الفلسطيني من أجل البلوغ . ولكنها نشيد الحلم الفلسطيني والعشق الفلسطيني . ماذا يريد الشاعر ؟ ماذا يطلب ؟ ليست هذه الاسئلـة بذات جدوى . الشاعر لا يقدم حلا ، لانها ليست مهمته . الشاعر يغذي الحلم والرؤيا ؛ ويصرخ: « دقي يا قدمي جرس الارض .. دقي .. دقي » .

انه يخوض صراع القدم في وجه ما يعيق مسيرتها ووصولها الى التجسيد الكامل ، الى الارض ـــ الوطن ، بشاعرية صافية وحركة غنية بالتوتر .

اللوحة الاولى

[● الخشبة — نصف اضاءة — ضـــوء بروجكتور يسقط فوق وجه امرأة ممددة فوق سرير . ضوء البروجكتور فوق ساقها اليسرى الملفوفة بالجبس والمعلقة بحبل . ثم ضـــوء البروجكتور فوق ساقها اليمنى في الاربطة . من السقف فوق رأس المرأة يتدلى منشار — رقاص ساعة — ضـــوء البروجكتور ثانية فوق وجه المرأة. تغطي وجهها بيديها الملفوفتين بالشاش. ترفع رأسها ، تدور بعينيها في الحجرة كأنها تراها لاول مرة ●]

المرأة [في صوت مبحوح كأنها تحدث نفسها]
— صوتي ... صوتي
صوتي أين ؟
هل صوتي ملفوف بالقطن هو الآخر ؟
صوتي لفوه بالاربطة البيضاء ؟
صوتي ، لغتي ، ذاكرتي ، قدمي ...
[تحاول أن تمد يديهـــا لساقها اليسرى ، الاربطة فوق صدرها تشدها ، تعض بأسنانها يديها المربوطتين بالشاش]
— قدمي كانت حبلى
ماذا ولدت قدمي ؟
حجرا أم سمكة ؟
لا أرى حجرا في الاربطة البيضاء ولا سمكه .
[تصرخ]
شقوا ساقي .
قالوا ، لن تحبل قدمي بعد الآن .
من يعطي قدمي نطفه ؟
من يتزوج ساقي ؟
من يتزوج ساقا في الاربطة البيضاء ...؟
[ترفع رأسها الى أعلى]
لو يسقط هذا المنشار. كنت أشق به قدمي...
يخرج طفلي .
يا طفلا يولد من قدمي .
يا طفلا صبوا الاسمنت على وجهه
لم لا يصعد صوتك من تحت القطن ؟
[تصرخ]
لم لا يصعد صوتك من تحت القطن ؟
[من الكوليس الايمن يندفع رجل — في صورة ممرض — لحجرة المرأة ، وهي تحاول قطع الاربطة التي تشد صدرها للسرير]

الممرض ● شامه . شامه .

المرأة — هل هذا هو اسمي ؟

[تتحسس خديها]
اسمي شامه
كان على خدي شامه
هل عصفور سقط على خدي والتقط الشامة ؛
حبة قمح سوداء ؟
[للممرض]
كيف وصلت الى هذي الزنزانه ؟

الممرض ● ما زلت تعانين من الغيبوبه .

المرأة — هل دخنت لفافة قطن ؟
كيف وصلت الى هذي الزنزانه ؟

الممرض ● انك في حجرة مستشفى .

المرأة — لم لا تكسر عن ساقي هذا الجبس ؟

[صوت ميكرفون يرتفع]
[... « من « ليلى » في « جبل التوباد » ، الى « بائعة الزنبق في الرمله » . « فرانك سيناترا » سيغني الليله ... »]
[صوت ميكرفون آخر]
[... « من « طائر نورس » . فوق البحر الميت « لعصافير الجولان » . عصا موسى ستشق البحر الان ... »]

المرأة — عصا موسى أم هذا المنشار ؟

الممرض ● « رقاص الساعة » ، منشار ؟!

المرأة — رقاص الساعة ، والساعة أين ؟
تحت الاربطة البيضاء هي الاخرى ...
لم لا تكسر عن ساقي هذا الاسمنت الابيض ؟

الممرض ● لست طبيبا .

المرأة — من أنت اذن ؟
بل من أنتم ؟
وانا من ؟
[تصرخ]
أنا من ...؟
[تمد يديها تحاول ان تمسك بساقها المعلقة في الحبل ، الممرض يمســـك بيديها ، المرأة

تقاومه . من الكوليس الايسر يدخل رجل في ــ صورة طبيب ــ المرض لا يزال يمسك بيدي المرأة]

الطبيب x دعها .

[يقترب منها]
شامه .

المرأة ــ حتى اسمي لفوه بالقطن وبالشاش
سبعة أعوام وأنا أصرخ ضد القطن
سبعة أعوام تطعمني القطن .

الطبيب x أنا أعرف منك بقدمك .

المرأة ــ أنت . من علق ساقي ؟

الطبيب x انا من علقها ، كي ينقذها ...

المرأة ــ قدمي ليست ضد الارض .

الطبيب x لو لمست قدمك وجه الارض .
سقطت كالورقه .

المرأة ــ لن يسقط غير القطن . أنا ان لم أمش الان ، ستفقد قدمي ، ذاكرة الارض .

الطبيب x لو لمست قدمك وجه الارض . تسقط كالقشه . وسيخرج من تحت الاربطة البيضاء النمل الابيض . يخرج من تحت القطن . وسيخرج من بين أصابع قدميك ومن أذنيك النحل الابيض . وستصبح ساقك بين النمل الابيض والنحل الابيض . سيجر النمل الابيض من قدمك اصبع . ويمص النحل الابيض من قدمك اصبع .

المرأة ــ طول الوقت وأنت تهددني بالصوت وبالصوره

سبعة أعوام ، أسنانك في ساقي المكسوره .
النمل الابيض والنحل الابيض والاسمنت الابيض ، خذ كل الالوان البيضاء . أولا يسقط فوق الارض ، شيء غير القطن وغير الثلج وغير المطر الابيض ؟. تعبت عيناي من اللون الابيض. حتى الشمس . صارت كرة من قطن . حتى دود القز . لا يغزل غير خيوط حرير بيضاء ..؟!

الطبيب x ماذا لو أعطيتك فرشاة ، علبة الوان ؟

المرأة ــ ماذا أفعل بالفرشاة وبالالوان ؟
تعبت كفي من رسم خرائط وطني

الممرض [للطبيب]
● هل أحقنها ؟

الطبيب x شامه .

المرأة [كمن تحدث نفسها]
ــ الدمعة فوق الخد
كانت دمعه .
وتفحمت الدمعة صارت شامه .
الكأس يدي والقدم العنقود
والجسد زجاجه .
كيف وصلت الى هذي الزنزانه ؟

الطبيب x كنت تقودين السيارة سكرانه
كنت تقودين السيارة ضد جميع قوانين شوارع هذا العالم .

المرأة ــ أنا ضد العالم ؟
أنا من لا تملك في اصبعها خاتم ...

الطبيب x لولاي لقطعوا ساقك بالسكين وبالشوكه

المرأة ــ أنا أعرف تلك السكين وتلك الشوكه
قطعتني كعكه
قطعتني سمكه
[تصرخ]
قطعتني ... قطعتني ... قطعتني ...

الطبيب x شامه

المرأة ــ انك تعرف اسمي ...
لكني لا أعرف أين حذائي ؟
دعني أضع على هذي الارض
قدمي واذبحني من قدمي ...
انك لا تعرف جوع اليد للارض ، وجوع الفم للارض
لكني أعرف لو لمست قدمي الارض
سقطت هذي الاربطة البيضاء
ومشيت على وجه الماء

الممرض ● هل أحقنها ؟

الطبيب x صار لصوتك رائحة اخرى ...

المرأة ــ هذي هي رائحة القطن .
لن يأتي عصفور ويعشش في اذني
لن أبقى في هذي الحجرة يوما آخر ...
[تحاول تقطيع الاربطة فوق صدرها ، الممرض

يمسك بيديها]

● لا بد وأن أحقنها الان .

الطبيب × احقنها
حين امرأة تحبل وتشم النطفه ...
تصبح امرأة خطره .
أعط لها تلك الحقنه .

[المرض ينقض على المرأة ، وصوت المرأة وهو يرتفع]

ـــ النجده . النجده .
النمل الابيض سيجر الورده .
النمل الابيض سيجر الورده .
[اطفاء]

اللوحة الثانية

[حجـــرة مكتب الطبيب . تليفـــون وصحف ومجلات . في صدر الحجرة صورة أشعة كبيرة لساق . فوق الصورة ساعة حائط مربعة بلا عقربين . الطبيب خلف مكتبه ، يقلب بعض الاوراق . المرض يدخل]

الطبيب × كيف هي الان ؟

المرض ● لو في يدها ، عود من كبريت أحرقت الشمس .

الطبيب × ماذا لو في يدها اصبع ديناميت ؟
[ينهض من وراء مكتبه ويتقدم من المرض]
رغم الاعوام السبعة والساق معلقة في الحبل.
ما زالت تحمل في قدميها نطفة هذي الارض .

المرض ● كان علينا أن نضع الساق علـــى السندان ، وأن نطرقها .

الطبيب × نطرقها ماذا ؟
مسمارا ، مجدافا ، آنية زهور
عقرب ساعة حائط .؟

المرض ● ما عاد دم دمها ، صار بحـــيرة أفيون .
[كمن يحدث نفسه]
أنا لن أنسى أبدا ذاك اليوم .
هاجت . خرجت من تحت القطن أظافرها
ضربتني ...
أمسكت بيدها ، وضربت أصابعها فوق الحائط.
دمها سال
جنت وجننت .

كلب أبيض جاء ولا أدري من أين ؟ من تحت وسادتها أم من تحت القطن . لحس الكلب الدم ثم عوى وهوى فوق الارض . سكران من الدم .

الطبيب × الدم يصبح سما ، ان كف عـــن الجريان .
الدم لا يتعتق ـــ كالخمرة ـــ في الشريان ...
هل تفهمني ...؟

المرض ● ماذا افعل ؟

الطبيب × احمل منشارك واتبعني ...

المرض ● أتبعك الى أين ؟
أنت تحطمني . حتى امرأتي صارت ترفضني .
صرت أخدرها لاضاجعها . هل جربت النوم مع امرأة من قبل . والقطن يغطيها .؟
[كمن يحدث نفسه]
لو تعطيني تلـــك المرأة ليله . والقطن يغطي العينين . والقطن يغطي الشفتين . النهدين . الفخذين . ما أجملها امرأة تحت القطن وتحت الاربطة البيضاء .

الطبيب × احمل منشارك واتبعني ...

المرض ● سبعة أعوام كنت أشم القطن على فخذيها وأجن . حين اشم القطن أجن .

الطبيب × حين امرأة تعطي يدها ، تعطي فمها.
لو تلك المرأة أعطتني قدميها ...
فستعطيني فخذيها .

قد بدأ صراخ الثمره
فوق الشجره
[صوت المرأة وهو ينطلق]
ـــ تظهر أو لا تظهر

جذع الشجرة ينشق وتظهر ...
قدمي تنشق وتظهر .
تظهر أو لا تظهر ...؟
[اطفاء]

اللوحة الثالثة

[المرأة فوق السرير . ضوء البروجكتور فوق وجهها ، ثم فوق المنشار المتدلي فوق رأسها . المرأة تحاول النهوض ، ثم تتهاوى . المرض يدخل الحجرة وفي يده منشار ويتقدم من سرير المرأة ... تصرخ]
ـــ لا ... لا ... لا ...

المرض [وهو يلوح بالمنشار في وجه المرأة]
● لم لا ...

المرأة [تشرع يديها في وجهه]
ـــ لا ... لا ...

المرض ● سبعة أعوام وأنا لا أسمع منك سوى كلمة « لا » .
[يقترب من ساقها المعلقة ويضع المنشار فوقها والمرأة تحاول أن تمد يدها لتمسك بيديه]

المرض ● شامه
الساق اليسرى صارت كالزائدة الدوديه

المرأة ـــ لا ... لا ...، انك لن تفعل هذا...

المرض ● لو لم أقطعها ، فستنتقل العدوى للساق اليمنى ...
ومن الساق اليمنى ليديك .
ثم الى الرأس
ماذا سوف تقولين الان ؟
الساق اليسرى أم رأسك ؟

القدم أم الرأس ؟

المرأة [تصرخ]
ـــ اخترت الارض .. اخترت الارض ...

المرض ● لو بقيت لك تلك الساق اليمنى ، أنقذت الرأس .
أصبح كالجبل الراسخ بين الكتفين .
شامه .
حتى الرأس محايد .
بين الكتف اليمنى والكتف اليسرى .

المرأة ـــ رأسي ليس كرقاص الساعه
رأسي ليس مذكرة للطقس
مطر حين تشاؤون .
ثلج حين تشاؤون .
لا مطر لا ثلج حين تشاؤون ...
[المرض يضع المنشار فوق الساق اليسرى ، والمرأة تهز ساقها في الحبل وتحاول قطعه]

المرض ● ساقك أصبح كالعنقود
ساقك عنقودي ...
ساقك عنقودي ...

المرأة ـــ رأسي ليس هو الكأس
رأسي ليس هو الكأس ..
[اطفاء]

اللوحة الرابعة

[المنظر نفسه ، حجرة المرأة ، المرأة ممددة فوق السرير ، في حالة اغماء . ملاءة بيضاء تغطيها حتى العنق. المرض الى جانب السرير، يدخل الطبيب ، ويتجه الى سرير المرأة]

الطبيب × تبدو في حالة اغماء

المرض ● كادت من هول الخوف تجن

وأنا لا أدري ، كدت أنا الاخر ، من هول الخوف أجن

كدت أحز الساق .

فقطعت الحبل .

الطبيب × لو لم نقطعه نحن ، ستقطعه هي بالاسنان .

انك لا تعطي بركانا لفراشه

انك تعطيها شمعه .

والدودة لا تعطيها شجرة رمان .

تعطيها رمانه .

هل تسمعني

المرض ● [كمن يحدث نفسه]

تلك الساق . كم كنت أراهـا تهبط تقف على جفني .

ثم تصب الاسمنت على عيني

[يضع يديه على عينيه ويصرخ]

ان لم أقطعها ... قطعتني ...

تلك الساق ...

لن تتركني أغمض عيني

حتى تصبح تحت الرأس وساده .

لكن ها هي ذي الآن بلا حبل .

الطبيب × لن تضع القدم على الارض .

المرض ● كيف ؟

الطبيب × أترك هذا لي ... وتعال معي الآن. لن تقوى ان تفعل شيئا ، وهي بهذي الحاله. اتبعني .

المرض ● سبعة أعوام وأنا أتبعك ، وساق المرأة تتبعني ...

[يخرجان . المرأة تصحو . ترفع عينيها الى أعلى . ترى الحبل لا يزال يتدلى . تنهض وتصرخ]

— ساقي ... ساقي ...

هل جرتها نمله ؟

أم محستها نحله ؟

[تزيح الملاءة ، تنهض ... تمد يديها وتطوق ساقها اليسرى]

المرأة [تجهش]

— صرت معي الآن ...

صرت معي الآن ...

عدت الي الآن .

عالية كنت كرأس النخله . حتى حين الريح تهزك فتميلـين ، فسعفك ، لا يلمس وجـه الارض .

ها أنت معي الآن ...

وانا لي كفان . وسأحميك بهاتين الكفين .

[ترفع رأسها]

يا ساقي اليسرى ، يا قدمي ... الآن خذيني الآن

الى ذاك البستان . الى شجر الرمان .

عاشقة أنا لا فم — من أهوى — فوق فمي...،

لا يد — من أهوى — فوق يدي .

لا دمه فوق دمي ، كالشامة فوق الخد .

يا جرس الرعد .

من علق فوق الخشبة ، نزل من الخشبة ، ناولني تفاحه .

قال : خذيها . واستمعي لي :

« من علقني فوق الخشبة ، فوق الارض . كان يخاف فلو لمست قدمـي الارض . فستتبعني الارض . والفقراء يصيرون ملوك الارض .»

من علق فوق الخشبه . ناولني تفاحه . قال خذيها واستمعي لي :

« ... لا يعرفني من يوقد تحت الخشبة شمعه. يعرفني من يقلع من كفي أو من قدمي مسمارا. الاعداء يدقـون مسامرا والعشاق يدقـون شموعا . وأنا فوق الخشبـه . أبصق فوق المسمار وفوق الخشبه . من يعشقني وأنا فوق الخشبه . ويصيح أبي . ليس هو ابني . من ينزلني من فوق الخشبة هو ابني . هو وطني.»

[تصرخ]

من علق فوق الخشبة ناولنـي تفاحه . قال خذيها . « من سوف يعلـق جرسا في قدمي فليتبعني . فليتبعني . فليتبعني » .

[تتهاوى فوق السرير . يدخل الطبيب والمرض وهو يدفع أمامه كرسيا ذا عجلتين . والطبيب وهو يتقدم من المرأة]

الطبيب × شامه .

ما عادت ساقك في الحبل معلقة، كيف هي الآن؟

المرأة ــ لم هذا الكرسي ؟

الطبيب × الكرسي صديق . والكرسي طريق . من غير الكرسي ، فكيف تسيرين على الارض ؟.

المرأة ــ تدمي عطشى .

الطبيب × سيقودك هذا الكرسي الى النهر .

المرأة ــ لم لا تعطيني بدل الكرسي حذاء ...؟

[المرض يتقدم من سرير المرأة]

المرض ● سبعة أعوام ، كرسيك كيس من رمل ، مائدتك صخره .

ورغيفك كان سحابه . أنا أعطيك الآن رغيفا .

المرأة ــ من أنت ؟

المرض ● أنا سائق هذا الكرسي .

[ينقض عليها ، يحاول ان يحملها من السرير ويضعها فوق الكرسي]

الطبيب × دعها .

[يقترب منها]

شامه .

المرأة ــ صارت قطرة حبر فوق الخد الشامه.

الطبيب × الكرسي هو المجداف .

المرأة [تصرخ]

لا ... ساقي مجدافي ، تدمي الزورق .

[تحاول النهوض ، الطبيب والمرض ينقضان عليها ، ويحملانها من السرير ويضعانها فوق الكرسي ، ويشدونها فوقه بالاربطة ، والمرأة وهي تصرخ ، وقد أصبحت فوق الكرسي] :

ــ هل سوف تجيء الان ؟

الشجرة صارت كرسيا ، والصخرة صارت مائدة ،

هل سوف تجيء الآن ...؟

هل سوف تجيء الآن ...؟

[اطفاء]

اللوحة الخامسة

المقطع الاول

[الحجرة نفسها ، المرأة مربوطة فوق الكرسي ذي العجلتين . المرض خلف الكرسي يدفعه ، المرأة تمسك بالعجلتين وتصرخ] :

المرأة ــ قف . قف .

[يتوقف]

المرض ● ماذا الآن ؟

المرأة ــ لست كسيحه .

المرض ● اسبوع أو اسبوعان وتعتادين عليه

المرأة ــ أعتاد على ماذا ؟

المرض ● تعتادين على هذا الكرسي ...

المرأة ــ سبعة أعوام تربطني فوق سريـــر . تنزلني . تربطني فوق الكرسي وتدفعني ... أين ستربطني ، في العام التاسع او في العام العاشر ؟

المرض ● العام التاســـع والعاشر في جيب طبيب المستشفى .

المرأة ــ ماذا في جيبك أنت ؟

المرض ● في جيبي خمسة اشياء .
رخصة هذا الكرسي .
بوليصة تأمين .
تقرير طبي عن ساقيك .
خارطة شوارع هذي الحجره .
دودة قز .
تغزل خيط حرير أبيض يكفي ليطوق خصر الكرة الارضيه .
ماذا لو أعطيتك ابره ؟.

المرأة ــ ماذا أفعل بالابره ...؟
ماذا سوف أطرز بالخيط الابيض ؟.

المرض ● منديلا أبيض .

المرأة ــ أما أنا فسأجمع شوك الارض وعشب الارض ، وزهر الارض ، وأنسج جورب .

المرض ● في جيبي دودة قز .

المرأة ــ في جيبك ضفدع .
[تصرخ]
في جيبك وحل ...
وحل ... وحل ... وحل
[ينقض عليها ويهزها من كتفيها]

المرض ● شامه ...

المرأة ــ ابعد وحلك عني وارحل ...

المرض ● أنا سائق هذا الكرسي ...
من يملك كرسيا ، سيكون له أرض ...

المرأة ــ أرض في حجم الكرسي ...
قل لي ما هو عرض الكرسي : متر ،
ما هو طول الكرسي : متران ...؟
هل هذي هي أرضي ...
أرض في حجم الكرسي ...؟
حتى أرض الزنزانة أكبر .

المرض ● راحة كفي هي أرضك ، لا توجد لك أرض أخرى. في راحة كفي نهرك ، جبلك ...، كرسيك ... ، علمك ،

المرأة ــ [مقاطعة]
أنا لا أبحث عن علمي ...
أنا أبحث عن قدمي ...
حين على الارض ترفرف قدمي ...
سيرفرف علمي ...
[تصرخ]
قدمي : علمي ...
قدمي : علمي ...
[المرض ، ينقض عليها ... يلطمها فوق خديها ... ويهزها من كتفيها ...]

المرض ● سكرانه ... سكرانه ...

المرأة ــ كيف تجيء زجاجات الخمر الى هذي الزنزانة ...؟
خذ رأسي ،
لكن لن أعطي لك قدمي محبرة ... أبدا ...
لن أعطي جسدي ، خارطة أو ورقة ...
قدمي : علمي ...
ودمي يتبع قدمي ...

المرض ● قدمك كانت قاتلتك طول الوقت
قتلك من أعطاك حذاء ...

المرأة ــ لكن أنت ...
أنت ...
ماذا أعطيت لقدمي ...؟
هذا القطن ...
هذي الاربطة البيضاء ...
بدل النهر ، زجاجة ماء ...
بدل الجبل الكرسي ...
هل جبل جلس على الكرسي ، ولم يتدحرج حجرا رأسه
هل نهر جلس على الكرسي ، ولم يسقط من يده كأسه
هل عصفور سقط على حجر الطاحون ...
كي يلتقط القمح ولم يطحن ...
أي رغيف من ريش تعطيه الطاحون ...؟

المرض ● [يهزها من كتفها]
شامه ...

المرأة ــ لن تصبح وحلا فوق الخد الشامه ...

المرض ● [يهزها]
في جيبي ... دودة قز ...

المرأة ــ [تدفعه بيديهـا ... المربوطتـين بالشاش]
أنا لا أبحث عن علمي ...
أنا أبحث عن قدمي ...
حين على الارض ترفرف قدمي ...

سيعرف علمي ...
أنا لن أعطي لك قدمي ، مجبرة أبدا ...
لن تخصي قدمي أبدا ...
قدمي علمي ...
[تحاول النهوض والاربطة تشدها الى الكرسي]
قدمي علمي ...
من يتبع قدمي ...

أعطيه علمي ...
ستكون له الارض ...
سيكون لمن يتبع قدمي علمي
ستكون له الارض ...
كل الارض
كل الارض ...
[اطفاء]

المقطع الثاني

[مكتب الطبيب .. الطبيب والمرض ...]

الطبيب x كيف هي الآن على الكرسي ...؟

المرض ● تحلم بالجورب قبل العلم ، وتحلم بالشجرة قبل الكرسي ...
لا بد وأن نفعل شيئا ... ،
تحت القطن أظافر قدميها ويديها ... تكبر...
حين أحدق في عينيها ...
صرت أحس بأن رموش العينين أظافر ...
تخدش وجهي ...
تنغرس بوجهي ... ابرا ...
[كمن يحدث نفسه]
النملة تسحب حبة قمح ، عودا من قش فوق الارض
لكن هذي المرأة توشك ان تسحبني
المرأة تحبل من شفتيها
تحبل من نهديها
لو يدها لمست يد من تعشق ، تحبل
لكن هذي المرأة ، تحبل لو لمست قدماها الارض
تحبل من قدميها .

الطبيب x [يتقدم من المرض]
أنت قرأت ملف المرأة ...؟

المرض ● عشرات المرات ...

الطبيب x هل تذكر ما حدث لها في حقل الزيتون ؟
حين اغتصبوها كانت طفله .
ثم رموها في البئر ...
غطوا فمها بالعشب وبالطين ورحلوا ...

كانت تصرخ في قاع البئر .
والمغتصبون ، يشتون القمصان ...
ويبيعون الورد .
كفت تصرخ ، فمها أصبح تحت أظافرها ،
راحت تضرب بأصابعها أحجار البئر ...
كان الفقراء يقولون : قلب الارض يدق .
حجرا ، حجرا ، راحت تصعد من جوف البئر.
تصعد حجرين وتسقط في الماء . تنهض ، تصعد خمسة أحجار ، تسقط في الماء . تصعد عشرة أحجار ، تسقط في الماء .
حتى بلغت فم تلك البئر .
شقت بأصابعها الطين وخرجت .

المرض [يصرخ]
● ماذا بعد ؟. ماذا بعد ؟.

الطبيب x انك لم تر ابدا تلك المرأة عريانه .
لم ترها غير امرأة من قطن .
لم ترها امرأة من ماء .
حين المرأة تعشق ، تنسكب على الارض كنهر .
النهد يصير بحيرة .
والاصبع مجداف .
والفم زورق .
[يسكت لحظة]
تلك المرأة خرجت من جوف البئر .
خرجت عريانه .
من بين أصابع قدميها ، نبتت أشجار ، غطتها بالاوراق .
والمرأة صارت شجره .
صارت تتنقل من حقل اللوز ، الى حقل القمح،

الى حقل الزيتون .
أول من عشق المرأة ، كان الاطفال . الاطفال يحبون المعجزة ،
ولكن الآباء يحبون رغيف الخبز .
بين المعجزة وبين رغيف الخبز . يد تلك المرأة.
انك لم تلمس يوما يدها .

المرض [يصرخ]
● ماذا تطلب مني الآن ؟.
معجزة ، ام خبزا ؟

الطبيب × تلك المرأة عاشت سنوات في قاع البئر .

فمها مملوء بالليل وبالماء .
والارض حذاء القدم العريانه .

المرض ● هذي المرأة تبصق من شفتيها القطن ، وتبصق من قدميها الكرسي .
ماذا أفعل ؟.

الطبيب × لا بد وأن تغتصب المرأة ، لا فوق سرير ، بل فوق الكرسي .
حينئذ ، ستكون لنا المرأة .
اما فوق الكرسي قتيل، أو فوق الكرسي القاتل.
[اطفاء]

المقطع الثالث

[الحجرة . المرأة فوق الكرسي ، تدفع العجلتين بيديها ثم تتوقف]
المرأة [كمن تحدث نفسها]
— طول العمر يداي .
عاشقتان تحبان الارض . . .
كيف تخونان الارض الآن ...؟
أعطتني نطفتها الارض فماذا أعطيت الارض ؟.
علبة كبريت ، شمعه .
أعطتني دمها ، أعطيت لها ، دمعه .
أعطتني غدها ، أعطيت لها الامس .
يا قدمي العاشقة طريق العشق طويله .
شرياني للمصباح فتيله . ودمي الزيت .
[تدفع بيديها عجلتي الكرسي ثم تتوقف]
أنا أدفع ماذا ...؟
سبعة أعوام والدود .
يخرج من قدمي ويعود .
سبعة أعوام يمتص النحل أصابع قدمي .
قدمي فاكهة الارض .
ويدي ماذا ...؟
كأس الارض ...؟
ماذا يفصل قدمي عن الارض ؟..
لو شريان حبيبي ... حبل ، يفصلني عن هذي الارض .
فسأقطع شريان حبيبي ... أقطعه بالاسنان .
[تشد بيديها الاربطة التي تشدها للكرسي ، حبل ينقطع .]
— أنا لست على كرسي ، أعترف عليه .
أعترف بماذا ...؟
أعطاني الكذاب وأعطاني مقطوع الذيل ، وأعطاني مقطوع الرأس .
خاتمه . لا يوجد في الاصبع خاتم . قالوا ، كيف سيعترف بك العالم ؟.
[تشد الحبل الثاني فتقطعه بيديها وأسنانها، دوي جرس انذار ، يدق ... والمرأة تنظر لقدميها وتصرخ]
— هي ذي رائحة الارض تفوح .
يا قدمي شمي الارض .
يا قدمي ، زوجتك حجرا ، زوجتك كيسا من رمل ، زوجتك نهرا ، زوجتك هذي الارض .
[جرس الانذار يدق بعنف . المرأة ترتكز بيديها على قائمتي الكرسي ، وتمد قدمها اليسرى حتى توشك أن تلامس أرض الحجرة ، ترفعها فجأة. وكمن تحدث نفسها]
المرأة — ماذا لو لمست قدمي الارض ؟
من ليس له قدم ، ليس له أرض ...
[المرأة تضع قدمها اليسرى فوق الارض ثم قدمها اليمنى ... وجرس الانذار يواصل رنينه ، مختلطا بدوي بوق عربة الاسعاف]
[صوت ميكرفون يرتفع]
[... « من عصفور . في آنية زهور .

السمكة تنتظر الكمكه »] .
[صوت ميكرفون آخر]
[... من بابلو نيرودا وهو يموت. انتظروا
أوراق التوت ؟؟..]
[صوت ميكرفون ثالث]
[« ... من اصبع اجمل عاشقة في العالم .
أنا أنتظر الخاتم ... »]
[المرأة ترتكز بيديها علـى قائمتي الكرسي ،
وتنهض ، تضرب الارض بقدمها اليسرى ، ثم
بقدمها اليمنى وتصيح] :
ـ هي ذي الارض .
مائدة الفقراء .
يا قدمي كوني ناكهـة الارض ، على مائدة
الفقراء .
[تدفع الكرسي ... وتبدأ خطوتها الاولى .
الطبيب والممرض ، يندفعان اليها]

الطبيب × شامه . شامه .
الارض ... الارض .

المرأة ـ اعطتني نطفتها الارض .
أعطتني يدها ، فمها ... سبعة أعوام وأنا
فوق سريرك ،

الطبيب × أنزلتك وقطعت الحبل .
أعطيتك كرسيا .

المرأة ـ [خطوة ثانية الى الامام]
سكينا ...

الطبيب × دودة قز .

المرأة ـ حبلا ...
[خطوة ثالثة الى الامام]

الممرض [ينقض عليها]
● زانية ...

المرأة [وهي تدفعه]
ـ أنا زوجة هذي الارض .
زوجة هذي الارض .
[خطوة رابعة الى الامام]

الطبيب × أين ستمضين ...؟

المرأة ـ حتى يسقط لحمي ...
يتناثر فوق الارض .
ريشا يصنع منه الفقراء عصافير .
عندئذ سأسير على عظمي ...
حتى يتناثر فوق الارض بحيرات
يصنع منه الفقراء مرايا وشبابيك
[خطوة خامسة الى الامام ...]

الطبيب × شامه ... شامه ...؟

المرأة [خطوة سادسة الى الامام]
ـ حتى لو لم تبق هنالك ارض .
سأقص الجلد وأفرشه ،
وأسير على الجلد .
[خطوة سابعة الى الامام]

الطبيب × ستكونين سجينة جلدك .
[الخطوة الثامنة الى الامام ، والممرض وهو
يندفع الى الكوليس الايمن ويشد حبلا . جرس
الانذار يدق بعنف ، يختلط بدوي بوق عـربة
الاسعاف . ستار ابيض شفـاف يسقط فوق
الخشبة . المرأة خلف الستار ، تندفع هنا
وهناك كأنها تبحث عـن مخرج . وأضـواء
البروجكتورات الحمراء تطاردها]
[المرأة تصرخ]
ـ حتى آخر قدم في الزنزانة قد سرت اليكم
يهرب دمكم من تحت الجلد وتأكلكم .
كالديدان أصابعكم .
ماذا يفصلني عنكم ؟.
حائط قطن ؟
[تتنقل خلف الستار ، وأضواء البروجكتورات
الحمراء تسقط فوقها]
ـ وجهي خلف سحابه .
الكأس يدي والجسد زجاجه
والقدم العنقود .
قدمي جرس الارض .
من يتبع قدمي ، أعطيه جرسي .
دقي يا قدمي ، يا جرس الارض
يا قدمي يا جرس الارض .
ستعشش في أذني عصافير الارض .
ستعشش بين أصابع قدمي عصافير الارض .
دقي يا قدمي يا جرس الارض .
دقي ...
دقي ...
دقي ...
[اطفاء]

دليل الباحثين :
افكار فتح السياسية والعسكرية

(من ١/١/١٩٦٥ حتى ٣١/١٢/١٩٧٢)

اعداد المقدم الهيثم الايوبي

منذ ان اطلقت « فتح » الرصاصة الاولى مفتتحة صفحة جديدة في صفحات نضال الشعب الفلسطيني، ومنذ أن عادت الطلائع الفلسطينية لتمسك زمام قضيتها بكلتا يديها وترفع لواء الكفاح المسلح على اعتباره الوسيلة المثلى لتحرير الوطن ، بدأ اعداء الثورة في الداخل والخارج حملة عسكرية — سياسية — اعلامية تستهدف خنق البدايات الثورية قبل نموها ، وتشويه حقيقة النبتة التي اخترقت الصخر ، والقاء الظلال على اهداف الثورة وغاياتها النبيلة .

وردت حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » على تدابير العدو القمعية وحملاته الاعلامية المضادة بتصعيد عملياتها العسكرية ، وزيادة تلاحمها مع الجماهير الفلسطينية والعربية ، وطرح فكرها السياسي — العسكري على أوسع نطاق . ودخل قادتها ومنظروها معارك اعلامية وفكرية لا تقل عن المعارك العسكرية شراسة وعنفا . وكانوا يستهدفون من جهودهم الاعلامية واسهاماتهم الفكرية تعبئة القواعد الفتحوية تعبئة سياسية — عسكرية كاملة ، ونشر افكار فتح ومنطلقاتها على اوسع نطاق بين صفوف الجماهير الفلسطينية والعربية ، والرد على الغزوة الفكرية المشبوهة عن طريق دحض افتراءات الغزاة وابواقهم المأجورة ... وهكذا تبلورت افكار « فتح » بشكل مباشر وغير مباشر . واتضحت نظريتها السياسية — العسكرية المرتكزة على محاور فكرية محددة .

ولقد رأينا ان من مصلحة الثورة وضع هذا الدليل الذي يهدي الباحثين والمفكرين العرب الراغبين في التعمق بدراسة الفكر الفتحوي (السياسي — العسكري) ، فلجأنا الى ادبيات « فتح » منذ انطلاقها في مطلع كانون الثاني من عام ١٩٦٥ ، ودرسنا وثائق « فتح » المحفوظة في مركز الابحاث الفلسطينية ، وهي تضم جل ما أصدرته « فتح » من صحف ونشرات وكراسات وكتب . واعتمدنا على ما نشر فيها من احاديث صحفية وندوات ودراسات وتحليلات لنتوصل بعد ذلك الى تصنيف الفكر الفتحوي تحت عناوين تشكل في الحقيقة علامات تهدي الباحث الى مفصلات هذا الفكر ومرتكزاته وابوابه الرئيسية .

ومن الجدير بالذكر ان هذا الدليل لن يقتصر على فكر « فتح » بل سيعقبه اكثر من دليل حول افكار منظمات المقاومة الرئيسية الاخرى التي سارت على خطوط فكرية موازية لخطوط « فتح » الفكرية او متقاطعة معها ليتكون لدينا في نهاية المطاف دليل يسلط الاضواء على فكر الثورة الفلسطينية بكل فصائلها .

ولقد حاولنا عند اعداد هذا الدليل ان تكون دراستنا شاملة ، وان يكون عملنا كاملا بشكل مطلق . بيد ان بعض الصعوبات العملية كنقص بعض النشرات والوثائق في محفوظات مركز الابحاث ، وعدم اطلاعنا على نشرات « فتح » الداخلية السرية جعل عملنا قريبا من الكمال دون ان يتوصل الى درجة الكمال المنشودة التي لا يمكن بلوغها الا بتعاون منظمات المقاومة الفلسطينية مع مركزنا ، وتزويده بكل ما يصدر عنها من ادبيات .

اما المصادر التي اعتمدنا عليها في وضع هذا الدليل فهي :

- الوثائق العسكرية (فتح) .
- كراسات سلسلة دراسات وتجارب ثورية .
- كراسات مكتبة المقاتل والشبل .
- كراسات متفرقة صادرة عن فتح .
- جريدة فتح (في الفترة التي كانت تنطق بها باسم الحركة) .
- نشرة فتح الاسبوعية .
- مجلة الثورة الفلسطينية .
- نشرة حصاد العاصفة .
- مجلة شؤون فلسطينية .
- مجلة المسيرة .
- نشرة فلسطيننا .
- نشرة Fath Information الصادرة بباريس.
- كتاب رقم ٢٤ من سلسلة ابحاث فلسطينية (مركز الابحاث) .
- كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث) .

آ ــ الافكار السياسية

١ ــ أهداف حركة فتح :

		عدد	سنة
ص ١١	مجلة الثورة الفلسطينية	٥	١
ص ١٤	مجلة الثورة الفلسطينية	٥	١
ص ٢٠	مجلة الثورة الفلسطينية	٥	١
ص ١٦	مجلة الثورة الفلسطينية	٩	١
ص ٢٠	مجلة الثورة الفلسطينية	٩	١
ص ٢٦	مجلة الثورة الفلسطينية	٩	١
ص ٨	مجلة الثورة الفلسطينية	٢	١
ص ٣	مجلة الثورة الفلسطينية	٨	١
ص ٨	مجلة الثورة الفلسطينية	٩	١
ص ٢٨	مجلة الثورة الفلسطينية	١٠	١
ص ٣	مجلة الثورة الفلسطينية	١٢	١
ص ٤	مجلة الثورة الفلسطينية	٢٢	١

٢ ــ حركة تحرر وطني ام تحرر وطني ــ اجتماعي؟

		عدد	سنة
ص ٣٠	مجلة الثورة الفلسطينية	٧	١
ص ٨	مجلة الثورة الفلسطينية	١١	١
ص ٦	مجلة الثورة الفلسطينية	١٢	١
ص ٢	مجلة الثورة الفلسطينية	١٤	١
ص ٥	مجلة الثورة الفلسطينية	٢٠	١
ص ١٠ــ١١	مجلة الثورة الفلسطينية	٢٢	١

ص ٦٤ــ٦٧ كراس رقم ١ من سلسلة دراسات وتجارب ثورية ــ فتح ــ (من منطلقات العمل الفدائي)

ص ٢ نشرة فتح رقم ٢

ص ٢ ــ٣ نشرة فتح رقم ٧

ص ٣٠٩ جزء ٢ وثائق عسكرية فتح

ص ٢٨١ مجلة شؤون فلسطينية عدد ٤

ص ٣١ــ٣٢ مجلة شؤون فلسطينية عدد ٤

ص ١٤ــ١٦ مجلة شؤون فلسطينية عدد ٧

ص ٦٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ٢٢

ص ٣ جريدة فتح عدد ٣١

٣ ــ ثورة ام حركة مقاومة ؟

ص ١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١١ سنة١

ص ٥ ــ ٨ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١١ سنة١

ص ٥ حصاد العاصفة ــ لبنان عدد٥٥ تشرين الثاني١٩٧١

٤ ــ اسباب اندلاع الثورة

ص ٣ جريدة فتح عدد٤١

ص ١٥ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٨ سنة١

ص ٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٢

ص ١٠ــ١٢ مجلة شؤون فلسطينية عدد٧

ص ٣٦ــ٤٥ كراس رقم ١ من سلسلة دراسات وتجارب ثورية ــ فتح ــ (من منطلقات العمل الفدائي)

ص ٦ ــ ٧ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١

ص ١١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١

ص ٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٨ سنة١

ص ٨ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٩ سنة١

ص ٣١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٠ سنة١

ص ١١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٢ سنة١

ص ١١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٨ سنة١

٥ ــ فلسطينية المنطلق

ص ٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٢ سنة١
ص ١٥ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٣ سنة١
ص ٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٤ سنة١
ص ٦ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٤ سنة١
ص ٤٥ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٦ سنة١
ص ٤٦ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٦ سنة١
ص ٨ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٢ سنة١
ص ٦٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٢ سنة١
ص ١ حصاد العاصفة ــ لبنان عدد٩٧ كانون الثاني ، ١٩٧٢ (البيان الاول)
ص ٣ جريدة فتح عدد٦
ص ٣ نشرة فتح الاسبوعية عدد٧
ص ١٣ــ١٤ مجلة شؤون فلسطينية عدد٧
ص ٤٥ــ٦١ كراس رقم ١ من سلسلة دراسات وتجارب ثورية ــ فتح ــ (من منطلقات العمل الفدائي)

٦ ــ عروبة المعركة

ص ٢٨٢ مجلة شؤون فلسطينية عدد٤
ص ٣٢ــ٣٣ مجلة شؤون فلسطينية عدد٥
ص ١٦ــ١٧ مجلة شؤون فلسطينية عدد٧
ص ٨ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢ سنة١
ص ٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٣ سنة١
ص ٦ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٤ سنة١
ص ٧ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٤ سنة١
ص ٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٢ سنة١
ص ٥ المسيرة عدد١١
ص ١٧ المسيرة عدد٣٢
ــ كراس رقم ١ من سلسلة دراسات وتجارب ثورية ــ فتح ــ (من منطلقات العمل الفدائي)
ص ١٠ــ١٣ دراسات وتجارب ثورية بدون رقم (مناقشة فكرية حول شعارات وأهداف ومنطلقات الحركة)

٧ ــ عدم التدخل في شؤون الدول العربية

ص ١٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١
ص ١٠ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٧ سنة١
ص ١٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٧ سنة١
ص ٧ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٨ سنة١
ص ٥ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٩ سنة١
ص ٢٦ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٩ سنة١
ص ١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٣ سنة١
ص ١٠ حصاد العاصفة عدد٣١ تشرين الاول ١٩٧١
ص ٢ جريدة فتح عدد١٧
ص ١ جريدة فتح عدد١٨
ص ١ جريدة فتح عدد١٩
ص ١ جريدة فتح عدد٢٣
ص ١ جريدة فتح عدد٣٧
ص ٥ نشرة فتح عدد٢
ص ٤ نشرة فتح عدد٣
ص ٦ نشرة فتح عدد٧
ص ١٥ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٣ سنة١
ص ٢٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٣ سنة١
ص ٢٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٣ سنة١
ص ٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٤ سنة١
ص ٨١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٧ سنة١
ص ٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٢ سنة١
ص ٣٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٢ سنة١
ص ٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٤ سنة١
ص ٥ ــ٨ دراسات وتجارب ثورية بدون رقم (مناقشة فكرية حول شعارات وأهداف ومنطلقات الحركة) .
ص ٢٠ مجلة شؤون فلسطينية عدد٧
ص ٢١ مجلة شؤون فلسطينية عدد٧
ص ٥ نشرة فتح الاسبوعية عدد٩
ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد٩
ص ٣٠ مقدمة البلاغ ٢٠ الجزء الاول وثائق عسكرية (فتح)
ص ٣١٠ الجزء الثاني وثائق عسكرية (فتح)
ص ٣٤٢ الجزء الثاني وثائق عسكرية (فتح)
ص ٣٣٠ الجزء الثاني وثائق عسكرية (فتح)
ص ٣٤٢ــ٣٤٣ الجزء الثاني وثائق عسكرية (فتح)
ص ١٠ حصاد العاصفة ــ لبنان عدد٣٣ تشرين الاول ١٩٧١
ص ٤ حصاد العاصفة ــ لبنان عدد٣٦

تشرين الاول ١٩٧١
ص ٥ حصاد العاصفة ــ لبنان عدد٣٦
تشرين الاول ١٩٧١
ص ٦ المسيرة عدد١١
ص ٢٨٥ مجلة شؤون فلسطينية عدد٤
ص ٣٠ مجلة شؤون فلسطينية عدد٥
ص ١٦ مجلة شؤون فلسطينية عدد٦
ص ١١ مجلة شؤون فلسطينية عدد٧
ص ٣١٨ــ٣١٩ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)

٨ ــ دور فتح القيادي

ص ٣٨ مجلة شؤون فلسطينية عدد٥
ص ١٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١
ص ١٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١
ص ٧ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٨ سنة١
ص ٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٩ سنة١
ص ١٠ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٩ سنة١
ص ١٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٢ سنة١
ص ٤ المسيرة عدد١
ص ٣٥٩ وثائق عسكرية(فتح) الجزء الثاني
ص ٣٠١ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)

٩ ــ صفات عضو فتح وواجباته

ص ٣ نشرة فتح الاسبوعية عدد٦
ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد١٠
ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد١١
ص ٧٠ ــ٤٠ كراس من اخلاقيات المقاتل الثوري (مكتبة المقاتل والشبل) رقم ٤ (فتح)
ص ٢ ــ١١ كراس اليقظة الثورية (المناضل الاسير والمسلح الثوري) (فتح)
ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد١٢
ص ٣ نشرة فتح الاسبوعية عدد١٣
ص ٦ نشرة فتح الاسبوعية عدد١٧
ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد٤٨

١٠ ــ حول دولة فلسطين الديمقراطية

ص ٥ فما بعد مجلة الهدف عدد٢٠
ص ١٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٧ سنة١
ص ١٠ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٨ سنة١
ص ٣١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٨ سنة١
ص ١٦ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٩ سنة١
ص ٦٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٦ سنة١
ص ٨١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٩ سنة١
ص ١٤ حصاد العاصفة ــ لبنان عدد٦٩ كانون الاول ١٩٧١
ص ٥ نشرة فتح الاسبوعية عدد٩ سنة١
ــ سلسلة ابحاث فلسطينية رقم٢٤ (مركز الابحاث)

١١ ــ رفض الحل السلمي

ص ١ نشرة فتح الاسبوعية عدد١٠ سنة١
ص ٣٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٢ سنة١
ص ٦ ــ٧ حصاد العاصفة عدد١٢ سنة١
ص ٣ جريدة فتح عدد١٢ سنة١
ص ١ جريدة فتح عدد١٦ سنة١
ص ٣ جريدة فتح عدد١٨ سنة١
ص ٣ جريدة فتح عدد٢١ سنة١
ص ١ جريدة فتح عدد٣٥ سنة١
ص ١ جريدة فتح عدد٣٦ سنة١
ــ كراس قرار مجلس الامن ومشروع روجرز من سلسلة كل الحقيقة للجماهير
ص ٥ المسيرة عدد٩
ص ٣٢٥ــ٣٢٦ وثائق عسكرية(فتح) الجزء الثاني
ص ٣٣٠ وثائق عسكرية(فتح) الجزء الثاني
ص ٣٥٩ــ٣٦٠ وثائق عسكرية(فتح) الجزء الثاني
ص ٢٨٧ مجلة شؤون فلسطينية عدد٤
ص ٤٢ مجلة شؤون فلسطينية عدد٥
ص ٢٧٧ــ٢٨٠ مجلة شؤون فلسطينية عدد١١
ص ٣١٠ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)
ص ٣١٢ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)
ص ٣١٤ــ٣١٥ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)

١٢ ــ الموقف من الدولة الفلسطينية في الضفة والقطاع

ص ٢ Fath Information عدد٤
ص ٣٦٠ وثائق عسكرية(فتح) الجزء الثاني
ص ١٥ مجلة الهدف عدد٢
ص ٦٥ــ٧٣ مجلة شؤون فلسطينية عدد٧
ص ٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢ سنة١

ص ٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٧ سنة١
ص ١٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٨ سنة١
ص ٣٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٢ سنة١
ص ١٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٣١ سنة١
ص ٣ جريدة فتح عدد٢٥ سنة١
ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد٦ سنة١
ص ٣١٢ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)

١٣ — رفض مشروع الملك حسين

ص ٢ Fath Information عدد٦
ص ٣ المسيرة عدد١٢
ص ١٤ المسيرة عدد١٣
ص ٢٥٨—٢٦٦ مجلة شؤون فلسطينية عدد٨
ص ٢٣٧—٢٣٩ مجلة شؤون فلسطينية عدد٩

١٤ — آراء حول الاحزاب السياسية

ص ٣٠ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٧ سنة١
ص ١٦ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٩ سنة١
ص ١٧ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٩ سنة١
ص ٢ —٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٠ سنة١
ص ٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٠ سنة١
ص ٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٢ سنة١
ص ٤٦ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٦ سنة١
ص ٥ نشرة فتح الاسبوعية عدد٣
ص ٦ نشرة فتح الاسبوعية عدد٧ تكرر من العدد٨
ص ٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٣ سنة١
ص ١٠ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٢ سنة١
ص ٥٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٣١ سنة١
ص ١٠ حصاد العاصفة عدد١٧ سنة١

١٥ — في الوحدة الوطنية

ص ٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢ سنة١
ص ٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٣ سنة١
ص ٢١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١
ص ٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٨ سنة١
ص ٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٩ سنة١
ص ٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٠ سنة١
ص ٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٠ سنة١
ص ١ نشرة فتح الاسبوعية عدد٤٧
ص ١ نشرة فتح الاسبوعية عدد٥٦
ص ١ نشرة فتح الاسبوعية عدد٥٨
ص ١ نشرة فتح الاسبوعية عدد٦٠
ص ٥ المسيرة عدد١٠

ص ٤ المسيرة عدد١٢
ص ٣ المسيرة عدد١٣
ص ١٢ المسيرة عدد٢٣
ص ١٩٢ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الاول (مقدمة البلاغ العسكري رقم ١٤١)
ص ٢ جريدة فتح عدد٢
ص ١ جريدة فتح عدد٦
ص ١ جريدة فتح عدد٧ (اللجنة المركزية)
ص ١ جريدة فتح عدد١٠ (اللجنة المركزية)
ص ٢ جريدة فتح عدد١٧
ص ١ جريدة فتح عدد٢٤
ص ١ جريدة فتح عدد٢٨
ص ١ جريدة فتح عدد٢٩
ص ٢ —٥ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٦ سنة١
ص ٦١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٦ سنة١
ص ١٧ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٨ سنة١
ص ٦ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٢ سنة١
ص ١٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٢ سنة١
ص ١٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٢ سنة١
ص ٦١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٢ سنة١
ص ٢٥—٢٧ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٨ سنة١
ص ١ —٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٩ سنة١
ص ١٠ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٠ سنة١
ص ١١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٠ سنة١
ص ٢ —٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١١ سنة١
ص ٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٣ سنة١
ص ٥ —٦ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٣ سنة١
ص ٧ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٣ سنة١
ص ٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٤ سنة١
ص ٢٥ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٤ سنة١
ص ٣٠ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٤ سنة١
— كراس رقم ١ من سلسلة دراسات وتجارب ثورية — فتح — (من منطلقات العمل الفدائي)
— كراس رقم ٨ من سلسلة دراسات وتجارب ثورية — فتح — (تحرير الاقطار المحتلة)
— كراس رقم ٩ من سلسلة دراسات وتجارب ثورية — فتح — (وحدة الثورة الفلسطينية)
ص ٨ —٩ دراسات وتجارب ثورية بدون رقم

(مناقشة فكرية حول شعارات وأهداف ومنطلقات الحركة)
ص ٢٨٠ مجلة شؤون فلسطينية عدد ٤
ص ٢٩٠ مجلة شؤون فلسطينية عدد ٤
ص ٢٩—٣٠ مجلة شؤون فلسطينية عدد ٥
ص ٢٩٩—٣٠٢ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)
ص ٣١٩ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)

١٦ — الجماهير

ص ٥ —٦ دراسات وتجارب ثورية رقم ٨ (تحرير الاقطار المحتلة)
ص ٢ جريدة فتح عدد ٥
ص ٣ جريدة فتح عدد ١٠
ص ٢ جريدة فتح عدد ١١
ص ٢ جريدة فتح عدد ١٢
ص ٥ نشرة فتح الاسبوعية عدد ٨
ص ١ نشرة فتح الاسبوعية عدد ٢١
ص ١ نشرة فتح الاسبوعية عدد ٢٤
ص ١ نشرة فتح الاسبوعية عدد ٤٦
ص ٨ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ١٢ سنة ١
ص ١٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ١٤ سنة ١
ص ٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ١٥ سنة ١
ص ٦ —٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ١٦ سنة ١
ص ٦١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ١٦ سنة ١
ص ٤ جريدة فتح عدد ٣٤
ص ٣ نشرة فتح الاسبوعية عدد ٥
ص ٣٤٢ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الثاني
ص ٢٨٣ مجلة شؤون فلسطينية عدد ٤

١٧ — حول منظمة التحرير وجيش التحرير

ص ٣٤٤ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الثاني
ص ٥ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ٥ سنة ١
ص ٢٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ٥ سنة ١
ص ٢٥ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ٥ سنة ١
ص ٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ٦ سنة ١
ص ٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ١٨ سنة ١
ص ١٨ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ١٨ سنة ١
ص ١٠ مجلة الثورة الفلسطينية (لبنان) عدد ٣٣ سنة ١
ص ٢٨٩ مجلة شؤون فلسطينية عدد ٤
ص ٣٨—٣٩—٤٠ مجلة شؤون فلسطينية عدد ٥
ص ٤٠—٤٢ مجلة شؤون فلسطينية عدد ٥

١٨ — حول المجلس الوطني

ص ١ نشرة فتح الاسبوعية عدد ٢٠
ص ٣٢٩ الوثائق العسكرية (فتح) الجزء الثاني
ص ٢٠ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ٥ سنة ١
ص ٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ٩ سنة ١
ص ١١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ١٠ سنة ١
ص ٨ —١١ حصاد العاصفة عدد ٧
ص ٩ حصاد العاصفة عدد ٨
ص ١١ حصاد العاصفة عدد ٨
ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد ٨

١٩ — الموقف من اليهود

ص ١٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ١٣ سنة ١
ص ٤٧ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ١٥ سنة ١
ص ٦٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ١٦ سنة ١
ص ٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ٢١ سنة ١
ص ٣٢٥ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الثاني
ص ٣٥٩ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الثاني
ص ٥٦—٥٨ كراس حوار حول القضايا الاساسية للثورة

٢٠ — الموقف من النظام الاردني

ص ٥٦—٥٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد ٣١
ص ١ فلسطيننا عدد ١
ص ١٠—١١ فلسطيننا عدد ١
ص ٤ حصاد العاصفة عدد ١
ص ٨ —١٣ حصاد العاصفة عدد ١ طاهر دبلان
ص ١ —٢ حصاد العاصفة (لبنان) عدد ٣٢ تشرين الاول ١٩٧١
ص ٤ حصاد العاصفة (لبنان) عدد ٣٢ تشرين الاول ١٩٧١
ص ٩ حصاد العاصفة (لبنان) عدد ٣٣ تشرين الاول ١٩٧١
ص ٧ حصاد العاصفة (لبنان) عدد ٣٩ عن الراية ٢٥ أو ٢٦ تشرين الاول ١٩٧١
ص ١٨ المسيرة عدد ١٢
ص ١٢ المسيرة عدد ٢٣
ص ٧٢ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الاول بلاغ رقم ٥٤
ص ٢٩٣ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الثاني ١٩٧٣/١١/٦

ص ٣٦١ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الثاني ١٩٧٣/١١/٤

ص ٣٦٢ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الثاني

ص ١ جريدة فتح عدد٧٥

ص ١ جريدة فتح عدد٧٧

ص ٦ نشرة فتح الاسبوعية عدد٣

ص ٧ نشرة فتح الاسبوعية عدد٣

ص ٢٩٣ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الثاني بيان ١٩٦٨/١١/٦

ص ٢٩١—٢٩٨ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)

ص ٣١٦—٣١٨ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)

٢١ — النوعية السياسية

ص ٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٣ سنة١

ص ٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٧ سنة١

ص ٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٧ سنة١

ص ٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٢ سنة١

٢٢ — اليسار واليمين

ص ١٠ حصاد العاصفة عدد١٧

ص ١٠ حصاد العاصفة — لبنان عدد٤ سنة ١٩٧١

ص ٢ حصاد العاصفة — لبنان عدد٣٧ سنة ١٩٧١

ص ٣٠٣—٣٠٤ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)

٢٣ — تعدد المنظمات

ص ٣٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٢

ص ٦ —٧ نشرة فتح الاسبوعية عدد٣

ص ١ نشرة فتح الاسبوعية عدد٩

ص ٢٧٩ مجلة شؤون فلسطينية عدد٤

٢٤ — رأي في ظاهرة الانشقاق

ص ٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١ سنة١

٢٥ — السياسة والحرب

— مجلة الثورة الفلسطينية عدد٩ سنة١

ص ٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٠ سنة١

٢٦ — البورجوازية والامبريالية

ص ١١ حصاد العاصفة عدد١٧

ص ٧ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٩ سنة١

ص ٣٢٢—٣٢٣ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)

٢٧ — السرية والعلنية

ص ١٨ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١

ص ٢١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١

ص ٢٨ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١

ص ١٠ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٨ سنة١

ص ٣٨—٣٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٨

ص ٧ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢ سنة١

ص ٨ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢ سنة١

ص ٢٦ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٠ سنة١

ص ٩ مجلة شؤون فلسطينية عدد٦

ص ٤ نشرة فتح الاسبوعية عدد٥

ص ٥ نشرة فتح الاسبوعية عدد٥

٢٨ — حول الديموقراطية

ص ١٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١

ص ٣ جريدة فتح عدد٣٢

ص ٩ المسيرة عدد١٣

٢٩ — التنظيم

ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد٦٠

ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد٤١ (الحلقة٤)

ولا شك ان الحلقات ١ ، ٢ ، ٣ من اعداد سابقة غير موجودة لدينا

ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد٤٢ (الحلقة٥)

ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد٤٣ (الحلقة٦)

ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد٤٤

ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد٤٥

ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد٤٦

ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد٤٧

ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد٤٩

ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد٥٠

ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد٥١

ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد٥٢

ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد٥٣

ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد٥٤

ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد٥٥

ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد٥٦

ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد٥٧

ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد٥٨

٣٠ — تفتيت العدو

ص ١٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١

ص ١١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٩ سنة١

٣١ ــ النقد والنقد الذاتي

ص ٦ ــ٨ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٣
ص ٥ نشرة فتح الاسبوعية عدد١٢
ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد٤٣
ص ٣٨ مجلة شؤون فلسطينية عدد٥
ص ٣٠٥ــ٣٠٦ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)

٣٢ ــ النضال السياسي

ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد١٢
ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد١٣
ص ٦ نشرة فتح الاسبوعية عدد١٤
ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد١٥
ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد١٦
ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد١٧
ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد١٨

٣٣ ــ المسألة الطبقية

ص ٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢ سنة١
ص ١٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١
ص ٢٨ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٠ سنة١
ص ٨ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٢ سنة١
ص ٦٣ــ٦٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٩
ص ١٦ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٠
ص ٣ جريدة فتح عدد٣١
ص ٣٠٤ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)

٣٤ ــ المخزن السياسي

ص ٢٤ المسيرة عدد٥
ص ١٦ المسيرة عدد١٠
ص ١٨ المسيرة عدد١١

٣٥ ــ المثقفون والكوادر

ص ١١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١
ص ٦ المسيرة عدد١٥

ب ــ الافكار العسكرية

١ ــ تبني مبدأ الكفاح المسلح

ص ٨ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢ سنة١
ص ٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٣ سنة١
ص ٧ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٣ سنة١
ص ٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٣ سنة١
ص ٥ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١
ص ١ نشرة فتح الاسبوعية عدد٥٤
ص ١٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١
ص ١٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١
ص ١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٣ سنة١
ص ٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٤ سنة١
ص ٣٠٩ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الثاني
ص ٣٤٢ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الثاني
ص ١١ المسيرة عدد٢٣
ــ مقدمة البلاغ العسكري رقم ١ و٢ و٣ و٤ و٥ و٦ و٧ و٩ و١١ و١٣ و١٤
ص ٢٠ مجلة شؤون فلسطينية عدد٧

٢ ــ في الثورة

ص ١ ــ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد٥
ص ٤ نشرة فتح الاسبوعية عدد٦
ص ١ نشرة فتح الاسبوعية عدد٧
ص ٦ نشرة فتح الاسبوعية عدد١٦
ص ٢٢ــ٣٣ كراس رقم واحد من سلسلة دراسات ثورية (فتح) (من منطلقات العمل الفدائي)
ص ١٧ــ كراس دراسات وتجارب ثورية بدون رقم (مناقشة فكرية حول شعارات وأهداف ومنطلقات الحركة) .
ص ٧ نشرة فتح الاسبوعية عدد٣١
ص ٨ ــ٩ دراسات وتجارب ثورية رقم٨ (تحرير الاقطار المحتلة)
ص ٦ نشرة فتح الاسبوعية عدد١٢
ص ٣٠٩ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الثاني
بيان سياسي ١٩٦٩/١/١
ــ كراس كيف تنفجر الثورة الشعبية المسلحة . كراس رقم ٢ من سلسلة دراسات وتجارب ثورية
ص ١ ــ٢٠ كراس الثورة والعنف طريق النصر .

كراس رقم ٣ من سلسلة دراسات وتجارب ثورية

٣ — النزعات الخاطئة في الثورة

ص ٩	المسيرة	عدد٩
ص ١٠	المسيرة	عدد٤
ص ١٢	المسيرة	عدد٥
ص ٣٢٣—٣٢٤ من كتاب المقاومة والنظام الاردني (مركز الابحاث)		

٤ — الحرب الشعبية

ص ٤ —١٤ كراس كفاحنا المسلح بين النظرية والتطبيق — دراسات عسكرية — فتح		
ص ٢	نشرةفتح الاسبوعية	عدد٢١
ص ٤	المسيرة	عدد٦
ص ١٥	المسيرة	عدد٦
ص ٤ —٥	المسيرة	عدد٧
ص ٢٠	المسيرة	عدد٧
ص ٤ —٥	المسيرة	عدد٨
ص ٢٦	المسيرة	عدد٢٣
ص ٢١	المسيرة	عدد٢٤
ص ١٨	المسيرة	عدد٢٥
ص ٤	نشرةفتح الاسبوعية	عدد١٦
ص ٢	نشرةفتح الاسبوعية	عدد١٩
ص ٢	نشرةفتح الاسبوعية	عدد٢٠
ص ٢١ و٢٢	مجلة الثورة الفلسطينية	عدد١٨ سنة١
ص ٨٠	مجلة الثورة الفلسطينية	عدد٢٠ سنة١
ص ١٩	مجلة الثورة الفلسطينية	عدد٢٥ سنة١
ص ٢ —٦	مجلة الثورة الفلسطينية	عدد٢٦ سنة١
ص ٧٥	مجلة الثورة الفلسطينية	عدد٣١ سنة١
ص ٧	رفض الجيش النظامي نشرة فتح	عدد٦
ص ٤	نشرة فتح	عدد٨
ص ٤	نشرة فتح	عدد٩
ص ٤	نشرة فتح	عدد١٥
ص ١٤	مجلة الثورة الفلسطينية	عدد٦ سنة١
ص ١	مجلة الثورة الفلسطينية	عدد٧ سنة١
ص ٢٦	مجلة الثورة الفلسطينية	عدد٧ سنة١
ص ١٠	مجلة الثورة الفلسطينية	عدد٨ سنة١
ص ٣	مجلة الثورة الفلسطينية	عدد٩ سنة١
ص ٨	مجلة الثورة الفلسطينية	عدد٩ سنة١
ص ٤٤	مجلة الثورة الفلسطينية	عدد١٦ سنة١
ص ١٠	المسيرة	عدد٢٦
ص ٨	المسيرة	عدد٢٧
ص ١٨	المسيرة	عدد٢٨
ص ٣١٠	وثائق عسكرية (فتح)	الجزء الثاني
ص ١٥	مجلة شؤون فلسطينية	عدد٦

٥ — جيش الشعب

ص ٤	جريدة فتح	عدد٢٢
ص ٤	جريدة فتح	عدد٢٣
ص ٤	جريدة فتح	عدد٢٤
ص ٤	جريدة فتح	عدد٢٥
ص ٤	جريدة فتح	عدد٢٦
ص ٤	جريدة فتح	عدد٣٠
ص ٤	جريدة فتح	عدد٣١
ص ٤	جريدة فتح	عدد٣٢
ص ٤	جريدة فتح	عدد٣٣
ص ٤	جريدة فتح	عدد٣٤
ص ٤	جريدة فتح	عدد٨
ص ٤	جريدة فتح	عدد٩
ص ٤	جريدة فتح	عدد١١
ص ٤	جريدة فتح	عدد١٣
ص ٤	جريدة فتح	عدد١٤
ص ٤	جريدة فتح	عدد١٥
ص ٤	جريدة فتح	عدد١٦
ص ٤	جريدة فتح	عدد١٧
ص ٤	جريدة فتح	عدد١٨
ص ٤	جريدة فتح	عدد١٩
ص ٤	جريدة فتح	عدد٢٠
ص ٤	جريدة فتح	عدد٢١
ص ٤	جريدة فتح	عدد٣٥

٦ — مبادىء حرب العصابات

ص ٧	نشرةفتح الاسبوعية	عدد٨
ص ٧	نشرةفتح الاسبوعية	عدد٩
ص ٧	نشرةفتح الاسبوعية	عدد١٠
ص ٧	نشرةفتح الاسبوعية	عدد١١
ص ٢	نشرةفتح الاسبوعية	عدد١٤
ص ١٤	المسيرة	عدد١٠

٧ — العصابات والجيوش النظامية

ص ٢٦	مجلة الثورة الفلسطينية	عدد٩ سنة١
ص ٢٣	مجلة الثورة الفلسطينية	عدد١٠ سنة١
ص ١٢	مجلة الثورة الفلسطينية	عدد١٢ سنة١
ص ٤	جريدة فتح	عدد٢٧

ص ٤ جريدة فتح عدد٢٩
ص ٤ جريدة فتح عدد٣٣
ص ١٩ المسيرة عدد١٣

٨ — تطوير قوانين حرب العصابات

ص ١٦ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٥
ص ١ نشرة فتح الاسبوعية عدد٤١
ص ٣ نشرة فتح الاسبوعية عدد٤٩
بيان بمناسبة الذكرى الاولى لمعركة الكرامة ١٩٦٩/٣/٢١ ص ٣٥٢ وما بعدها الجزء الثاني — وثائق عسكرية — فتح .

٩ — العمليات الكبيرة

كراس اربع معارك كبيرة لقوات العاصفة من سلسلة دراسات عسكرية .
ص ١٥—١٧ حصاد العاصفة عدد١٧
ص ١٦—٢٠ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٩
ص ٢٧—٣١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٠
ص ١١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٦
ص ٣ جريدة فتح عدد٤٢
ص ٧ نشرة فتح الاسبوعية عدد١٨ الحزام الاخضر
ص ٢ نشرة فتح الاسبوعية عدد٢١
ص ٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٢ سنة١

١٠ — العمليات الخارجية

ص ١٠ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٣١
ص ١١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٣١
ص ٢ حصاد العاصفة — لبنان عدد٩٧. البيان العسكري الاول
ص ٥ المسيرة عدد١٤
ص ٣٠٢ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الثاني ١٩٦٨/١٢/٢٧
ص ٣٠٤ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الثاني ١٩٦٨/١٢/٢٧
ص ٥ المسيرة عدد٢٣
ص ٣ المسيرة عدد١٩
ص ١٩ المسيرة عدد١٩
ص ٣٢٠ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)

١١ — العنف الثوري

ص ١ —٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٨
ص ٧ المسيرة عدد٣٦
ص ٢٠—٢٧ كراس ٣ من سلسلة دراسات وتجارب ثورية (الثورة والعنف طريق النصر)
دراسات وتجارب ثورية رقم ٨ (تحرير الاقطار المحتلة)
ص ١٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١
ص ١٠ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٨ سنة١
ص ٨ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٢ سنة١
ص ٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٢ سنة١

١٢ — قتل المدنيين خلال العمليات

ص ٢٥ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٣ سنة١
ص ٢٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١١ سنة١
ص ٤٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٥ سنة١
ص ٥٣ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الثاني بلاغ رقم ٢٧٦
ص ٢٧٥ وثائق عسكرية (فتح) الجزء الثاني بلاغ رقم ٤٢١
ص ١٥—١٦ دراسات وتجارب ثورية بدون رقم (مناقشة فكرية حول شعارات وأهداف ومنطلقات الحركة)

١٣ — التكتيك

ص ٢ جريدة فتح عدد٣٧
ص ٤٧ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٥ سنة١
ص ٢٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٨ سنة١
ص ١ نشرة فتح الاسبوعية عدد٥٤

١٤ — القاعدة الآمنة

ص ١٨—٢٠ كراس كفاحنا المسلح بين النظرية والتطبيق — دراسات عسكرية — فتح
ص ١٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٥
ص ٧ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٦
ص ١٦—١٧ المسيرة عدد١١
ص ١٧ المسيرة عدد٢١

١٥ — في الانضباط الثوري

ص ٨ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢ سنة١
ص ٣ جريدة فتح عدد٢٧
ص ٤ جريدة فتح عدد٢٨
ص ٨ نشرة فتح الاسبوعية عدد٦

١٦ ــ الديموقراطية العسكرية

ص ١١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٢ سنة١
ص ٣٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٠ سنة١
ص ٤ جريدة فتح عدد١٩

١٧ ــ الميليشيا

ص ٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٤ سنة١
ص ١٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٤ سنة١
ص ١ ــ٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٥ سنة١

١٨ ــ حرب الالغام

ص ٤ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٢ سنة١

١٩ ــ استخدام الصواريخ

ص ١٨ــ١٩ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٤ سنة١
ص ٣٠ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٤ سنة١

٢٠ ــ مجموعات العمق المساحة

ص ٣٦ــ٤٣ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٢٤ سنة١
ص ١٧ المسيرة عدد٣

٢١ ــ اغتيال العملاء

ص ٣١ مجلة الثورة الفلسطينية عدد١٠ سنة١

٢٢ ــ عوامل النصر

ص ١٢ مجلة الثورة الفلسطينية عدد٥ سنة١

٢٣ ــ الوجود المسلح في المدن

ص ١ جريدة فتح عدد٤
ص ٣٠٩ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)
ص ٣٢٣ــ٣٢٤ من كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (مركز الابحاث)

صدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

في سلسلة حقائق وارقام

كتابان ليونس أحمد اسماعيل الخاروف

الاول

فلسطين بين عامي ١٩٤٨ ــ ١٩٧٢
قائمة ببيليوجرافية بالكتب العربية والمعربة الصادرة في مصر

والثاني

فلسطين بين عامي ١٩٤٨ ــ ١٩٧٢
قائمة ببيليوجرافية بالكتب العربية والمعربة الصادرة في المملكة الاردنية الهاشمية

والكتابان عبارة عن سرد ببليوغرافي لكل ما صدر من كتب عن فلسطين في مصر والاردن بين ٤٨ ــ ١٩٧٢ مرتبة أبجديا ومفهرسة في مواضيع خدمة للباحثين ولافادتهم بأيسر الطرق .

عدد محدود من النسخ

أطلبها من : قسم التوزيع في مركز الابحاث
ص.ب ١٦٩١ ــ بيروت

سعر النسخة من الكتاب الاول ٨ ل.ل. ومن الكتاب الثاني ٦ ل.ل.
يضاف اليها أجور البريد الجوي : ١ ل.ل. في العالم العربي ، ٢١/٢ ل.ل. في اوروبة ، ٥ ل.ل. في سائر الدول .

مراجعات

منير شفيق ، **الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم**
(دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٣)

كان من المقدر لكتاب الدكتور صادق جلال العظم « دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية » ان يثير قدرا أكبر من النقاش نظـرا لانه يطال الطرف الثوري الرئيسي في الوطن العربي معلنا انتهاء هذا الطرف الى الانخراط في لعبة الانظمة العربية ، مبديا عدم استغرابه طالمـا ان هذا الطرف هو الامتداد الفلسطيني لاصل عربي انتهى أمره عام ١٩٦٧ . غير ان احداث ايار — وقد ظهر الكتاب قبلها بقليل — طغت بأحداثها ونتائجها على الكتاب ووجهت اليه — على ارض الواقع — ضربة تكاد تكون قاضية ، في حين تولى منير شفيق في كتابه « الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم » مسؤولية الرد — الدحض النظري لمجمل اطروحات الدكتور صادق . ولذا فاني لا اعتبر هذه المراجعة لكتاب منير شفيق محاولة لرد الاعتبار لكتاب الدكتـور صادق بل محاولة لتأكيد وتثبيت اطروحات منـير شفيق التي قد يظلمها النسيان الذي سيلف كتاب الدكتور صادق بعدما أصبحت المسألة المطروحة بعد أيار — وبوضوح لا يقبل الالتباس — مسألة الدفاع عـن المقاومة وزيـادة نفوذها وتأثيرهـا وفاعليتها ، لا مسألة الاستخفاف بها واعتبارها لقمة سائغة أمام الرجعية اللبنانية — وهذا ما كان يعتقده الدكتور صادق عشية ٢ ايار — .

من الصعب تناول كتاب منير فصلا فصلا اذ أنه يتضمن ثلاثة وثلاثين فصلا للـرد على مواضيع مختلفة تطرق اليها الدكتور صادق في كتابه . لذا سنحاول استخلاص المحاور الاساسية التي ركز عليها منير شفيق . اي اننا ، بكلمة اخرى ، سنعيد بناء الكتاب كما لو كان مبوبا تبويبا مختلفا ، فندرج الامثلة والشواهد والملاحظات الجزئية في عنوان عام يعبر عنها .

اولا — مسألة فتح ، او البورجوازيـة الصغيرة الوطنيـة :

يناقش منير شفيق اول مـا يناقش موضوعة صادق جلال جلال العظـم التي تعتبر « هزيمة أيلول » — يرفض منير تسميتها هزيمة — نتيجة منطقية للسلوك البورجوازي الصغير الفلسطيني الذي لا يعدو كونه امتدادا مختلفا بعض الشيء عن الاصل العربي . فيرفض أولا ان تكون الحركة الوطنية العربية ، ولـو بقيادة البورجوازيـة الصغيرة ، قد هزمت **نهائيا** في حرب حزيران اي انه لم يعد باستطاعتها الانتصار في الاردن او في المغرب مثلا . هذا عدا عن انه لا يمكن وضع البورجوازية الصغيرة كلها — وهي الطبقة القليلة التجانس — في سلة واحدة . اذ أن « ما تفرزه البورجوازية الصغيرة من قيادات وأحزاب وأفكار وسياسات وممارسات ليست شيئا من نمط واحد ، بل ان هذه الافرازات كثيرا ما تكون شديدة التنوع والتمايز الى حد المفارقات العجيبة والتناقضات الحادة . فثمة ممثلون سياسيون للبورجوازية الصغيرة شكلوا أحزابا دينية ، وآخرون أحزابا قومية ، وغيرهم أحزابا اقليمية ، وسواهم حركات « ماركسية » ، وسار بعضهم على طريق مهادنة الاوضاع القائمة وتجنب الصدام بها ، في حين سار آخرون على طريق الارهاب ، وغيرهم علـى طريق الاصلاحية الاقتصادية ، والبعض الاخر سـار على طريق الكفاح الوطني المسلح ، الخ الخ » (ص ٢٧) . كما انه يشير الى ان سياسة البورجوازية الصغيرة الفلسطينية أدت ، في الواقع ، الى ممارسات اصطدمت بعنف بسياسات وممارسات البورجوازية الصغيرة العربية ولم تشكل « امتدادا بكل معاني الكلمة لها » . فموضوعة « التحرير قبل الوحدة » التي يعتبرها صـادق عكسا فجـا للموضوعـة

البورجوازية الصغيرة العربيـــة « الوحدة قبـــل التحرير » أدت على ارض الواقع الى مباشرة الكفاح المسلح وخوض حرب تحرير شعبية تعتمد على جماهير الشعب المسلحة والمنظمة في حين كانت البورجوازية الصغـــيرة العربية الحاكمـــة تنصرف باطمئنان الى بناء دولتها « العصرية » وتدعـــي الاستعداد لخوض « حرب خاطفة » ضد اسرائيل بدون أن يسبق ذلك بالطبع اقحام الجماهير في صراع هو من واجب الجيش المحترف .

غير ان الخلاف بين منير وصادق يتجاوز الخلاف حول كون البورجوازيـــة الصغيرة الفلسطينيـــة امتدادا ام لا ليصل الى نتيجتين مختلفتين حول الموقف البروليتاري الصحيح الذي يجب اتخاذه حيالها . والنتيجة التي يصـــل اليها منير ذات شقين :

الاول ، يتعلق بالثـــورة الفلسطينية ، أي بالبورجوازية الصغيرة المسلحة والتي تخوض حرب شعب ضد اسرائيل والامبريالية ، ومؤداه انه : « لو كان ثمة نواة بروليتارية واعية فماذا سيكون موقفها من حركة فتح ؟ بتصوري انها ستطرح هذه المسألة في ردها على الانتهازيين « اليساريين » كما يلي : « اذا كانت فتح ايها السادة كما تقولون بورجوازية صغيرة فمرحى لها كونها مقاتلة بالسلاح ضد الصهيونية والامبريالية ، ويجب علينا أن نمد لها يد التحالف ونشجعها على هذا القتال . ولا يصار الى محاولة « قلبهـــا » الى ماركسية — لينينية لان ذلك غير ممكن ، فهي كما تقولون حركة بورجوازية صغيرة . ولا يصار الى تحطيمها بالنقد والتجريح والتشهير بحجة انهـــا غير ماركسية — لينينية لانه غير المطلوب منها ان تكون كذلك ، فهذا ما هو مطلوب منا نحن . واذا كانت الثورية ان ننقد ونصحح ، فعلينا أن نبدأ بأنفسنا ، ان نركز النقد على عجزنا بسبب تخلفنا عن الكفاح المسلح وقيادة الجماهير ، وبسبب عـــدم ارتفاع فتالينا الى مستوى فتالية فتح على أقل تقدير » . (ص ١٩ — ٢٠) .

اما الشق الثاني في هذا الموقف فيتعلق بالحركة الوطنية العربية التي قادتها البورجوازية الصغيرة. ويرى منير « ان النقد الثوري حين يوجه الـــى الانظمة العربية الوطنية التي لحقت بهـــا هزيمة عسكرية في حزيران ١٩٦٧ ، يجب الا يتركز على كونها منيت بهزيمة عسكرية ، وانما لكونها لـــم تتابع الحرب وتتحول الى حرب الشعب الطويلة الامد ، اي لانها لم تواصل القتال واخذت تجنح الى طريق المهادنة والتراجع » (ص ١١٦).والهدف من هذا النقد هو أولا : تشجيع القوى الوطنية على الاستمرار في القتال ، وثانيا « عدم حرق الجسور معها » . ان الفرق بين الموقفين هو الفرق بين الموقف الثوري الملتزم والمســـؤول ، الواعي لطبيعة الاعداء وحجمهم ، والساعـــي لتوسيـــع صفوف الاصدقاء وجر مختلف الطبقات الوطنية الى المعركة ، والموقف « البروليتاري » النقـــي ، الطاهر ، الذاتي ، المعزول لا عن الشعب فحسب بل عن البروليتارية ايضـــا ، الداعي « لبنـــاء » حزب ثوري على انقاض كل الحركات المكافحة . انه ، مرة اخرى ، الفرق بين من ينتمي الـــى الشعب وحركته وقواه وواقعه ومن ينتمي الى مثال ما للثورة محاكما الواقـــع الذي لا يطابق رؤاه وتخيلاته. وهذا ما يسميه منير « اليسار المتفرنج » الذي لا يستطيع اطلاقا ان يفهم « ان اي حـــزب بروليتاري عربي في بلادنا لا ينتسب لحركة التحرر الوطني العربية ، ولا يكـــون امتدادا موصـــول النسب بها ، بل وبتاريخنا حتى قبل الفي عام ، لن يكون حزبا من بلادنا ، ولن يكتب له ان يكون أكثر مـــن صورة ممسوخـــة لمدرسة اللاوطنيـــة التروتسكية ، او بعبارة ملطفـــة سيكون فصيلا اوروبيا « يساريا » مستعربا » (ص ٣١ — ٣٢). كما يصيب منير شفيق حين ينتقد الذين اكتشفوا البورجوازية الصغيرة بعد حرب حزيران ، فحطوا كافة المشكلات وحللوا كافة الهزائم بارجاعها الى هذه البورجوازية الصغيرة اللعينة . ويقدم الدكتور العظم صورة كاريكاتورية عن هؤلاء ، حتى انه لم يتورع عن ان يرى في عدم لجوء فتح الى بنـــاء الملاجيء في عمان قبل ايلول النتيجة الطبيعية « لطينتها البورجوازية الصغيرة » !! لا يحتاج هذا الى تعليق ، وكل ما يبقى علينا هو ان ننبه الى ان الدكتور العظم يقدم نموذجا لأردأ أنواع البورجوازي الصغير : المثقف المعزول .

ثانيـــا — حول ايلول والتناقضـــات الرئيسيـــة والاساسية والثانوية .

يرفض منير شفيق رفضا باتا رأي صادق جلال العظم القائل بأن « هزيمة » المقاومة حدثت في أيلول ١٩٧٠ . وهو يرى ان معارك أيلول انتهت بتوازن للقوى كان يسمح للمقاومة ان تستعيـــد

أنفاسها وتعود فيما بعد للهجوم ، الا أن الانتهازية اليمينية قادت المقاومة على طريق التنازلات . وهكذا حلت الهزيمة فعلا بعد قراري تنظيم الاسلحة في عمان وانسحاب المقاتلين الى الاحراج . ويدخل منير في نقاش عسكري مع صادق ليبرهن ان اخذ المبادرة في أيلول او حتى في آب لم يكن ممكنا . على ان الخلاف مع الدكتور صادق ليس محصورا في تقييم نتيجة معارك ايلول ، بل ايضا في تقييم الحالة الجماهيرية السابقة للمعارك حيث يتهم الدكتور صادق منير شفيق بأنه ساهم في زرع تفاؤلية كاذبة . وهذا ما سنتعرض له لاحقا .

الموضوع الاخر الذي يمكننا ادراجه في هذا السياق هو مسألة التناقضات . يرد منير على رأي صادق — الذي يخلط بين التناقضات ولا يميز بين الاساسي والرئيسي — القائل بأن التناقض مع حسين كان تناقضا اساسيا على طول الخط نتيجة اصرار الملك ونظامه على جعله كذلك . في هذا الرد يميز منير اول ما يميز بين التناقض الاساسي والتناقض الرئيسي ليصل الى القول ان التناقض مع نظام الملك كان اساسيا باستمرار الا انه لم يتحول الى تناقض رئيسي مطروح للحسم الا في فترة محددة . ويدافع منير (وينتقد) موضوعة فتح الصحيحة في جوهرها والمعبر عنها واقعيا بسياسة صدام — تعايش — صدام ، التي يدعي صادق جلال العظم نقدها دون ان يقدم بديلا موضوعيا عنها . ويستعيد منير في هذا المجال اطروحاته الواردة في كتاب « حول التناقض والممارسة في الثورة الفلسطينية » الصادر قبل ايلول : « من هنا ، فان التناقض بين الثورة الفلسطينية وبين الرجعية العربية التي على خطوط النار ذو طبيعة عدائية اساسا ، ولكن يمكن ان يتحول الى تناقض ثانوي ، في ظروف معينة ، كما حدث بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، غير انه سرعان ما يعود لطبيعته العدائية الاصيلة ، كما كان قبل حزيران ١٩٦٧ ، وكما تكشف مثلا في مؤامرات شباط وحزيران ١٩٧٠ . على ان من الضروري معالجة هذا التناقض بصورة متحركة متغيرة ، وليس بصورة جامدة دوغمائية ، بحيث يستفاد منه عندما يكون بالامكان تحويله الى تناقض ثانوي ، تحت ظروف معينة ، كما حدث بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، وبحيث يقمع بالثورة المسلحة في حال تحوله الى طرف التناقض الرئيسي العدائي . الا ان من الضروري معالجة هذا التناقض مع الرجعية العربية على خطوط المواجهة بأسلوب ديناميكي متحرك ، متناسب مع ظروف الحركة الوطنية والثورية والجماهيرية في كل بلد ، مستخدمين الحكمة الثورية والحزم الثوري في آن واحد » .

ثالثا — الحزب البروليتاري والجبهة الوطنية وتعدد المنظمات .

قلنا ان صادق جلال العظم يؤكد ان « الهزيمة » التي حلت بالمقاومة في أيلول ١٩٧٠ تعود الى الخط المنحرف الذي سلكته القيادة البورجوازية الصغيرة ، او بكلمة اخرى ، الى افتقاد المقاومة لحزب بروليتاري ثوري يقودها . يبدو هذا الكلام صحيحا للوهلة الاولى الا انه لا يصمد طويلا أمام النقد . فأولا هناك ثورات انتصرت رغم انها بقيادة البورجوازية الصغيرة (الجزائر مثلا) ، وثانيا ليس صحيحا ان وجود الحزب الشيوعي يؤدي آليا الى ثورة مظفرة (كوبا ..) ، وثالثا ، ان لهذا الكلام معنى خاصا على الساحة الفلسطينية : فتح ، البورجوازية الصغيرة ، تقود الثورة ، والحزب البروليتاري الثوري غير موجود ، عدا عن ان « مشاريع » هذا الحزب لم تحرز أي نجاح يذكر في قيادة الجماهير . فما هو الحل ؟ هل الدعوة الى بناء الحزب الشيوعي من مواقع الاستنكاف عن خوض النضال تكفي ؟ هل تدمير فتح هو الطريق ؟ هل يمكن بناء هذا الحزب خارج مجرى النضال الذي تقوده فتح ؟ هل يجب بناء الحزب اولا ، ثم الدخول في تحالف مع الممثلين السياسيين للطبقات الوطنية الاخرى ؟ « في الواقع ان هذا المنظور خاطىء تماما لانه اذا كان الحزب وهو قوي وقائد للشعب بحاجة الى توسيع جبهة المناضلين والوطنيين ، فهو بحاجة اكبر عندما يكون ضعيفا ... بل ان شرط انتقاله الى حالة القوة هو تبني مثل هذا الخط الصحيح الذي يقنع الجميع بصواب سياساته ، وبأهليته للقيادة ، شرط أن يكون ذلك مقرونا بتميز في مجال الممارسة العملية : نشاط اكبر ، تضحيات اكبر ، شجاعة أعلى ، مقدرة على تقديم الحلول الصحيحة للمعضلات التي تنشأ الخ ... » (ص ٢٢) .

اذا ، ليس الخلاف بين صادق ومنير حول أهمية وحيوية وجود الحزب الشيوعي القائد ، بل في الطريقة الموصلة الى هذا الحزب . « اذا لم يكن هنالك مثل هذا التنظيم فهل نحوله الى اقنومة للهرطقة باسمه . ونعلق تأييدنا لجبهة وطنية معادية

للصهيونية والامبريالية اذا لم يكن موجودا ، او نتحول الى حفاري قبور لتلك الجبهة ؟ هنا الخلاف الحاسم بيننا وبين الدكتور صادق . فبالنسبة له اذا لم يكن الحزب السياسي الذي يريده موجودا و« سندا » للجبهة ، فكل شيء « زفت » واجبهة « زفت » . ان هذا المنهج قاد الى سلسلة من المواقف الخاطئة التي أضرت بالنضال الوطني العام ، وأضرت بامكانية ولادة مثل ذلك التنظيم ولادة صحيحة غير مشوهة . ان الخط الثوري الصحيح ، وهو ما كان سيكون خط البروليتارية في بلادنا لو وجد حزبها ، يقول ان الحياة لن يتوقف تدفقها حتى يولد الحزب . والنضال ضد الامبريالية والصهيونية والقوى المضادة للثورة لن يتوقف اذا لم يوجد ذلك التنظيم . فهل نوقف مشاركتنا في النضال الثوري الذي تخوضه الجماهير، اذا لم يكن لدينا ذلك التنظيم ؟ ام ان شرط ولادة ذلك التنظيم هو وقوف طلائعه التي ستبنيه مع كل نضال وطني وثوري تخوضه الجماهير ، وتأييد اوسع الجبهات الوطنية والشعبية المعادية للصهيونية والامبريالية والقوى المضادة للثورة ؟ ».

اما بصدد التعدد الحالي لتنظمات المقاومة فيرى فيه الدكتور العظم مرضا موروثا من حركة التحرر الوطني العربية ، وتوكيدا لوجهة نظره القائلة بأن المقاومة ليست سوى امتداد فلسطيني للاصل العربي المهزوم عام ١٩٦٧ . وعلى هذا يبادر منير للرد مؤكدا قبل كل شيء ان تعدد المنظمات ليس مرضا بحد ذاته ، على العكس ، انه طبيعي ما دام الشعب الفلسطيني ، ككل شعب اخر ، مؤلف من طبقات ، المرض هو عدم سعي هذه المنظمات للانتظام في جبهة موحدة ذات برنامج موحد . ويلاحظ منير شفيق عدم صحة القول بان هذا التعدد الفلسطيني هو « امتداد بكل معاني الكلمة » للاصل العربي ، وذلك لسبب بسيط هو ان البورجوازية الصغيرة العربية لم تسمح ، في دائرة نفوذها ، باي تعدد ، في حين ان فتح لم تعمل اطلاقا على تصفية المنظمات الاخرى بل تعايشت معها . (لنا على هذا ملاحظة سنوردها لاحقا) .

رابعا — ماوية فتح :

يثير الدكتور العظم مسألة يسميها « ماوية فتح » والغرض من اثارتها « محاولته دحض المثل الذي يستخدم في موضوعة التحالفات ، اي مثل تحالف ماوتسي تونغ مع تشان كاي تشيك من أجل مقاومة العدو الرئيسي — الغزاة اليابانيين » . وللحقيقة فقد جاء رد منير على هذه المسألة دون ردوده السابقة ، فلقد اعتبر ان العظم يعني بالتحالف التحالف مع الجيش الاردني فقط ورد عليه على هذا الاساس مطالبا بضرورة طرح مسألة التحالف مع الجيش الاردني غير المتجانس ، في حين ان صادق جلال العظم كان يتحدث عن المهادنة السياسية لنظام الملك العميل. غير ان منير شفيق يعود — كما بينا — لمناقشة سياسة فتح في الاردن واظهار صحتها من حيث الجوهر وانتقاد الانحراف اليميني الذي حكمها في المراحل الاخيرة خاصة .

خامسا — موقف منير شفيق :

ان السباق العام لكتاب « الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم» هو الدفاع عن المقاومة، وفتح بالتحديد ، امام « تحطيم » صادق جلال العظم لها ، غير ان هذا لا يمنع منير شفيق من توجيه بعض الانتقادات لقيادة المقاومة . وهذه الانتقادات اما تظهر بوضوح ، او تبقى متضمنة في المواقف المختلفة التي يطرحها . « كنا منذ البداية ، وما زلنا ، في تعارض تام مع السياسات فوق اليسارية والمواقف الانتهازية « اليسارية » ، ومن جهة ثانية في تعارض تام مع السياسات المغرقة في يمينيتها ، والمواقف الانتهازية اليمينية . تعارض السياستين بخط ثوري صحيح يرفض أن يعارض اليمين بالسياسات الطفولية فوق اليسارية » . (ص ١٥٦) . ان هذا يضعنا امام منهجين للنقد « النقد الثوري الصحيح والنقد الطفولي » « اليساري » ضيق الافق ، قصير النظر ... هنالك فرق عظيم بين النقد الثوري الصحيح الذي ينقد ضمن الوحدة الوطنية ، وضمن طرح برنامج ايجابي للنضال يتبناه ويمارسه وبين النقد الهوجائي الطفولي « اليساري » الذي يحطم كل ما تصل اليه يداه ، وينتهي به ضيق افقه ، او حقده على الحركة الوطنية ، الى وضع الحب في طاحونة الاعداء ... ان رؤية هذا الفرق لا يجعل الخيار الوحيد هو بين النقد الحاقد التحطيمي وبين التبريرية ... لان هنالك دائما النقد الثوري الصحيح ... » . والنقد الثوري الصحيح هو الذي يوافق على اولوية النضال ضد العدو الصهيوني شرط الا يفهم ذلك « على

انه تجميد لكل نضال من اجل الوحدة ، او لكل نضال طبقي ضد الطبقات المضادة للثورة » . (ص ٤٣) .

*

هنالك اخيرا جملة من الملاحظات المنهجية والسياسية يبديها منير شفيق حول مواضيع مختلفة ليس بالامكان ادراجها تحت عنوان واحد ، او حصرها وذكرها جميعا . لذا سنكتفي بالاشارة الى بعضها في حين نوسع البعض الاخر .

يكشف منير شفيق انتقائية الدكتور صادق ومنهجه غير الجدلي . ولهذا وجهان : الاول ، طريقة تقديم الاستشهادات . ويبين منير شفيق « تقنية » الدكتور صادق الطريفة في انتزاع الفقرات من سياقها ، واسقاط ما يود اسقاطه منها ، واعادة تلصيق بعض الجمل ، ووضع عبارات قبل اخرى على عكس ما جاء في النص الاصلي الخ الخ ... والثاني ، عزل هذه الفقرات عن زمنها ومكانها ، اي عن الواقع والمرحلة والقوى والجماهير ، وتقديمها « كمادة فكرية » للنقاش المجرد . فالدكتور صادق ، كمثقف معزول عن الجماهير وحركتها ، يتعامل مع « المقولات » والافكار والاطروحات دون التعامل مع « الواقع الملموس » و « النتائج العملية » . وهكذا فهو عندما يناقش مثلا الفرق بين الحرب الخاطفة وحرب الشعب كما « فهمته » فتح ، يغرق في نقاش بعض الاقوال والكتابات ليبرهن انها نابعة من العقلية البورجوازية الصغيرة . فالامر سيان ، حرب خاطفة ام حرب شعب ، طالما ان البورجوازية الصغيرة هي واحدة !! غير ان الدكتور صادق ينسى بصورة تامة كل ما انتجه هذا الفرق على ارض الواقع : تسليح الجماهير ، وتنظيمها ، وامتلاكها لقضيتها ، وهذا ما لم تكن لتفعله « البورجوازية الصغيرة » المتشدقة بالحرب النظامية والحرب الالكترونية في حين فعلته « البورجوازية الصغيرة » الاخرى طائعة مختارة . ان الدكتور صادق ، اذ يتعامل مع الثورة على هذا الشكل ، يذكرنا بالمستشرقين الذين يفهمون الواقع العربي من خلال النصوص والكتب والوثائق . غير ان هذا لن يؤدي به الا الى استكمال سلسلة انتقاداته « للافكار » بدءا « بالنقد الذاتي بعد الهزيمة » ، مرورا « بنقد الفكر الديني » ، وصولا الى « دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية » . غير انه ينتقد الى حد ادنى من الموضوعية نجده عند بعض هؤلاء المستشرقين . فهو يرى ان « فتح هي المسؤولة الوحيدة دون المنظمات الاخرى ، لانها هي التي حددت مسار الكفاح الفلسطيني المسلح والنتائج السيئة التي وصل اليها » . غير انه عندما يتعلق الامر بمنجزات الثورة التي كان الدكتور يقيمها تقييما عاليا كما سنرى فانه ينسحب بهدوء رافضا الاعتراف لفتح باي فضل . وهو ، بغية انتقاد فتح ، يسخف مسألة اطلاق النار عبر كل الحدود الذي بدأته فتح ، غير انه كي ينتقدها مرة اخرى ، يهاجمها لانها اوقفت اطلاق النار عبر الحدود اللبنانية . انها ، مرة اخرى ، الانتقائية المحكومة بالعداء لفتح ، فتح « العاجزة » عن الارتفاع الى مستوى وعي الدكاترة !!

يجسد الدكتور صادق مثال المثقفين الهامشيين الذين يتلقفون الثورة عندما تكون صاعدة مهاجمة ، ويشرعون في نعيها اذا ما هزمت في معركة اوعرفت تراجعا او انحسارا . وللدكتور صادق في هذا المجال مواقف مشهورة اتى منير شفيق على ذكرها في كتابه . فالدكتور الذي يتهم فتح بتضخيم منجزاتها — على طريقة الانظمة العربية — يستند في ذلك الى نصوص لقادة فتح تتحدث عن انجازات الثورة . ويتناسى كتاباته ضد هيكل وغيره ، هذه الكتابات التي تعتبر حركة المقاومة « طليعة لثورة عربية شاملة ، وبداية لحرب تحرير شعبية ينتقل عبرها الوطن العربي من حال الى حال » ، « شكلت حركة المقاومة بداية مرحلة جديدة ومتقدمة في حركة الثورة العربية » الخ الخ ... فأين هذه التفاؤلية الكاذبة التي يتهم قادة فتح بالوقوع فيها ؟ ولو سلمنا انه لم يقل ما قاله في تقييم الثورة ، وان وجهة نظره كانت « واقعية » في رؤية الثورة كما هي ، الا يصبح غريبا اصراره على دعوة المقاومة لاسقاط الملك حسين ونظامه ؟! أليس من المغامرة دعوة حركة المقاومة ، وهي على ما هي عليه ، الى اخذ المبادرة ضد النظام ؟ ان ما يقوم به الدكتور صادق في الوقت نفسه هو : التخلي عن مواقفه السابقة ، وانتقاد مواقف الاخرين السابقة ، ودعوة المقاومة لممارسة منطلقة من مواقفه السابقة التي ينتقدها .

واخيرا يسلط منير شفيق ، في خاتمة كتابه ،

الضوء على مواقف كان صادق جلال العظم قد اتخذها في اماكن اخرى ، وهي تتعلق بصورة خاصة بمسألة « تكون امة اسرائيلية » والاعتراف لهذه الامة بحق تقرير المصير . يطور العظم في هذا المجال افكارا كانت الجبهة الديمقراطية قدطرحتها وتجاوبت معها الى هذا الحد او ذاك بعض اطراف اليسار الجديد في اسرائيل . اول ما يلاحظه منير شفيق هو لا جدوى ربط حق الشعب اليهودي في تقرير مصيره بالاشتراكية ، لسبب بسيط هو ان حق تقرير المصير يضمن لاي شعب اختيار نظام اخر غير الاشتراكية ، وهو على كل حال ، يضمن اول ما يضمن الحق في الانفصال . هذا عدا عن ان حق تقرير المصير لا يمكن ان يعطى للطبقة العاملة الاسرائيلية التي حلت بالقوة والقهر والتشريد محل طبقة اخرى . واخيرا ، لا يجب نتيجة الاعتراف بتكون امة اسرائيلية ، الاعتراف لها بحق تقرير المصير « لان الاقرار بما يسمى « امة او قومية اسرائيلية » لها حق تقرير المصير ، بما في ذلك حق الانفصال على أرض فلسطين وكذلك الاقرار للشعب العربي الفلسطيني — الامة العربية — بحق تقرير المصير، **على الارض نفسها** ، يعني اما خداع الشعب العربي الفلسطيني واما خداع ما يسميه الدكتور صادق « بالشعب الاسرائيلي » الذي يشكل او هو في طريقه لان يشكل « أمة او قومية » !! ولكن ، هل يمكن سوى لانسان يضع في رأس اهتماماته ارضاء مسايرة اليسار الاوروبي على حساب ارضاء ومسايرة الجماهير العربية ان ينتج هكذا افكار وهكذا مواقف ؟.

*

من الواضح اننا نتعاطف مع اطروحات منير شفيق ، ومع جوهر ومضمون سجاله ونقده لصادق جلال العظم . دون ان يعني ذلك ان الكتاب المذكور لا يخلو ، حسب رأينا ، من بعض الشوائب والسقطات . مثلا ، « اعطاء الاولوية لعملية النضال من اجل تحرير فلسطين ، وربط عملية تحقيق الوحدة بعملية التوجه لتحرير فلسطين » هو موقف يشكو من التعميم . اذ انه لا يوضح لنا كيف يمكن لهذا النضال ان يشكل البند الاول في برنامج ثوري في تونس مثلا ، او الجزائر ، او المغرب ، او السعودية ... لا شك ان النضال الوطني في هذه البلدان يلتقي مع النضال ضد الكيان الصهيوني ويرفده غير انه لا يمكن — موضوعيا — اعتبار النضال ضد اسرائيل بالنسبة للحركة الوطنية التونسية مثلا اهم من النضال لاسقاط الحكم في تونس ، لا بل ان اسقاط هذا الحكم هو في آن واحد مساهمة في النضال ضد الامبريالية وادواتها العربية والاسرائيلية وشرط لا بد منه لرفع وتطوير هذه المساهمة .

كما ان منير شفيق الذي يتخذ احيانا مواقف مستقلة عن خط قيادة فتح يضطر احيانا تحت وطأة الهجوم التشهيري على فتح للدفاع عن مواقف غير صحيحة ولاغفال بعض الانتقادات الصائبة . فمثلا يعتبر منير ان تعايش فتح مع باقي المنظمات دليل على كونها نقضا للواقع العربي لا امتدادا له ، فهل هذا صحيح ؟ بغض النظر عن موافقتنا مع منير حول الموقف من فتح ، نقول ان تقديم هذا المثل ليس موفقا . ففتح تعايشت مع باقي المنظمات لسبب بسيط هو انها لا تستطيع القضاء عليها لانها ، اذا فعلت ذلك ، تستعدي عليها الانظمة التي ترعى وتشجع هذه المنظمات . ولا نظن ان هذا يحتاج الى براهين كثيرة . كما ان منير شفيق لم يرد على اتهام الدكتور صادق لفتح — وهو اتهام صحيح — بانها لم تقدم تفسيرا جديا لهزيمة حزيران ، بل انصرف الى نقد المنطق الذي حكم التفسيرات « البروليتارية » لهزيمة «البورجوازية الصغيرة » في حزيران ، غير ان نقده هذا لا يجب ان يعفيه من انتقاد فتح ايضا دون ان يقع بالضرورة في فخ النقد العدمي الذي وقع فيه الدكتور صادق .

ولا بد لنا ايضا من تقديم ملاحظة حول طريقة منير في معالجة موضوعات كتاب الدكتور صادق . فهو يرى ان « تصميم الكتاب — دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية — عبارة عن تشابك لموضوعات عديدة تداخلت في بعضها بعضا بلا منهاجية في البحث ، وبلا تسلسل او نظام » (ص ٥ — ٦) . الا انه بدل ان يعمد الى محاولة استخراج المحاور الرئيسية للسجال قام بعملية ملاحقة فاسرف فيها عوض ان يلتقط نقاط الخلاف الاساسية ويدرج الملاحظات الجزئية ضمنها .

*

« ان هذا الكتيب المتواضع يهدف الى الدفاع عن الثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربية ،

والى تكريس الخط الثوري الصحيح في مواجهة النقد التحطيمي للقوى الثورية والوطنية وللثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربية » . (ص ٥). ان مواجهة النقد التحطيمي تكون على ارض الصراع ، وقد برهنت حوادث ايار في لبنان ان المقاومة لم تستوعب وانها ما زالت تصارع رغم كل المؤامرات والادعاءات .

يوسف سماحة

Abd al Mughni Sai'd and Samir Ahmad, **Arab Socialism**, (London: Blandford Press, 1972).

Khalid Kishtainy, **The New Statesman & the Middle East**, (Palestine Research Center, Beirut, 1972).

ان الاشتراكية العربية التي قام بدراستها وتقديمها الى القارىء عبدالغني سعيد وسمير احمد هي الاشتراكية الناصرية. فليس في الكتاب غير اشارة وجيزة جدا الى اشتراكية البعث في حين انعدم البحث كليا من اي ذكر لاي منحى اخر من الفكر الاشتراكي في العالم العربي المعاصر باستثناء الشيوعية بالطبع ، وهي نتاج من خارج المنطقة بالرغم مما لها من مناصريها العرب . ولم يحاول الكتاب استعراض الانجازات العملية لاي من الانظمة العربية الاشتراكية اليسارية التقدمية باستثناء مصر . وضمن هذه الحدود خرج المؤلفان بكتاب واضح وجيز يبين بشكل اكثر اقتناعا مما كتب سابقا في اللغة الانكليزية ، تلك الافكار التي توصلت مصر اليها تدريجيا ووضعتها على محك الاختبار طوال الخمسة عشر عاما الماضية ، او منذ ان استتب الامر لحركة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ودخلت مرحلتها الثانية من التطور الاجتماعي بعد الثورة السياسية .

لقد جاء اكثر ما ورد في اللغة الانكليزية من قبل حول هذا الموضوع غامضا ومغاليا نوعا ما . اما عبد المغني سعيد وسمير احمد فقد عرفا جيدا موضوعهما ولم يحاولا الالتجاء الى السفسطات اللفظية والفلسفية . وهذا رصيد جيد لهما وبعين الوقت رصيد غني لموضوع كتابهما . فالظاهر ان الباحثين والكتاب لم يكونوا قبل بضع سنوات متأكدين مائة بالمائة حول حقيقة الجانب العربي من النظريات التي كانوا يكتبون عنها . وقد افلح عبد المغني سعيد وسمير احمد بشكل بليغ في تقديم الاشتراكية العربية كنوع مستقل واصيل من الاشتراكية له جذوره العميقة في التاريخ العربي والدين الاسلامي وتطويرهما لمعالجة المشاكل الخاصة بمصر ولاعطاء ضوء تسير على هديه بقية ارجاء عالم العرب . ومن المحتمل ان براغماتية الرئيس الراحل جمال عبد الناصر كانت السبب في النمو البطيء للاطار النظري للفكر الاشتراكي . فان الرئيس الراحل كان ، كما لاحظ سمير احمد ، يميل الى استهجان النظريات والتأمل الفكري المجرد . لقد كانت للنظريات قيمة بالنسبة له فقط عندما تمتد جذورها في التجربة العملية .

وعندما تأخذ النظريات شكلا تجريديا مسبقا للتجربة والخبرة اعتبرها ناصر عقيمة بل وحتى مضرة . ولعل ذلك يفسر لنا شكوكه في حركة البعث رغم ان البعثيين قد خرجوا بفكر اشتراكي نظري قبل ظهور اشتراكية ناصر العربية بوقت غير قصير . بيد ان سمير احمد لا ينكر بان ناصر قد تأثر بنظريات البعث ولا يؤمن بوجود هوة سحيقة تفصل بين المدرستين . وقد جاء القسم الذي كتبه سمير احمد على شكل محاولة منه لوضع الاشتراكية العربية في منظورها من الايديولوجيات الاشتراكية المعاصرة واختصار منه لمؤلف كتبه سابقا في سنة ١٩٦٦ مع تنقيح يتناسب والاحداث .

اما عبد المغني سعيد فيركز اكثر على تطور الاشتراكية في مصر وعلاقتها بالافكار الاسلامية الاجتماعية وتطبيقها الحقيقي . ويتألف القسم الثالث من نص الميثاق الوطني لعام ١٩٦٢ وهو الوثيقة التي اعطت الاسس النظرية والتوجيهية للاشتراكية العربية في مصر .

والذي نرجوه هو ان يلقى الكتاب ما يستحق من الرواج بين صفوف الاشتراكيين في بريطانيا بل وفي كافة البلدان الناطقة باللغة الانكليزية . وهنا يتقدم خالد القشطيني في كتابه « النيو ستيتسمان والشرق الاوسط » الذي اصدره مركز الابحاث الفلسطينية ليؤكد على الضرورة الماسة التي تقتضي من الاشتراكيين الدمقراطيين في الغرب تفهم اهداف الاشتراكية العربية ومنجزاتها تفهما اوسع . والنيوستيتسمان كما نعلم هي المجلة السياسية اليسارية التي تصدر اسبوعيا في لندن . ومنذ تأسيس النيوستيتسمان قبل الحرب العالمية الاولى بسنة واحدة رأيت هذه المجلة على التأثير في تفكير الاشتراكيين والاصلاحيين بشكل يفوق بكثير مدى انتشارها ومبيعاتها . وقد اثرت بصورة خاصة في تفكير الصفوة المثقفة لكثير من دول العالم الثالث بقدر ما اثرت في الاوساط الجامعية لاكثر من جيل واحد في بريطانيا . والواقع ان السيد خالد القشطيني يصف في كتابه كيف كان هو شخصيا في ايام صباه في بغداد يترقب وصول هذه المجلة كحدث اسبوعي مهم له ينكب خلاله على ترجمة مقالاتها ومناقشة افكارها . وبالطبع كان ذلك بالضبط هو الحال بالنسبة لكثير من الشبان المفكرين في عدة دول اخرى غير العراق . اما سر النفوذ الكبير الذي اصابته مجلة النيو ستيتسمان فهو انها قد ساعدت على توضيح كثير من الافكار التي كانت رائجة بشكل مشوش وفطري وترسيخ ذلك في اذهان الكثير من الناس . وحدث ان استمرت هذه الافكار النيو ستيتسمانية في تأثيرها على التلميذ النارىء بعد ان اصبح شخصية مرموقة كموظف مهم او زعيم سياسي او رجل من رجال الاعمال .

ولكن مجلة النيو ستيتسمان فقدت في الاخير مكانتها وتأثيرها بين قرائها العرب بعد ان انجرفت وراء التأييد القوي للصهيونية قبيل الحرب العالمية الثانية . ويعطينا كتاب خالد القشطيني دراسة كئيبة عن الطرق والمناحي التي تجلى فيها هذا الاتجاه . انه كتاب اختصاصي جدا ولن يسترعي انتباها كبيرا من القراء الذين لم تقع حياتهم ضمن المجال الذي تعاظم فيه اثر النيو ستيتسمان . ولكن الاشتراكيين البريطانيين الذين سيحضون بقراءة هذا الكتاب سيضطرون الى اعادة النظر في الميل الشديد الذي يبديه حزب العمال البريطاني الى جانب اسرائيل والحكمة في ذلك او عدمها .

ويلتقي كلا هذين الكتابين موضوع هذا الحديث في اهمية الاشتراكية العربية وما تستحقه من التفات الاشتراكيين الاوروبيين الى ما يجري في الدول العربية من تطورات وما يجدر من ذلك بقسط من عطفهم وتفهمهم الذي اغدقوه على اسرائيل . ولا ريب ان كتاب خالد القشطيني سيساعد على حقن شيء من الشكوك في ذلك التقبل الجزافي دون تمحيص او تفكير لادعاءات اسرائيل بكونها جنة من جنان الاشتراكية . لقد اخذت وقائع الموقف الراهن في الشرق الاوسط بزعزعة تفكير كثير من التقدميين في دول اوروبا الغربية ممن دأبوا سابقا على العطف على اسرائيل في حين غابت عن اعينهم وقائع الحال في الشرق الاوسط . ولو ان المستر هارولد ولسن ، زعيم حزب العمال البريطاني ، ما زال يتغاضى عن هذه الوقائع حتى الان . ولا شك ان هذين الكتابين سيساعدان على تسريع عملية التنوير والوعي الثقافي في هذا الميدان .

دافيد ميتشيل

معين أحمد محمود ، **الجديد في العسكرية الاسرائيلية**
(منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٧٢) .

لا شك ان اهتمام المثقفين العرب بقضايا العسكرية الاسرائيلية أمر مطلوب وضروري في مجرى الصراع الثوري بين شعوب الامة العربية والعدو الصهيوني ، ولا شك أن شعار « اعرف عدوك » الذي قدمه الكاتب في مقدمة كتابه شعار يجب التأكيد عليه باستمرار كضرورة جوهرية من ضرورات النضال العربي ضد العدو الاسرائيلي . ولكن لا شك ايضا ان هذه القضية الفكرية والثقافية يجب ان تأخذ وتعالج من كل متعد لها بجدية وأمانة علمية تتناسب واهميتها وخطورتها .

ان اهمية دراسة العدو بدقة بالغة وتقديم معلومات صحيحة جديدة عنه تدفعنا الى القول بأن كتابا يصدر بعد خمس سنوات من الهزيمة يونيو ١٩٦٧ بعنوان « الجديد في العسكرية الاسرائيلية » ويكتب على غلافه الخلفي أسفل صورة انيقة للمؤلف بأنه « هو الكتاب الرائد للدراسات العسكرية عن العدو الاسرائيلي يكتبه ، الرائد الذي لا يكذب اهله ، الكاتب الموسوعي، المؤرخ الاستاذ معين احمد محمود الذي كرس كلماته للقضايا العربية الخ » مفروض فيه بطبيعة الحال أن يقدم بحثا علميا جادا امينا عن ما هو **جديد فعلا** في العسكرية الاسرائيلية ، لا أن يقدم اعادة طبع اجزاء من كتب سابقة لمؤلفين اخرين عن العسكرية الاسرائيلية دون حتى ذكر هذه الحقيقة البسيطة التي يسهل على كل متتبع للكتابات العربية البحث حول هذا الموضوع ان يكتشفها بعد صفحات قليلة من قراءة البحث الجديد المزعوم ! فبعد فصل قصير عن « تسليح اسرائيل بعد حرب حزيران ١٩٦٧ » جمع فيه الكاتب مجموعة أخبار عن صفقات أسلحة من الصحف بطريقة غير دقيقة مليئة بالاخطار والتناقضات مثل قوله أن اسرائيل اشترت يوم ٢٣ تشرين اول ١٩٧٠ ٢٠٠ دبابة امريكية طراز — ٦٠ (يقصد م — ٦٠) عاد يقول مثلا أنها حصلت يوم ١٢ تشرين الثاني ١٩٧٠ على ١٨٠ دبابة طراز « م — ٨٠ » ! ان ليس هناك دبابة بهذا الاسم الخ ، نقول بعد هذا الفصل الذي يعتبر هو الفصل الوحيد الذي تحدث فيه المؤلف عن ما هو جديد في العسكرية الاسرائيلية بسطحية وعدم دقة مثل قوله ان زوارق « طوربيد » جمهورية مصر العربية أغرقت يوم ٢١ تشرين ١٩٦٧ المدمرة « ايلات » على حين يعلم أي مواطن عربي ان « ايلات » اغرقتها زوارق الصواريخ الروسية الصنع « كومار » المسلحة بصواريخ موجهة سطح — سطح طراز « ستيكس » . انتقل الى خمسة فصول تاريخية واقتصادية عن الوجود الصهيوني في فلسطين والمطامع الاسرائيلية التوسعية القديمة ابتداء من مؤتمر « بال » ومرورا بعام ١٩٣٦ وانتهاء بميزان القوى العسكرية ١٩٤٨ — والترتيب المذكور من عندنا لان الكاتب عكسه في كتابه — لا تصل بموضوع كتابه عن الجديد في العسكرية الاسرائيلية ، ولا يعنينا الان مناقشة او نقد ما جاء فيها من اراء وتفاصيل ، ثم عاود الحديث عن الموضوعات العسكرية ابتداء من الفصل السابع الذي أعطاه عنوان « التعبئة العامة ، دعوة الاحتياط والتسريح في اسرائيل » .. (في الصفحات من ٧١ الى ٧٩) وكان المفروض عليه وفقا لما تقتضيه الامانة ان يقول « اقرأ ما جاء في كتاب اللواء محمود شيت خطاب » « العسكرية الاسرائيلية » (طبعة دار الطليعة عام ١٩٦٨) حول « النفير ودوعة الاحتياط والتجنيد والتسريح في اسرائيل » ابتداء من صفحة ١٠١ حتى صفحة ١١٥ ، فقد قام المؤلف بنقل حرفي للصفحات المذكورة مع تغيير طفيف للغاية في بعض العناوين الفرعية ومع كتابة خمسة أسطر في البداية من عنده او ربما من مصدر اخر لم نتوصل الى معرفته ! ومع المحافظة على نقل معظم هوامش الكتاب الاصلي ايضا !

وواصل المؤلف انتفاضه على كتاب « محمود شيت خطاب » في الفصل الثامن الذي اعطاه اسم « القوات المسلحة الاسرائيلية » (الصفحات من ٨٠ الى ٨٢) نقلا عن نفس الفصل بالعنوان نفسه من كتاب خطاب (ابتداء من صفحة ١١٧ حتى ١٢) ثم انتقل في صفحة ٨٢ من كتابه وخلال نفس الفصل الى كتابه « هيثم الكيلاني » عن « المذهب العسكري الاسرائيلي » (سلسلة كتب فلسطينية رقم ١٩ التي يصدرها مركز الابحاث — ١٩٦٩) وأخذ ينقل عنه ، طبعا دون ذكر أي اشارة لذلك كما هي عادته ، ابتداء من صفحة ٩٣

ابتداء من عبارة « وهكذا تمكن الصهيونيون .. » بالسطر ٢٢ من كتاب الكيلاني وحتى صفحة ١٠٣ السطر ١٤ (التي تقابل نهاية صفحة ٩٠ من كتاب معين) . لينتقل بعد ذلك ابتداء من صفحة ٩١ الى مواصلة اللطش الحرفي من كتاب هيثم الكيلاني ايضا ابتداء من صفحة ١٠٥ السطر ١٦ حتى قرب نهايتها ! ثم من صفحة ١٠٦ ابتداء من سطر ٨ حتى سطر ٢٠ منهيا بذلك صفحة ٩٢ من كتابه ! وفي الفصل ٩ عن « التنظيم العسكري » قام بنقل صفحة ١١٠ ، ١١٤ من كتاب هيثم الكيلاني وذلك في الصفحات ١٠٣ ، ١٠٦ من كتابه **الجديد** !

وفي الفصل ١١ بعنوان « الطيران الاسرائيلي » قام ابتداء من صفحة ١٤٧ عند حديثه عن استخدام سلاح الطيران في حرب ١٩٦٧ بنقل ما أورده « هيثم الكيلاني » في كتابه بنفس العنوان ابتداء من صفحة ٦٥٨ حتى صفحة ٦٦٢ حتى السطر ٢٠ (وذلك يقابل بداية صفحة ١٥٢ من كتاب معين الجديد !) ثم انتقل في حديثه عن المطارات الاسرائيلية فنقل عن كتاب الكيلاني ايضا نقلا حرفيا تقريبا الصفحات ١٣٢ ، ١٣٣ وفعل الشيء نفسه عن القواعد البحرية في صفحة ١٥٨ فنقل حرفيا تقريبا عن الكيلاني صفحة ١٣٦ ، وكذلك في حديثه عن « الجدناع » صفحة ١٦٧ فنقل عن المرجع السابق حرفيا ايضا صفحات ١٤٤ ، ١٤٥ وطبعا دون الاشارة الى ذلك في أي هامش !

ويبدو ان الكاتب سأم عملية النقل من كتاب « الكيلاني » أو رأى ضرورة تنويع مصادر نقله الحرفي فعاد مرة اخرى الى كتاب « محمود شيت خطاب » واخذ يعيد طبع صفحات طويلة منه ابتداء من الفصل ١٧ عن « السلاح الذري في اسرائيل » فاخذ ينقل عن صفحات ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ في صفحاته هو ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ واستمرت هذه العملية بعد ذلك على طوال صفحات كتابه حتى نهاية الفصل ١٨ في صفحة ٢٤١ ناقلا من كتاب «خطاب» صفحات عديدة مثل ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، حتى ٢٩٥ ! مع ترك بعض الاسطر منها احيانا مثلما فعل في نهاية صفحة ٢٤١ من كتابه **الجديد** ! حيث ترك السطر الاخير من صفحة ٢٩٥ من كتاب « خطاب » ! ثم واصل المؤلف « الموسوعي » انقضاضه على كتاب « شيت خطاب » في الفصل ١٩ « مصادر السلاح الاسرائيلي » (ص ٢٤٢ وما بعدها) ونقل عنه ابتداء من العنوان الفرعي « جذور التسليح الاسرائيلي » وذلك من صفحة ٣٠٠ بكتاب « خطاب » حتى صفحة ٣٣٨ تقريبا مع بعض الاختصار احيانا منهيا بذلك فصله المذكور في صفحة ٢٦٤ ! ليواصل النقل بطول نفس يستحق الاعجاب : فهو ينقل ايضا الهوامش من المرجع الاصلي ! في الفصل ٢٠ عن صناعة الاسلحة الاسرائيلية من نفس الكتاب السابق ومن فصله المعنون بالعنوان نفسه ابتداء من صفحة ٣٥٨ من كتاب « خطاب » (التي تقابل صفحة ٢٦٥ من كتاب « معين » « الجديد » !) من العنوان الفرعي « أبحاث الفضاء » حتى نهاية صفحة ٣٦٢ التي تقابل صفحة ٢٦٨ من الكتاب «الجديد»! ثم يواصل النقل مرة اخرى عن حديثه عن « المناطق الصناعية » حتى نهاية صفحة ٣٦٨ من كتاب « شيت خطاب » التي تقابل صفحة ٢٧٢ من كتابه « الجديد » ! وفي بعض الاحيان كان الكاتب يقول بتغيير طفيف في الالفاظ والكلمات مثلما تصرف في عبارة « ومن الخطأ الكبير الاعتقاد بأن اسرائيل في عام ١٩٥٦ وجدت في نفسها القوة الكافية للهجوم على مصر » التي أوردها « هيثم الكيلاني » في السطر الاول والثاني من صفحة ٩٦ من كتابه ، فجعلها « معين » في كتابه « الجديد » « ومن الخطأ الفادح الاعتقاد بأن اسرائيل في ١٩٥٦ أنست في نفسها القوة الكافية للهجوم على مصر » ! وفي احيان اخرى كان يخطأ في نقل الكلمات نتيجة لتعجله في النقل بسرعة انهاء الكتاب استعدادا لتأليف وطبع ٤ كتب اخرى يعلن عن قرب صدورها في نهاية كتابه هذا ! فنراه مثلا وهو يتحدث عن « نفير سليمان » في الفصل الخاص بدعوة الاحتياط يقول أن قلعة « مجدو » الاسرائيلية القديمة كان بها « اماكن لتجمع ثلاثمائة عجلة عربية » (صفحة ٧٥ سطر ٢٦) بينما الاصل المذكور في كتاب « شيت خطاب » « ثلاثمائة عجلة حربية » (صفحة ١٠٩ سطر ١٨) !! كما نقل كلمة « الحرب الاشعاعية » في البند ب صفحة ٢٧٩ من خطاب « شيت خطاب » خطأ وجعلها كلمة « الحرب الكيماوية » في صفحة ٢٣٠من كتابه رغم كتابته الكلمة الانجليزية المقابلة لها

(نقلا عن الاصل ايضا) «Radiological Warfare» هذا وقد أورد الكاتب المذكور الكتابين اللذين نقل منهما عشرات الصفحات نقل مسطرة ضمن قائمة المراجع الطويلة العربية والاجنبية التي ألحقها بكتابه في صفحات ٢٩٤ — ٢٩٧ والتي نشك في انه استخدم منها شيئا ، ولكن ذلك لا يعفيه من جريمة السرقة الادبية التي ارتكبها على هذا النحو الفاضح لان الكاتب حين ينقل عن مراجع لا ينقل صفحات طويلة متوالية ودون ان يذكر هذا في هامش كتابته ويفتح الاقواس المحددة للفقرات المأخوذة . ومن هنا نرى ان كتاب « معين احمد محمود » ليس جديدا في شيء الا في كونه قد طبع عام ١٩٧٢ بينما طبع كتاب « محمود شيت خطاب » « العسكرية الاسرائيلية » في عام ١٩٦٨ وطبع كتاب « هيثم الكيلاني » « المذهب العسكري الاسرائيلي » في عام ١٩٦٩ ، ومن ثم كان يجب أن يسمى الكتاب الجديد المزعوم « طبعة مختصرة جديدة » لاجزاء من الكتابين المذكورين . وحيث اننا لسنا بصدد نقد مادة هذين الكتابين الان فاننا لن نقوم بتقييم المادة العلمية المزعومة التي يقدمها كتاب « الجديد في العسكرية الاسرائيلية » لانه ليس جديدا في شيء سوى في تاريخ نشره واختلاف الدار الذي نشرته عن الدور التي نشرت الكتابين المذكورين !

اما المقاطع التي نعتقد بأن الاستاذ معين محمود قد كتبها فهي مليئة بالتناقضات والاخطاء الفادحة، مما يشير الى ان معارفه العسكرية تتفوق على براعته في « التأليف » فكل مقطع ينطق بجهله التام في الشؤون العسكرية . فهو يشير مثلا الى ان السوبر ميستير تحمل ٥٥ قذيفة جو — جو ، في حين تحمل معظم المقاتلات الاحدث من السوبر ميستير صاروخين اثنين فقط ، وكان يمكن اعتبار هذا خطأ مطبعيا لولا انه تكرر في الحديث عن خواص الميراج التي تحمل ٣٢ صاروخا جو — جو. ويبدو انه اعتبر قذائف الطائرات العادية جو — ارض صواريخ جو — جو . كما انه لا يدع مجالا لخبثاء الطيران ان يخدعوه فيكشف « تمويههم الواضح » فيما يختص بطائرة « السكاي هوك التكتيكية » والتي ليست سوى «طائرة استراتيجية» متنكرة « ولان الغرض الوحيد الذي دفع اسرائيل لاختبارها هو استخدامها للاغراض الاستراتيجية»؛ ولا تفوت عليه الخدعة القائلة بأن طراز طائرة السكاي هوك قديم لان هذا القول « ينطوي على تمويه آخر اذ سبق أن راينا عدة علامات (يقصد نماذج) منها وكان آخرها (١) التي انتجت عام ١٩٦١ — ١٩٦٢ » . ويتضح من التاريخ الذي أورده الكاتب ان الطائرات قديمة والمعلومات عنها متوفرة وليس هناك مجال « لتمويهها » او « كشف هذا التمويه » . ويشير بعد ذلك الى ان اسرائيل « ستستخدمها (السكاي هوك) بل واستخدمتها فعلا في ٥ حزيران في قصف الاهداف العربية البعيدة » صفحة ؟ اي قبل ان تصل الطائرات الى اسرائيل ، لان الدفعة الاولى وصلت بعد حرب حزيران ، حيث تمت الصفقة الاولى لبيع طائرات امريكية لاسرائيل في ٢٨ كانون ١٩٦٨/١ ، ووصلت الطائرات الاولى في أيلول ١٩٦٩ . ويضيف بأن « مداها يستطيع بلوغ القاهرة والاسكندرية » ثم تتملكه رغبة في المبالغة فيضيف « بل حتى الحبانية وبغداد » هذا مع انه يقول ان مداها الاقصى يزيد على ٢٠٠٠ ميل بقليل (اي نحو ٣٢٠٥) هذا في صفحة ١٣٤ ، ولكنه ينخفض في الصفحة التالية ليصبح « دائرة مداها ١٥٠٠ كم ».

ولا تتوقف اغلاطه عند طائرات السكاي هوك ، بل تتعداها الى كل انواع الطائرات تقريبا، فسرعة طائرة الفانتوم عنده « تتجاوز سرعة الصوت ونصف المرة » وهذا ما لا يتفق مع الحقيقة فسرعتها تبلغ (٢،٢٧ ماك).وحمولتها عنده «تبلغ ضعفي وزنها اي حوالي ٢٥ طنا » هذا في صفحة ١٣٨ ، ثم تنخفض الحمولة الى ٥ اطنان في الصفحة ١٤٠ ، بينما تبلغ حمولتها الحقيقية من المواد الحربية ٧،٢٦٠ كغم . وكذلك الميراج التي تبلغ سرعتها ٢٢٧٠ كم/ساعة ، صفحة ١٣٢ ، ثم تنخفض الى ٢٠٢٠ كم/ساعة في الصفحة ١٣٧ ، ثم تعود السرعة الى الارتفاع فتصبح ٢٧٨٠ كم/ساعة في الصفحة ١٤٧ ، وهذا يشير الى انه قد شرح مواصفات الميراج ثلاث مرات ، حيث سمى الطراز الاول داسو ميراج سي ، وقال ان اسرائيل تمتلك ٩٦ طائرة من هذا الطراز ، اما الثانية فهي ميراج فقط ، اما الثالثة فهي ميراج (3-C) والتي وصل منها (٥٠ — ٧٠) طائرة من اوستراليا بالاضافة الى ١٣٠ ميراج من هولندا ، أي ان المجموع وصل الى ٣٠٠ طائرة ميراج تقريبا ، علما بأن اسرائيل لم تكن تمتلك سوى ثلث او ربع هذا الرقم قبل وبعد حرب حزيران كلها من طراز ميراج ٣ سي . وكذلك الحال بالنسبة للطائرة ت — ١٠٤ والتي تتراوح بين «٢،٢ الى ٣،٣ مرة بقدر سرعة الصوت»

ولم نفهم كيف يمكن ان «تتراوح»السرعة القصوى وهي سرعة«قصوى»كما انه ليس هناك طائرة بهذه السرعة ، واسرع طائرة معروفة هي الميغ ٢٥ والتي تبلغ سرعتها ٣،٢ ماك ، بالاضافة الى ذلك فالمؤلف ضعيف في الحساب حين يقول « فأقصى ارتفاع بلغته هو (١٠٢٢٨٩ قدما) (اي نحو ١٥١٣ مترا) » وقد تغاضينا عن خطأ في الطباعة جعل الارتفاع الاقصى (٢٥٤٠ كيلومترا) صفحة ١٣٦ .

فان فات القارىء اكتشاف هذه الاخطاء والتناقضات، فلن تفوته التعابير العسكرية الخاصة بالكاتب والتي لا يمكن ان تمر دون ان تثير شعورا بالاستغراب من التقدم الرهيب الذي وصلت اليه التكنولوجيا ، مثل وصفه للميراج بأنها طائرة « نفاثة للقتال والملاقاة » (يقصد معترضة) ، مع انها في الحقيقة قاذفة مقاتلة متعددة الاغراض . او قوله « ارتفاعها في المحركات » وهو ما لم نفهم معناه ، او بوصفه اجنحة طائرة ف ١١١ بأنها « قابلة للتغيير » (يقصد اجنحة متحركة) او حديثه عن تسليح المدمرة ايلات ـــ والذي لم يكن له اي داع لان المدمرة اغرقت عام ١٩٦٧ ، خاصة وان اسم الكتاب الجديد في العسكرية ـــ وقولها بأنها تحمل « اربع قنابل اعماق مع مخزنين للقنابل » !! او قوله في معرض حديثه عن المدفعية المضادة للطائرات « ولان هذه المدفعية حين تخطىء تبتعد عن الطائرة مسافة ٣٢ مترا » .

فان تمكن القارىء من مواصلة القراءة واستطاع انتزاع عينيه عن الحروف ليطالع الرسومات التوضيحية ، فسوف يطالعه العجب فعلا ، رجل عادي يرتدي ملابس شبه عسكرية ـ بدون شارات ـ قد يرتديها اي حمال في اي مرفأ في العالم ، او جندي في مالطة ، بعلا اضافة الشارات العسكرية طبعا ، او احد زبائن الملابس العسكرية القديمة في هونغ كونغ ، ويكتب تحتها جندي اسرائيلي (صفحة ١١١) . او حين يقدم صورة للفانتوم « تنشر لاول مرة » . يقول ذلك بعد عامين من نهاية حرب الاستنزاف والتي كانت الفانتوم حصانها الاول . وبعد ان نشرت الصحف العربية والاجنبية الاف الصور لها . وحين تصل الى « الدبابة آ. ام. اكس ١٣ التي تشبه الـ آ. ام. اكس ١٣ ، والمزودة بمدفع ١٠٥ ملم غير قابل للحركة » (يقصد ذاتي الحركة) صفحة ٢٥٧ ، او المدفع ذاتي الحركة عيار ١٥٥ ملم والمركب على قاعدة دبابة شيرمان فيصفه بأنه « اثقل دبابة استعملت في الميدان » صفحة ٢٥٤ تكون قد فقدت نهائيا القدرة على التعجب وألقيت بالكتاب جانبا بشكل نهائي .

من قراءة سطور الكتاب ، الذي تطلب منا صبرا جميلا ، تستطيع ان تجزم بأن معارف الكاتب العسكرية تقل كثيرا عن معارف الرجل العادي . فهو يخلط مثلا ـــ وكذلك الكتاب الذي اتخذه مصدرا ـــ بين الطائرات المقاتلة والتجارية والطائرات القديمة التي استعملت في حرب ١٩٤٨ وما قبل ، والحديثة ، ويعتبرها كلها من طائرات سلاح الطيران . ولا يفرق ، لا هو ولا الكتاب المصدر كذلك ، بين القذائف المضادة للدبابات ، او الصواريخ المضادة للطائرات ، او صواريخ البحث العلمي غير الموجهة . ولا يقدم كتابه للقارىء العربي اي جديد ، لان كل ما يقدمه هو معلومات مشوشة او تكرار لمعلومات منقولة بشكل خاطىء.

هشام عبدالله
و
محمود عزمي

علي المحافظة ، العلاقات الاردنية ــ البريطانية (من تأسيس الامارة حتى الغــاء المعاهدة ١٩٢١ ــ ١٩٥٧)

(دار النهار للنشر ، بيروت ، ١٩٧٣) .

خضع تاريخ الاردن السياسي طيلة الخمسين عاما الماضية لحملة كبيرة من التضليل وذلك نتيجة لحرص السياسة البريطانية على اخفاء الدور الذي اوكلته لتلك الكيانات السياسية التي أنشأتها في فترة ما بعد الحرب الاولى بالتعاون مع الهاشميين في كل من الاردن والعراق . ومن استعراض لغالبية تلك المؤلفات التي تناولت صيانة هذا التاريخ يمكننا التمييز بين صنفين من الكتاب :

ــ موظفون بريطانيون (عسكريون ومدنيون) سبق لهم الخدمة لدى الادارة البريطانية في الاردن واشرفوا على تنفيذ تلك الخطط البريطانية مثل : بيك ، كيركرايد بوغ وكلوب . واتجه اهتمام هؤلاء بالطبع للدفاع عن وجهة النظر البريطانية وتجاهل الحركات الوطنية المعارضة او التقليل من شأنها او نحو الحديث بحماس عن تجربتهم الذاتية المغامرة .

ــ كتاب عرب : اما رسميون هم جزء من النظام القائم انصرفوا الى عرض ذلك التاريخ بقدر كبير من المغالطة ككتب المذكرات التي كتبها الملك عبدالله وهزاع المجالي والملك حسين .

أو كتاب اجراء تولوا مهمة تزوير ذلك التاريخ لحساب النظام القائم ولم يكونوا معنيين أصلا بالقضية العلمية مثل سليمان الموسى ، منيب الماضي ، موسى يكمرزا ، تيسير ظبيان ، احمد العلي ، امين ابو الشعر .. وآخرون .

وفي الشهر الماضي صدر كتاب جديد عن دار « النهار » تناول العلاقات الاردنية ــ البريطانية منذ تأسيس الامارة حتى الغاء المعاهدة (١٩٢١ ــ ١٩٥٧) . وتأتي أهمية الوقوف عند هذا الكتاب من أهمية الموضوع أولا . فتناول العلاقة بين الاردن وبريطانيا يعني بالحقيقة تغطية التاريخ السياسي للاردن طيلة تلك الفترة . وثانيا من حيث ان المؤلف طرح كتابه بادعاء الخروج عن ذلك النسق غير الموضوعي وذلك التحيز الشخصي اللذين وقع فيهما معظم المؤلفين العرب والاجانب ــ على حد تعبيره ــ (ص ٩) وحاول بذلك ان يمنحنا الثقة الاكاديمية في الدراسة على اعتبار انها جهد رفيع تقدم به الكاتب الى جامعة السوربون في باريس عام ١٩٧١ كأطروحة للحصول على دكتوراه الحلقة الثالثة في التاريخ العربي المعاصر .

ثمة ملاحظة اساسية تلفت نظر المطلع على الدراسة سلفا تتعلق بمنهج الكتاب ، وهي ان الكاتب اختفى طيلة الـ ٢٨٤ صفحة وراء أكداس من الاقتباسات والحواشي فجاء كتابه تسجيليا مسطحا يفتقر الى العمق والتحليل والربط ولا تعدو معظم صفحاته ان تكون جهدا تجميعيا للمعلومات سجلها الكاتب ووضع ارقاما للحاشية في نهاية كل فقرة (انظر معظم صفحات الكتاب) .

صحيح ان المؤلف قد أورد في نهاية دراسته أسماء لنحو ١٥٠ مرجعا عربيا وأجنبيا بين كتب ووثائق ومنشورات رسمية وصحف ، الا انه افتقد القدرة العلمية على البحث وعجز عن استخدام تلك المصادر والمراجع الاستخدام الافضل وفق أساليب وطرق البحث العلمي ، ولم يكن بامكانه سوى اعادة ترتيب تلك الاقتباسات وتدوينها بينما تلاشت تماما شخصية الباحث خلف سطور الكتاب . لقد حد هذا من الفائدة المرجوة والمحتملة للبحث بعد أن ساقه ذلك النهج للوقوع في مزلقين هامين هما :

(١) غياب المنهج التحليلي العلمي ، او محاولة استكشاف الخلفيات الاجتماعية والسياسية لظاهر الاحداث او محاولة ربطها ، فهو عندما يسوق حادثة طرد الاستقلاليين من الاردن ١٩٢٤ واطلاق يد بيك في السيطرة على الجيش (ص ٥٢ ، ٥٥) لم يوضح البنية الاجتماعية والذهنية للاستقلاليين ، ولا سرد التأييد الشعبي الذي احيطوا به بين العشائر الاردنية : وما هي الاعتبارات التي حكمت علاقتهم مع الامير عبدالله ، والتأثيرات التي خلفها اجراء الطرد على اوضاع الحركة الوطنية . وعندما يتعرض لحركات العصيان العشائري التي شهدتها الامارة في البداية (ص ٥٤ ، ٥٥) لم يبد اي اهتمام في تحليل الموقف البريطاني من هذه الحركات .

وعندما يورد بنود الاتفاقيات الاردنية ــ البريطانية كاتفاقية ١٩٢٨ والقانون الاساسي (ص ٦٨ ــ ٧٤) فانه يقوم بمهمة تسجيل تلك النصوص

دون محاولة ربطها بالواقع السياسي المحلي وبخطط السياسة البريطانية في المنطقة . فما هو التقييم الحقيقي للمجالس التشريعية التي تمخضت عن القانون الاساسي . وكيف أمكن للامير عبدالله بالتعاون مع بريطانيا احتواء المعارضة الوطنية من خلال تلك التجربة الدستورية المشوهة ؟ وكيف انه كان من شأن المادة ١٧ الخاصة باشراف الادارة البريطانية على منح امتيازات المشاريع تسهيل سيطرة الحركة الصهيونية على تلك المشاريع كما جرى بالامتيازات الممنوحة لشركة كهرباء فلسطين وشركة البوتاس الفلسطينية . ثم المرامي الخطيرة التي حملتها المادة ١٩ بشأن سريان معاهدات تسليم المجرمين على الاردن لاحكام الطوق حول الثورة في كل من سوريا وفلسطين ... الى غير ذلك من النصوص التي لم تثر فضول الكاتب .

لقد بدا قصور هذا النهج ايضا عندما تعرض المحافظة « للمعضلة الفلسطينية والعلاقات الاردنية ـ البريطانية » فقد جاء هذا الفصل أقصر فصول الكتاب (١٤١ ـ ١٦٧) على اهمية الدور الذي لعبته بريطانيا عبر النظام الاردني . وانهمك الكاتب بعرض تسجيلي مبتور لبعض فصول تلك المأساة بأسلوب مدرسي بينما عجز عن ابراز الخطوط العامة والاساسية من خلال تحليل لعلاقة بريطانيا المزدوجة والتزاماتها تجاه الحركة الصهيونية من ناحية وتجاه الامير عبدالله من ناحية أخرى .

في مناسبة اخرى يتعرض الكاتب للحديث عن النزاع الذي ثار حول امكانية انضمام الاردن الى العراق بعد مقتل الملك عبدالله ويسوق جملة احداث غير مترابطة وغير مفهومة حول زيارة ابو الهدى الى الرياض وعدوله عن موقفه السابق المؤيد للوحدة مع العراق ، وكيف انه تحالف مع كلوب لافشال مساعي الوحدة (ص ١٩٧) ـ كيف جاء هذا التحول في موقف ابو الهدى ؟ ولماذا وقفت بريطانيا ضد انضمام الاردن الى العراق مع تبنيها لفكرة « الهلال الخصيب » (ص ٢١٣) هذا ما لم يجب عليه المحافظه واكتفى بعرض جملة مواقف مجزأة دون ان يصل الى معرفة موقف بريطانيا الحقيقي من قضية الوحدة العربية .

(٢) عمد الكاتب الى تسجيل الاقتباسات وعرضها كما هي بصياغتها الاصلية نفسها دون وضعها ضمن اقواس خاصة فظهرت كأنها جزء من صياغته وبنات افكاره وأدى ذلك بالتالي الى وجود تمايز ظاهر بين فقرات الكتاب في اللغة والاسلوب وطريقة التفكير . والى تبني الكاتب لهجة المستشرقين احيانا البعيدة عن فهم حقائق الامور بل والى تبني آراء معادية ومضللة تعبر عن وجهة نظر أصحابها احيانا اخرى . فالمحافظة يرى في ذلك الموقف الوطني ضد محاولة ربط المنطقة بسياسة الدفاع الغربي بعد طرح حلف بغداد « قضية منافسة على زعامة العرب بين مصر والعراق » كما ارتأت اذاعة هيئة الاذاعة البريطانية التي استند الكاتب الى احد تعليقاتها (ص ٢٢١) . وفي موطن آخر انجر المحافظة الى تبرير محاولة انضمام الاردن الى الحلف وذلك بعد ان ساق هنا وعلى مدى نصف صفحة آراء هزاع المجالي بحرفيتها كما اوردها في مذكراته (هزاع المجالي ص ١٥٣ ـ ١٥٥) . ويعود ليبدي سخطه واسفه لعدم انضمام الاردن للحلف حين ينقل هنا رأيا لهزاع المجالي فيقول : « ان الحكومة الاردنية قد وقعت في خطأ فادح لعدم تشكيلها وفدا رسميا للتفاوض مع الوفد البريطاني ، ودعوتها الجنرال تمبلر ، فانتقلت بذلك الصفة السرية للمفاوضات وانتقلت تفاصيلها الى الشارع وانتشرت الشائعات حول التنازلات الاردنية مخاطر الانضمام للحلف » (ص ٢٣٤) . وينقل الكاتب اقتباسا مبتورا على ما يبدو عند حديثه عن نتائج انتخابات ١٩٥٦ فلا يفسر لنا كيف جاءت نتائج الانتخابات « باعثة على الدهشة » (ص ٢٥٣) . وفي موطن آخر يبدو الكاتب متطوعا للحديث عن مزايا التحالف الاردني ـ البريطاني فيقول : « تكمن اهمية هذا التحالف في المعونة المالية المقدمة للجيش الاردني ، وفي حماية الاراضي الاردنية من اي عدوان خارجي والواقع ان هذا التحالف قد جنب الاردن الاحتلال الاسرائيلي لاراضيه وضمن له سلامة حدوده الطويلة مع اسرائيل ، وبانهاء معاهدة ١٩٤٨ زالت هذه الضمانة وأصبحت الحدود الاردنية مع اسرائيل عرضة للهجوم وغدت التزامات بريطانيا تجاه اي نزاع مسلح بيد العرب واسرائيل او بين الاردن واسرائيل مقتصرة على مضمون البيان الثلاثي الصادر في ٢٥ ايار ١٩٥٠ وميثاق الامم المتحدة » (ص ٢٧٠ ، ٢٧١) . قد نكون مغالين اذا قلنا ان هذا هو رأي الكاتب الا انه بدا كذلك بعد عرض المحافظه حرفيا ما قاله احد النواب البريطانيين على ما يبدو داخل احد الجلسات البريطانية .

لقد افتقد الكاتب الخلفية العلمية ووقع لذلك

في لبس كبير فلم يتعامل مع النصوص بحرص وحذر واكتفى في معظم الدراسة بنقل تلك النصوص كما هي ، معتقدا بذلك انه يلتزم جانب الموضوعية بنقل آراء ومواقف مجزأة ومتباينة .

موضوعيا هل نجح الكاتب في عرضه للافكار الاساسية في الدراسة بأمانة علمية صحيحة ؟ ثمة تحفظان يلقيان كثيرا من الشك على نجاح الكاتب في هذا الامر : اولهما : استناد الكاتب في معظم مصادره الى مراجع غربية لم تتفهم جملة عوامل ذاتية وشعبية في المنطقة مع غياب شخصية الباحث الفاحص والمحلل كما أسلفنا . ثانيهما ان الكاتب موظف في السلك السياسي الاردني (ص ٩) وبالتالي لن يحتمل تلك الموضوعية التي ادعاها في مقدمة كتابه عند عرضه لمواقف الاسرة الهاشمية . فالمحافظة لم يتلمس ذلك التناقض القائم بين مواقف الحركة الشعبية ومواقف الاسرة الحاكمة وعمد الى تمييعه او اخفائه في معظم الاحيان . بينما الغى دور حركة التحرر القومي التي عاشتها المنطقة في الخمسينات ونضالاتها وصور تلك الحالة الجماهيرية بقوله : « ان الدعاية المصرية أخذت تغزو العالم العربي . ووجدت من يستجيب لها في صفوف الجيل الناشىء » (ص ٢٢١) . وفي مناسبة اخرى عندما استقال عدد من الوزراء الوطنيين احتجاجا على محاولة جر الاردن للتوقيع على معاهدة الانضمام لحلف بغداد عرض الامر على انه اجراء خاص بـ « فلسطينيين » فقط وحرص على الترديد ان خلافا قد وقع فجأة بين الوزراء الفلسطينيين والوزراء الاردنيين (ص ٢٣٧) .. هكذا اذن فالخلاف في رأي المحافظة لم يأت محصلة لحالة جماهيرية عاشها الاردن . ثم ان الاردنيين كانوا راغبين في الانضمام الى حلف بغداد !! وعندما يصل المحافظة في نهاية كتابه الى تصفية الحركة الوطنية وضرب المنجزات الديمقراطية للحكم الوطني (١٩٥٧) مع بدء سياسة التدخل الاميركي ومشروع ايزنهاور يتناول ذلك الانعطاف التاريخي الهام بلهجة تبسيطية تآمرية ويعرضها على اعتبار انها مجرد خلاف عارض بين الملك وحكومة النابلسي التي شجعت سياسة التقارب مع الاتحاد السوفياتي ، ولم يحبذ الملك تلك الخطوة بل رأى الموافقة على مشروع ايزنهاور رغبة منه في تحسين اوضاع مملكته الاقتصادية والحد من النشاط المتزايد للشيوعيين (ص ٢٧٣ ، ٢٧٤) . لقد تجاهل الكاتب حقيقة الصراع وابعاد المؤامرة الاميركية ليبرر للملك موقفه .

لقد انهار تماما ذلك الادعاء بالموضوعية عندما جند الكاتب نفسه لتبرير تلك الادوار التي لعبتها الاسرة الحاكمة ولجأ الى عملية تزييف معلنة ومفضوحة في أكثر من موقف . فهو يعترف بالموقف « الغامض والمتناقض » للامير عبدالله تجاه الثورة في سوريا الا أنه يعود ليدافع بطريقة غوغائية مبينا أنه مع ذلك فالامير عبدالله متعاطف مع الثورة السورية وان هذا الزعم لا يرقى اليه الشك « باعتباره احد انجال الحسين بن علي قائد الثورة العربية الكبرى . خاصة وان سوريا لم تغب عن خياله قط » (ص ٦٠) !! وهو يبرر للامير عبدالله اتخاذه موقفا معارضا لوالده في التوقيع على المعاهدة الحجازية ــ الانكليزية بعد أن الحسين بن علي التوقيع عليها ويسوق لذلك اقتباسا حرفيا عن تيسير ظبيان ــ أحد أولئك المنحازين الذي حاول المحافظة ان يتميز عنهم « بموضوعيته » ــ فيقول : « كان الامير عبدالله يدرك جيدا في هذا الموقف ان الوجود البريطاني في الشرق الاوسط حقيقة سياسية وعسكرية لا يستطيع أحد أن يتنكر لها . ولذا لا بد من التعاون مع الانكليز لتحقيق آمال العرب السياسية ما دام العرب عاجزين عن مقاومة قوات الاحتلال ومختلفين فيما بينهم » (ص ١٤١) .

لقد أدخل المحافظة في كتابه اصطلاحا خاصا للملك عبدالله سماه باتجاه « المعتدلين » في القضية الفلسطينية ، مقابل اتجاه « المتطرفين المزايدين » (ص ١٥٥) . وتحدث بطريقة مبتذلة عن « الملك الفذ » (ص ١٩٦) « والملك الواعي الذي استطاع ان يحفظ عرشه بحفظ التوازن بين قوتين متعارضتين هما قوة الشعب وقوة بريطانيا » (ص ١٩٣) . ان حماس المحافظة للقيام بهذه المهمة اوقعه في أخطاء اخرى في التاريخ يمكن للقارىء العادي للدراسة ان يضع يده عليها بسهولة ، فهو يحاول ان يوحي في بداية كتابه (ص ٣٣) بأن الامير عبدالله كان يقود حملة عسكرية من ألفي مسلح لتحرير سوريا علما بأنه لم ترافق الامير سوى قوة محدودة من الهجانة ضعيفة التدريب كانت بمثابة حرس خاص له كما تجمع بذلك معظم المصادر .. وثمة جهالة اخرى وقع فيها الكاتب عندما ذكر « ان جيش الانقاذ

الذي أنشأته الدول العربية كان تابعا للحاج امين الحسيني ، وانه كاد ان يقضى على هذا الجيش لولا تدخل الملك عبدالله » (ص ١٧٢) . قد يكون الكاتب قد قصد هنا مجموعات المجاهدين في « الجهاد المقدس » وليس « جيش الانقاذ » . ولكن الكاتب لم يفكر بالعودة الى كتب كلوب نفسه ليعرف ان تصفية « الجهاد المقدس » وتجريد الشعب الفلسطيني من السلاح جاءت على يد الجيش الاردني .

لقد فقد المحافظة الرصانة والامانة العلمية ، والقدرة على البحث والتحليل رغم ما بذله من جهد في تجميع المعلومات . وسيظل أمرا مشكوكا فيه ان يكون الكاتب قد وفق بالحصول على درجة الدكتوراه التي تحدث عنها بناء على هذه الاطروحة — وقد تحاشى الكاتب بالفعل ذكر ذلك — .

ان خطورة الكتاب تكمن في كونه بداية لحملة جديدة تستهدف تشويه التاريخ السياسي للاردن يقوم بها عدد من خدمة النظام من مدعي الثقافة والعلم المتخفين وراء الادعاء بالالتزام بمقاييس العلمية والموضوعية .

قيس اللافي

Ibrahim Al-Abid, 127 Questions and Answers On the Arab Israeli Conflict, (Palestine Research Center, Beirut, 1973).

ان هذا الكتاب يطرح علينا وعلى الرأي العام العالمي ، الذي يجهل قضية فلسطين ، مئة وسبعة وعشرين سؤالا تتعلق بالصراع العربي— الاسرائيلي وما يحمل هذا الصراع من قضايا تاريخية وحقوقية وسياسية واقتصادية واجتماعية وقومية ، مبوبة في سبعة فصول ، كل فصل يتناول جانبا من جوانب القضية وناحية من نواحي الصراع ...

وأهمية الكتاب انه يطرح قصة النضال الفلسطيني العربي من الجذور مستندا الى وثائق اساسية لا غنى عنها لاي باحث في القضية . ولذلك جاء الكتاب أشبه ما يكون بالوثيقة اكثر مما هو عرض نظري وتحليلي لقضية الصراع العربي — الاسرائيلي .

فالكاتب يطرح السؤال ويجيب عليه ، انطلاقا من وثائق القضية الفلسطينية. وهنا تكمن موضوعية الاجوبة بالنسبة للمطلعين او غير المطلعين على قضيتنا الاساسية ، وخاصة على مستوى بلدان اوروبة واميركا حيث الاعلام الصهيوني هو المسيطر والسائد ، في الوقت الذي لا وجود فيه للاعلام العربي ، سوى اعلام المقاومة الفلسطينية من خلال نضالاتها المستمدة التي جذبت في مدة السنوات الاخيرة انظار القوى اليسارية والتقدمية في الغرب.

وسأحاول ان اعرض ، قدر الامكان ، المعلومات الواردة في الكتاب بسبب تنوع الموضوعات التي تطرق اليها وصعوبة حصرها في فكرة واحد يدور عليها ، او خط مشترك يجمعها في اطار موحد .

● الشخصية العربية لفلسطين

يناقش ابراهيم العابد ادعاءات الصهاينة من ان فلسطين هي حق الهي وشرعي لليهود ، وذلك باعتماده على التوراة وعلى التاريخ الاسرائيلي القديم وصراعهم مع الكنعانيين . ويعرض وضع فلسطين قبل العام ١٩٤٨ بالاعتماد على احصاءات السكان والاراضي وتوزيعها بين العرب واليهود ونسبة الهجرة اليهودية الى فلسطين .

وحول شرعية وعد بلفور يقول الكاتب بأنه غير شرعي ، لانه لا يحق لبريطانيا الا تصدر مثل ذلك الوعد بسبب لا شرعية سلطتها في فلسطين ،

عدا عن انها لم تأخذ بعين الاعتبار رأي الشعب الفلسطيني ، اما بشأن قرار التقسيم الصادر عن الامم المتحدة فهو يخالف مبادىء الامم المتحدة التي تقول بحق الشعوب في تقرير مصيرها ، ولا يحق لهذه المنظمة واي منظمة اخرى وضع القدس تحت وصاية عالمية لكون القدس عاصمة فلسطين وتقع ضمن حق تقرير مصير شعبها .

● **الاستعمار الصهيوني في فلسطين**

يقول ابراهيم العابد ، ان نظرة الصهيونية الى العرب كانت منذ البداية نظرة احتقار عنصري ، لدرجة انهم كانوا لا يعتبرون العرب مواطنين في مستوى اليهود ويجب ان لا يؤخذ برأيهم . ويقول بان الهجرة اليهودية كانت تتألف من عمال ومزارعين نظمتهم الصهيونية واخذت ترسلهم كمهاجرين جنود في المنظمات الارهابية والهستدروت، وكانت نسبة المهاجرين الرأسماليين الصهاينة لا تتجاوز ١،٥٧٪ .

اما الاستعدادات العسكرية للصهاينة لم تكن ضرورية لمواجهة هجمات العرب بل كانت ضرورية للاستيلاء على فلسطين ، والاستيطان الصهيوني في فلسطين كان قائما منذ البدء على القوة والعنف، اذ ان القادة الصهاينة كانوا يضعون امام اعينهم ان الحرب مع العرب لا بد منها ولذا هم بدأوها واستعدوا لها . وقام الصهاينة باتباع اساليب بوليسية في طرد العمال العرب من المصانع والمزارع وأعطى الكاتب امثلة على الاساليب التي اتبعوها، كاقفال المعمل وطرد العمال ثم اعادة فتحه ولكن بعمال يهود .

● **الرد الفلسطيني ضد الصهيونية**

يثبت ابراهيم العابد الجذور التاريخية للعرب الفلسطينيين ، والدور الذي لعبوه في ارساء قواعد القومية العربية . اذ ان الفلسطينيين كانوا اعضاء في جمعيات ونواد واحزاب تنادي وتعمل للقومية العربية . كما ان العرب ناضلوا ضد الصهيونية منذ بدء القرن العشرين وبرز ذلك في المؤتمر السوري وفي مواقف النواب العرب في البرلمان التركي .

ان الادعاء بان العرب رحبوا بالاستيطان الصهيوني لانه ادى الى منافع اقتصادية ، خطأ فادح . اذ انهم منذ وعد بلفور كانوا يزدادون صلابة في مقاومة الاستيطان رغم استفادة بعضهم من الهجرة اليهودية . اما العمال العرب فقد وقفوا الى جانب المقاومة موقفا مؤيدا حتى النهاية ، واخذوا يقاتلون على جبهة المطالب الاقتصادية ضد التنظيمات الصهيونية وانخرط بعضهم في صفوف المقاومة العربية . كما ان المرأة الفلسطينية شاركت في الحركة القومية ، اذ عقد في تشرين الاول العام ١٩٢٩ مؤتمر النساء العرب في القدس ، وقامت بعدة تظاهرات كبيرة ضد الانتداب البريطاني والاستيطان الصهيوني .

ولعب الفلسطينيون دورا كبيرا في الحركة الوطنية العربية قبل الحرب العالمية الثانية وذلك بعد ان تفاقم الخطر الصهيوني على فلسطين حتى اصبحت الثورة الفلسطينية قدوة للعرب واثرت على مجمل الحركة العربية الوطنية وانعكست عليها .

● **تشريد الفلسطينيين**

يضع الكاتب قائمة بالعمليات الحربية الصهيونية قبل ١٥ ايار ١٩٤٨ ، ونتائج تلك العمليات ، بالاضافة الى لائحة بعمليات الاحتلال والطرد التي جرت قبل ان يغادر البريطانيون فلسطين .

ويثبت المؤلف ، خطأ ادعاء الصهاينة انهم دعوا السكان العرب الى البقاء في منازلهم . اذ دعت الاذاعة الصهيونية العرب الى البقاء في منازلهم من اجل تغطية انباء المذابح الاسرائيلية التي قامت بها المنظمات الارهابية في حرب ١٩٤٨ مثل عملية دير ياسين . وكان الصهاينة في الوقت نفسه يشنون الهجمات على المدنيين ويقومون بالمذابح وينشرون الاشاعات بانهم سوف يحرقون القرى ويقتلون المدنيين وذلك لدفعهم الى النزوح والهجرة. ولقد تكررت المأساة نفسها بعد حرب ١٩٦٧ اذ ان الفلسطينيين نزحوا من الضفة الغربية بواسطة التهديد بالقتل ونسف المنازل .

● **الصهيونية واسرائيل**

يعتبر ابراهيم العابد ان الحركة الصهيونية لم تقم على اساس حق الشعب في تقرير مصيره ، اذ ان الحركة الصهيونية اعتبرت ان الحق في تقرير المصير يشمل جميع يهود العالم ، وبهذا يصبح الفلسطينيون العرب اقلية ضئيلة بالنسبة لعدد يهود العالم ... وخلال الانتداب ، كان هناك تعاون بين الحركة الصهيونية والاستعمار البريطاني ، وكان القادة الصهاينة يتعاونون مع

البريطانيين وذلك من اجل تقوية انفسهم ،فارتفع عدد اليهود في فلسطين الى ٦٠٠،٠٠٠ منهم ٤٨٤،٠٠٠ مهاجر . وكانت المساعدات العسكرية تقدم لهم من بريطانيا وذلك بادخالهم الجيش الانكليزي وتدريبهم فيه ، وشكل هؤلاء فيما بعد النواة الاولى للجيش الاسرائيلي .

ان الحركة الصهيونية كانت منذ البدء استعمارية . اذ انها اعتبرت قيام دولة اسرائيل هو لصالح اوروبا ، بصفتها بلد حديث ومتمدن بين برابرة اسيا . كما ان الحركة الصهيونية شاركت في الحرب العالمية الاولى على أمل ان يدعم هذا قيام دولة يهودية في فلسطين ، واجرت عدة اتصالات مع بريطانيا وتركيا من اجل قيام تلك الدولة .

وحول الصراع الاسرائيلي ضد الاستعمار البريطاني في فلسطين ، يقول الكاتب بانه لم يكن وليد نزعة قومية بل وليد مصالح جزئية . فالصهاينة لم يعارضوا الاستعمار في فلسطين بل عارضوا بريطانية لانها ارادت لفترة قصيرة وضع حد للهجرة اليهودية ، وعارضوها عندما طرحت مشروع الكتاب الابيض الذي رفضه اليهود رفضا شديدا واعتبروه لصالح العرب ويمنع الهجرة الى فلسطين ، مع العلم ان البريطانيين لم يقفوا مع العرب في صراعهم ضد الصهيونية للحظة واحدة .

والصهاينة لا يعتبرون انهم حققوا هدفهم بانشاء دولة اسرائيل ، فالعمل هذا جزء من الهدف ، وعليهم بناء دولة قوية من اجل الوصول الى هدفهم . والحدود الآمنة عند اسرائيل ليست ثابتة ومحددة ، بل انها ديناميكية ، وذلك حسب حاجة اسرائيل الى مزيد من الاراضي لاستيطان المهاجرين . والعلاقة بين المستعمرات والتوسع، مهم بالنسبة لها ، اذ ان المستعمرات تثبت التوسع الاسرائيلي وتدعمه ، والامن الذي تبغيه يعني الاعتراف بها كما هي ويعني ان تؤمن لنفسها الحدود الآمنة على الجهات الاربع ، لدرجة ان حدود ما بعد حرب حزيران لا تعترف بها كحدود آمنة . فاسرائيل لا تريد سلاما ، فهي ترفض الرجوع الى حدود ما قبل حرب ١٩٦٧ ، وموشي دايان يرفض الرجوع عن سيناء مقابل فتح السويس وايلات ، كما انها ترفض عودة الفلسطينيين الى بلادهم ، فمن اصل ٤٠٠ الف نازح سمحت لـ ١٤٠٢٥ بالعودة الى الضفة الغربية وجلهم من النساء والشيوخ . كما انها لم تستطع ان تخلق مجتمعا تصهر فيه مواطنيها اذ ان اليهود الغربيين ينظرون بازدراء واحتقار لليهود الشرقيين والعرب وهناك تفاوت اجتماعي بينهم . وسبب ذلك ان اسرائيل دولة تيوقراطية قائمة على التعصب الديني ، فخمس الكنيست مبني على الاحزاب الدينية ، والعادات اليهودية تحولت الى عادات للمواطنين في فلسطين . ويقيم الكاتب مقارنة ما بين اسرائيل وكل من جنوب افريقية وروديسيا والعلاقات الحميمة التي تربطهم ، ليتكلم فيما بعد عن العلاقة بين اسرائيل كقاعدةللامبريالية والولايات المتحدة الاميركية زعيمة الامبريالية المعاصرة والمساعدات الضخمة التي تقدمها اليها، حتى بلغت بنسبة ١٢٥ دولارا لكل اسرائيلي في السنة .

● العرب في اسرائيل

يقول الكاتب ، ان معاملة العرب لم تتغير ، فالحكم العسكري لا يزال مستمرا والصلاحيات المطلقة معطاة للبوليس في ملاحقتهم للمواطنين في فلسطين . وهناك بعض الاعمال لا يحق للعرب القيام بها ، وتفرض السلطات العسكرية على المواطنين اعلام البوليس عن تنقلاتهم ، كما ان الاعتقالات والطرد التعسفي هو عنوان الاحتلال الصهيوني ، بحجة الحفاظ على أمن الدولة .

والحكم العسكري في اسرائيل لا يقتصر تدخله على القضايا المتعلقة بالامن ، بل انه يتعدى ذلك الى التدخل في جميع الشؤون المدنية ، كالامور السياسية والاقتصادية والبلدية والبريديةوالثقافية والعلاقات الاجتماعية والتعليم والضرائب . والحكم العسكري عمل على عزل العرب والتضييق عليهم والتمييز بينهم وبين اليهود واعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية . وتقوم اسرائيل بمصادرة الاراضي بعد ان تعلن عن المنطقة انها منطقة مناورات عسكرية وبالتالي منطقة مغلقة وخطرة ، فتجبر الاهالي على مغادرتها فتقوم بمصادرتها . وسنت اسرائيل عدة قوانين تساعدها على استملاك الاراضي ، كقانون المناطق المهجورة ١٩٤٩ وقانون الطوارىء لزراعة الاراضي غير المزروعة ١٩٤٩ وقانون املاك الغائبين ١٩٥٠ وقانون استملاك الاراضي ١٩٥٣ وقانون التحديدات ١٩٥٨ .

ويتابع ابراهيم العابد سرد عملية الاستيطان الصهيوني وتعدد اساليبه ان في الزراعة ومعاملة المزارعين العرب او في التعليم والتربية للاطفال الفلسطينيين او في معاملة العمال العرب في المصانع واجورهم ومدخولهم الشهري المنخفض او في الخدمات التي تقدمها اسرائيل للقرى العربية المهملة او في الضغوطات التي تمارسها السلطات العسكرية ضد العرب في الانتخابات واخيرا يعطي فكرة عن مدى « احترام » دولة العدو لقرارات الامم المتحدة .

● **المقاومة الفلسطينية للصهيونية واسرائيل**

ان العلاقة بين النازية والصهيونية قائمة ، رغم ان النازيين قتلوا الكثير من اليهود ، فان الصهيونيين كانوا يستغلون ويسكتون عن ذلك مقابل السماح للقادة الصهاينة وكبار الاغنياء بالهجرة الى فلسطين .

اما العرب فقد فرقوا بين الصهيونيين واليهود الذين كانوا يعيشون معهم ، كما انهم كانوا على استعداد للتعاون مع اليهود كافراد وليس مع الصهيونية كمجموعة .

ويردف ابراهيم العابد ، ان مقاومة العرب للصهيونية لم تكن تحمل عداء لليهود ، اذ انهم كانوا يعيشون معا في عدة فترات تاريخية دون عداء .

في عهد الاسلام كان اليهود يعيشون تحت رعاية العرب دون تمييز وكانوا يعاملون معاملة حسنة عكس كل الدول التي اضطهدتهم، حتى ان الاسلام في اسبانيا حرروا اليهود من الظلم الذي كانوا يعيشون في ظله ، وموقف العرب من اللاسامية موقف عدائي كونها مسؤولة عن مجيء اليهود الى فلسطين .

ونظرة العرب لليهود كانت تقوم على اساس المساواة بينهما ولكن هذه النظرة تغيرت عندما بدأ اليهود بالهجرة الى فلسطين من اوروبا حاملين معهم الافكار الاستعمارية والرجعية لتطبيقها فيها بضغط بريطاني في البداية ثم بضغط اميركي .

وعدم اعتراف الدول العربية باسرائيل هو رد على عدم اعتراف اسرائيل بحق الشعب الفلسطيني بأرضه ، والحل الوسطي ليس حلا للنزاع اذ انه لا يطبق الا على مصالح جزئية بسيطة ، اما بالنسبة لفلسطين فهناك تناقض بين الحق المطلق والاغتصاب المطلق .

وفي نهاية الكتاب يتكلم ابراهيم العابد عن الوضع القانوني للمقاومة الفلسطينية من ضمن القانون الدولي وايضا عن وضع المقاومة السياسي انطلاقا من قرار الامم المتحدة الصادر في ٨ كانون الاول ١٩٧٠ الذي يعترف بحقوق الشعب الفلسطيني . ويجدد اخيرا هدف المقاومة التي تريد اقامة دولة ديمقراطية فلسطينية تضمن حقوق الجميع دون تمييز وتعمل على اقامة المساواة بين العرب واليهود .

وليد نويهض

النفط في المعركة : خمسة تقارير

[١]
اميركا والنفط
المسؤولون الاميركيون يستعيرون قلب أسد

رغم ان موضوع « **ازمة الطاقة** » كان من أهم المواضيع التي شغلت وسائل الاعلام الامريكية وبالتالي الرأي العام الامريكي طوال العام ١٩٧٣، وذلك في ضوء تزايد مستوردات امريكا من النفط نتيجة ازدياد استهلاكها الضخم المستمر وتناقص انتاجها المحلي والنقص في طاقة مصافي التكرير لديها عن سد احتياجات السوق المحلية من منتجات النفط ، وهو نقص افتعلته شركات النفط الاحتكارية المتحكمة في صناعة النفط لترغم السلطات الحكومية على تخفيف القيود على استيراد منتجات النفط من خارج الولايات المتحدة أي من المصافي التي أنشأتها شركات النفط الامريكية في جزر البهاما والبحر الكاريبي واوروبا الغربية حيث الايدي العاملة الفنية ارخص وتكلفة الانتاج بصورة عامة أقل ، كما ان النفط الخام المستورد من الشرق الاوسط هو ارخص سعرا مما يتيح لشركات النفط الاحتكارية تحقيق فرص للربح أعلى مما يتوفر لها من مصافيها في الولايات المتحدة. الا ان هذا الوضع جعل الولايات المتحدة هذا العام بحاجة الى استيراد ما معدله مليوني برميل يوميا من هذه المنتجات ، وكذلك **تزايد اعتماد امريكا على النفط العربي ، اذ ان مستورداتها من النفط العربي قد زادت خلال النصف الاول من هذه السنة بنسبة ٦٥ ٪ عن الفترة المماثلة من العام الماضي**(١). ورغم هذه الوقائع الناصعة جميعها فان المسؤولين الامريكيين اختاروا في اثناء هذه الازمة ، كالعادة ، ان يستعيروا قلب أسد وان ينكروا كل أهمية او قيمة للتهديدات العربية بقطع النفط عنها ، وذلك انسجاما مع صلفهم وصلف حلفائهم الاسرائيليين المعتاد . ففي المؤتمر الصحفي الذي عقده وزير الخارجية كيسينجر في ١٩٧٣/١٠/١٢ قال : « ان امريكا لن تدع التهديدات بوقف تصدير النفط العربي تؤثر على موقفها حيال اسرائيل ... لقد بذلنا مجهودا جديدا لنأخذ في الاعتبار اهتمامات العرب ووجهات نظرهم، ولكن علينا ان نسير في طريق عادلة ؟!! وسنتحمل النتائج !!(٢)

وبصورة عامة **اختارت الدوائر الرسمية الامريكية المؤيدة لسياسة الالتزام بدعم اسرائيل ان تقلل من شأن النفط العربي بالنسبة لاحتياجات امريكا من هذا المصدر الحيوي للطاقة الاولية ، كما انها سعت الى التشكيك بمدى جدية دول النفط العربية في تهديداتها ، وتوخت طمأنة الامريكيين بانه لا خوف من ان تقع اضرار على امريكا من التهديدات العربية بسلاح النفط ،** فادعت هذه الجهات ان امريكا لا تستورد من النفط العربي أكثر من ٦ ٪ من اجمالي مستورداتها من النفط ، وهذا يعادل أقل من ٣٦٠٠٠٠ برميل في اليوم ، وفي هذا مغالطة فاضحة ، اذ ان امريكا أخذت تستورد في الشهور الاخيرة من البلدان العربية **مباشرة** نحو ٢٥ ٪ من اجمالي مستورداتها النفطية . وقد اوردت نشرة « **بلاتس اويلغرام** » الامريكية المختصة بالنفط مؤخرا جدولا احصائيا لمستوردات الولايات المتحدة من النفط الخام في شهر حزيران (يونيو) الماضي يتبين منه أن مجموع مستوردات الولايات المتحدة من **النفط الخام** في ذلك الشهر بلغ قرابة ١٠٨ ملايين برميل منها ٤٨ مليون برميل استوردت من الاقطار العربية **مباشرة** ، اي ما يزيد على ٤٤ ٪ . كما أن نشرة « **بلاتس اويلغرام** »(٣) استخلصت في مطلع تشرين

الجدول رقم (١)

مستوردات الولايات المتحدة الامريكية من **النفط الخـام** في شهر حزيران (يونيو) ١٩٧٣

[**المصدر** : نشرة « عالم النفط » في ١٩٧٣/٨/٢٥ نقلا عن نشرة « بلاتس اويلغرام » الامريكية]

المصدر	النفط الخام المستورد (بآلاف البراميل)	المصدر	النفط الخام المستورد (بآلاف البراميل)
كندا	٣١٨٢٤	السعودية	١٢٥٦٦
المكسيك	١	دولة الامارات العربية	١١٨٠
ترينيداد	٢٧١٠	عمان	١٠٩١
فنزويلا	١٦٩٨٠	اندونيسيا	٨٧٠٥
الاكواردور	١١٤٤	الجزائر	٤٥٤٩
بريطانيا	١٤٨	تونس	١١٥٠
الاتحاد السوفييتي	١٣٦	ليبيا	٤٤٣٥
سوريا	٣٠٧	مصر	٥٧٦
ايران	٧٢٤٣	نيجيريا	١٢٥١٢
الكويت	٢١٩٣٠	انغولا	٩٢٢
		المجموع	**١٠٧٩٣٢**

الجدول رقم (٢)

مستوردات الولايات المتحدة الامريكية من **النفط الخـام** في شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٧٣

[**المصدر** : نشرة « عالم النفط » في ١٩٧٣/١١/١٠ نقلا عن نشرة « بلاتس اويلغرام » الامريكية]

المصدر	النفط الخام المستورد (بآلاف البراميل)	المصدر	النفط الخام المستورد (بآلاف البراميل)
كنـدا	٣٥٠٣٩	دولة الامارات العربية	١٠٨٢
ترينيداد	١٠٢٢	اندونيسيا	٦٠٢٤
فنزويلا	١٦٦٥٧	الجزائر	٤٧٣٩
الاكوادور	١٤٦٨	تونس	٣٠٨
ايطاليا	٢١٢	ليبيا	٦٢٥٨
ايران	٦٨٣٥	نيجيريا	١٣٢٠١
الكويت	١٣٣٥	انغولا	١٦١٠
السعودية	١٨٧٤٤	الكونغو (برازافيل)	٣٠٣
قطر	٧٧٧	مصر	٣٢٤
		المجموع	**١١٦٣١٦**

ملحوظة : دورت الارقام الى الآلاف بحيث ان حاصل جميع الارقام قد لا يطابق تماما الرقم الوارد كمجموع .

الثاني (نوفمبر) استنادا الى **احصائيات المكتب الامريكي للاحصاء** ان معدل مستوردات امريكا من النفط الخام والمنتجات خلال الاشهر التسعة الاولى من عام ١٩٧٣ كان ٦٠٨٧٠٠٠ برميل في اليوم بزيادة ٣٧ ٪ عن مستوردات الفترة نفسها من عام ١٩٧٢ والبالغة ٤٤٥٠٠٠٠ برميل يوميا . أما مستوردات أمريكا من **النفط الخام** خلال شهر أيلول (سبتمبر) تبلغ مجموعها ١١٦٣١٦٠٠٠ برميل كان ٣٣٠٥٦٧٠٠٠ برميل منها من البلاد العربية اي بنسبة ٢٨ ٪ ، **وهذه لا تشمل منتجات النفط المكررة التي تستوردها الولايات المتحدة بمعدل يزيد على مليوني برميل يوميا** من مصافي النفط في جزر البهاما والبحر الكاريبي والمصافي الاوروبية لا سيما الايطالية والاسبانية والهولندية منها وهي تتمون بالنفط الخام العربي بنسبة كبيرة ... **وكذلك لا تشمل هذه الارقام الكميات من منتجات النفط العربي الذي تتزود به الاساطيل الامريكية** ، فليس سرا أن معظم منتجات النفط التي تستهلكها قطع الاسطول الامريكي السابع في المحيط الهندي وكذلك القوات الامريكية ، قبل انسحابها من فيتنام ، كانت ترد اليها من مصافي النفط في الخليج العربي ولا سيما من مصفاة « رأس تنورة » في السعودية وقاعدة الخضير في البحرين ، وبلغ تضليل وسائل الاعلام الامريكية بل وكثير من المسؤولين الامريكيين حد الادعاء بأن الولايات المتحدة لا تعتمد على النفط العربي الا بنسبة ٣ ٪ من مجمل استهلاكها البالغ معدله ١٧ مليون برميل يوميا . اي ان ما تستورده من البلدان العربية من النفط لا يزيد معدله على ٥١٠٠٠٠ برميل يوميا . ولعل من النماذج « المخفضة » من هذا « المغالطات » الصحفية الامريكية ما اوردته صحيفة **«الانترناشيونال هيرالد تريبيون»** في ١٩٧٣/١٠/٢٢ في سياق خبر لها عن قطع الدول العربية النفط عن الولايات المتحدة اذ قالت : « ان المقاطعة التي فرضتها هذه الدول العربية الثمانية سيوقف تدفق نحو ١٫٩ مليون برميل الى الولايات المتحدة — اي حوالي ٦ ٪ مما تستهلكه الولايات المتحدة من النفط يوميا » ... وحيث انه من المعروف ان استهلاك الولايات المتحدة اليومي هو ١٧ مليون برميل ، فان عملية حسابية بسيطة بأن ١٫٩ مليون برميل تساوي اكثر من ١١ ٪ وليس ٦ ٪ فقط حسبما تعمدت هذه الصحيفة الامريكية ان توحي، علما بأنها تطبع في باريس وموجهة للقراء خارج امريكا وليس للرأي العام الداخلي ... وقد اضطر الرئيس الامريكي نيكسون نفسه ان يعترف اثناء تقديمه للرأي العام الامريكي في ١٩٧٣/١١/٨ برنامجه الحافل للاقتصاد في استهلاك النفط ومواجهة ازمة الطاقة ان قطع النفط العربي سيسبب نقصا شديدا في النفط اذ قال : « لان العجز في النفط قد يصل الى ١٧ ٪ »(٤). **واذا كانت مستوردات الولايات المتحدة من النفط العربي تساوي ، باعتراف نيكسون نحو ١٧ ٪ من مجموع استهلاك الولايات المتحدة فمعنى ذلك انها تبلغ ما معدله ٢٨٩٠٠٠٠ برميل يوميا اي اكثر من ٤٥ ٪ من مجموع المستوردات الامريكية من النفط الخام والمنتجات النفطية** ... وواقع الامر أن شؤون الطاقة ، ولا سيما النفط ، ومسألة توفير الكميات اللازمة منه لسد احتياجات الاستهلاك الامريكي المتزايد كانت ، الى جانب فضيحة ووترغيت ، الشغل الشاغل للرئيس الامريكي خلال الصيف المنصرم ... وحتى قبل نشوب القتال بين العرب واسرائيل كانت الحكومة الامريكية تعد الترتيبات لمواجهة النقص في بعض منتجات النفط هذا الشتاء بتقنينها او تحصيصها للجهات المعنية حسب الحاجة ... فعلى سبيل المثال ، كانت الحكومة الامريكية قد أصدرت في مطلع شهر تشرين الاول (اكتوبر) تعليمات بفرض تقنين الزامي على زيت الوقود أصبح ساري المفعول ابتداء من ١٩٧٣/١٠/١٢ ، كما أن وزارة الخزانة الامريكية طلبت من الامريكيين في ١٩٧٣/١٠/٧ ، وفق خطة وضعت قبل نشوب الحرب العربية الاسرائيلية ، « ان يخفضوا درجة حرارة اجهزة التدفئة في بيوتهم ومكاتبهم ومحلاتهم ثلاث درجات اقل من المعتاد هذا الشتاء لتوفير الوقود . وقال وليم سيمون امين عام وزارة الخزانة الامريكية بالوكالة والذي عين مؤخرا رئيسا للوكالة الفيدرالية لشؤون الطاقة المستحدثة في نداء وجهه للامريكيين ان تخفيض حرارة اجهزة التدفئة ثلاث درجات يمكن أن يوفر ، على أساس الاسعار الراهنة ، حوالي ٦٠٩ ملايين دولار من ثمن زيت التدفئة و٩٢٧ مليون دولار من ثمن الغاز الطبيعي اذا كان هذا الشتاء ليس ابرد من المعتاد »(٥)...

ورغم هذه الوقائع كلها ، فان وسائل الاعلام الامريكية ظلت تسخر من احتمالات اقدام العرب على قطع النفط عن امريكا ، وبعد أن صدرت

قرارات مؤتمر وزراء النفط العرب في الكويت قللت من اهميتها وصبت جام غضبها على العرب حيث رفع أسعار النفط ، فكتبت صحيفة **«الانترناشيونال هيرالد تريبيون»** معلقة على قرارات مؤتمر الكويت تحت عنوان : « سلاح ذو حدين » تقول :

« ان فرض حظر على شحن النفط هو سلاح ذو حدين ، وهذا يفسر لماذا اختلفت دول النفط العربية المجتمعة في الكويت فيما بينها حول وسائل استخدامه . وان فرض حظر تام بهدف ارغام الولايات المتحدة على تعديل سياستها تجاه اسرائيل يؤذي مناطق اخرى في العالم ليست طرفا في النزاع الراهن اكثر مما يؤذي الولايات المتحدة. ويبدو ان العرب يبنون حساباتهم على أساس ان يقوم الاوروبيون واليابانيون بممارسة ضغوط اضافية على الولايات المتحدة لتغير سياستها تجاه اسرائيل — او اذا لم تنجح خطتهم هذه فسيعملون على عزل الولايات المتحدة عن حلفائها » .

وفي اطار الحديث عن قطع النفط عن امريكا ، **شنت الاوساط الاحتكارية والصهيونية في الولايات المتحدة حملة كراهية واستعداء على العرب شديدة الوطأة ، وكان السناتور هنري جاكسون كعادته نجم هذا الاستعراض** . وقد خطب في مؤتمر «اتحاد العمال الامريكيين » في ميامي بيتش في ١٩/١٠/ ١٩٧٣ ، في جو شحن بالكراهية للعرب وقال:(٦) « انهم يظنون ان بوسعهم ان يضغطوا علينا ، وهم يظنون بأنهم يستطيعون ان يمارسوا « **الابتزاز** » ضدنا . وانني اود ان أقول لهم بأنه ما من أحد يستطيع ان يبتز الولايات المتحدة الامريكية . اننا نستطيع ان نستكفي بأنفسنا . وفي المدى القصير ، نستطيع ان نقتصد في استخدام مواردنا بصورة نستغني بها عن المستوردات العربية ، ففي الامس تقدمت بتشريعات طوارىء تخول اتخاذ خطوات تستطيع ان توفر لنا ثلاثة اضعاف الكمية من النفط التي نستوردها حاليا من الاقطار العربية ، وبوسعنا ان نفعل ذلك في أمد قصير . وبعبارة اخرى ان هذه الامة ليست مضطرة للخضوع للتهديدات العربية ، وانني اريدهم ان يعرفوا ذلك » ولكن السناتور جاكسون هذا ما لبث ان اعترف في برنامج تلفزيوني بعد اسابيع قليلة فقط ان ازمة الطاقة ستضر بمعظم الصناعات الامريكية(٧).

ومن جهة اخرى طالب السناتور اليهودي **جاكوب جافيتس** ان تعمد السلطات الامريكية الى مقاطعة العرب اقتصاديا فتمنع تصدير القمح والمواد الغذائية الاخرى لهم وكذلك ان تحرمهم من بعض المستلزمات والمعدات المتطورة وتحجب عنهم الخبرة التكنولوجية التي يحتاجونها ... ويبدو ان السلطات الامريكية لا تحبذ مثل هذا الاتجاه لانها تعرف انه يلحق ضررا بأمريكا اكثر مما يلحقه بالعرب ، اذ أشارت وزارة الخارجية الامريكية الى « **ان الولايات المتحدة درست اجراء مقاطعة اقتصادية للدول العربية ردا على قطع النفط عنها، ولكنها استبعدت ذلك في الوقت الراهن** » . وقال ناطق باسم وزارة الخارجية الامريكية ان « حاجات الدول العربية المصدرة للنفط ضئيلة جدا بحيث يمكنها ان تحصل عليها من مصادر اخرى »(٨).

ان جسامة الاجراءات التي اقترح نيكسون اتخاذها لمواجهة أزمة الطاقة تدحض كل تهويشات الاستعماريين والصهيونيين وتبين مدى الاذى الذي يمكن أن يلحقه قطع النفط العربي بالاقتصاد الامريكي ، علما بأن هذه الاجراءات هي أولية ومرشحة لان تزداد صرامة كلما طال أمد المقاطعة ... وقد جاء في برنامج نيكسون لمعالجة أزمة الطاقة الطارئة(٩) الذي اذاعه مساء ١١/٧/ ١٩٧٣ :

اولا : تحويل محطات الكهرباء التي تعتمد على استخدام الفحم والنفط الى الاعتماد على استخدام الفحم .

ثانيا : تخفيض كميات الوقود المخصصة للطائرات بغرض انقاص عدد رحلات الطائرات بما يزيد على ١٠ ٪ ، وسيؤدي هذا الى اعادة تنظيم مواعيد الوصول والاقلاع .

ثالثا : تخفيض حوالي ١٥ ٪ من كميات النفط التي تزود بها البيوت والمكاتب والمؤسسات الاخرى لغرض التدفئة ، وتخفيض درجة الحرارة في البيوت بمقدار ٦ درجات على الاقل ، وفي المكاتب والمعامل والمؤسسات التجارية نحو ١٠ درجات فهرنهيت .

رابعا : تخفيض استهلاك الحكومة الاتحادية من الطاقة بمقدار ٧ ٪ . وخفض الحد الاقصى لسرعة السيارات في البلاد الى ٥٠ ميلا في

الساعة ، وهذا كفيل بتوفير ما يزيد على مئتي الف برميل من النفط يوميا . وكذلك ، الحد من الاضاءة غير الضرورية ، وادخال تعديل طفيف على السنة الدراسية ، وتنظيم ساعات العمل حسب ترتيب تعاقبي لتشجيع الاستفادة من وسائل النقل الجماعي وركوب السيارات بشكل جماعي .

خامسا : اختصار الوقت اللازم لانجاز المعامل النووية القادرة على توليد الكهرباء بحيث تصبح جاهزة خلال ٦ سنوات بدلا من ١٠ سنوات .

وقد دعا نيكسون الكونغرس الامريكي الى اقرار قانون خاص أشرف على وضعه السناتور هنري جاكسون الموالي للصهيونية يطلق يدي الحكومة الاتحادية في اتخاذ اجراءات تقشفية وحازمة لتحقيق تخفيضات كبيرة في استهلاك النفط والتحرر من بعض القيود التي كانت تثقل حركتها مثل قوانين المحافظة على البيئة ، ولذلك طالب بالموافقة فورا على بناء خط أنابيب ألاسكا لنقل نحو مليون برميل يوميا من نفط ألاسكا الى منطقة ساحل الولايات المتحدة الغربي وذلك بعد عام ١٩٧٦ ، وكان انشاء هذا الخط قد لقي معارضة شديدة من الهيئات المدافعة عن نظافة البيئة وتعطل التصريح به اكثر من سنتين . ودعا نيكسون الى انشاء مرافىء عميقة المياه لتستقبل ناقلات النفط الضخمة لانه لا يوجد حاليا في الولايات المتحدة مرافىء تستقبل ناقلات تزيد حمولتها عن مائة الف طن ، بل ومعظم المرافىء الحالية تقل قدرتها عن استيعاب الناقلات التي حمولتها ٨٠ الف طن **وكذلك دعا الكونغرس الى التصريح بزيادة التنقيب عن النفط وتطويره وانتاجه من احتياطي البحرية الامريكية الغني بالنفط .**

أما لمعالجة أزمة الطاقة المستفحلة في المدى المتوسط والطويل فقدم نيكسون برنامج ابحاث لتطوير مصادر الطاقة مدته خمس سنوات سيرصد له مبلغ عشرة الاف مليون دولار دعاه « مشروع الاستقلال » بسط أهدافه بقوله : « لنجعل هدفنا القومي الذي نسعى الى تحقيقه ، بالروح التي تحلينا بها في تحقيق مشروع ابوللو (وصول الانسان للقمر) وبالثبات في العزيمة الذي اتسم به مشروع مانهاتن (صنع القنبلة الذرية) هو أن نكون بنهاية هذا العقد قد نجحنا في تطوير امكانية سد حاجاتنا من الطاقة **دون الاعتماد على مصادر اي عدو خارجي** — اعني اي مصادر خارجية للطاقة » . ولعل هذه العبارة الاخيرة تطرق أسماع بعض المسؤولين العرب الراكضين وراء نيكسون ليسمعوا ويروا كيف يصنفهم نيكسون !! ...

انتقادات عنيفة لسياسة التضليل

لقد تعرضت مواقف السلطات الرسمية الامريكية وخصوصا نيكسون وبطانته المقربة تجاه ازمة النفط العربي الى موجة عنيفة من الانتقادات من دوائر امريكية عديدة رسمية وشعبية لانها تعمدت في بداية الازمة ، وخصوصا خلال الاسبوعين الاولين من حرب تشرين (اكتوبر) حين لم تكن الدول العربية قد حجبت النفط عن الولايات المتحدة بعد ، تعمدت هذه السلطات ان تخفي عن الشعب الامريكي الابعاد الحقيقية للازمة وغالطت في المعلومات والاحصائيات والارقام ، كما أسلفنا ، لتظهر للشعب الامريكي ان قطع النفط العربي لا يؤثر على الولايات المتحدة وسعت هذه السلطات الى تعمية الشعب الامريكي لكي لا يرى ان سياسة الحكومة الامريكية الاستعمارية الغظة تجاه الشعوب العربية ودعمها اللامحدود لاسرائيل هما المسؤولان عن هذه الازمة التي يعاني منها الشعب الامريكي ...

ومن جملة الانتقادات التي وجهت للسلطات الامريكية ما قاله **كارل ألبرت رئيس مجلس النواب الامريكي الذي اتهم الادارة الامريكية بانها « تخدع الشعب الامريكي من حيث مدى حدة النقص في النفط وأسبابه »** . واتهم نيكسون بأن تدابيره للحفاظ على الطاقة فيها من المظاهر اكثر مما فيها من المعاني والجوهر . وقال : « ان على الكونغرس ان يختار بين التعاون مع ادارة مصممة على خداع الشعب الامريكي بالنسبة الى مدى النقص في الطاقة واسبابه وبين أن يكون صادقا مع المواطنين فيخبرهم بأنهم يستعيرون من احتياطهم الحالي على حساب مستقبلهم ، وان المطلوب اتخاذ تدابير اكثر صرامة » ، وقال : « ان تدابير التقنين ومنع الهدر هما الامل الوحيد لخروج الامريكيين معافين من الشتاء القاسي الذي ينتظرهم هذه السنة ، وكذلك من السنين الصعبة التي تنتظرهم في المستقبل »(١٠).

ومن هذه الانتقادات ايضا ما كتبه **ستيوارت أودال وزير الداخلية في عهد جون كنيدي في « النيويورك تايمز »** والذي دحض فيه بقوة

المعطيات التي بنى عليها نيكسون سياسته لمعالجة أزمة النفط ووصف التدابير التي اقترحها نيكسون في خطابه لمعالجة ازمة الطاقة بأنها « **كمن يضع ضمادة على نزيف في الدماغ** » . وقال : « ان الامة التي تبني سياستها الوطنية الحيوية على اوهام لا بد وان تجلب المتاعب لنفسها » ، أما هذه الاوهام التي أشار اليها ستيوارت اودال فهي :(١١) **الوهم الاول** هو الفهم الخاطىء بأن الازمة مؤقتة ، بينما الواقع انها معضلة تزداد عمقا ، وأنها في نهاية المطاف لا بد وان تتصاعد فترسل صدمات تهز الاقتصاد الامريكي لمدة عقد من الزمان على الاقل . **والوهم الثاني** هو الفهم الخاطىء القائم على الاعتقاد ان لدى الامريكيين موارد احتياطية من شأنها ان تنقذهم في المدى القريب . اما الحقيقة المرة فهي ان جميع صناعات الطاقة تحتاج الى اوقات تحضير تتراوح مددها بين ٦ سنوات و١٠ لتأتي بنتائج هامة ، وان اوقات التحضير هذه قد ضاعت الى غير رجعة . وقد ضلل الرئيس الشعب الامريكي تضليلا تاما حول هذا الامر ، والحقيقة هي أنه لا توجد وسيلة يمكنها ان تجعلنا مكتفين ذاتيا بالطاقة بطول عام ١٩٨٠ . **والوهم الثالث** هو الافتراض بأن الولايات المتحدة هي من الغنى والقوة (ومن القدرة على صنع المعجزات التقنية بسرعة) ، بحيث ان تعرضها الى عجز خطير في امدادات الطاقة امر لا يخطر على بال ، والحقيقة المرة هي أن عصر النفط الرخيص الوفير قد انتهى ، ولا يوجد أي بديل سريع يحل محل هذه السلعة المتعددة المنافع . **والوهم الرابع** هو الفهم الخاطىء بأنه ما من حاجة الى تدابير الزامية للحفاظ على الموارد ، فعلى الرغم من نذر الشؤم ، ظل برنامج نيكسون لحماية الموارد وعظيا حتى هذا الشهر ... ويمكن القول انه كلما تم التعجيل في تطبيق تقنين الزامي شامل كان ذلك افضل ... **والوهم الخامس** هو الافتراض بأن سياسة الولايات المتحدة في تنفيق النضوب في النفط كانت حكيمة ، اذ يرجح ان هذه السياسة كانت حكيمة قبل عدة عقود من الزمان عندما كانت صناعة النفط في المهد ، اما الان ، وقد وصل انتاج النفط الى ذروته وبدأ سيره الانحداري الطويل فان المطلوب هو أن تصبح لنا سياسة فعالة لحماية الموارد ... **والوهم السادس** ، هو تمنية النفس بأن العرب لن يجرؤوا على استخدام سلاحهم النفطي ضد امريكا . وقد جاءت الاحداث لتحطم هذا السراب بفظاظة ، فسلاح النفط حد قاطع ، والعرب يستخدمونه بمهارة لا تخطىء ، وهم منذ الان سيضعون قواعد لعبة النفط العالمية ...

وقال ستيوارت اودال **ان شركات النفط (التي يتصرف نيكسون وكأنه صداها) قد وضعت الامريكيين في طريق مسدود لا بد وان يشل الاقتصاد الامريكي** . وقال ان شعار هذه الشركات القائل ان « امة تسير على النفط لا تستطيع تحمل نقصانه » يعكس أبعاد فلسفتها المستعجلة للكوارث . وختم مقاله بالقول : « ان سياسة النفط الوطنية هي من الاهمية بحيث ينبغي الا يترك امرها لرجال النفط وحدهم » ، وذلك على غرار قول كليمنصو المأثور : « ان شؤون الحرب هي من الاهمية بمكان بحيث ينبغي الا يترك امر تقريرها للعسكريين وحدهم » .

لقد تصاعدت حملة الانتقاد لسياسة السلطات الامريكية تجاه ازمة النفط العربي حتى ان نيكسون اضطر الى التخلي عن كبير مستشاريه لشؤون سياسة الطاقة جون لاف ونائبه تشارلز ديبونا . « وكان جون لاف هذا قد تعرض لانتقادات متزايدة خلال الاسابيع الاخيرة بسبب تفاؤله الزائد عن اللزوم واخفاقه في معالجة الامور بفعالية » . واستحدث نيكسون وكالة فدرالية خاصة بشؤون الطاقة عهد برئاستها الى وليم سيمون نائب وزير المالية الامريكي . وقد حذر وليم سيمون هذا الامريكيين ، فور تسلمه منصبه الجديد من أن ارتفاع الاسعار وتقنين النفط قد يستخدمان لتحقيق الاكتفاء الذاتي الامريكي في ميدان الطاقة .

وبازدياد تفاقم ازمة النفط في أمريكا « **حذرت الحكومة الامريكية المواطنين بانه حتى لو نجحت الولايات المتحدة في تدابير الطوارىء التي اتخذتها فانها لا بد وان تواجه نقصا في امداداتها في الربع الاول من العام المقبل مقداره ٧٤٠٠٠٠ برميل في اليوم** ، وذلك نتيجة للحظر العربي على تصدير النفط اليها »(١٣). « **وقد قدر المجلس الامريكي للبترول النقص بنحو ٨ر١ مليون برميل في اليوم من النفط الخام ونحو ٢ر١ مليون برميل في اليوم من المنتجات** . وقد استنتج المجلس ان ينبغي فرض بعض التدابير الالزامية مع تقنين البنزين وزيت التدفئة »(١٤).

ازمة طاقة مستفحلة ودائمة

بحلول الاسبوع الاول من شهر كانون الاول (ديسمبر) تبلورت ازمة النفط العربي في الولايات المتحدة الامريكية بصورة جلية وواضحة بحيث لم يعد بوسع السلطات او التيارات الموالية للصهيونية تضليل المواطنين الامريكيين حول مدى المخاطر التي تترصدهم . وقد بلور هذا الواقع القاتم الى حد بعيد **كليفتون غارفن جونيور رئيس شركة اكسون كبرى شركات النفط الامريكية** حيث وجه الى المواطنين الامريكيين تحذيرا قال فيه :(١٥) « **ان ازمة الطاقة العالمية ليست مؤقتة بل ستظل مستمرة حتى بعد انتهاء التدابير العربية الراهنة** » . وقال : اننا نتجه نحن نقص مستمر في امدادات الطاقة خلال السنوات العشر او الخمسة عشر القادمة ، **وان هذا النقص قد يكون من الشدة بحيث يترك اثارا جذرية على النمو الاقتصادي ومستوى المعيشة لعدد كبير من البلدان** . وقال ايضا : **اننا مهما فعلنا فلا بد لنا من أن نواجه مشكلة كبرى في العقد القادم** . فانتاج النفط لا بد وان يتضاعف من الان وحتى عام ١٩٨٥ لتلبية الطلب المتزايد ، وذلك حتى اذا افترضنا ان استخدام الفحم والطاقة النووية سيزداد بالسرعة المطلوبة ، وان الغاز الطبيعي والطاقة الكهربائية قد جرى استغلالهما استغلالا تاما . وقال رئيس شركة نفط « اكسون » كذلك : **ان غالبية الزيادة في امدادات الطاقة خلال السنوات العشر او الخمسة عشر القادمة يجب ان تاتي من الشرق الاوسط واذا شئنا ان نسد العجز بين العرض والطلب فهذا يقتضي رفع انتاج الشرق الاوسط الى اقصى مستوى مادي ممكن من الان وحتى عام ١٩٨٥** . بيد أنه تساورنا الشكوك في أن بعض دول الشرق الاوسط قد تعمد الى تحديد الانتاج حتى بعد تسوية المشكلة السياسية التي كانت السبب في تدابير الحظر والتخفيض الراهنة . واستنتج رئيس شركة « اكسون » ان الاحتمال الاغلب هو أن معظم الدول المستهلكة للنفط ستواجه نقصا في امداداتها . وقال ان هذه الوضعية تحمل في طياتها مخاطر كبيرة منها :

ـ اذا طال النقص في امدادات الطاقة فان ذلك قد يترجم بسهولة الى ركود اقتصادي والى مستويات للبطالة غير مقبولة .

ـ ان التنافس على الامدادات المتوفرة قد يؤدي الى مواجهات خطيرة بين الدول [طبعا دول المعسكر الغربي ـ المحرر] .

ـ ان النقص قد يزيد من حدة الصراع القائم بين الحاجة الى تطوير مصادر للطاقة وبين الحاجة الى حماية البيئة .

ترى هل يدرك المسؤولون العرب تماما اية قوة يملكون زمامها في قبضتهم ؟ وهل لديهم الاخلاص والتقدير الكافي للمصلحة الوطنية بحيث يضعوا هذه القوة التي يملكون في خدمة القضايا القومية حتى مداها الاخير ؟؟ ان الايام المقبلة وحدها هي التي ستجيب عن مثل هذه التساؤلات ...

سمير كنعاني

---

١ ـ **الدكتور زهير مكداشي** ، جريدة « **النهار** » البيروتية في ١٩٧٣/١١/٢١ .
٢ ـ جريدة « **النهار** » البيروتية في ١٩٧٣/١٠/١٣ .
٣ ـ انظر نشرة « **عالم النفط** » الاسبوعية ، العدد ١٤ في ١٩٧٣/١١/١٧ .
٤ ـ جريدة « **النهار** » البيروتية في ١٩٧٣/١١/٩ .
٥ ـ صحيفة «**التايمز**» اللندنية في ١٩٧٣/١٠/٨ .
٦ ـ صحيفة « **التايمز** » اللندنية في ١٩٧٣/١٠/٢٠ .
٧ ـ جريدة « **النهار** » البيروتية في ١٩٧٣/١١/١٣ .
٨ ـ جريدة « **النهار** » البيروتية في ١٩٧٣/١١/١٧ .
٩ ـ نشرة « **عالم النفط** » في ١٩٧٣/١٢/١ .
١٠ ـ **المصدر ذاته** .
١١ ـ **المصدر ذاته** .
١٢ ـ نشرة « **عالم النفط** » في ١٩٧٣/١٢/٨ .
١٣ ـ نشرة « **عالم النفط** » في ١٩٧٣/١٢/١ .
١٤ ـ **المصدر ذاته** .
١٥ ـ نشرة « **عالم النفط** » ، العدد ١٧ ، المجلد السادس في ١٩٧٣/١٢/٨ .

[٢]

الصحافة السوفياتية والنفط العربي

في الاونة الاخيرة بدأت الصحافة السوفياتية بالتركيز بصورة مكثفة على النفط العربي وتأثيره في السياسة العالمية وخاصة تأثيره في أزمة الشرق الاوسط بعد أن دخل بصورة مباشرة الى حلبة الصراع الدائر في المنطقة . فقد صدرت عدة دراسات نظرية سوفياتية حول النفط وتأثيره على مسار الاتجاهات السياسية في أوروبا الغربية واليابان وامريكا . وفي هذا التقرير سوف نتطرق لموقف الصحافة السوفياتية أثناء الحرب من موضوعات النفط العربي وتأثيره في المعركة، آخذين بعين الاعتبار ما أوردته وكالات الانباء السوفياتية على لسان معلقيها السياسيين والاقتصاديين ونشر في الصحافة السوفياتية . وقبل الدخول في معالجة هذا الموضوع لا بد من التأكيد على أمر هام وهو ان كل الصحف السوفياتية موجهة من قبل الحزب الشيوعي السوفياتي وتعبر بالتالي عن وجهة نظر الدولة السوفياتية في كافة المواضيع التي تعالجها وكذلك وكالات الانباء السوفياتية .

في يوم ٧٣/١٠/١٣ اي بعد بداية حرب تشرين بأسبوع تقريبا أوردت وكالة انباء « نوفستي » السوفياتية تعليقا حول النفط العربي تحت عنوان « الامبريالية النفطية تشكل عقبة في طريق التقدم » وقد جاء في بداية التعليق : « أدان المؤتمر الرابع لبلدان عدم الانحياز في الجزائر الامبريالية التي وصفها بأنها أكبر عقبة في طريق تحرر وتقدم البلدان النامية ، وتحوز البلدان النامية ، الغنية بالنفط ، تحوز بالتأكيد ادلة لا تدحض ابدا تؤكد هذا الوصف . ان الكارتيل النفطي الامريكي — الانكليزي — الهولندي الذي يستثمر هذه البلدان بالتواطؤ مع كل الاجهزة الاحتكارية للدول المشار اليها ، هو من أوقح تجسيدات الامبريالية » .

ثم يستطرد التعليق للتساؤل : « فما هي الحواجز التي يضعها هذا الكارتيل اليوم في طريق تقدم بلدان عربية عديدة ، وكذلك في طريق تقدم ايران ، فنزويلا ، نيجيريا ، وبلدان اخرى غنية بالنفط ؟ »

ويتحدث التعليق عن الحواجز ذات الطابع الاقتصادي التي وضعت في طريق استخدام البلدان المنتجة للنفط من اجل عدم استغلال ثرواتها الطبيعية لمصالحها الوطنية ومن اجل عدم تمكين هذه الدول تطوير القوى المنتجة بما يتلاءم ومتطلبات التقدم العلمي والتقني .

ويقول التعليق : « لنأخذ مجال الانتاج النفطي ، فقد بدأت بلدان عربية عديدة خلال العقد الاخير المنصرم انشاء شركات وطنية ، وفي الاعوام الاخيرة تأميم الامتيازات الاجنبية في اراضيها ، ونتج عن ذلك انه بين عامي ١٩٧٠ — ١٩٧٢ ارتفع نصيب الشركات الوطنية في الانتاج الاجمالي للنفط في البلدان العربية من ٢٠ الى ٨٠ مليون طن اي من ٣ الى ١٠ ٪ » .

ثم يتحدث التقرير عن الانتاج وكيفية عودة حصة الاسد للاحتكارات الاعضاء في « الكارتيل » وللامبرياليين الغربيين الذين ينهبون باطن أرض الغير ليقول : « وهكذا فمن أصل ٨٢٠ مليون طن من الذهب الاسود انتجت في العام الماضي في البلدان العربية ، فان ٥٣٠ مليون طن استخرجتها شركات امريكية ، و١٥٠ مليون طن شركات انجليزية وهولندية ، و٦٠ مليون طن شركات فرنسية ويابانية وغيرها من الشركات الاجنبية » .

وينتقل التعليق الى مصافي النفط ومجالات تحويله ونقله ويقول : « ينبغي القول انه في بداية عام ١٩٧٣ كان العالم الرأسمالي يضم ٦٩٤ مصفاة للنفط منها ٣٠ فقط موجودة في اراضي البلدان العربية » .

وهنا يتطرق التعليق الى نتيجة هامة يجدر ملاحظتها اذ يقول : « ونتج عن ذلك تفاوت كبير حيث ان العالم العربي ينتج ٤٠ ٪ من النفط المستهلك من قبل البلدان الرأسمالية لكنه لا يحول منه سوى ٤ ٪ » .

ثم يشير التعليق الى ان المصافي الموجودة في العالم العربي يملكها احتكاريون غربيون وينتقل بعد ذلك للاشارة الى وسائل نقل النفط وسيطرة احتكاريي الغرب عليها فيقول : « ان اسطول الناقلات في العالم الرأسمالي يضم اليوم زهاء ٣٥٠٠ ناقلة تزيد حمولتها الاجمالية عن ٢٣٠ مليون طن ، ولكن من أصل كل هذه الناقلات فان ٢٠ ناقلة فقط تعود للعرب ولا يزيد مجموع حمولتها عن مليون طن » .

ويتحدث التعليق عن السياسة التي تمارسها الاحتكارات النفطية في الشرق الاوسط في سبيل تعقيد الموقف وزرع الشقاق واختلاق النزاعات السياسية وتصعيد الصراع بين الانظمة وذلك من أجل ابقاء سيطرتها ومن أجل زيادة انفاق دول المنطقة ميزانيات التسلح وعدم الاكتراث بتطوير القطاعات الاقتصادية الحيوية الزراعية والصناعية وفتح المدارس والمستشفيات وغير ذلك ، اذ يقول : « ووفقا للمعطيات الصحفية انفقت بلدان الشرق الادنى خلال الخمسة سنوات الماضية فقط مبالغ اسطورية تصل الى ١٠ مليارات من الدولارات لشراء الاسلحة . وفي الاعوام الخمسة القادمة يمكن ان تبلغ هذه النفقات ١٥ مليار دولار » .

ويتحدث التعليق ايضا مطولا عن دعم الامبريالية للانظمة الرجعية والاقطاعية في المناطق الغنية بالنفط من العالم العربي قائلا : « وليس فقط بتقديم الاسلحة انما تنتزع الامبريالية من العرب المال الذي يحصلون عليه من النفط . فهي تسعى جاهدة لدعم النظام الاقطاعي في المناطق الغنية بالنفط حيث يوجد مصير الوف العرب في عدة بلدان بين أيدي زعماء القبائل الخاضعين لمشيئة الاجنبي . وهذه الطغمة الاقطاعية والبيروقراطية تستولي على القسم الاكبر من مداخيل النفط وتنفق بشكل طفيلي على حساب مصالح الشعوب العربية . وقد أصبح اسطوريا بذخ مشايخ القبائل العرب الذين يقطنون قصورا فاخرة وينفقون على النساء حتى في رحلاتهم السياحية ، ومدخراتهم البالغة مليارات الدولارات مودوعة في المصارف الامريكية والانجليزية وغيرها من مصارف غربية تدعم القدرة المالية للامبرياليين بينما تظل مشاريع اقتصادية عربية حبرا على ورق لعدم توفر المال لتنفيذها ». ويقول كاتب التعليق بأنه في سنة ١٩٨٠ سيبلغ مدخول انتاج النفط العربي في منطقة الخليج حوالي ٢٠ مليار من الدولارات يذهب معظمها للسعودية والكويت وبعض الامارات الصغيرة الاخرى التي لن تكون قادرة في تلك الفترة على انفاق مثل هذه المبالغ بشكل منتج .

ويدعو التعليق الى الاقتداء بالجزائر والعراق وليبيا وذلك في تأميم الشركات النفطية الاحتكارية. وتتابع الصحافة ووكالات الانباء السوفياتية شرح أهمية النفط العربي في المعركة ضد اسرائيل ، وتشير بشكل ايجابي للخطوة الجريئة التي اتخذتها حكومة العراق عندما أممت شركات « ستاندرداويل اوف نيوجرسي » و « موبيل اويل كوربوريشن » كرد من العراق على الدعم الامريكي المقدم لاسرائيل .

ففي يوم ١٩٧٣/١٠/٢٠ تقول الصحافة السوفياتية : « ان الارباح التي تحصل عليها الاحتكارات الامريكية من استثمار موارد الشرق الادنى النفطية هي ارباح هائلة وتبلغ أكثر من مليارى دولار في العام ، ولا يمكن ان يكون موضع بحث الحياد السياسي للاحتكارات النفطية . وأسوأ من ذلك فان الاحتكارات النفطية لها أوثق الاتصالات مع اسرائيل ، ومعلوم جدا بأن اسرائيل ليست قادرة على ان تمول بنفسها سياستها التوسعية . فبعد عدوان ١٩٦٧ فان الخزينة الاسرائيلية ارادت ان تغطي أكبر قسم من النفقات العسكرية بواسطة الاموال الاتية من الخارج ، وقد وزعت في البلدان الاجنبية سندات قروض بمئات الملايين من الدولارات ، واشترت الشركات النفطية الامريكية هذه السندات » .

وتضيف الصحافة السوفياتية حول هذا الموضوع قائلة : « صحيح ان الاحتكاريين يتكتمون جدا حول ارقام المبالغ التي اشتريت بها سندات القرض الاسرائيلي . ولكن يمكن التأكيد من يقين بأن قسما هاما من الارباح المجنية من استثمار النفط العربي قد انفق لشراء السندات الاسرائيلية » . وأوردت الصحافة السوفياتية تحليلا حول تأثير النفط العربي ودوره الاساسي في المعركة تحت عنوان « في وجه تحديات ملوك البترول » بقلم الدكتور في علم الاقتصاد « زاتشنكوف » ونشرته وكالة انباء نوفوستي بتاريخ ٢٢ تشرين الاول١٩٧٣ ، وقد استهل الكاتب مقاله بنبذة سريعة عن اشتداد تصدي الدول النامية الغنية بالبترول منذ مطلع السبعينات ضد الاحتكارات الاستعمارية الداخلة بما يسمى باتحاد البترول العالمي ، ومحاولة تلك الدول استرجاع سيادتها على ثرواتها الطبيعية . ويقول الكاتب : « وقد كانت جهود احتكارات البترول وكامل استراتيجيتها حيال الدول المنتجة للبترول حتى الان تستهدف الحفاظ على أهم وسائل الانتاج في مجال استخراج البترول ونقله وتسويقه ووضع اتحاد البترول العالمي صناعات النفط في الدول المنتجة في حالة التبعية الكاملة له ،

وجعل ميزانية تلك الدول تتوقف كليا على عائدات البترول لكي يضمن لنفسه حرية الحركة من أجل ان يتمكن من اتخاذ عقوبات اقتصادية صارمة ضدها في أي لحظة يشاء » .

وفي مجال التأميم يقول : « لقد قامت الجزائر في شباط ١٩٧١ بتأميم ٥١٪ من استثمارات الشركات الاجنبية في اراضيها ، فارتفعت بذلك حصة الرأسمال الوطني في صناعة استخراج البترول في الجزائر الى ٨٠ ٪ . وقامت ليبيا في كانون الثاني ١٩٧١ بتأميم نصف استثمارات شركة برتش بتروليوم البريطانية في حقول «السرير». وقامت العراق في حزيران ١٩٧٢ بتأميم شركة بترول العراق وهي اكبر فرع من الفروع الداخلة في اتحاد البترول العالمي التي تعمل في العراق . وفي حزيران ١٩٧٣ قامت ليبيا بتأميم النصف الثاني من استثمارات الرأسمال الاجنبي في حقل «السرير» وهو ملك « بانكر هانت » الامريكية شريكة « بريتش بتروليوم » ثم صدر عن ليبيا في اول ايلول ١٩٧٣ مرسوم بشأن تأميم ٥١ ٪ من ممتلكات جميع شركات البترول الاجنبية العاملة في اراضي البلاد » .

ويقول الكاتب بأن حقول البترول التي تم تأميمها في البلاد العربية في العامين الاخيرين قادرة على ضخ حوالي ٢٠٠ مليون طن من البترول في العام . ويقول : « وقد زادت حصة القطاع العام للدول العربية في انتاج البترول الاجمالي في عامي ١٩٧١ ، ١٩٧٢ الى ١٠ ٪ مقابل ٣ ٪ عام ١٩٧٠ » .

ويتحدث بعد ذلك عن الاجراءات الانتقامية التي واجهتها هذه الدول من قبل الاحتكارات الاستعمارية وتمثلت هذه الاجراءات بمنع استيراد الخمور من الجزائر وكان ذلك مصدرا أساسيا للعملة الصعبة في الجزائر ، وسحبت الخبراء من العراق ، وتهديد ليبيا بالمحكمة الدولية ، وغير ذلك من اجراءات انتقامية .

وحول اضطرار الاحتكارات الى التراجع يقول: « فكانت الاحتكارات النفطية في الجزائر تطالب بتعويض يتراوح ما بين ٣٠٠ ــ ٧٠٠ مليون دولار ثم اضطرت في نهاية الامر الى الاكتفاء بـ ١٠٠ مليون دولار، وكانت شركة بترول العراق في العراق تطالب بمبالغ أكبر بكثير الا انها ايضا اضطرت ان توافق تعويضا على خسائرها على قبول ١٥ مليون طن من البترول العراقي والذي تقدر قيمته النقدية بـ ٣٥٠ مليون دولار . واذا اخذنا بعين الاعتبار ان الشركة اضطرت في الوقت نفسه الى سد ديونها السابقة للعراق بنفس المبلغ تقريبا نجد ان العراق لم تخسر شيئا من هذه العملية ، اما مقدار التعويضات في ليبيا فلم يحدد بعد نتيجة لموقف الاحتكارات الغربية المتعنت » .

ثم ينتقل الكاتب للحديث عن ضرورة توطيد التضامن بين الدول المنتجة للنفط وتشديد نضالها ضد الاحتكارات الغربية ، ويتحدث عن نشأة منظمة « اوبيك » ويأتي للقول بأنه اثر حرب حزيران ١٩٦٧ اثبتت بعض الدول العربية بأنه يمكن استخدام سلاح النفط ضد الدول المؤيدة بشكل سافر لاسرائيل . ويختتم مقالته بالتنويه لدور الاتحاد السوفياتي في دعم الدول العربية وتأييدها بقوة في وجه الاحتكارات ، ويذكر بأن السوفيات عقدوا عدة اتفاقيات مع العراق والجزائر لشراء كميات كبيرة من نفطهم ، ويقول بأن الاتحاد السوفياتي يقدم الدعم الفني الكبير في مجال استخراج النفط وتحضير الكوادر العلمية وغير ذلك .

وتحت عنوان « الاحتكارات النفطية ونفط العرب » بقلم « اروتونيان » ونشرته صحف موسكو واوردته وكالة نوفستي بتاريخ ١٩٧٣/١٠/٢٤ يقول الكاتب : « وفي عام ١٩٦٠ وللمرة الاولى في تاريخ الصناعة النفطية ، تجاوز استخراج النفط مليار طن . وقد اقتضى الامر مرور قرن للوصول لهذه النتيجة . وبلغت الكمية المستخرجة في عام ١٩٦٠ مليار و٩١ مليون طن ، منها ٢١٨ مليون طن قد استخرجت من البلاد العربية أي ١٩،٨٪ من الانتاج العالمي للنفط أو ٢٣،٦٪ من الانتاج الاجمالي في العالم الرأسمالي . وفي عام ١٩٦٩ بلغ الانتاج العالمي للنفط ٢ مليار و ١٤٧ مليون طن . انتجت منها البلاد العربية ٦٦٣،٣ مليون طن أي بنسبة ٣٠،٩٪ من الانتاج العالمي. ٣٧،٢ ٪ من انتاج العالم الرأسمالي . وتثبت ارقام سنة ١٩٧٢ ان الدول العربية حققت ٣٧،٥٪ من الانتاج الاجمالي للعالم الرأسمالي . وتثبت الارقام المستشهد بها بأن النفط العربي يلعب دورا أهم دائما في اقتصاد البلدان الرأسمالية ».

وتورد الصحافة السوفياتية ارقاما عن زيادة

اسعار البترول للطن المتري في الدول المنتجة وتأثير ذلك على شركات البترول الغربية ، كما تورد ارقاما حول ما تستورده اوروبا واميركا واليابان من النفط العربي فمثلا تقول الصحافة السوفياتية بأنه في عام ١٩٧٠ استوردت الولايات المتحدة ٢٠٠ مليون طن من النفط العربي ومشتقاته اي أكثر من ٢٥ ٪ من استهلاك البلاد ، وفي العام الجاري سترتفع نسبةالاستيراد الى ٣٥ ٪ وبعد عامين الى ٥٠ ٪ . وفيما يتعلق بأوروبا الغربية فان حوالي ٧٠ ٪ من مستورداتها النفطية اليوم هي من النفط العربي ، وتبلغ نسبة النفط العربي في مستوردات اليابان ٨٠ ٪ .

وتحت عنوان « الغرب والنفط العربي » كتب مراسل نوفستي « كروتكوف » من القاهرة ١٩٧٣/١١/١٤ يقول : « لقد توقفت العمليات العسكرية في الشرق الادنى لكن السلم الحقيقي لم يستتب بعد في هذه المنطقة . ولهذا السبب فان حرب النفط التي أعلنها العرب ردا على العدوان الاسرائيلي تستمر وتتسع . ففي تشرين الاول انخفض تصدير النفط العربي من ١٩٠٥ مليون برميل في اليوم الى ١٦ مليون برميل ، وانخفض ايضا الى ١٤ مليون برميل منذ ٥ تشرين الثاني . وقد نشا الوضع التالي : ان النفط العربي ، حلم الدول الامبريالية ، قد تحول اليوم الى سلاح ضد اولئك الذين خلقوا النزاع » .

ويستطرد المراسل السوفياتي قائلا : « وهكذا فان نفط الشرق الادنى الذي استخدم باسمه الامبرياليون اسرائيل كقوة ضاربة لهم من أجل خلق وضع نزاع في هذه المنطقة ، هذا النفط نفسه بدأ استخدامه من قبل العرب في النضال ضد حماة اسرائيل » .

ثم يقول المراسل : « وفي الوقت ذاته يطالب الرأي العام العربي أكثر فأكثر باستخدام وسيلة أخرى لم تستخدم حتى الان وهي المال » .

ويقول : « ولا يعرف احد بالتحديد قيمة الاموال العربية المودعة في مصارف الولايات المتحدة الامريكية ولكن هناك شيئا واضحا هو أن هذه الاموال تبلغ مليارات الدولارات . ومن الجلي ايضا انه اذا سحب العرب هذه الاموال وحولوها الى جنيهات استرلينية ، وفرنكات فرنسية ، وينات يابانية او الى عملات أخرى ، فلن يكون الموقف لصالح الدولار الامريكي المريض » .

ويوما بعد يوم يلاحظ آثار ازمة الطاقة — بسبب تخفيض انتاج النفط الغربي — في الولايات المتحدة الامريكية وبعض الدول الغربية المؤيدة للاعتداءات الاسرائيلية ، مما جعل حكومات هذه البلدان تتخذ اجراءات وتدابير ملحة من اجل تدارك النقص المتوقع في النفط لديهم ، وهذه الاجراءات والتدابير وصلت الى حد اعلان حالة الطوارىء ، فقد أعطى الرئيس نيكسون امرا بتكوين « فريق عمل خاص » لهذه الغاية ، ومن أجل توفير استهلاك الوقود امر بتخفيض حرارة التدفئة في البيوت السكنية وتخفيض الاضاءة في شوارع المدن والتقليل من تزويد البيوت بالماء الساخن ، اذ ان موارد الولايات المتحدة الامريكية من الطاقة هي ادنى حد وصلت له في تاريخها . وأعلنت الحكومة البريطانية حالة الطوارىء بسبب خطر ازمة الطاقة الذي يهدد الغرب ، والخطر يدق في بلجيكا والمانيا الغربية والسويد وغيرها من دول غرب اوروبا الصناعية والتي هي بأشد الحاجة للنفط العربي ، اما الوضع الاصعب فهو الذي تمر به هولندا التي تواجه مقاطعة نفطية شاملة من قبل الدول العربية المنتجة للنفط ، ومن هنا فان استغاثتها بدول السوق الاوروبية المشتركة تجعل دول السوق في موقف حرج .

رفعت أبو العون

[٣]

اشترك النفط في المعركة ... تقييم لمقررات وزراء النفـط العـرب

كثر الكلام في الاونة الاخيرة عن استخدام النفط كسلاح في المعركة وظهرت عدة اراء متباينة وتتفاوت في قسوتها وشدتها . كانت هناك أصوات تطالب بتخفيض انتاج النفط ، واخرى ترى قطع النفط عن الدول التي تساند العدو ، بينما كانت هنالك أصوات تطالب بتأميم المصالح النفطية الاجنبيـة وتخصيص الدخل المتحقق لخدمة المعركة . علت هذه الاصوات قبل نشوب الحرب العربيـة الاسرائيلية الرابعة وكان لكل من أصحابها دوافعه ومبرراته ولكن كل ذلك بقي حبرا على ورق ولم يستعمل النفط كسلاح . وجاءت الحرب الاخيرة لتصهر العرب وتظهر وحدتهم ودخل النفط المعركة. فقد عقد وزراء النفط العرب اجتماعين في الكويت اتفقوا في الاول بتاريخ ١٩٧٣/١٠/١٧ على تخفيض انتاج النفط بنسبة ٥ ٪ شهريا كحد ادنى حتى ازالة آثار عدوان عام ١٩٦٧ واعادة الحقـوق المشروعة للشعب الفلسطيني . وقد تجاوزت الدول النفطية هذه النسبة وجعلتها ١٠ ٪ وبادرت الى قطع امدادات النفط عن الولايات المتحدة وهولندا بسبب مساندتهما لاسرائيل . أما في الاجتماع الثاني بتاريخ ٤—١٩٧٣/١١/٥ فقد قرر وزراء النفط العرب رفع نسبة تخفيض الانتاج وجعلها ٢٥٪ عن مستوى شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٧٣ ، داخلا فيهـا الكميات المخصومة نتيجة قطع النفط عن امريكا وهولندا على ان يستمر خفض الانتاج بنسـبة ٥٪ شهريا اعتبارا من شهر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ .

وقد أقدم العرب على هذه الخطوات من مركز قوة بعد ان نجحوا في اثبات قدرتهم القتالية وكان يمكن ان يكون سلاح النفط دليل ضعف اذا استخدم قبل ذلك . وقد كان لهذه القرارات النفطية دور كبير في التأثير على أزمة الشرق الاوسط ويمكن ايجاز الاثار الايجابية بما يلي :

اولا : الضغط على الولايات المتحدة لتحييدها في الصراع العربي — الاسرائيلي واقناعها بانها لن يمكنها الجمع بين مصالحها في الدول العربية ودعم اسرائيل . والمعروف ان امريكا تستورد من العالم العربي نحو ٢ مليون برميل يوميـا وهذه الكمية تشكل ١٢ ٪ من استهلاك النـفط في امريكا . وهناك نقطة هامة وهي ان احتياطي النفط في الولايات المتحدة الذي يبلغ ٣٦،٣ بليون برميل سينفد في مدى عشر سنوات اذا لم تكتشف حقول جديدة ، هذا مع العلم ان الاكتشافات النفطية الجديدة أصبحت قليلة وضئيلة فضلا عن ان المصادر الاخرى للطاقة مثل الطاقة الذرية والطاقة الشمسية لم تطور بعد بصورة كافية لتحل محل النفط . والولايات المتحدة ستتأثر هذه الايام الى حد ما بقطع النفط العربي عنها ولكنها بعد فترة وجيزة ستكون في أمس الحاجة اليه بسبب تزايد استهلاكها مع عدم قدرتها على زيادة انتاجها المحلي بنسبة كبيرة وعدم وجود مصادر بديلة تمدها بالكميات الضخمة التي ستحتاجها .

ثانيا : التأثير على اوروبا الغربية ومنعها من مساندة اسرائيل عن طريق الاعلان ان أي دولة تفعل ذلك ستكون عرضة لحظر النفط عنها ، مع العلم ان النفط هو عصب الحياة في اوروبا الغربية والعمود الفقري لصناعاتها ، فهي تستورد حوالى ١٠،٨ مليون برميل في اليوم من العالم العربي او ما يشكل ٧٢ ٪ من احتياجاتها النفطية . ومن الصعب ان لم يكن من المستحيل ايجاد مصدر بديل يمدها بهذه الكميات الضخمة التي يعتمد عليها اقتصادها وازدهارها .

ثالثا : القرارات النفطية استثنت الـدول الصديقة من تخفيض حصصها النفطية مما يشجع الدول على اتخاذ مواقف متعاطفة مع الـدول العربية ومؤيدة للحق العربي . وجدير بالذكر هنا ان الدول العربية لم تلجأ الى استخدام النفط كسلاح رغبة في ايذاء الدول المستهلكة ولكن املا بأن ذلك سيثيبها الى رشدها ويفتح أعينها على الحقائق التي لا يمكن تجاهلها في النزاع العربي — الاسرائيلي . وأبسط هذه الحقائق ان الاسرائيليين يحتلون اراض عربية لا يملكون فيها سندا ولا حقا ويعتدون على حقوق الشعب الفلسطيني مع العلم ان مبادىء القانون الدولي لا تجيز تحقيق مكاسب اقليمية عن طريق الحرب كما ان ميثاق حقوق الانسان لا يسمح باغتصاب اراضي الافراد ومبانيهم وممتلكاتهم .

والجدول التالي يبين تقديرات انتاج النفط العربي قبل وبعد القرارات النفطية التي صدرت عن مؤتمر الكويت(١):

الدولة	انتاج ايلول	« بآلاف البراميل يوميا » المستوى الجديد للانتاج	التخفيض	النسبة المئوية للتخفيض
السعودية	٨٢٩٠	٥٦٦٠	٢٦٣٠	٣١٫٧
الكويت	٣٢٠٠	٢٢٥٠	٩٥٠	٣٠٫٠
العراق	٢٠٠٠	١٥٠٠	٥٠٠	٢٥٫٠
أبو ظبي	١٤٠٠	١٠٥٠	٣٥٠	٢٥٫٠
قطر	٦٠٠	٤٥٠	١٥٠	٢٥٫٠
المنطقة المحايدة	٥٨٠	٤٣٥	١٤٥	٢٥٫٠
ليبيا	٢٣٠٠	٧٢٥	٥٧٥	٢٥٫٠
الجزائر	١٠٥٠	٧٨٧	٢٦٣	٢٥٫٠
دول اخرى*	١٠٥٠	٧٨٧	٢٦٣	٢٥٫٠
المجموع	**٢٠٤٧٠**	**١٤٦٤٤**	**٥٨٢٦**	**٢٨٫٥**

* البحرين ومصر وسوريا ودبي وعمان .

١ ــ **المصدر** : نشرة **عالم النفط** المجلد السادس العدد ١٣ بتاريخ ١٠ تشرين الثاني ١٩٧٣ .

وقد يقال ان الاجراءات التي اتخذتها الدول النفطية غير كافية وليست فعالة الا ان هذه الاجراءات تدل على التضامن العربي كما انها تصاعدية ولها نتائج ملموسة بدأت اثارها في الظهور . فقد فرضت الولايات المتحدة سلسلة من الاجراءات هدفها الاقتصاد في استخدام الوقود والتوفير في استهلاك الطاقة وقال الرئيس الامريكي نيكسون للامريكيين ان الولايات المتحدة تواجه أشد نقص في الطاقة منذ الحرب العالمية الثانية وذلك بسبب فقدانها لامدادات النفط من الشرق الاوسط . ومن هذه الاجراءات التي اتخذت منع بيع البنزين مساء كل يوم سبت وايام الاحاد وتحديد السرعة القصوى للسيارات الصغيرة بـ ٨٠ كيلومترا في الساعة وللسيارات الكبيرة وسيارات الشحن بـ ٨٨ كيلومترا في الساعة . كذلك خفض زيت التدفئة في المنازل بنسبة ١٥ ٪ ، وفي المكاتب بنسبة ٢٥ ٪ وفي القطاع الصناعي بنسبة ١٠ ٪ . ومن هذه الاجراءات ايضا خفض مد المحيطات بالنفط بنسبة ١٥ ٪ والتحول في مصافي النفط الى خفض انتاج البنزين وزيادة انتاج زيوت التدفئة وزيت الديزل . وبالنسبة الى الطائرات النفاثة التي تعمل على الخطوط الداخلية فسيخفض الوقود المخصص لها بنسبة ٥ ٪ عما كان عليه عام ١٩٧٢ ، أما الوقود المخصص للطائرات التي تعمل على الخطوط الدولية فسيخفض الى المستوى الذي كان عليه عام ١٩٧٢ . وقد أمرت الحكومة الامريكية بعدم انارة لافتات الاعلانات وانوار الزينة بما في ذلك انوار عيد الميلاد خارج المنازل .

أما هولندا فقد منعت سير السيارات في أيام الاحاد وفي ساعات معينة من النهار ولجأ الناس الى استعمال الدراجات . ويتخوف البعض من ان يخسر مرفأ روتردام الهولندي مركزه كمرفأ النفط رقم واحد . واذا ما توقف وصول الناقلات وتدنى انتاج المصافي بصورة حادة فقد يفقد ١٥ الف روتردامي وظائفهم . وأما بريطانيا فيعتبر وضعها أفضل من وضع البلدان الاوروبية الاخرى واليابان لكونها لا تعتمد على النفط الخام سوى بنسبة ٤٧ ٪ من مجمل حاجاتها الى الطاقة . الا انه قد بدأ نوع من الاقبال على شراء المنتجات النفطية

وهناك احتمال برفع سعر البنزين بمقدار ٢ بنس للجالون .

وفي اليابان طلبت الحكومة من المصانع خفض الانتاج بنسبة ١٠ ٪ حتى آخر السنة والتحول الى العمل خمسة ايام في الاسبوع ، وستخفض ايضا ساعات العمل في المتاجر الكبيرة والحانات والنوادي الليلية والملاهي . وأمر مجلس الوزراء الياباني بخفض استخدام السيارات الحكومية بنسبة ٢٠ ٪ وكذلك بالاقتصاد في استخدام النور الكهربائي في النهار وبخفض حرارة أجهزة التدفئة في المكاتب الحكومية . وسيطلب الى محطات النفط ان تغلق ابوابها ايام الاحاد وايام العطل الرسمية كما ستحث السكان على عدم استخدام سياراتهم الخاصة في النزهات وسيطلب من شركات السياحة عدم تنظيم رحلات جماعية في سيارات الركاب الكبيرة .

وفي المانيا الغربية اعلن ان حظرا سيفرض على تنقل السيارات الخاصة في ايام الاحاد اعتبارا من ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) الا ان الحظر لن يطبق كل يوم احد . ويجيء ذلك في اعقاب نداءات وجهتها الحكومة الالمانية الى الشعب خلال شهر تشرين الثاني للتوفير طوعا في استهلاك الوقود . وهناك قلق في المانيا الغربية من انخفاض كميات النفط لانها تستورد قسما من احتياجاتها عن طريق مرفأ روتردام الهولندي وهي تدرس زيادة طاقة انتاج مناجم الفحم بنسبة ٢٠ ٪ . اما في ايطاليا فتتجه الحكومة الى اغلاق محطات التوزيع يوم الاحد ومضاعفة اجور المرور على الاوتوستردات . وفي النروج وسويسرا طلب من المواطنين خفض التدفئة في المنازل والابنية الى ٢٠ درجة مئوية . اما فرنسا فقد وضعت حظرا على تصدير المنتجات النفطية الى الخارج وهي مطمئنة بعض الشيء باعتبار ان مواقفها من العرب ودية. وجدير بالذكر ان الدول العربية المنتجة للنفط لم تخسر من جراء المقررات الاخيرة بل على العكس هي الرابحة من ذلك . فالنفط الذي لا ينتج الان سيظل محفوظا في مكامنه ذخرا للمستقبل فضلا عن ان قيمته واسعاره هي في تزايد مستمر . كذلك الدول العربية المنتجة للنفط لديها فائض من الاموال مودعة في المصارف الاجنبية وهي ليست بحاجة الى مزيد من هذه الاموال التي قد تتعرض للخسارة بسبب الهزات الاقتصادية وانخفاض قيمة العملات الاجنبية . ويبرز هنا ان الدول العربية المنتجة للنفط بما لديها من احتياطي مالي كبير تستطيع الصمود مدة أكثر من تلك التي تستطيع ان تصمدها الدول المستهلكة للنفط .

وهناك نواح ايجابية في الاجراءات التي اتخذتها الدول العربية المنتجة للنفط ومن ضمنها وحدة الكلمة والاجماع على الرأي وهذا بحد ذاته بادرة حسنة تظهر ان العرب ينسون خلافاتهم عندما يواجهون الشدائد وعندما توضع وحدتهم وثقلهم على المحك . والناحية المهمة الثانية هي ان القرارات النفطية التي اتخذت تزداد اثرا وفعالية مع مرور الزمن . فقد نصت هذه القرارات على تخفيض انتاج النفط العربي بمعدل ٥ ٪ شهريا حتى يتم انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ واعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، وسيجد حلفاء اسرائيل ان امداداتهم النفطية ستتناقص بشكل كبير ومتصاعد مما يدفعهم الى تغيير سياساتهم في منطقة الشرق الاوسط ، وبهذا يكون النفط قد لعب دوره كعامل ضغط لا كعامل استعداء . وجدير بالذكر ان وزراء النفط العرب قد قرروا في اجتماعهم الذي عقد مؤخرا عدم تخفيض انتاج النفط العربي بنسبة ٥ ٪ المقررة لشهر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ بالنسبة لدول السوق الاوروبية المشتركة — باستثناء هولندا — وذلك تقديرا منهم للموقف البناء الذي وقفته هذه الدول باصدارها بيان يؤيد الموقف العربي . كذلك قرر العرب مؤخرا تطبيق الاجراء نفسه على اليابان والفلبين بعد ان اعادتا النظر في سياساتهما لصالح القضية العربية . وقد يقال هنا ان العرب يستخدمون النفط كوسيلة للابتزاز ولكن ذلك ليس صحيحا فمن حق العرب ان يستخدموا كل امكاناتهم وثرواتهم بما فيها النفط من أجل استعادة حقوقهم المسلوبة . ولقد تحررت ارادة العرب من الخوف ودفعوا ضريبة الدم في المعركة وبذلوا في سبيلها النفيس والرخيص ولم يكن هناك أقل من ان يشارك النفط بدوره كذلك.

نزار الشقيري

[٤]

آثار حرب تشرين وازمة النفط في الدانمارك

هل الدانمارك بلد « امبريالي » ؟ وهل تشارك بلدان مثل الدانمارك (السويد ، والنـــروج وغيرها ...) في نهب العالم الثالث ، وضمنه الوطن العربي ، مع انها تعرف بـ « حيادها » ولا تبدو عليها غالبا السمات المألوفة للامبريالية ؟ وهل يقوم العداء الراسخ للعرب ، والاعجاب باسرائيل ، والمنتشر بين الطبقات العمالية نفسها، على العامل الحضاري وحده (مجمل موقف الثقافة الغربية من العرب ذي الطابع العنصري الواضح) أم ان ثمة عوامل راهنة ومباشرة ، ذات طابع اقتصادي وسياسي تلعب دورا هاما في تقرير موقف هذه الشعوب من قضايانا ؟

ان احدى حسنات حرب تشرين وقطع امدادات النفط العربي او تخفيضها هو انها كشفت للمواطن الاوروبي العادي ، وللمواطن العربي ، احد «اسرار» التناقض العربي الاوروبي المستند واقعيا الى عملية نهب للثروة العربية تتخذ طابع التجارة البريئة وهي في واقعها الفعلي أشبه بمقايضـــة التجار الاوروبيين مع الهنود الحمر السذج . ولننظر الى الموضوع من زاوية تأثير حرب تشرين وتخفيض امدادات النفط على الدانمارك .

الاثار المباشرة

تستورد الدانمارك ٦٨ بالمئة من نفطها مـــن البلدان العربية المنتجة مباشرة . وهي تحصل على ٢٠ بالمئة اخرى عبر هولندا . الامر الذي يعني ان ٨٨ بالمئة من حاجاتها النفطية تتأثر مباشرة بتطورات معركة النفط العربية .

والنتائج المباشرة لتخفيض امدادات النفط كانت قطع التدفئة كليا في النقل العام وتخفيض التدفئة الى أقصى حد ممكن في معظم المصانع ، وتخفيضها بنسبة ٢٥ بالمئة في المنازل . كذلك استحدثت قيود على سرعة السيارات ومنع استخدام السيارات الخاصة أيام الاحاد . وتصل عقوبات خرق الانظمة الجديدة المتعلقة بتقنين النفط الى السجن مدة سنتين . وتمنع الانظمة تعبئة البترول في صفائح أو علب .

وتأثرت اوضاع العمل مباشرة . فأغلقت العديد من المصانع وارتفعت نسبة البطالة (وتحولت الى قضية سياسية وانتخابية)(١)، وتجري بين مجلس النقابات وجمعية ارباب العمل مفاوضات تتناول امكان الاتفاق على ٤١/٢ ايام عمل في الاسبوع ، بمعدل ١٠١/٢ ساعات يوميا .

وقد لجأت بعض الصناعات الى استخدام الفحم لتعويض النقص في النفط . لكن اسعار الفحم أصبحت ضعفي سعرها الاصلي ، الامر الذي لا بد ان يؤدي الى رفع الاسعار بالنسبة للمستهلكين.

ومن الواضح ان مجمل النتائج تؤيد مباشرة وبالدرجة الاولى في اوضاع الطبقة العـــاملة والبرجوازية الصغيرة ، خاصة بالنسبة للبطالة وارتفاع الاسعار .

التناقض مع شركات النفط العالمية

لكن الازمة الراهنة اضـــاءت جانبا آخر في الصورة النفطية العالمية ، هو جانب العلاقة مع احتكارات النفـــط الكبرى . فقد بدأت الصحف الدانماركية تتحدث عن الشركات الاميركية التي تتحكم بتموين البلاد بالنفط والتي لجأت الى رفع الاسعار مؤخرا . وتتوقع هذه الصحف ان تصبح ايام هذه الشركات معدودة أو على الاقل فانهـــا لا تستطيع الاستمرار في شكلها الراهن .

وتقول صحيفة Land OG Folk اليومية ، الشيوعية ، ان ردة فعل العرب ضد هولندا خاطئة « وان الهدف ينبغي ان يكون الشركات المتعددة القوميات التي قررت معاقبة هولنـــدا الصغيرة لانها تبيع النفط باسعار رخيصة » .

وتمضي الصحيفة لتقول : « رفعت شركتا شل وب ب (بريتش بتروليوم) سعر النفط . وقد اكتفي « بابلاغ » مجلس الاحتكار بالسعر الجديد ، حيث لم يعد مطلوبا منه ان يوافق على الزيادات.

---

١ ـــ جاء في احد الاعلانات الانتخابية للاشتراكيين ـــ الديمقراطيين : « لقد خلق الاشتراكيون ـــ ـــ الديمقراطيون العمل الكامل . وألان بدأت المشاكل تأتينا من الخارج وتزداد يوما بعد يوم. لا تخاطر بمستقبلك ـــ اقترع للاشتراكيين ـــ الديمقراطيين » .

وعلى الحكومة بان تعترف بانها لا تملك أية سيطرة على أهم مصدر للطاقة في البلاد — وهو النفط . وقد كشف ان شركات النفط الاميركية الكبرى خفضت عمدا طاقة مصافي النفط لكي تتمكن من رفع الاسعار » .

ويبدو ان هناك اتجاها لانشاء خط مباشر لتجارة النفط بين الشرق الاوسط واوروبا . وفي الدانمارك تم تشكيل (مجلس توزيع) ، لان العديد من الشركات الصغيرة التي تتعامل بالنفط الرخيص المستورد من هولندا اضطرت للتوقف عن العمل نتيجة احتكار الشركات الاميركية الكبيرة للنفط .

وفي اجتماع اللجنة التنفيذية لموزعي النفط والفحم قال رئيس اللجنة : « ان الوضع ، ببساطة ، ينذر بكارثة . واذا ما استمر هذا الوضع فلن تبقى شركة واحدة مستقلة حين ينتهي الشتاء . ان المسألة ليست مسألة كارثة اقتصادية فحسب ، بل هي ايضا مسألة وجودنا نفسه . ان الشركات الكبرى قد ضيقت مؤخرا تسهيلات الحسم والتسليف » .

وقالت الصحيفة اليومية للحزب الاشتراكي الديمقراطي : « ان شركات النفط الكبرى تتحكم بدرجة الحرارة في غرف نومنا » . وقد دفع العديد من الفقراء اربعة أضعاف السعر العادي لتأمين البترول للتدفئة ، غير ان الحكومة وضعت في النهاية سعرا أقصى للبترول .

من جهة اخرى دعت بعض الصحف الى الغاء المناورات المقررة لحلف الاطلسي في ١٠ — ١٦ كانون الاول لان المناورات ستسبب هدرا ضخما للطاقة .

لا بديل للنفط

هل من حلول للوضع ؟ في ٢ كانون الاول الراهن دعت صحيفة Berlingske Tidende اليومية اليمينية ، في صفحتها الاولى ، « كل بيت دانماركي الى الحصول على مولد خاص للطاقة من الشمس من أجل الاستغناء عن النفط في المستقبل » . لكن هذا الاقتراح قد يكون أكثر واقعية بالنسبة لبلدان المتوسط منه للدانمارك ذات الشتاء الشديد البرودة !

ولاحظت جريدة يمينية اخرى ان « كل البلدان الغربية تصرفت تصرفا غير مسؤول . فأزمة الوقود قد تكون نتيجة لحرب الشرق الاوسط ، وقد تميل الى التحسن . لكن الغرب لن يحصل ثانية على مثل هذه الكميات الكبيرة من الوقود الرخيص مثلما فعل منذ الحرب العالمية الثانية ، ومن الضروري اجراء تعديل كامل تمهيدا للانتقال باتجاه استخدام مصادر اخرى للطاقة... وسوف يكون هذا التغيير صعبا . فالنمو الاقتصادي للغرب وثراؤه الظاهر نتجا بشكل رئيسي عن حصوله على وقود رخيص... لكن الحكومة لا تعلن الحقيقة كلها ... ان ثمة كارثة محدقة ، وعلى الدانمارك ان تنشىء لجنة للطاقة اليوم استعدادا لاستخدام كل أنواع الطاقة ... » .

لكن ولسوء حظ الدانمارك وغيرها من الدول المتضررة ، فقد نشرت جريدة Borsen الاقتصادية اليومية ، ذات الاتجاه اليميني ، تقريرا في صفحتين حول مضمون مسح أعدته الاتحادات الصناعية في بلدان السوق الاوروبية المشتركة بطلب من لجنة السوق حول مشاكل الطاقة . وكانت خلاصة الوثيقة السرية ان ازمة الطاقة ستستمر حتى ١٩٨٥ ، وان اوروبا ستكون هي الخاسر . وسوف يزداد الاعتماد على النفط العربي — يأتي ٦٠ بالمئة من النفط حاليا من الشرق الاوسط ، لكن هذا الرقم سيرتفع الى ٦٦ بالمئة في غضون سنوات قليلة . ولم تبد سوى دلائل ايجابية قليلة حول امكانية حل اوروبا لازمة الطاقة وذلك بسبب فقدان المصادر الطبيعية هنا ، وبسبب عدم وجود أية سياسة واضحة حول الطاقة .

تقلبات الموقف الحكومي

وعلى الصعيد السياسي اصابت اثار حرب تشرين وتقنين النفط الدانمارك في وقت كانت فيه تستعد لانتخابات عامة جديدة بسبب اندثار الاغلبية السابقة التي كانت الحكومة تستند اليها في البرلمان ، فيما يبدو انه مزيج من ردة نحو اليمين وخيبة أمل تجاه الاحزاب القديمة .

على الصعيد الحكومي أعلن رئيس الوزراء آنكر يورغنسن في الاجتماع الاشتراكي — الديمقراطي في ميدلغارت : « بالنسبة للحرب الاخيرة ، اعتبر ان البلدان العربية هي التي بدأتها . وباستطاعتي ان ادافع مطولا عن عدوانية اسرائيل لان جيرانها هم الذين يهددون بالقائها في المتوسط. ان مشاعري

هي غالبا الى جانب اسرائيل ، وانني آمل واعتقد ان المجموعة الاوروبية ستتضامن مع هولندا » . وكان بيان رئيس الوزراء هذا جوابا على مطالبة بعض الحضور بسالا تنحاز الدانمارك الى اي من الجانبين (اسرائيل او الدول العربية) !

وفي اليوم نفسه كانت بلدان المجموعة الاوروبية تحاول في اجتماع رأسه وزير خارجية الدانمارك ، ان تتوصل الى اسس مشتركة لموقف موحد من البلدان المنتجة للنفط .

ولاحظت جريدة Information اليومية المستقلة ، « ان الحكومة ايدت بيان وزراء خارجية المجموعة الاوروبية حول الشرق الاوسط ... لكن رئيس الوزراء قال شيئا مختلفا تماما هنا . فقد أعلن بوضوح تام ان الدول العربية هي التي تفتقد الاحترام للسيادة الاقليمية لاسرائيل ... وكان محققا ان يعتبر تصريحه ، ذو المضمون المؤيد لاسرائيل ، مهينا بالنسبة للدول العربية . وفي أسوأ الاحوال يمكن ان تصل الامور الى حد فرض حصار نفطي على غرار الحصار المفروض على هولندا . وستكون النقطة الحاسمة هي الى أي حد سينتبه الشرق الاوسط الى تصريحات رئيس الوزراء ، والى المقارنة بينها وبيان المجموعة الاوروبية » .

وعلق دبلوماسي عربي بقوله ان الملاحظات كانت بالغة السوء ، وانها جعلت من أصعب الامور الدفاع عن الدانمارك امام البلدان العربية الاخرى. وفي ٢١ تشرين الثاني أعلن وزير النفط السعودي في مقابلة جرت معه ان « الدانمارك لم توضع على اللائحة السوداء مع أننا سمعنا عن تصريح رئيس وزرائكم . فقد سمعنا بعد ذلك بقليل ان الانتخابات العامة ستجري قريبا ... لقد كانت الدانمارك على مسافة صوتين فقط من المقاطعة التامة » .

ولم ينف التصريح الجديد الذي ادلى به رئيس الوزراء ، أنكر يورغنسن ، في ٦ تشرين الثاني ملاحظاته السابقة . فقد قال :

« ان الاعلان الذي اتفق عليه وزراء الخارجية التسع هو تعبير دقيق عن المبادىء الكفيلة بحل نزاع الشرق الاوسط ، هذه المبادىء التي تشعر الحكومة الدانماركية انها ينبغي ان تكون جوهرية. وهو يتوافق مع مقررات مجلس الامن . ان هنالك سببا للرضى لان البلدان التسعة استطاعت بهذه الطريقة ان تتفق على موقف مشترك تجاه هذا النزاع الذي يكتسب حله أهمية حيوية بالنسبة لاطراف عديدة ليست البلدان الاوروبية آخرها . وينبغي حشد كل الجهود لايجاد طرق ووسائل لتوفير سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط ، يضمن الوجود المستقل لكل دولة في المنطقة .

ولن يكون من العدل تحميل أي من الاطراف بمفرده مسؤولية التطور المحزن للوضع في الشرق الاوسط خلال الـ ٢٥ سنة الماضية . انه وضع بالغ التعقيد . وينبغي ان يكون الهدف الرئيسي البحث عن تسوية سلمية دائمة تستطيع، وحدها، ان توفر اسس مجرى جديد للتطور » .

ولا ريب في ان الكثيرين من الدانماركيين يؤيدون تصريح يورغنسن الاول ، ويشعرون ان الدانمارك ينبغي ان تعرب عن تأييدها لاسرائيل مهما كان ثمن هذا التأييد . لكن في حين يمكن للمرء ان يوافق بأنه ينبغي تحمل عواقب سياسة خارجية مدروسة جيدا ، فسيكون من سوء الحظ لو نتجت هذه العواقب عن ملاحظة لا تستطيع الحكومة التراجع عنها . واذا كان بقي ما يكفي من الوقت فمن المحتمل ان أنكر يورغنسن قد تعلم ان السياسة الخارجية ينبغي ان تناقش في بروكسل ، وليس في ميدلفارت (مدينة دانماركية صغيرة). وبمواجهة بلدان النفط سيشدد الدبلوماسيون الدانماركيون على ان سياسة الدانمارك الخارجية هي تلك التي قررتها مجموعة البلدان الاوروبية . وهكذا سيكون زعيم الحكومة الدانماركية قد ادى ، مرغما ، قسطه في تشجيع تعاون بلدان المجموعة الاوروبية في مجال السياسة الخارجية .

كذلك تلاحظ جريدة انفورماسيون « ان الدانمارك تؤيد دعوة هولندا للتضامن . وهذا منطقي ، لاننا نعطف على هولندا ، ولان وضعنا قد يصبح شبيها بوضع الهولنديين في وقت قريب .

« ان بلدان المجموعة الاوروبية لم تتوصل الى اتفاق ، لكن الدانمارك تدعم في هذا المجال الطرف الذي يدعو لاتخاذ قرارات قد تسبب عواقب واسعة على صعيد السياسة الخارجية . فالموافقة على دعم المجموعة الاوروبية لهولندا قد يعتبر بمثابة جبهة صريحة تنشؤها المجموعة الاوروبية ضد بلدان النفط ، الامر الذي يتسبب في حصار أوسع.

ان هذا قد لا يحدث ، لكن أي قرار يتخذ قد يجرنا ، وفي أي حال ، الى تعاون بعيد المدى في السياسة الخارجية ... لقد اتبع الوضع منطقه الصارم ، وبات على الدانمارك ان تقبل النتائج . لقد كان هذا ما قاله اعداء الانضمام للمجموعة الاوروبية قبل الاستفتاء في العام الماضي . اما الحكومة فقالت شيئا مختلفا تماما . لقد كذبت الحكومة حول الاحتمالات والنتائج » .

وشددت جريدة لاند اوج فولك اليومية الشيوعية على ان « ... التضامن يمكن ان يجر عواقب مشؤومة على كل بلدان المجموعة الاوروبية ... ويمكن للمجموعة الاوروبية ان تنهار اذا لم تلب النداء وقت الحاجة ... وثمة محاولات تجري لتحويل ازمة النفط ، وازمة الشرق الاوسط والخلاف مع الولايات المتحدة حول فقدان التضامن معها اثناء الحرب الى انذار يساعد في تحويل المجموعة الاوروبية الى اتحاد سياسي وعسكري كان السياسيون الدانماركيون المؤيدون للمجموعة الاوروبية وعدوا الا يقوم ابدا » . كذلك قالت الجريدة « ان بيان انكر بورغنسن الذي ورد فيه انه يقف كليا الى جانب اسرائيل قد ادى به الى اليمين ، الى جانب المحافظين ... ان التصريح المناهض للعرب يستند كليا الى مزاعم احتكارات النفط الاميركية ... »

وعلى صعيد الرأي العام يمكن القول إن الازمة الراهنة تشكل بداية تبلور للموقف من العرب يمكن له ان يتجه الى أي من الاتجاهين . وفي كل الاحوال بدأ الدانماركيون يكتشفون ان هنالك شيئا اسمه « النفط » . وقد بدأوا يشعرون قليلا بذلك النزاع الذي توجب على العرب ان يتعايشوا معه طوال الـ ٢٥ سنة الماضية .

ان احد جانبي الصورة هو انه ، وفقا لجريدة Jyllands Posten ، اليومية المحافظة، الواسعة الانتشار ، يقف ٦١ بالمئة من الدانماركيين الذين يزيد سنهم على ٢٠ سنة الى جانب اسرائيل في النزاع الراهن ، بينما يؤيد ٣ بالمئة العرب ، ويقف ٢٨ بالمئة على الحياد ، في حين ليس لدى ٨ بالمئة أي وجهة نظر .

وهنالك نزعة معينة ضد « مشايخ النفط العرب، الاغنياء ، والرجعيون ، الذين يمارسون الابتزاز ضد طرف ثالث بريء » . وقد قادت الصحف اليمينية لدى بدء حصار النفط حملة تشهير « بالابتزاز » العربي . واستفادت هذه الحملة من العداء المسبق الموجود اصلا لدى الدانماركيين بالنسبة للعرب .

وصدق او لا تصدق كتبت جريدة Politiken ، التي هي أكثر صحف الدانمارك صهيونية ، مقالا بعنوان « منظورات جديدة في ازمة النفط » جاء فيه « ان القدرة الجنسية تتناقص حين تزداد حرارة الغرفة » . واضافت «. ان مناخ داخل الغرف والسيارات والباصات الدافئة قد سببت المزيد من الامراض ، وشركاء جنسيين منحرفي الصحة ، وانتاجية أقل . والقضية هي ببساطة ان المرء يصبح أكثر كسلا حين يكون الجو دافئا كثيرا » . وهذا الكلام شبيه بما تقوله الكتب المدرسية الدانماركية عن ان « الناس في البلدان المحيطة بالمتوسط كسالى » مع استثناء الاسرائيليين الذين ينظر اليهم كقوم بالغي النشاط .

لكن من جهة اخرى هنالك دلائل ايجابية من وجهة النظر العربية . فالعداء للعرب لم يزدد بشكل ملحوظ بعد الحرب . كما انه « لامر غريب جدا ان تسمع اناسا لم يكونوا يعترفون سابقا بوجود شيء اسمه الشعب الفلسطيني ، وهم يتحدثون الان عن الحقوق الشرعية للعرب الفلسطينيين » .

وقد دأبت كل الصحافة اليسارية — من الجريدة اليومية للحزب الشيوعي حتى صحف أقصى اليسار — على اتخاذ موقف ايجابي من القضية العربية اثناء الحرب وفي الظرف الراهن . بل ان بعض الصحف الليبرالية ايجابية الى حد معين. وتقف كل الحركة اليسارية ، بما فيها « الشباب الاشتراكي — الديمقراطي » الى جانب المقاومة الفلسطينية ، ومع اقامة دولة ديمقراطية في فلسطين .

وكتبت صحيفة Aktuelt اليومية ، الاشتراكية — الديمقراطية ، في ٧ تشرين الثاني مقالا جاء فيه :

« لا يوجد ما هو أصعب من التخلي عن سياسة خدمت الاهداف المرغوبة لسنوات عديدة . ومع ذلك ، على القادة الاسرائيليين ان يختاروا الان ما بين المشاركة في الجهود الحقيقية لتحقيق السلام او الاستمرار في سياسة أمن كانت مناسبة في الماضي ، غير انها ربما لن تكون مرضية في

المستقبل ... وفقط عبر قبول المطالبة المبررة باخلاء المناطق العربية المحتلة يمكن لاسرائيل ان تساهم في تحقيق السلام ، وان تنتقل من حدود آمنة عسكريا الى حدود آمنة سياسيا . وستكون تلك خطوة صعبة ، وعلى الدول العربية ان تساعد اسرائيل في اتخاذها . لكنها ايضا ، وبعد ان اثبتت الجيوش العربية مؤخرا قدرتها على خوض حرب حديثة ، خطوة لا يستطيع الاسرائيليون تجنبها اذا كانوا يريدون الحفاظ على وجود أمتهم. وبالنسبة لكل اطراف النزاع هنالك واقع ان عليهم ان يتعايشوا مع الوضع الجغرافي — السياسي المتضمن ان اسرائيل تقع في العالم العربي ، وانها لا تستطيع العيش الا كجزء منه وليس كذراع للولايات المتحدة ممتدة في الشرق الاوسط !! » .

خلاصة

ان الوضع في الدانمارك مفتوح للاحتمالات . فهل تملك القوى التقدمية في الدانمارك (وفي اوروبا) قوة ونفوذا كافيين لقيادة الطبقة العاملة ولاقناعها ان المجتمعات الرأسمالية تستغل عمالها ايضا ، الى جانب استغلالها للعالم الثالث وشعوبه ؟ وهل ستفهم شعوب اوروبا (ومنها شعب الدانمارك) ان مستوى معيشتها المرتفع سببا هو نتيجة استغلال العالم الثالث ، وانه حين يتوقف هذا الاستغلال بأي شكل من الاشكال فان هذا المستوى المرتفع بصورة مصطنعة سينهار على الفور ؟ وهل ستبدأ الطبقة العاملة والبرجوازية الصغيرة في اوروبا ، بعد ان بدأت تذوق قليلا من المعاناة التي عاشها العرب لسنوات في الاستيقاظ ، وفي اظهار روح المسؤولية بالقتال ضد الرأسماليين في بلادها وبالتضامن مع شعوب العالم الثالث ؟ وهل تستطيع المقاومة الفلسطينية بالتعاون مع القوى التقدمية في الدانمارك وغيرها من البلدان الاوروبية ان تجعل الناس يفهمون ان ما لم يستعد الشعب الفلسطيني حقوقه الشرعية — تحديد بلاده ، واقامة دولة ديموقراطية فوق ارض فلسطين كلها — فان الدانمارك وبقية الغرب قد يكون عليها ان تعاني ليس من البرد والبطالة و... فحسب ، بل ربما من حرب عالمية ثالثة .

لكن الى جانب هذه التساؤلات تقوم احتمالات اخرى متشائمة . فاذا لم تكن القوى التقدمية في غرب اوروبا قوية بما فيه الكفاية فسيظل الناس هنالك خاضعين لـ « غسيل دماغ » يدفعهم لدعم اسرائيل . والى جانب ذلك ، اذا ما استمرت البطالة والحياة الصعبة فان الديماغوجيين الفاشيين قد يكسبونهم كما حصل خلال الازمة الكبرى في الثلاثينات . ان الوضع الراهن يبدو مظلما — فثمة اجواء يمينية فوق اوروبا . وان ايطاليا ، والمانيا الغربية ، هذا حتى لا نتحدث عن اليونان ، تظهر نزعات فاشية واضحة .

لقد انتهت الانتخابات العامة في الدانمارك بظهور تخلي الناخبين عن الاحزاب الخمسة القديمة وانتخابهم لخمسة احزاب جديدة الى البرلمان المؤلف من ١٧٩ عضوا . فقد حصل الاشتراكيون — الديمقراطيون على ٤٦ مقعدا مقابل ٧٠ مقعدا في البرلمان السابق ، وحصل حزب الشعب الاشتراكي اليساري على ١١ مقعدا مقابل ١٧ في السابق ، وبالنسبة للمعارضة تراجع الليبراليون الاجتماعيون من ٢٧ الى ٢٠ مقعدا ، والليبراليون (حزب المزارعين) من ٣٠ الى ٢٢ مقعدا . كذلك خسر المحافظون حوالي نصف مقاعدهم ١٦ مقابل ٣١ سابقا . وكان حزب التقدم اليميني المتطرف ، الذي شكل حديثا ، المستفيد الاكبر اذ حصل على ٢٨ مقعدا الامر الذي يجعله ثاني اكبر حزب في البلاد . كذلك حصل حزب **« ديمقراطي الوسط » الذي شكل قبل** اسبوع من الانتخابات على ١٤ مقعدا . ويمكن لهذين الحزبين الجديدين ان يكونا خطرين تماما بالنسبة للتطور السياسي المقبل في الدانمارك بحكم نزعاتهما اليمينية المتطرفة .

بالمقابل كانت احدى النتائج الايجابية للانتخابات حصول الحزب الشيوعي — الذي ظل خارج البرلمان خلال الـ ٨ سنوات الماضية — على ٦ مقاعد . وهذا أكثر مما كان متوقعا .

ان الوضع السياسي في الدانمارك صعب وحساس للغاية . وهو أخطر وضع تشهده البلاد منذ الحرب العالمية الثانية ، وازمة الطاقة هي العنصر الاكثر أهمية بالنسبة للتطور المقبل .

آني كنفاني

[٥]
التحالف الغربي يتصدع على برميل النفط العربي

لعل أهم حصيلة التفاعلات التي نجمت عن التلويح باستخدام سلاح النفط العربي تصدع جبهة الحلفاء الغربيين وحدوث شرخ عميق في العلاقات بين الولايات المتحدة الامريكية ومعظم حليفاتها من دول اوروبا الغربية الاعضاء في حلف شمال الاطلسي واليابان . وقد جاءت الازمة الاخيرة التي نشبت في المنطقة والقلق الذي رافقتها خشية عواقبها على انتظام امدادات النفط العربي لدول المعسكر الغربي لتفجر التناقضات الثانوية التي كانت تتفاعل داخل صفوف المعسكر الغربي منذ مطلع الستينات ، ولا سيما بين الولايات المتحدة من جهة وحليفاتها الاوروبيات الغربيات ، وذلك منذ ان رفع الجنرال ديغول راية الاستقلال الاوروبي عن الولايات المتحدة الامريكية . وهذه التناقضات الثانوية بين دول المعسكر الغربي والناشئة عن تضارب المصالح بين الرأسماليات الغربية أدت الى تململ الطبقات الرأسمالية الحاكمة في دول اوروبا الغربية واليابان وطموحها للتحرر من ربقة السيطرة الرأسمالية الامريكية ، وهي سيطرة كانت تامة وطافية في مطلع الخمسينات ولكنها اخذت تنحسر تدريجيا ، ولكن ببطء شديد ، منذ مطلع الستينات نتيجة نمو قوة الرأسماليات الحاكمة في دول اوروبا الغربية واليابان واستعادتها بعض مواقعها السابقة واكتسابها مقومات القوة الذاتية بحيث اصبحت تشعر بثقة متزايدة بقدرتها على الوقوف على رجليها وأصبحت تبدي تململها من الثمن الباهظ الذي يتأتى عليها أن تدفعه من قدرتها على الحركة واستقلاليتها وبالتالي من أرباحها نظير « التمتع » بالمظلة النووية الامريكية حماية لها من « الخطر السوفياتي » . ففي الخمسينات ومطلع الستينات كان القائد الاعلى لقوات حلف الاطلسي ، وهو أمريكي دائما ، بمثابة « نائب الملك » في أوروبا حسبما يقول الاستراتيجي البريطاني اليستير بوخن(١) .

وقبل الازمة الاخيرة شهدت العلاقات الاوروبية الغربية — الامريكية أزمات أخرى شديدة منها أزمة حرب السويس عام ١٩٥٦ ، يوم أن راودت أنطوني ايدن رئيس الوزراء البريطاني الرغبة في التمرد على السيطرة الرأسمالية الامريكية الزاحفة لالتهام البقية الباقية من المصالح الاستعمارية البريطانية في المنطقة العربية فكال له جون فوستر دالاس وزير الخارجية الامريكي آنذاك الصاع صاعين وجعل الاسد الاستعماري البريطاني الهرم وحيدا في وقت الشدة يتلقى ضربة قاضية وهزيمة مذلة أودت بما هو أكثر من ذنبه الذي قضمه أبو الهول ...

وفي اطار الازمة الامريكية — السوفياتية حول كوبا عام ١٩٦٢ ، تفاعلت من جديد أزمة شديدة في العلاقات بين أمريكا جون كينيدي وحليفاتها الاوروبيات الغربيات لا سيما بريطانيا ، لان جون كينيدي دفع بالاحداث الى شفير الهاوية النووية دون ان يطلع حليفته المقربة بريطانيا على الامر الا في اللحظة الاخيرة باتصال هاتفي أجراه في منتصف الليل (الساعة الخامسة صباحا بتوقيت لندن)(٢) مع رئيس الوزراء البريطاني آنذاك هارولد مكميلان ... بيد أن تلك الازمة قد لجمت ضمن الاطار الديبلوماسي ولم تنفجر علنا ، وكان انسحاب فرنسا الجنرال ديغول من حلف الاطلسي عام ١٩٦٦ علامة أخرى على درب الالام في علاقات التحالف والصراع القائمة بين امريكا وحليفاتها في اوروبا الغربية ، وخطوة الانسحاب هذه ، وان يكن قد صاحبها ضجيج اعلامي وسياسي شديد ، فانها لم تمس جوهر المصالح الاستعمارية الامريكية كالازمة الحالية التي نحن بصددها ... فاذا كانت خطوة ديغول تلك قد نمت عن نزوع الرأسمالية الفرنسية للتحرر من الغزو الرأسمالي الامريكي لمصالحها في عقر دارها ، فان الازمة الراهنة في العلاقات انما هي مظهر لطموح رأسماليات اوروبا الغربية ، ولا سيما في فرنسا وبريطانيا لشن هجوم مضاد على المصالح الاستعمارية الامريكية الرئيسية ووراثتها في أشد المواقع حيوية واستراتيجية وهو النفط العربي .

الغطرسة : أسلوب تعامل أمريكا مع حليفاتها :

ان مقدارا غير ضئيل من بواعث الازمات المستحكمة في العلاقات بين امريكا وحليفاتها الاوروبيات الغربيات انما يكمن ، علاوة على التناقضات القائمة بين المصالح الرأسمالية لكلا الفريقين ، في أسلوب الغطرسة والصلف الذي يتوجه به المسؤولون الامريكيون نحو أقرانهم

الاوروبيين الغربيين طالبين منهم الخضوع التام لمشيئتهم بصورة ذيلية دون أن يراعوا حتى اعتبارات حفظ ماء الوجه لدى هؤلاء الحلفاء ...

وتتحدث مجلة « التايمُ » الامريكية عن علاقات امريكا بحليفاتها الاوروبيات في عهد ولاية جونسون فتقول(٣): « لقد تجاهل ليندون جونسون حلف الاطلسي والسوق الاوروبية المشتركة تجاهلا تاما — اللهم الا عندما كان يتطلع للفوز بالدعم الاوروبي لحربه في الفيتنام . وقد بدأ الانقطاع في الاتصالات بين الفريقين يوم أن بعث جونسون وزير خارجيته دين راسك ليبلغ الزعماء الاوروبيين بأن « خط الدفاع عن أوروبا ضد الشيوعية انما يبدأ على شواطىء الفيتنام » . وقد أراد جونسون من الاوروبيين أن يبرزوا هوية مواقفهم تجاه الصراع في الهند الصينية بوضوح على غرار ما فعلوه ايام الحرب الكورية . وعندما رفضت بريطانيا الاستجابة لطلب الرئيس الامريكي منها ارسال قوات الى الفيتنام ، انفجر دين رسك قائلا : « يبدو أنكم نسيتم الحرب العالمية الثانية . والان بوسعكم أن تسألوا أنفسكم فيما اذا كنا سنصنع من جديد في يوم من الايام ما صنعناه آنئذ » ...

وتستعرض مجلة التايم الامريكية(٤)، بطريقتها الخاصة ، علاقات أمريكا بحليفاتها الاوروبيات في عهد نيكسون فتقول أن هذه العلاقات قد بدأت بداية طيبة ولكنها ما لبثت ان تعثرت في ضوء اشتداد حدة التورط الامريكي في فيتنام وامتداد الحرب الفيتنامية ثم تطور الحوار المباشر بين واشنطن وموسكو وبين واشنطن وبكين من فوق رؤوس الحليفات الاوروبيات ... ثم ان نيكسون وكيسنجر ما أن فرغا من حل قضية الانسحاب من فيتنام وتحديد اطار العلاقات الجديدة مع كل من بكين وموسكو حتى انفجرت فضيحة ووترغيت . وكان نيكسون قد قال أن عام ١٩٧٣ سيكون « عام أوروبا » بمعنى أنه سيفرغ معظم وقته طوال ذلك العام لتنقية أجواء العلاقات بين أمريكا وحليفاتها الغربيات ورأب الصدع والشقوق التي تتآكل هذا التحالف ، ولكن الظروف شاءت أن يكون عام ١٩٧٣ بالنسبة لنيكسون « عام ووترغيت » ... وكان نيكسون قد قرر القيام بجولة في أقطار أوروبا الغربية في ربيع عام ١٩٧٣ ، ولكنه بعد أن أجل هذه الجولة عدة مرات ، تحت ضغوط مفاجآت فضيحة ووترغيت، أصبحت هذه الفكرة من أساسها الان في مهب الريح ... وازاء انشغال كل من نيكسون وكيسنجر بهذه الازمات المتلاحقة أسندت مهمة اجراء الاتصالات المباشرة مع الدول الاوروبية الغربية الى مسؤولين من الصف الثاني والثالث مثل جون كوناللي الذي عاد من جولة في اوروبا الغربية يقول : ان ما تحتاج اليه اوروبا حاجة ماسة هو « ضربة قوية على مؤخرتها »(٥)!! ثم تلاه وليم ايبرلي ممثل الرئيس الامريكي الخاص لشؤون التجارة الذي كان موضوع حديثه المفضل خلال جولته في أوروبا تلقين الاوروبيين دروسا في أصول البروتوكول ... وفي احدى هذه المرات أبلغ مجموعة من مفاوضي دول السوق الاوروبية المشتركة : « انني لا أحب أولئك الناس الذين يومئون ويهزون رؤوسهم دون أن يقولوا ما يجول بخواطرهم »(٦)!! وقد عبر أحد الدبلوماسيين الامريكيين عن طبيعة العلاقات بين أمريكا وحليفاتها الاوروبيات ونوعية الاجواء التي تسود الاتصالات والمحادثات فيما بينها خلال السنوات الاخيرة بقوله: « يوجد هنالك دائما خلال هذه المحادثات من يود أن يضيف الملاحظة — بدوني أنا — تحت كل أو أي من الفقرات لاي بيان او اتفاق يتم التوصل اليه خلالها »(٧)...

وفي حين أن مجلة « التايم » الامريكية في عرضها لاسباب ودواعي الصدع الذي اعترى علاقات التحالف الغربي اثر الحرب العربية الاسرائيلية الاخيرة قد اجترأت هذه الاسباب في شكليات ومظاهر تبسيطية سطحية ، الا أنها اضطرت الى الاعتراف بأن قسطا غير يسير من الانقسامات والانشقاقات داخل صفوف دول أوروبا الغربية انما يعود لدسائس الولايات المتحدة ذاتها التي عندما لمست اتجاه دول أوروبا الغربية للتململ والتمرد على سيطرتها عملت بمناورات وتكتيكات خبيثة الى استغلال التناقضات الثانوية الكثيرة القائمة بين دول أوروبا الغربية لتفريق صفوفها واستفرادها الواحدة بعد الاخرى لكي تحول دون اجتماع كلمتها ومواجهتها كتلة واحدة قوية . فتقول مجلة «التايم» المذكورة : « وعندما يتطرق الحلفاء لبحث القضايا المالية والنقدية غالبا ما وجدت واشنطن أن من المفيد لها أن تشتت شمل الحكومات الاوروبية باستخدام بعض التكتيكات والمناورات الجانبية»(٨).

فاذن ، قبل نشوب الازمة الاخيرة في المنطقة بسنوات غير قليلة أصبح التحالف الغربي أشبه ما يكون « بحوار الطرشان عبر الاطلسي » كما

يقول الدبلوماسي الامريكي روبرت شتزل السفير الامريكي السابق لدى السوق الاوروبية المشتركة(٩). وأصبحت صورة العلاقات داخل المعسكر الغربي أقرب الى التضارب والتنافس الاطلسي منها الى التحالف الاطلسي . « وبدا الحلفاء الاوروبيون في نظر الامريكيين فجأة كقوم أشرار مسؤولين جزئيا عن تخفيض قيمة الدولار مرتين ، كما بدوا في أعين الكونغرس الامريكي — بكل تأكيد — غير راغبين في المساهمة بقدر كاف في تحمل أوزار الدفاع عن بلادهم »(١٠)...

وازاء تطور أجواء سياسة الوفاق الدولي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في الفترة الاخيرة وجد الحلفاء الاوروبيون الغربيون أنفسهم أكثر فأكثر خارج لعبة القوى الدولية وفي فراغ سياسي أثار لديهم الشكوك في جدوى التحالف الاطلسي وقدرته على الاستمرار في البقاء ... كذلك فان لسياسة الوفاق الدولي هذه بعدا اقتصاديا ، ففي السنوات الاخيرة أصبح الاتحاد السوفياتي وبلدان الكتلة الاشتراكية من الاسواق الرئيسية للمعدات والسلع الاوروبية الغربية ... وسياسة الوفاق الدولي تحرم دول أوروبا الغربية من هذه السوق الواسعة وتفتحها أمام منافسها الرئيسي والاقوى وهو السلع والمعدات الامريكية ...

وفي اطار هذا الواقع الجديد من العلاقات الدولية الذي أخذ يتبلور مضت فرنسا قدما في انتهاج خطها المستقل عن السياسة الامريكية وترسيخ دور أوروبا المستقل بين القوتين الاعظم ، وأخذت بريطانيا تخطو بحذر نحو توثيق اواصر علاقاتها وارتباطاتها بأوروبا مدركة ان « علاقتها الخاصة » بالولايات المتحدة الامريكية قد أصبحت من مخلفات الماضي . اما المانيا الغربية فأدار المستشار فيلي برانت دفة سياستها باتجاه الانفتاح على الشرق محطما الكثير من المحرمات والاقانيم التقليدية لسياسة المانيا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية .

وعندما نشبت الازمة الاخيرة في المنطقة اهتز كيان التحالف الغربي وتصدعت أركانه ، وبدأ الحلفاء يتبادلون الاتهامات عبر المحيط الاطلسي أمام الملأ بصورة لم يعهدها العالم من قبل ...

فتش عن النفط :

لقد كانت مواقف دول اوروبا الغربية بصورة اجمالية مماثلة لاسرائيل خلال حرب حزيران عام ١٩٦٧ ، وما زالت استفتاءات الرأي العام في أقطار أوروبا الغربية تظهر تأييدا قويا لاسرائيل ، فما الذي استجد بحيث بدت معظم دول أوروبا الغربية وكأنها تجهد في اعلان حيادها عندما نشبت الحرب العربية — الاسرائيلية الاخيرة . وتجيب على هذا التساؤل مجلة « التايم » الامريكية الواسعة الانتشار قائلة : « لقد تضاعف استهلاك أوروبا الغربية من النفط العربي منذ عام ١٩٦٧ »(١١). فقد أيقنت دول أوروبا الغربية ان الحرب ستتمخض عن تطورات دراماتيكية ، لا سيما على صعيد النفط . وهي لم تشأ أن تعرض موارد حياتها النفطية للخطر ، بل أكثر من ذلك انها تمني النفس بأن تحل شركاتها النفطية محل شركات النفط الامريكية في السيطرة على النفط العربي ، وهي بهذا تؤدي التحية للمصالح الاستعمارية الامريكية ، وخصوصا النفطية منها ، التي سعت منذ الحرب العالمية الثانية الى طرد المصالح الاوروبية من المنطقة والحلول محلها ، وخطت خطوات كبيرة في هذا السبيل . ويتجلى الان نزوع أوروبا الغربية لاستعادة مواقعها في المنطقة العربية ، لا سيما في ميدان النفط ، في مواقف كل من فرنسا وبريطانيا .

وقد ألقى الصحفي البريطاني المعروف روبرت ستيفنز بعض الضوء على ما يجري وراء كواليس الدبلوماسية الغربية ودور النفط في الصراع الدائر ، فقال(١٢):

« ترجع الازمة الراهنة بين دول المعسكر الغربي ، بصورة أساسية ، الى التناقض الظاهر بين مصالح الدول الاوروبية النفطية في الشرق الاوسط وبين اعتبارات الاستراتيجية الكونية للولايات المتحدة تجاه الاتحاد السوفياتي . فالامريكيون بعد أن أخفقوا في أن يضعوا القومية العربية في مجابهة مع السوفيات في الستينات ، بدأوا في السنين الاخيرة يتطلعون الى القوى المحلية الاخرى ، كايران واسرائيل وتركيا لتتولى مهمة الحد من انتشار النفوذ السوفياتي لا سيما في مصر وسوريه والعراق . وكان الامريكيون يرون ان سياستهم هذه تخدم ثلاثة أهداف هي ضمان وجود اسرائيل ، وضمان تدفق الامدادات النفطية الى الغرب ومنع السوفيات من الاخلال بميزان القوى في منطقة حيوية من العالم » ...

وكانت مجلة « الايكونوميست » البريطانية قد رصدت مؤشر التطورات اللاحقة منذ الايام الاولى

لنشوب القتال ، وكشفت ان التنافس في التسابق على الفوز بالنفط العربي سيحظى بالاولوية على أية روابط أو أهداف أخرى ، فقالت(١٢): « ما من شك أن بعض الحكومات الاوروبية لن تسمح بأن يتعرض مواطنوها للبرد ، أو أن يحرموا من استعمال سياراتهم من أجل دعم سياسة الولايات المتحدة الخارجية أو اسرائيل . فاذا توقفت الامدادات النفطية ، فمن المحتمل أن تتخذ بعض هذه الحكومات خطوات لعقد ترتيبات خاصة بها مع الحكومات العربية مباشرة من وراء ظهر شركات النفط الامريكية الكبرى ، بل وربما أيضا من وراء ظهر شركتي « شل » و« البترول البريطانية » اذا ما بقيت بريطانيا ملتزمة بالسياسة الامريكية » ...

ونقلت صحيفة « الانترناشيونال هيرالد تريبيون » الامريكية صورة من المرارة والغيظ الذي يعتلج في صدور الاوساط الامريكية من تخلي حلفائهم الاوروبيين عنهم في غمرة تهافتهم على الفوز بامدادات النفط العربي ، وبما هو أكثر من الامدادات ان سمحت الظروف حيث بادرت معظم حكومات أوروبا الغربية فورا الى منع تصدير منتجات النفط المكررة في مصافيها والذي تستورد منه امريكا كميات كبيرة لا سيما من ايطاليا وهولنده وبلجيكا واسبانيا ، فقالت : « ان القيود التي فرضت على تصدير المنتجات النفطية تتفاعل في اوروبا الغربية بحيث أنها قد تتطور الى صدع في جبهة حلف الاطلسي » .

« ان الولايات المتحدة غاضبة من القيود الاوروبية على التصدير والموجهة اليها بصورة رئيسية . ويقول الامريكيون ان واشنطن هبت لنجدة أوروبا خلال أزمة النفط التي تلت حرب السويس عام ١٩٥٦ ، وكان الاولى بأوروبا أن ترد لها الجميل الان ... وفي العادة تشتري الولايات المتحدة من أوروبا ، في هذا الوقت من السنة ، كميات كبيرة من زيوت التدفئة . وان حظر تصدير المنتجات النفطية يمكن أن يزيد حدة النقص على الامريكيين هذا الشتاء »(١٤).

ولخصت نشرة « بلاتس اويلغرام » الامريكية المتخصصة في النفط الحقائق المرة للصراع الدائر بين الحلفاء فقالت : « ان الرأي العام (الامريكي) سيعلم تدريجيا أنه قد ضلل ، وأن الاوروبيين ، وليس العرب ، هم المسؤولون الرئيسيون عما حدث لهم »(١٥).

ولم يقتصر أثر الصراع على النفط وتوتر العلاقات من جراء التنافس عليه على تصدع التحالف الاطلسي فحسب ، بل غجر الموقف بين الولايات المتحدة واليابان ، ففي حين أن الولايات المتحدة تطلب من جميع حلفائها بما فيهم اليابان دعم سياستها العدوانية ضد الشعوب العربية ، فان اليابان تدرك أن أوضاع اقتصادها لا تستطيع أن تتحمل أدنى اضطراب في امدادات النفط العربي . وعندما زار وزير الخارجية الامريكي اليابان « شدد المسؤولون اليابانيون في محادثاتهم مع كيسنجر على مدى اعتماد اليابان على شحنات النفط التي تمدهم بها شركات النفط الغربية . وقالوا ان هذه الشركات تفرض على امداداتهم قيودا تفوق في حدتها القيود التي فرضها العرب . ولمح المسؤولون اليابانيون لوزير الخارجية الامريكي بأن عليه أن يتدخل ليضمن لليابان معاملة منصفة »(١٦). أما بقية القصة فمعروفة ، اذ سرعان ما اقتدت اليابان بدول أوروبا الغربية وأصدرت بيانا سياسيا حول النزاع العربي — الاسرائيلي على غرار البيان الذي أصدرته دول مجموعة السوق الاوروبية المشتركة في ١٩٧٣/١١/٦ . وقالت صحيفة « الغارديان » البريطانية في هذا الصدد أن أزمة النفط في العالم قد خلقت وضعا جديدا في سياسة اليابان الخارجية. وان خوف اليابان من جفاف النفط قد دفع بها فورا الى الجانب العربي مما أغضب الولايات المتحدة وأظهر مدى تعرض سياسة اليابان الى الضغط الاقتصادي(١٧).

وأكثر من ذلك ، أن كندا جارة أمريكا الاقرب اختارت هذا الوقت الحرج لتقوم « بتخفيض صادراتها للولايات المتحدة من النفط المنتج في المناطق الغربية من كندا بمعدل ١٧٥٠٠٠ برميل يوميا »(١٨).

وحتى سنغافورة أدارت ظهرها لصديقتها أمريكا . فقد أعلن المسؤولون في شركات النفط الامريكية في سنغافورة أنهم تلقوا أوامر بالتقيد بقرار الدول العربية الخاص بحظر بيع النفط الى الولايات المتحدة . وأبلغت شركات النفط سفارة الولايات المتحدة الامريكية في سنغافورة «انه لم يعد بالامكان تنفيذ عقود الشركات مع وزارة الدفاع الامريكية »(١٩). وهذه الخطوة تؤثر على تموين الاسطول الامريكي السابع بالنفط .

ومن جهة أخرى دب التنافس بين دول أوروبا

الغربية ذاتها على النفط ، بل حتى بين الدول الاعضاء في السوق الاوروبية المشتركة . « وقد أبلغت السلطات في كل من فرنسا وبريطانيا وايطاليا شركات النفط العاملة في كل منها في اجتماعات عقدت على أعلى المستويات أنها تتوقع استلام النفط حسب المستويات المعتادة ، بالرغم من التخفيض الذي يتوقع أن يقلص الامدادات الاوروبية الاجمالية بنسبة ٢٠ ٪ ابتداء من منتصف شهر تشرين الثاني (نوفمبر) »(٢٠).

وقد أعلن رئيس الوزراء البريطاني ادوارد هيث ، بشيء من الانشراح ، أمام مجلس العموم ان بريطانيا قد تلقت تأكيدات من الدول الرئيسية المنتجة للنفط بأنها لا ترغب في الاضرار بمصالح بريطانيا ، وانها ستتخذ خطوات ضمن صلاحياتها لمنع حدوث ذلك(٢١).

ولا ريب ان مواقف بريطانيا هذه ، بالاضافة الى مواقف فرنسا ، تثير غيظ هولندا زميلتهما في السوق الاوروبية المشتركة التي حظر عنها النفط العربي . وعبثا حاول الهولنديون أن يجروا الى جانبهم في المحنة زملاءهم الاوروبيين الاخرين الاعضاء في السوق المشتركة . وقد قال وزير خارجية هولنده فان درشتول في مؤتمر صحفي عقب حظر النفط عن هولنده أنه لا يستطيع تجنب الانطباع بأن « العرب يعتقدون انهم عن طريق وقف شحنات النفط الى هولنده يستطيعون أن يمارسوا ضغطا على أوروبا في أي حل للنزاع في الشرق الاوسط »(٢٢). وواصل المسؤولون الهولنديون ، بنشاط محموم ، التشهير بمواقف شركاتها الاخريات في السوق لا سيما بريطانيا وفرنسا لتخليها عنها مهددة بدفع الامور الى حدود نسف بنيان السوق الاوروبية المشتركة من الاساس اذا لم تتضامن معها شركاتها الاخريات في السوق في محنة قطع النفط العربي عنها ... وابلغ وزير الخارجية الهولندي البرلمان الهولندي أن المبادىء الرئيسية للسوق تقضي بأن تحصل الدولة العضو في السوق المشتركة على امدادات نفطية مضمونة تتناسب مع حجمها . وقال ان الوضع الراهن يجب ان يشجع السوق على وضع سياسة موحدة للطاقة(٢٣). وقال رئيس الحكومة الهولندية جوب دون أويل أن هولنده لن تتردد ، اذا لزم الامر ، في قطع امدادات الغاز الطبيعي عن فرنسا والمانيا وبلجيكا اذا أخفقت دول السوق في الوصول الى اتفاق حول اقتسام المستوردات النفطية(٢٤) .

ورغم هذه المناورات الهولندية النشيطة لم يتكاتف مع هولنده سوى سلطات المانيا الغربية « الصديقة التقليدية المزيفة » لبعض العرب ، اذ أن المستشار الالماني الغربي فيلي برانت ما انفك يرفع صوته عاليا في كل مناسبة مشهرا بمواقف بريطانيا وفرنسا وداعيا الى التضامن مع هولنده وتشكيل جبهة أوروبية — امريكية مشتركة لمواجهة ضغوط الدول العربية النفطية بصورة موحدة .

ومن جهة اخرى ، عقد ممثلو الدول الاعضاء في « منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية » التي تضم ٢٤ عضوا من الدول الغربية بما فيها اليابان والولايات المتحدة الامريكية باعتبارها الدول المستهلكة للنفط العربي اجتماعات في أواخر شهر تشرين الاول (اكتوبر) وفي ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ لتدارس خطة مشتركة لمواجهة ضغوط دول النفط العربية ولكنها لم تحقق أي نجاح في هذا السبيل وسرت اشاعات ان خلافات مستعصية قد دبت بينهم ، وشلت حركتهم خشية دول مثل اليابان وفرنسا وبريطانيا ان تفسر الدول العربية أي اجراء مشترك أو أية خطة موحدة يتخذونها مثل توحيد الامدادات النفطية وتقاسمها فيما بينهم تحديا لها ، وعلق أحد المراقبين على نتائج هذه الاجتماعات بأنهم « اتفقوا على تبادل المعلومات بدلا من تبادل الامدادات النفطية » !!..

وعندما يئست هولنده من تضامن زميلاتها الاوروبيات معها فرضت القيود على تصدير النفط الخام ومنتجاته منها مستهدفة بذلك الاستئثار بالكمية الكبيرة من النفط الخام والمنتجات المخزونة فيها باعتبارها اكبر مركز للنفط في أوروبا ومركزا رئيسيا لاستيراده وتكريره وتصديره .

رياء المانيا الغربية و« صداقتها التقليدية » المزعومة مع العرب :

أظهرت اجتماعات القمة الاوروبية التي بدأت في كوبنهاغن في ١٩٧٣/١٢/١٤ استجابة للدعوة التي أطلقها الرئيس الفرنسي جورج بومبيدو في مطلع الشهر السابق أن غالبية دول السوق الاوروبية المشتركة مترددة في التضامن مع هولنده . ففي حين ان هولنده والمانيا الغربية تجاهران بالدعوة لتنسيق مواقف دول أوروبا الغربية واليابان مع موقف الولايات المتحدة في تشكيل جبهة موحدة

تواجه ضغوط دول النفط العربية ، فان الدول الاخرى لا سيما فرنسا وبريطانيا تقاوم هذا الاتجاه.

وقد نقل مراسل صحيفة « النهار » البيروتية (١٩٧٣/١٢/١٦) صورة عن أجواء مؤتمر القمة الاوروبي المذكور وردود الفعل لقيام وفد عربي مؤلف من وزراء خارجية الجزائر وتونس والسودان واتحاد الامارات العربية باجراء الاتصالات في كوبنهاغن وتسليم الرؤساء الاوروبيين رسالة مؤتمر الجزائر فقال : « بينما رحبت بريطانيا وفرنسا بالوفد العربي استنكرت المانيا الغربية وهولنده هذه الزيارة ، وطالبتا باتصالات مماثلة مع اسرائيل وابلاغها بما يحدث في المؤتمر بخصوص قضية الشرق الاوسط . وتصر المانيا الغربية وهولنده على اقتراح هنري كيسنجر ايجاد فريق عمل مشترك لحل أزمة الطاقة ، غير ان بريطانيا وفرنسا تعارضان الاقتراح بشكله الراهن لانه اقتراح عام قد يثير غضب الدول العربية ويضر باستقلال اوروبا . وقد علم ان بريطانيا مستعدة لقبول اي تعاون أوروبي في أزمة الطاقة شرط أن لا يكون موجها ضد الدول العربية . وتشارك فرنسا حكومة هيث في موقفها هذا وتطالب بتعاون اوروبي ضمن الصيغة التي تعمل بها لجنة النفط المنبثقة عن السوق الاوروبية المشتركة » .

لقد كشفت أزمة النفط العربي موقف المانيا الغربية المعادي للقضية العربية بثبات وخسة ، واسقطت القناع المزيف عن « صداقتها التقليدية المزعومة » !! للعرب ، وظهرت المانيا الغربية كأقوى وأثبت حليف للولايات المتحدة الامريكية واسرائيل . وان رياء سلطات بون وحركاتها المسرحية المكشوفة لا تخدع أحدا . وقد أوردت مجلة « نيوزويك » الامريكية (١٩٧٣/١١/١٢) نموذجا من هذا الرياء الالماني الغربي المفضوح في ادعائها الصداقة مع العرب فقالت : « يقول المسؤولون في المانيا الغربية أنه رغم التهديد العربي النفطي فان بون أغمضت عينيها لكي لا ترى شحنات الاسلحة المنقولة من أراضيها الى اسرائيل طوال أكثر من اسبوعين الى أن أرغم وهج الدعاية وضجيجها وزير الخارجية أن يلفت انتباه واشنطن». وكذلك أوردت مجلة « التايم » الامريكية (١٩٧٣/١١/١٢) مسلسلا طريفا يظهر مدى عهر سلطات بون في تغاضيها عن نقل كميات هائلة من الاسلحة والمعدات من القواعد العسكرية الامريكية في المانيا الغربية الى اسرائيل وادعائها عدم معرفة ان الطيارين الاسرائيليين كانوا يصلون الى المانيا الغربية تباعا ويقلعون بطائرات الفانتوم من القواعد العسكرية الامريكية الى اسرائيل مباشرة ، مثلما ادعت عدم معرفتها بأن البواخر الاسرائيلية مثل الباخرة « ناركيس » والباخرة « غليله » Galila كانت تقلع من ميناء بريمرهافن الالماني الغربي محملة بالاسلحة والمعدات من القواعد العسكرية الامريكية فيها ... ولعمري ان هذا هو قمة الرياء والعهر في السياسة الدولية ... ولكن ، ألا يستحق أمر المحافظة على « الصداقة التقليدية » المزعومة مع بعض العرب شيئا من الرياء ؟

امريكا تستهدف تركيع حلفائها الاوروبيين :

لم تكن الازمة التي اعترت علاقات امريكا بحلفائها ابان وعقب الحرب العربية — الاسرائيلية الاخيرة هي أولى الازمات من هذا النوع ، ولكنها كانت أول أزمة تخرج الى العلن بهذه الصورة العنيفة ، فطوال اسبوعين بعد وقف اطلاق النار في المنطقة بدأ المسؤولون الامريكيون والاوروبيون الغربيون يتبادلون الاتهامات عبر الاطلسي امام الملأ . وتناوب المسؤولون الامريكيون الواحد بعد الاخر استلام مطرقة التصريحات العنيفة وأخذوا يهوون بها بعنف على رأس الحلفاء الاوروبيين الغربيين . وكان السبب الظاهري لتبادل هذه الاتهامات هو استغراب المسؤولين الاوروبيين الغربيين لتسرع نيكسون في اعلان حالة الطوارىء في القوة النووية الامريكية الضاربة بعد اقرار وقف اطلاق النار بين مصر واسرائيل دون التشاور مع حلفائه الاوروبيين ، بيد أن سر هذه الازمة وتفاعلاتها الباطنية انما تكمن في الصراع على موارد النفط في البلاد العربية وفي التنافس للفوز بهذا النفط ...

وبدأ وزير الدفاع الامريكي جيمس شليسنغر سيل التصريحات الامريكية معنفا الحلفاء الاوروبيين ومحذرا بان « الولايات المتحدة ستتحرى جميع وجوه ردود فعل حلفائها الغربيين في ضوء انفراط عقد حلف الاطلسي خلال الازمة التي نشبت في الشرق الاوسط »(٢٥) وكذلك حذر المانيا الغربية من أن موقفها سيحمل امريكا على اعادة النظر في بعض الاسس التي تستند اليها في وضع قوات امريكية في المانيا الغربية(٢٦). ثم تلاه روبرت مكلوسكي الناطق بلسان الخارجية الامريكية الذي

انتقد « عددا من حلفائنا الذين جهدوا في تمييز مواقفهم علنا عن مواقفنا خلال ازمة الشـــرق الاوسط »(٢٧).

ثم جاء دور الرئيس الامريكي ريتشارد نيكسون الذي صعد حدة الاتهامات للحلفاء الاوروبيين بقوله أنهم « لم يتعاونوا في المواجهة مع موســكو ، وهددهم من مغبة المضي قدما في مواقفهم المستقلة بالادعاء انه لولا نجاح الولايات المتحدة في تحقيق وقف سريع لاطلاق النار فان « الاوروبيين كانوا سيتجمدون حتى الموت هذا الشتاء »(٢٨).

وبعد ذلك جاء دور وزير الخارجية الامريكي هنري كيسنجر الذي نترك لمحرر مجلة « التايم » الامريكية رواية مساهمته في حملة التصريحـات المدبرة هذه ، اذ يقول(٢٩): « وكان وزير الخارجية يتميز غضبا وهو يخاطب وفدا من البرلمانيـين الاوروبيين في واشنطن قائلا لهم انه عندما انفجر الموقف في الشرق الاوسط مما استلزم الولايات المتحدة اتخاذ قرارات مصيرية تصرف الاوروبيون وكأن حلف الاطلسي لا وجود له . وبدلا من التعاون في عمل موحد تهافت الحلفاء الغربيون سعيا وراء تحقيق مكاسب ذاتية » .

ويستطرد محرر مجلة « التايم » الامريكية قائلا: « لقد كرر كيسنجر شكاواه هذه (من الحلفـاء الاوروبيين) في جلسة مغلقة للجنة الشـؤون الخارجية في مجلس النواب الامريكي ، وكان ما يزال يغلي حنقا وغيظا عندما انفضت الجلسة ، اذ سمعه احد مساعديه يقول لاحد اعضـاء الكونغرس وهو خارج من القاعة : « لم يعد يهمني ما يحدث لحلف الاطلسي ، فانني مشمئز » ... وقد نفت الخارجية الامريكية ذلك ، بيد انه سواء قال كيسنجر ذلك أم لم يقله ، فان هذا يعكس بدقة مدى قرف الولايات المتحدة من حلفائهـا الغربيين » ...

وواقع الامر ان حملة التصريحات العنيفة التي وجهها كبار المسؤولين الامريكيين الى الحلفـاء الغربيين لم تأت بمحض الصدفة ، وانما هي خطة متعمدة لدفع العلاقات مع دول اوروبا الغربيـة الى حافة الهاوية بمقتضى سياسة نيكســون المعروفة باسم « ديبلوماسية الصدمات » من أجل اشعار هذه الدول بان امريكا ستتخلى عنها وتتركها وحيدة في مواجهة « الخطر السوفييتي » اذا لم ترضخ رضوخا تاما لمشيئة الولايات المتحدة وتنصاع لها تماما في كل كبيرة وصغيرة ، وتدرك الولايات المتحدة انها بممارستها أسلوب « الابتزاز الدفاعي » هذا تستطيع ان تحقق المكاسـب السياسية والاقتصادية التي تريدها على حساب حلفائها الاوروبيين الغربيين . وهذه ليست المرة الاولى التي تلمح فيها امريكا بأنها ستسحب قواتها من اوروبا الغربية البالغ عددها (٣١٩) الفا وتترك اوروبا دون غطاء نووي اذا لم ترضخ لمطالبها سواء من حيث تدعيم الدولار او اجبـار المانيـا الغربية واليابان على رفع أسعار تحويل عملتيهما الخ...

وقد لخص اخيرا احد كبار المسؤولين في وزارة الدفاع الامريكية موقف امريكا من حلفائهـا بقوله(٣٠) : « يميل حلفاؤنا الى الاستناد علينا كمكافأة ، انهم لا يستطيعون ان يستخدموا الولايات المتحدة كمكافأة ثم ان يتظاهروا بأنه ليس بوسعهم ان يقدموا لنا شيئا مقابل ذلك ... ان الولايات المتحدة لا تستطيع ان تتحمل موقفا وسطا في التورط معها » ... وقد أظهرت اجتماعات مؤتمر المجلس الوزاري لحلف الاطلسي الذي اختتم في بروكسل في ١٩٧٣/١٢/١١ ان الخلافات بين امريكا وحلفائها الاوروبيين ما زالت مستحكمة ، وقد عكـس البيان المشترك الذي صدر عن هذه الاجتماعات هذه الخلافات اذ جاء فيه انه : « تم تحقيق تقـدم ملموس من أجل التوصل الـى اتفاق بشـأن اصدار بيان مشترك حول العلاقات الاطلسية»(٣١).

لقد فجر التنافس على النفط العربي التناقضات بين الدول الغربية ، وبوسع الدول العربية ، اذا أحسنت المناورة ، ان تعزل الولايات المتحدة عن حليفاتها الاوروبيات واليابان وان لا تتيح لهذه الدول مجتمعة ان تتكتل ضدها، وبمثل هذه المناورة يمكن شل ارادة هذه الدول مما يضمن لاستخدام سلاح النفط النجاح ...

س . ك .

---

١ ــ مجلة « التايم » الامريكية ، عدد ١٢/١١/ ١٩٧٣ ، ص ١٦ .
٢ ــ مجلة « التايم » الامريكية ، عدد ١٢/١١/ ١٩٧٣ ، ص ١٣ .
٣ ــ المصدر ذاته .
٤ ــ المصدر ذاته .

٥ ــ المصدر ذاته .
٦ ــ المصدر ذاته .
٧ ــ المصدر ذاته .
٨ ــ مجلة « التايم » ، عدد ١٩٧٣/١١/١٢ ، ص ١٤ .
٩ ــ المصدر ذاته .
١٠ــ المصدر ذاته .
١١ــ المصدر ذاته ، ص ١٢ .
١٢ــ صحيفة « الاوبزرفر » البريطانية الاسبوعية في ١٩٧٣/١١/٤ .
١٣ــ صحيفة « الايكونوميست » البريطانية في ١٩٧٣/١٠/١٣ .
١٤ــ صحيفة « الانترناشيونال هيرالد تريبيون » في ١٩٧٣/١٠/٢٤ .
١٥ــ نقلا عن نشرة « عالم النفط » في ١٩٧٣/١١/٣ .
١٦ــ نشرة « عالم النفط » في ١٩٧٣/١١/١٧ .
١٧ ــ نشرة « عالم النفط » في ١٩٧٣/١٢/١ .
١٨ــ نشرة « عالم النفط » في ١٩٧٣/١١/١٧ .
١٩ــ المصدر ذاته .
٢٠ــ نشرة « عالم النفط » في ١٩٧٣/١١/١٠ .
٢١ــ نشرة « عالم النفط » في ١٩٧٣/١١/٣ .
٢٢ــ صحيفة « النهار » البيروتية في ١٩٧٣/١٠/٣١ .
٢٣ــ نشرة « عالم النفط » في ١٩٧٣/١١/٢٤ .
٢٤ــ المصدر ذاته .
٢٥ــ مجلة « التايم » الامريكية في ١٩٧٣/١١/١٢ .
٢٦ــ صحيفة « النهار » البيروتية في ١٩٧٣/١٠/٣١ .
٢٧ــ مجلة « التايم » الامريكية في ١٩٧٣/١١/١٢ .
٢٨ــ المصدر ذاته .
٢٩ــ المصدر ذاته .
٣٠ــ مجلة « التايم » الامريكية في ١٩٧٣/١١/١٢ .
٣١ــ صحيفة « النهار » البيروتية في ١٩٧٣/١٢/١٢ .

صدر حديثا عن مركز الابحاث

يوميات الحزن العادي

تأليف

محمود درويش

يتضمن ١٦ فصلا عن تجربة المؤلف تحت الاحتلال الاسرائيلي ، وعن بعض جوانب الصراع العربي ــ الاسرائيلي .

اطلبه من مركز الابحاث ، ص.ب ١٦٩١ ــ بيروت

سعر النسخة ٧ ليرات لبنانية يضاف اليها أجور البريد الجوي :

١ ل.ل. في العالم العربي ، ٢١/٢ ل.ل. في اوروبه ، ٥ ل.ل. في سائر الدول .

شهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

التمثيل الفلسطيني

كان ابرز ما واجهته الثورة الفلسطينية خلال الشهر الماضي مسألة تثبيت حقها في تمثيل الشعب الفلسطيني والنطق باسمه . فقد جعلت حرب تشرين الاول — بكل ما حبلت به نتائجها من احتمالات — تمثيل الفلسطينيين قضية مركزية وحاسمة بالنسبة للثورة الفلسطينية ولخصومها على درجة واحدة من الاهمية . ذلك ان من اظهر نتائج هذه الحرب ان المنطقة العربية سادها « اقتناع » ما — اقتناع يصل الى درجة اليقين أحيانا — بأن القضية الفلسطينية برمتها قد وصلت الى عتبة التسوية الشاملة التي سيكون فيها الشعب الفلسطيني وبعض الارض الفلسطينية هدفين من جملة اهدافها . ومن منطلق هذا « الاقتناع » الذي تختلف حيثياته وتتناقض كذلك ، تكتسب مسألة تمثيل الشعب الفلسطيني اهميتها التي تتعاظم طردا كلما تكاثرت احتمالات التسوية ، لان هذه المسألة تتعلق بصميم مصير الشعب الفلسطيني والارض الفلسطينية . وقد وصلت هذه المسألة ذروتها المتفجرة في القرار الذي اتخذته القمة العربية في الجزائر باعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني . وعلى الرغم من ان هذا القرار لم يكن جديدا ليكتسب مثل هذه الاهمية الكبيرة بل جرى تأكيده في العلن بصيغة او باخرى وعلى اكثر من صعيد عربي وعالمي ، فان قيمته الحقيقية الراهنة تكمن اولا في توقيته الذي جاء في بداية مرحلة جديدة من مراحل القضية الفلسطينية غنية بالاحتمالات ومليئة بالتوقعات والتوقعات المضادة والتي تشير جميع دلائلها الى ان مصير الشعب الفلسطيني سيكون محور اهتمام في واحدة من ادق هذه المراحل واخطرها . وتكمن قيمة قرار التمثيل ثانيا في انه جاء تفشيلا لمسعى النظام الاردني (المستفيد الوحيد من معارضة تمثيل المنظمة للشعب الفلسطيني) نحو اقتناص حق التمثيل لنفسه ومن ثم التصرف فلسطينيا بعواقب هذه التسوية . وقد زاد من قيمة القرار ان تمثيل المنظمة للشعب الفلسطيني قد اقترن بأن الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني مرهونة مواصفاتها بارادة المنظمة نفسها . فحسب نص قرارات القمة كما نشرتها « النهار » ١٢/٤ جاء ما يلي : « الالتزام باستعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني **وفق ما تقرره** منظمة التحرير الفلسطينية بصفتها الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني » (ذكرت « وفا » ١١/٢٧ ان مؤتمر القمة اتخذ قرارا ينص على الالتزام بحقوق الشعب الفلسطيني كما **تعبر عنها** منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني) . وكان من الطبيعي ان يتحفظ ممثل النظام الاردني على هذا القرار (النهار ١٢/٤) ويسعى جاهدا لابطاله او تنفيس مفعوله . وقد لجأ النظام الى التهديد بمقاطعة « مؤتمر السلام » احراجا للدول العربية الذاهبة هناك . فقد ذكرت وكالة الانباء الاردنية (١١/٢٦) ان الملك حسين ارسل تعليمات عاجلة الى الوفد الاردني الى مؤتمر القمة تتضمن التأكيد ان « الاردن لن يشترك في مؤتمر السلام اذا قرر مؤتمر القمة اعتبار المنظمات الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني » . وبعد صدور قرار التمثيل قال الملك في خطاب القاه في مجلس الامة الاردني « اننا نرى ان القاء صفة تمثيل اهلنا [!] في هذا المجال على غيرنا معناه اقصاؤنا عن دورنا في تأمين حق شعبنا في الضفة الغربية وسعينا الى استعادة ارضنا ، الامر الذي يتطلب الايضاح والتبيان مع الاطراف العربية الشقيقة المعنية لنكون على بينة من مسؤولياتنا فنعرف كيف نتقدم

الى هذا المؤتمر [مؤتمر السلام] او كيف نتوقف عن الذهاب اليه » . غير ان هذا الموقف المعلن والذي اراده النظام حاسما لم يمنعه عن محاولة المساومة على قضية التمثيل الفلسطيني في مسعى لابتزاز موقف تنازلي من حركة المقاومة . وقد توضحت ملامح هذا المسعى الاردني ضمن الخطوط التالية :

١ — نزع الصفة الفلسطينية عن فلسطينيي الضفة الغربية او في احسن الاحوال الاصرار على ازدواجية انتمائهم من خلال التأكيد على اعتبارهم اردنيين بالاضافة الى فلسطينيتهم . ففي مذكرة كتبها الملك حسين وكشف بعض نصوصها الاخ ابو اياد في خطاب القاه في جامعة بيروت العربية ١١/٢٧ ذكر الملك ان « الفلسطينيين في الضفة الغربية هم مواطنون اردنيون علما بأنهم فلسطينيون كذلك » . وبذلك فأن للنظام الاردني « حقا » في المشاركة بمعالجة قضيتهم من هذا المنظور ، بهدف تثبيت وصايته على الفلسطينيين في الضفة الغربية .

٢ — غير أن الملك يتساءل في مذكرته السابقة بعد أن توصل الى هذا « الاكتشاف » في ازدواجية الانتماء الفلسطيني « من هو الشعب الفلسطيني ومن يمثله وكيف ؟ » غير ان التساؤل ينصب هنا في الاساس على « الفلسطينيين غير الاردنيين » بعد أن حسم الملك قضية «الفلسطينيين الاردنيين»، لذلك فهو لا يعترض « على اشراك وفد فلسطيني في مفاوضات السلام » ، بحيث لا تشمل مهمته قضية الضفة الغربية وفلسطينييها الاردنيين وانما « نشدان حقوق الشعب الفلسطيني ... خارج الضفة الغربية — مثلا غزة — واية مطالب اخرى كاعادة التوطين او التعويض » (من مذكرة الاردن الى الدول الكبرى نشرتها النهار ١٢/٥) . بتعبير اخر هناك قضيتان منفصلتان تماما الاولى تخص « الفلسطينيين الاردنيين » مفوض بها نظام الاردن ، والاخرى تخص الفلسطينيين غير الاردنيين تناط « بوفد فلسطيني » لا يحدد النظام في هذه المرحلة المبكرة مواصفاته .

٣ — غير أن النظام الاردني في كل محاولاته تلك يسعى الى تطويق منظمة التحرير الفلسطينية فيقترح ان ينضم وفد المنظمة (الذي لن يتحدث عن قضية « الفلسطينيين الاردنيين ») الى الوفد الاردني . جاء ذلك على لسان زيد الرفاعي، رئيس الوزراء الاردني ، (انظر النهار ١٢/٧) « انطلاقا من وحدة الشعب في الضفتين في رأيي ان يضم الوفد الاردني وفدا من منظمة التحرير » ، كما قدمت الحكومة الاردنية عرضا مماثلا حمله مبعوث اردني الى قيادة الثورة في بيروت دعا الى ان يجري تنسيق بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الاردنية بخصوص مؤتمر السلام » (وفا ١٢/٨) . ومثل هذه العروض التي رفضتها المقاومة تكرس وصاية النظام الاردني لا على فلسطينيي الضفة الغربية فحسب وانما كذلك على مجموع الشعب الفلسطيني .

٤ — من تكتيكات النظام الاردني في مسألة التمثيل وبحث مصير الارض الفلسطينية انه لجأ الى محاولة تأجيل البت في المشكلة الى ما بعد التسوية . ففي خطاب الملك حسين في مجلس الامة (١٢/١) قال « اذا يسر الله لنا الامر وسدد خطانا في طريق التحرير [!] فسيكون اول ما نطرحه على كل ابناء فلسطين بالنسبة الى ارض فلسطين ان يعطى لهم الخيار اما ان يبقوا معنا او يتحدوا وايانا او ينفصلوا عنا في استفتاء عام يجري تحت اشراف دولي محايد » . غير انه من الواضح ان قذف المشكلة الى زمن مؤجل لا يعني — حسب هذا المنظور — اعفاء النظام الاردني من السعي الى « التحرير » كما في المنطوق الملكي الذي يعني حقيقة مساهمة النظام في التسوية ممثلا للفلسطينيين .

وعلى الرغم من ان « مؤتمر السلام » كان أحد الاسباب الرئيسية الحاضرة لاثارة مسألة التمثيل الفلسطيني بهذه الحدة ، فأن قيادة الثورة الفلسطينية لم تعلن موقفا رسميا من حضوره او عدم الحضور . فقد أكد الاخ ابو عمار (حديث للاهرام — وفا ١١/٢٨) ان الثورة « تحتفظ بحقها في عدم ابداء الرأي الان حول اشتراكها في مؤتمر السلام » ذلك « ان ما يلوح في الافق امام الثورة الفلسطينية الان هو مجرد شيء غير محدد الملامح ومن صالحنا في هذه الحالة ان نظل صامتين » . وهناك تأكيدات علنية جازمة ان حركة المقاومة لم تدع الى هذا المؤتمر فقد أكد ابو عمار « اننا لم نتبلغ شخصيا بهذا المؤتمر الذي يطلق عليه اسم مؤتمر السلام » (وفا ١٢/٣) . غير ان الاخ ابو اياد (في ندوة اقيمت في الجامعة اللبنانية — النهار ١٢/١٢) ذكر « ان المقاومة لم تتلق اي

دعوة لحضور مؤتمر السلام ، **والدعوة الوحيدة جاءت من الرئيس السادات** الذي لا يحق له دعوتنا » . وكانت هذه اشارة الى ما تردد من ان الرئيس السادات ابلغ قيادة المقاومة ان الفلسطينيين قد يدعون في مرحلة متأخرة من مراحل مفاوضات المؤتمر .

على كل حال يبدو واضحا ان قيادة الثورة الفلسطينية لم تتخذ موقفا حاسما من هذه المسألة، فقد كانت القرارات الوحيدة التي اتخذها المجلس المركزي لمنظمة التحرير في الاجتماع الذي عقده في تشرين الثاني الماضي ذات طبيعة عامة اكدت ما يلي : اولا التمسك بالحق التاريخي للشعب الفلسطيني بتحرير كامل التراب الفلسطيني . ثانيا عدم عودة الضفة الغربية وقطاع غزة الى الملك حسين . ثالثا حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني. (ابو اياد في ندوة جامعة بيروت العربية ١١/٢٧). وبجانب ذلك فان هناك تأكيدا مبدئيا لا تنازل عنه هو أن المنظمة هي الممثلة الشرعية الوحيدة للشعب الفلسطيني . وقد برز هذا التأكيد في جميع الندوات المتكاثرة التي عقدها رجال المقاومة خلال الشهر الماضي ، بل اكثر من ذلك فان وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) نظرت الى العمليات التي نفذها الثوار الفلسطينيون في القدس ونابلس والخليل وعلى طريق ناتانيا — تل ابيب (انظر جدول العمليات العسكرية) من منظور مسألة التمثيل الفلسطيني . فقد كتب محرر الوكالة السياسي (١٢/١١) يقول : « ليس من شك في أن العمليات الاخيرة كانت تعبيرا عن تأييد قرار التمثيل الذي انتزعته الثورة الفلسطينية بنضالها الطويل الشاق طيلة تسع سنوات والذي تكرس في قرار مؤتمر القمة الاخير في الجزائر .. ان العمليات المؤثرة الاخيرة التي نفذها ثوارنا الابطال ضد العدو الصهيوني انما هي ايضا وفوق ذلك كله تعبير عن رفض جماهير شعبنا ومناضلينا لعودة الملك حسين ذي التاريخ الاسود المعروف جيدا لدى شعبنا مثلما هي ايضا تعبير عن ان شعبنا يرفض رفضا قاطعا ان يتصرف احد بقضيته التي دفع من اجلها دماء عشرات الاف الشهداء » .

وقد احدثت قضية التمثيل الفلسطيني تفاعلات ايجابية على اكثر من صعيد لدى مواطني المناطق الفلسطينية المحتلة ، وقد اوردت الانباء نتائج هذه التفاعلات من خلال البيانات التي اصدرها عدد من المنظمات والهيئات هناك (انظر نصوصها في وفا ١٢/١١) . فقد ذكرت ان منشورات ثورية وزعت في معظم مدن الضفة الغربية وقطاع غزة يومي ١٠ و١١ كانون الاول جاء فيها « ان منظمة التحرير الفلسطينية وطلائعها المقاتلة هي الممثلة الشرعية الوحيدة للشعب الفلسطيني » ودعت المواطنين الى الالتفاف حول الثورة الفلسطينية لهذا الاعتبار . كما طالب بيان وزعته « الجبهة الوطنية الفلسطينية » شعبنا « ان يوحد كلمته ويرص صفوفه ويلتف من حول منظمة التحرير الفلسطينية فهي الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني». كذلك أصدرت الهيئة الاسلامية في القدس بيانا أعلنت فيه « تأييدها لمقررات مؤتمر القمة » وكانت تلك اشارة ضمنية الى قرار التمثيل الفلسطيني . كما أصدرت هيئة تجمع النقابات المهنية في القدس بيانا أعلنت فيه « تأييدها التام لقرارات مؤتمر القمة ، وخاصة البند الذي يؤكد على ان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني » ، وجاء في بيان لرابطة الطلاب الفلسطينيين في الضفة الغربية ان « منظمة التحرير الفلسطينية وطلائعها الثورية المقاتلة الممثلة الشرعية الوحيدة للتحدث باسم جماهير الشعب الفلسطيني في داخل وخارج فلسطين المحتلة » .

ان مسألة التمثيل الفلسطيني قد خمرت بين الفلسطينيين حالة ايجابية جديدة تستطيع قيادة الثورة استثمارها والارتقاء بها الى افق جديد من النضال السياسي خاصة داخل فلسطين المحتلة ، وبذلك تكرس حتى النهاية شرعية تمثيلها لجماهير الشعب الفلسطيني في نضالها المتعدد الجبهات .

الوفد الفلسطيني في موسكو

كان قيام وفد من منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة الاخ ابو عمار بزيارة الى الاتحاد السوفياتي من جملة تحرك المقاومة السياسي لاكتشاف آفاق المرحلة واسماع الرأي الفلسطيني الى الاصدقاء . وقد استغرقت هذه الزيارة التي ابتدأت في التاسع عشر من تشرين الثاني الماضي ستة أيام ، وضم الوفد الفلسطيني بالاضافة الى الاخ ابو عمار كلا من الاخوة فاروق القدومي ، رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية (فتح) وزهير محسن ، رئيس الدائرة العسكرية في المنظمة (الصاعقة) واحمد اليماني، رئيس دائرة التنظيم الشعبي في المنظمة (شعبية)

وعبد الوهاب الكيالي ، عضو اللجنة التنفيذية للمنظمة (جبهة عربية) ونايف حواتمه ، امين عام الجبهة الشعبية الديموقراطية وابو صالح عضو اللجنة المركزية لفتح . وقد ذكرت « فلسطين الثورة » (١١/٢٨) ان الوفد الفلسطيني « اجرى مباحثات هامة مع المسؤولين السوفيات فتناولت الاجتماعات الموقف الفلسطيني والعربي والدولي من قضية الشرق الاوسط . وعلى الرغم من أن تفاصيل المحادثات احيطت بكثير من الكتمان الاعلامي من كلا الفريقين الفلسطيني والسوفياتي فقد كثرت التكهنات الصحافية حول هذه التفاصيل، فقد ذكرت « النهار » (١١/٢٥) على سبيل المثال — استنادا الى « مصادر مطلعة » — ان « المسؤولين السوفيات ابلغوا المقاومة الفلسطينية رسميا أنهم يؤيدون اشتراك المقاومة في مؤتمر السلام على أساس ان منظمة التحرير الفلسطينية هي التي تمثل الشعب الفلسطيني وابلغ السوفيات وفد المقاومة انهم يريدون ان يشترك الفلسطينيون في المؤتمر من بدايته .. وأكد السوفيات لوفد المقاومة انهم يؤيدون اقامة دولة فلسطينية مستقلة وذات سيادة وغير منزوعة السلاح في الضفة الغربية وغزة والقدس ... واقترح السوفيات على الوفد تأليف حكومة فلسطينية تضم شخصيات من الضفة الغربية وغزة وترسل هي عنها وفدا الى مؤتمر السلام ... وشدد السوفيات في شكل استثنائي على ضرورة توحيد الموقف الفلسطيني... وأكد المسؤولون السوفيات ان حركة المقاومة يجب ان تتبع خطة مرحلية لتحقيق اهداف الشعب الفلسطيني » .

مقابل ذلك اوردت وكالة « تاس » السوفياتية للانباء (١١/٢٦) الموضوعات التي جرى البحث فيها كما يلي « ان ياسر عرفات أطلع محدثيه على اهداف ومهام حركة المقاومة الفلسطينية خلال المرحلة الراهنة وتعاون منظمة التحرير في النضال من أجل السلام العادل في الشرق الاوسط مع كل البلدان العربية المناضلة من أجل ازالة اثار العدوان الاسرائيلي والتسوية السياسية لنزاع الشرق الاوسط وتأمين الحقوق الوطنية للشعب العربي الفلسطيني . وقد جرى اثناء المحادثات تأكيد الاهمية البالغة في التضامن المتعزز بين البلدان العربية والتنسيق المتزايد لاعمالها في النضال من اجل ازالة اثار العدوان الاسرائيلي ... وقد أكد الجانب السوفياتي العزم مستقبلا كذلك على ابداء المساعدة والدعم الى نضال الشعب العربي الفلسطيني من أجل تأمين حقوقه الوطنية الشرعية » . ويلاحظ في هذا النبأ الذي وزعته وكالة « تاس » الجملة التي تنص على « التسوية السياسية لنزاع الشرق الاوسط » واقترانها بتعاون منظمة التحرير مع البلدان العربية ، كما يلاحظ كذلك ان البيان أبرز مرتين ان الوفد الفلسطيني اجرى محادثاته مع اللجنة السوفياتية للتضامن الافرو — اسيوي مع ان المحادثات الرسمية قادها من الجانب السوفياتي بوناماريوف ، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي المرشح للمكتب السياسي ، وهو جهة ارفع مسؤولية واكثر رسمية من لجنة التضامن .

هذا ، وقد وصف الاخ ابو عمار (وفا ١١/٢٨) محادثاته في موسكو بانها « صريحة كما كانت في الوقت نفسه مفيدة جدا للثورة الفلسطينية » وقال « لقد شعرت خلال محادثاتي في موسكو مع المسؤولين السوفيات برغبة صادقة في دعم وتأييد الشعب الفلسطيني ، وقد أعلن لي القادة السوفيات انهم يؤيدون حقوق الشعب الفلسطيني ويساندون امانيه » .

اتصالات دولية

بجانب زيارة موسكو اجرت حركة المقاومة عدة اتصالات بهدف تعزيز علاقاتها الدولية واكتساب مواقع صداقية جديدة ، فقد قام وفد فلسطيني بزيارة داكار واجتمع بليوبولد سنغور ، الرئيس السنغالي ، (١١/٢٨) . وذكرت « وفا » ان الرئيس السنغالي اكد للوفد « تأييد بلاده لنضال الشعب الفلسطيني وكفاح الثورة الفلسطينية المسلح لتحرير فلسطين واقامة الدولة الديموقراطية الفلسطينية » . وقالت ان الوفد زار السنغال بدعوة من رئيسها . وقد خصص سنغور طائرة للوفد لينتقل الى جمهورية ساحل العاج في زيارة رسمية لها بدعوة من رئيس جمهوريتها لتعزيز علاقة الثورة الفلسطينية بجمهورية ساحل العاج. وذكرت « وفا » (١٢/٧) ان وفد الثورة اختتم زيارته لساحل العاج بعد أن سلم الرئيس يونيه رسالة من الاخ ابو عمار تحمل الشكر والتقدير لقيام ساحل العاج بقطع علاقاتها مع اسرائيل وقد اجتمع الوفد بالرئيس يونيه عدة ساعات وكذلك

بوزير خارجيته اللذين أكدا تأييد ساحل العاج لنضال الشعب الفلسطيني .

وقام وفد فلسطيني برئاسة الاخ فاروق القدومي بزيارة الى بلغراد (١٢/٤) تلبية لدعوة رسمية من التحالف الاشتراكي اليوغسلافي . وقالت «وفا» (١٢/٥) ان المباحثات التي أجراها الوفد هناك ستسهم في تعزيز العلاقات الكفاحية بين الثورة ويوغسلافية ، اذ سيتم رفع درجة التمثيل القائم بينهما من مكتب اعلام فلسطيني الى مكتب رسمي لمنظمة التحرير الفلسطينية .

وفي ١٢/٧ وصل وفد فلسطيني الى جمهورية مالي في زيارة لها بدعوة من موسى تراوري ، رئيس الجمهورية ، وقد حمل الوفد رسالة من الاخ ابو عمار تنقل تحياته وتقديره والشعب الفلسطيني للرئيس تراوري وحكومة مالي وشعبها مع الموقف المؤيد لنضال الشعب الفلسطيني .

وفي اليوم نفسه سلم وفد فلسطيني رسالة خاصة من الاخ ابو عمار الى احمد سيكوتوري ، الرئيس الغيني ، كما سلم رسالة اخرى الى رئيس جبهة التحرير في غينيا بيساو . وقالت « وفا » (١٢/٧) ان الوفد الفلسطيني كان قد سافر الى غينيا للمشاركة في الاحتفالات التي جرت لمناسبة الذكرى الثالثة لصد الغزو البرتغالي .

النضال المطلبي الفلسطيني

شهدت المخيمات الفلسطينية خلال اشهر تموز وآب وايلول الماضية موجة من الاضرابات لمواجهة سياسة وكالة غوث اللاجئين (الاونروا) انتهت باتفاقات قامت بها اللجنة السياسية العليا للفلسطينيين في لبنان مع الاونروا تحققت بموجبها بعض مطاليب الفلسطينيين في تحسين احوالهم المعيشية (راجع « شؤون فلسطينية » العددين ٢٥ و٢٦) غير أن هذه الموجة التي خفت حدتها بهذه الاتفاقات قد عادت مرة اخرى الى الظهور لان « المخيمات الفلسطينية تعيش حالة تململ نتيجة للخدمات السيئة التي تقدمها [الاونروا] للمخيمات ولعدم وفائها بالاتفاقات التي تمت بينها وبين اللجنة السياسية لشؤون الفلسطينيين في لبنان » (وفا ١١/٢٨) وقد ظهرت بوادر هذه الموجة الجديدة من الاضرابات الهادفة الى تحقيق خدمات معيشية افضل ، على صعيد مدارس الاونروا ، فقد قام الطلبة الفلسطينيون في هذه المدارس باعتصام بدأوه داخل صفوفهم في ١١/٢٦ مطالبين بتأمين الكتب المدرسية وتوفير التجهيزات الضرورية اللازمة لمدارسهم وتأمين العدد الكافي من المعلمين تلافيا للنقص في الجهاز التعليمي في هذه المدارس . وقد صعد الطلبة اعتصامهم في اليوم التالي فقام بعضهم بالاعتصام داخل مكاتب الاونروا في سن الفيل والحازمية . وقد ساهم المعلمون الفلسطينيون في هذه الحملة الطالبية فأصدر اتحادهم العام في لبنان بيانا (١١/٢٧) شرح ممارسات الوكالة تجاه الطلبة وكشف عن الاوضاع التي تعانيها المدارس الفلسطينية نتيجة سياسة الوكالة وأكد على النقاط التالية « ١ ــ تنافي هذه السياسة مع أبسط المبادىء التربوية الصحيحة . ٢ ــ تنافي هذه السياسة مع الانظمة التربوية المرعية في لبنان . ٣ ــ خطر هذه السياسية بتحويلها العملية التعليمية الى عملية زرابة ، في الصف » .

وقد تكثف هذا الاضراب في منطقة بعلبك ، وقادت اللجنة الشعبية في مخيم الجليل هذا الاضراب وحددت المطالب التي تقدمت بها للوكالة بما يلي (وفا ١١/٣٠) : اولا : الضرورة القصوى لوجود المدافىء في مدرسة القسطل التكميلية نظرا لشدة البرد . ثانيا : نقص الكتب المدرسية للصفوف التكميلية وعدم توفير المياه والشبابيك . ثالثا : النقص في الادوية وعدم اجراء العمليات الا على نفقة اصحابها في مستشفى تل شيحا . رابعا : تزفيت الاماكن الموحلة داخل المعسكر وسطوح الابنية وترميم المساكن وابدال الزينكو بالواح جديدة وبناء جدران داخل البركسات والابنية محل الكرتون . خامسا : عدم صلاحية بناء مدرسة الجرمق في تعلبايا . وقد حدد البيان الذي اصدرته اللجنة الشعبية مهلة اسبوعين لتقوم الوكالة بتنفيذ هذه المطاليب واكد ان الاضراب سيستمر ويتصعد.

وقد أصدرت اللجنة في وقت لاحق بيانا (نشرته وفا ١٢/٥) ذكرت فيه انه قد عقد اجتماع بين نائب المدير العام لوكالة الغوث و« مندوبين عن جماهير البقاع المعتصمة » تعهد فيه المذكور بتنفيذ المطاليب التالية : (١) ان تباشر الوكالة يوم ١٢/٤ بتركيب المدافىء وتصليح نوافذ المدرسة . (٢) ان تقوم الوكالة بتزفيت المناطق الموحلة في المخيم بأسرع وقت ممكن . (٣) ان تعيد الوكالة تزفيت سطوح المنازل في المخيم بمواد صالحة وذلك لعدم جدوى

التزغيت الذي أجرته الوكالـــة في اول الشتاء . (٤) ان تباشر الوكالة فورا ببناء جدران داخل البركسات والابنية مكـــان الكرتون . (٥) ان تستبدل الوكالة ألواح الزينكو لستـــوف المنازل بألواح جديدة من خلال الطلبات التي تقدم لمدير المخيم . (٦) نقل سيارة الاسعاف من زحلة الى المخيم واستعمالها في الحالات الطارئة. (٧) يكلف طبيب الاسنان بمعاينة الفلسطينيين من سكان تعلبايا دوريا كما هو حاصل في معسكر الجليل. (٨) يكلف الدكتور المشرف على الخدمات الطبية في الوكالة يوم ١٢/٥ ببحث مشكلة اجراء العمليات الجراحية مع ادارة مستشفى تل شيحا لعقـــد اتفاق جديد يضمن مطاليب الجماهير الفلسطينية ومصلحتها .

(٩) ان تدفع الوكالـــة تكاليف جميع الحالات الطارئة في مستشفى تل شيحا لحين ابرام الاتفاق الجديد . (١٠) زيادة كميـــة الادوية المخصصة لمنطقة البقاع .

ونتيجة هذه الوعود أعلنت اللجنة الشعبية في بيانها الرجوع عن الاضراب الذي اعتبرته « ليس تراجعا على الاطلاق ، وانما هو مهلة لاختبـــار جدية الوكالة في تنفيذ وعودها ، واذا استمرت في تجاهل هذه المطاليب سنتحرك مجددا بأساليب أكثر فاعلية وأشد تأثيرا لانتزاع حقوقنا التي تهضمها وكالة الغوث الدولية » .

عصام سخنيني

(٢) القضية الفلسطينية عربيا

اولا : مؤتمر القمة :

لقد عقد مؤتمر القمة العربي ، بعد أكثر من شهر ، على انتهاء معركة تشرين . دعت الى المؤتمر مصر وسورية ، على ان تكون الجزائر مكان انعقاده . شاركت في المؤتمر كل الـــدول العربية ، ما عدا العراق وليبيا . وارســـل الملك حسين وفدا برئاسة بهجت التلهوني رئيس الديوان الملكي .

اتخذ المؤتمر قرارات أهمها :

١ ــ اعتبار منظمة التحرير الممثل الوحيـــد للشعب الفلسطيني . ان هذا القرار هام وتاريخي، وهو انتصار لشعب فلسطين ، لانه قلص دور النظام الاردني في تمثيل الفلسطينيين .

٢ ــ التمسك بمقررات مؤتمرات القمة السابقة ومنها مؤتمر الخرطوم : ان أهمية هذا القرار تنبع من ان أية تسوية مقبلة ستكون مشـــروطة بلاءات الخرطوم الثلاث .

٣ ــ عقـــد مؤتمـــر القمـــة سنويـــا : وسيعقد المؤتمر القادم في نيسان القادم . ان هذه الخطوة هامة لانها توجد اطارا لتحرك عربي رسمي منتظم . وهذا الاطار يخدم الذين يقاتلون او يناورون ، ويقود الى خطوات موحدة ، حتى ولو كانت محدودة (الانوار ١١/٣٠) .

٤ ــ انشاء قيادة عربية موحدة : وعلى الرغم من ان القيادة العربية الموحدة أنشئت منذ سنة ١٩٦٤ ، فان اعادة تكوينها ضرورية ، ولا تعدم بعض الفوائد ، ولو كان ذلك في أضيق الحدود . (الانوار ١١/٣٠) .

٥ ــ انشاء صندوق للدعم العسكري : ان هذا القرار من أهم القرارات ، لان الدول العربيـــة حددت التزاماتها فيه . (الانوار ١١/٣٠) .

٦ ــ انشاء صندوق الدعوة . وصندوق الدعوة هدفه القيام بنشاط اعلامي واسع لخدمة القضية عالميا. وقد رصد مبلغ خمسة ملايين دولار للصندوق، على ان يمول بثلاثة ملايين اخرى كل سنة . (المحرر ١١/٣٠) .

٧ ــ انشاء بنك عربي افريقي للتنمية : حدد

رأس المال بمبلغ ٢٥ مليون دولار مبدئيا ، باعتبار ذلك مرحلة اولى . وأهمية هذا القرار تنبع من ان افريقيا اتخذت قرارات مؤيدة للعرب ، وقطعت معظم دولها العلاقات مع دولة الاحتلال الصهيوني، وضحت دول كثيرة من أجل ذلك بمصالحها . وهذا يستوجب الاهتمام بالدول الافريقية والعمل على حل بعض مشاكلها الناجمة عن مقاطعة اسرائيل (الاخبار ١١/٢٩) .

٨ — واتخذت مجموعة قرارات بالنسبة لافريقيا ، عدا انشاء البنك العربي — الافريقي . ومن هذه القرارات : أ — ان تقاطع جميع البلاد العربية التي لم تقاطع بعد ، جنوب افريقيا وروديسيا والبرتغال . ب — ان تطبق المقاطعة الكاملة لهذه الدول بتروليا. ج — ان تعزز المساندة الدبلوماسية والمادية لحركات التحرر الوطني في افريقيا . د — ان تتخذ الترتيبات الخاصة لاستمرار مد البلاد الافريقية الشقيقة بالبترول (الاخبار ١١/٢٩) .

واصدر المؤتمر بيانا ختاميا جاء فيه : « ان العالم العربي يجتاز مرحلة حاسمة من تاريخه ، وتعد محاربة الغزو الصهيوني مسؤولية تاريخية طويلة المدى وتتطلب الكثير من المعاناة والتضحيات» (الاخبار ١١/٢٩) وقال البيان انه لن يكون هناك سلام دائم ولا أمن حقيقي في منطقة الشرق الاوسط ما لم يتم ازالة أسباب الحروب العدوانية والتوسعية التي تضع العالم على عتبة الحرب عامة » (الاخبار ١١/٢٩) .

كما أكد البيان ان لتحقيق السلام « فانه ينبغي توافر عدد من الشروط من بينها شرطان مقدسان ولهما الاولوية : الاول : انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي المحتلة واولها القدس . والثاني : استرداد الشعب الفلسطيني لكافة حقوقه الوطنية» (الاخبار ١١/٢٩) .

ووجه المؤتمر اربعة بيانات الى دول افريقيا والدول الاشتراكية ودول عدم الانحياز ودول اوروبا الغربية .

كان هنالك المتفائلون الراضون عن نتائج المؤتمر وكان هنالك المتشائمون الغاضبون .

وقد صرح الرئيس بومدين ، بعد نهاية المؤتمر قائلا : « اننا خرجنا من هذا المؤتمر بتصور كامل للمستقبل كأمة عربية واحدة ، ثم وضعنا سياسة عربية افريقية شاملة ، واتخذنا موقفا موحدا لدعم الحركات التحررية الافريقية والاتفاق على لقاء عربي — افريقي وتعاون اقتصادي بينهما في صورة بنك عربي — افريقي » وأضاف : « اننا وضعنا خطة محكمة لاستخدام البترول تقوم على أسس موضوعية » ، وزاد على ذلك قائلا : « ان أهم ما تحقق في مؤتمر القمة العربي بالجزائر اننا نتحرك في هذا كله كمجموعة عربية لان التجمعات الكبرى لا تتأثر بنا الا كمجموعة عربية متفقة ومتعاونة سياسيا وعسكريا واقتصاديا ودبلوماسيا . وبالاضافة الى ذلك فلقد تحدد لاول مرة وبصورة قاطعة الاجابة على من يمثل شعب فلسطين. وانتهى المؤتمر الى اقرار ان الفلسطينيين هم الطرف الشرعي الذي يتحدث باسم شعب فلسطين».وحين سئل اذاكان موضوع مؤتمر السلام قد بحث او لم يبحث قال: لم يكن مدرجا على جدول الاعمال ولكن من الناحية العملية « اتخذنا قرارات لتحرير الارض وحددنا شروط ووسائل تحقيق السلام الحقيقي الدائم والقائم على العدل على اساس انسحاب اسرائيل الفوري من كل الاراضي العربية بما فيها القدس مع رفض تدويلها وصيانة حقوق الشعب الفلسطيني حسب التصور الذي تقدمه المقاومة » (الاهرام ١٢/١) .

وصرح الحبيب بورقيبه قائلا : ان المؤتمر كان مرضيا . وقد توصلنا بعد المناقشات والمشاورات الى نتائج ملموسة ارجو ان تتحقق في المستقبل القريب . وأعرب عن اعتقاده بأن نتائج المؤتمر كانت ايجابية واوضح ان كل التوصيات التي تمخض عنها المؤتمر يجب ان تطبق في اقرب فرصة. وأكد الرئيس التونسي ان المناقشات جرت بروح من الاخوة والتضامن وان كل دولة عربية أعلنت مقدار مساهمتها المالية في مختلف المشروعات التي سيتم تنفيذها على المستوى العربي ، والتي تبلغ تكاليفها مائة مليون دولار ، ويبلغ نصيب تونس ٥ ملايين . وأعرب الرئيس التونسي عن اعتقاده بأن المؤتمر تمكن من بلوغ أهدافه وقال ان الهدف الاول هو قبول العرب لحل وسط لا يستهدف القاء اليهود في البحر . ويرتكز هذا الحل على اساس العودة الى قرار الامم المتحدة الصادر في عام ١٩٤٧ ، وهو الامر الذي حاز قبول الفلسطينيين أنفسهم » (الحياة ١١/٣٠) .

وفي ليبيا اذاعت الاذاعة تعليقا هاجمت فيه

مؤتمر القمة وجاء في هذا التعليق : « البيان الختامي جاء مخيبا لامال الجماهير العربية وضد ارادتها » . وذكر التعليق ان مؤتمر الخرطوم قرر ثلاثة مبادىء : لا سلام ، لا اعتراف ، لا صلح . وقال راديو طرابلس الغرب : لكن مؤتمر القمة العربية الذي عقد في الجزائر انتهك هذه القرارات وأبطلها » (المحرر ١١/٣٠) .

ثانيا : مؤتمر السلام :

كان مؤتمر السلام جزءا من قرار وقف اطلاق النار الذي اتفق عليه الطرفان السوفياتي والاميركي ، خلال اجتماع كيسينجر بالمسؤولين السوفيات في موسكو اثناء حرب تشرين .

وكان من المفروض ان يجيء مؤتمر السلام تتويجا لخطوات تنفيذية على طريق تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . الا ان المؤتمر سينعقد والقوات في الاماكن التي بلغتها ، لا عند وقف اطلاق النار ، بل بعد ذلك ايضا .

وكان من المقرر ان يعقد المؤتمر في ١٨ كانون الاول فجرى تأجيله ثلاثة ايام .

ومن المفيد ان نحدد مواقف الدول العربية الثلاث المدعوة للمشاركة فيه :

أ — **مصر** : لقد طرح الرئيس السادات فكرة مؤتمر السلام في خطابه الذي القاه قبل نهاية القتال . وان كانت طروحاته تختلف عما قررته المعركة فيما بعد . ولقد حرصت مصر على ان تبلغ الدولتين العظميين ثلاثة شروط لحضورها مؤتمر السلام وهي : ١ — ان يقوم مجلس الامن بدعوة الاطراف المعنية . ٢ — ان يحضر الامين العام للامم المتحدة الاجتماعات التمهيدية وان يعين مندوبا عنه . ٣ — ان تشترك كل الاطراف المعنية ، على أن تشترك منظمة التحرير في وقت لاحق (الانوار ١٢/١٠) .

وكانت مصر قد أبلغت واشنطن وموسكو انها لن تحضر مؤتمر السلام اذا لم تنسحب اسرائيل الى خطوط ١٩٧٣/١٠/٢٢ . (المحرر ١٢/٧) .

وقد أعلن في القاهرة يوم ١٢/١٠ ان مشروع دعوة وجه الى مصر . واوردت الاهرام الملابسات التي تحيط بالمؤتمر ، وهي : ١ — ليس للمؤتمر ضوابط غير أحكام الشرعية الدولية أي قرارات الامم المتحدة . ٢ — هناك أكثر من طرف عربي مقابل اسرائيل . ٣ — لا ينبغي التعجل ولكن لا يجوز ان يصبح المؤتمر ساحة للمراوغة . ٤ — ضرورة التركيز على النقاط الواضحة . ٥ — الذهاب الى المؤتمر لا يلغي احتمالات القتال (الانوار ١٢/١١) .

واعلن الدكتور عبد القادر حاتم ان « اشتراك الفلسطينيين في المؤتمر اعتراف دولي بحقوقهم » (النهار ١٢/٩) .

ويبدو ان كل الاجراءات قد تم الاتفاق عليها ، وان مصر كانت ستحضر يوم ١٢/١٨ .

ب — **سورية** :

أعلنت سورية ، رسميا ، أنها لن تشترك في مؤتمر السلام . جاء ذلك في بيان صدر بتاريخ ١٢/١٨ ، ورد فيه : « في ضوء الاتصالات التي تمت اخيرا ومنها الاتصالات مع مصر ومع الولايات المتحدة الامريكية خلال زيارة وزير خارجيتها لدمشق وفي ضوء مختلف المعطيات التي توفرها الظروف الراهنة والتي تشير الى مجموعة من المناورات تستهدف خدمة المصالح الاسرائيلية ، كما تستهدف تحويل المؤتمر ليبحث امورا جزئية تجرنا الى متاهات لا نهاية لها ، بغية تمييع القضية الاساسية واضاعة الطريق اليها في وضع برنامج الانسحاب الكامل من الارض التي احتلت عام ٦٧ وفي وضع صورة محددة تؤمن حقوق الشعب العربي الفلسطيني . في ضوء ذلك تقرر عدم اشتراك الجمهورية العربية السورية في مؤتمر جنيف الذي سيعقد في ٢١ كانون الاول ١٩٧٣ » .

ج — **الاردن** :

حاول الملك حسين ان يؤثر في قرار مؤتمر القمة بالجزائر ، فيما يتعلق بقضية تمثيل الفلسطينيين في مؤتمر السلام ، فأعلن ان الاردن سيقاطع المؤتمر اذا مثلت المنظمة الشعب الفلسطيني . (١١/٢٨) .

وظل الاردن يحاول ان « يلعب » على هذه القضية . وكل ما يريده ان يبقى موضوع التمثيل غائما وضائعا . وحين تحدث بهجت التلهوني ، رئيس الديوان الملكي أشار الى ان الاردن يعتبر قضية فلسطين قضية الدول العربية والامة العربية بمجموعها وانطلاقا من هذا المبدأ فان الاردن : « يعتبر كل الدول العربية ممثلة وتحمل على كاهلها

اعباء تحرير الاراضي العربية واستعادة حقوق الشعب الفلسطيني » . وأضاف : « ان التمثيل في القضية العربية يبقى لكل الدول العربية ، بما في ذلك منظمة التحرير الفلسطينية حتى تتحرر الارض ويزول الاحتلال عن الشعب الفلسطيني ، ويقرر هذا الشعب المناضل الابي ويختار وفق ارادته ومشيئته ومراده » (النهار ١٢/٥) . وعاد الملك حسين فاعلن ان الاردن : « لن يشترك الا اذا اتفق مع الدول العربية المعنية بالقرار ٢٤٢ على موقف مشترك يلتزم به ... ». (النهار ــ الحياة ١٢/١١) .

وعلى الرغم من هذه التصريحات المختلفة ، فان الاردن سيشارك في مؤتمر السلام ، خاصة بعد ان ضمن عدم مشاركة منظمة التحرير في المرحلة الاولى على الاقل .

هل اتفقت الدول الثلاث على خطة ؟ لا نعلم ولكن من المؤكد ان سورية ومصر اتفقا على خطة لمواجهة المؤتمر ، ولمواجهة المراوغة الاسرائيلية .

ويحاول النظام الاوروبي في هذه الايام ان يدخل مؤتمر السلام على اساس عدم تجزئة القضية وعدم المساومة على جزء من الاراضي المحتلة على حساب جزء آخر . ومثل هذا الطرح هدفه الايحاء للدول العربية بأن الاردن لا يسعى الى صلح منفرد . كما ان هدفه من الجهة الاخرى ان يساوم بأوراق مصر وسورية ، لانه لم يدخل الحرب وليس له موقع قوة يساوم منه . ومن هنا فان الموقف الاردني لا يمكن الاعتماد عليه .

ثالثا : محادثات الكيلو ١٠١

عندما اختار الاسرائيليون الكيلو ١٠١ مكانا للمحادثات، هدفوا من ذلك الى الكسب السياسي. أرادوا ان يقولوا نحن هنا موجودون . وكان يمكن مثلا ان تتم المحادثات على قناة السويس او في اي مكان آخر . ولقد تحولت اجتماعات الخيمة عند الكيلو ١٠١ الى حفلات تصوير للصحافة والتلفزيون . وكان واضحا ما يريده الاميركيون والاسرائيليون منها ، عندما أخذ الوقت يمضي دون ان تحقق شيئا يذكر .

وأمام المراوغة المستمرة التي يقوم بها العدو في الخيمة عند الكيلو ١٠١ كان لا بد من ان تقول مصر كفى . ولقد أعلنت مصر توقف المحادثات . وردت الصحف تفاصيل المراوغة الاسرائيلية التي سبقت انقطاع المحادثات . وذكرت الصحف ان مصر قدمت عدة اقتراحات رفضها العدو وأصر على موقفه . وأشارت الصحف الى ان باريف لم يقبل بمناقشة قضية العودة الى خطوط ١٠/٢٢ (المحرر ١٩٧٣/١٢/٢) (الاهرام ١٢/١) .

وبعد ان اوقفت مصر المفاوضات استقبل الرئيس السادات سفيري الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، واوضح لهما موقف مصر من مباحثات الكيلو ١٠١ وقرارها وقف هذه المباحثات، وذلك نتيجة استمرار اسرائيل في خرق وقف اطلاق النار وعدم جديتها في مناقشة الانسحاب الى مواقع ١٠/٢٢ ، تنفيذا لقرارات مجلس الامن واتفاقية ١٩٧٣/١١/١١ (الاخبار ٧٣/١٢/٢) . وأشارت الانباء ايضا الى ان الرئيس السادات طلب تدخل اميركا والاتحاد السوفياتي (النهار ١٢/٢) .

وهكذا توقفت محادثات الكيلو ١٠١ ، لتكون صفحة من صفحات الصراع مع مراوغة العدو ، حتى لا ينسحب من أرضنا ، وحتى يكسب الوقت. ان محادثات الكيلو ١٠١ صورة عما يمكن ان تكون عليه المفاوضات مع العدو .

ناجي علوش

تتعلق بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ضمن القطر الفلسطيني الذي تضمنه مشروع المملكة العربية المتحدة » . وتلاحظ صحيفة الحياة اللبنانية ان المسؤولين الاردنيين « لا يفصحون عن الحقائق التي تشكل محور او قاعدة التحركات الاردنية الاخيرة وعلى الاقل مضمونها العام ، بل يكتفون بتسجيل الزيارات والمقابلات وانها تهدف الى تحقيق الصالح العام للقضية العربية » (الحياة ١٩٧٣/١١/٢٦) .

الاردن والموافقة على حضور مؤتمر السلام

بالرغم من تهديدات المسؤولين الاردنيين بعدم الذهاب الى جنيف لحضور مؤتمر السلام فيما اذا اعتبر مؤتمر القمة العربي ، منظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا **وحيدا** للشعب الفلسطيني فقد أصدر المؤتمر قراره معتبرا المنظمة الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني (النهار ١٩٧٣/١٢/٤) . اذن ، فقد أصبح مترتبا على النظام الاردني وضع تهديده بمقاطعة مؤتمر السلام موضع التنفيذ العملي . غير أن النظام الاردني عوضا عن ذلك اتبع سياسة « التريث » ليعلن عن قراره المناسب في الوقت المناسب . ولخص الملك هذه السياسة من خلال الخطاب الذي افتتح به الدورة العادية السابعة لمجلس الامة الاردني ، كما يلي : « اننا لا نقبل اية تسوية مجزوءة او منفردة ، **وان التسوية العامة يجب ان تكون مع الفريق العربي بشكل موحد** » . واضاف الملك : « غير اننا نرى ان القاء صفة **تمثيل أهلنا** في هذا المجال **على غيرنا** ، معناه اقصاؤنا عن دورنا في تأمين حق **شعبنا** في الضفة الغربية... الامر الذي يتطلب الايضاح والتباين مع الاطراف العربية الشقيقة المعنية ، كي نكون على بينة من مسؤولياتنا فنعرف كيف نتقدم في هذا المؤتمر ، وكيف نتوقف عن الذهاب اليه ... وعلى هذا فما زلنا نعلق الجواب النهائي عن هذه الدعوة حتى تتضح الصورة » (الدستور ١٩٧٣/١٢/٢) . وكان الملك قبل ذلك قد استقبل سفيري الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بعمان حيث وجها دعوة للحكومة الاردنية لحضور مؤتمر السلام بجنيف في الثامن عشر من كانون الاول (ديسمبر). وكان الى جانب الملك في هذا اللقاء زيد الرفاعي رئيس الوزراء ، الذي أدلى عقب ذلك لوكالة الانباء الاردنية الرسمية بتصريح قال فيه ان الاردن « غير مستعد لحضور مؤتمر السلام اذا تقرر انشاء حكومة فلسطينية في المنفى تطالب بالسيادة على الضفة الغربية وغزة على اساس انها اراض فلسطينية ومن اختصاص الحكومة الفلسطينية » . واضاف الرفاعي ان الاردن لن يحضر المؤتمر كذلك اذا اعتبر مؤتمر القمة منظمة التحرير ممثلا وحيدا للشعب الفلسطيني . (وكان المؤتمر لم ينه اعماله بعد في الجزائر) . ثم أضاف الرفاعي (على لسان الملك للسفيرين) : اننا لا نمانع في حضور وفد عن فلسطين في مؤتمر السلام ولكن يجب ان يكون واضحا للجميع باننا غير مستعدين للمشاركة بمؤتمر السلام اذا لم يوافق الاخوة العرب على منح الشعب الفلسطيني حقه في تقرير مصيره . وذكر ان الملك قال للسفيرين ايضا : « اما ان يكون الاردن هو الدولة المعنية بانسحاب اسرائيل من الضفة الغربية بمشاركة مصر وسوريا ... ويتبع ذلك استفتاء للشعب الفلسطيني او ان يتقرر تحميل هذه المسؤولية لمنظمة التحرير الفلسطينية او لحكومة فلسطينية في المنفى . وعندها نصبح نحن في الاردن في حل من كل التزام ومسؤولية » (الدستور ١٩٧٣/١١/٢٨) . ثم وضح الملك شرطه لحضور مؤتمر السلام في مقابلة مع مراسل جريدة الليموند الفرنسية ، حيث قال ان الاردن يعمل للتنسيق بين الوفود العربية الى المؤتمر وان ذلك يشمل ، كما قال المراسل ، تراجعا عربيا عن الاعتراف بمنظمة التحرير كممثل وحيد للشعب الفلسطيني وعرض التعاون في « السراء والضراء » مع منظمة التحرير . (النهار ١٩٧٣/١٢/١١) . ومن أجل هذه الغاية سافر عبد المنعم الرفاعي الى القاهرة يوم ١٩٧٣/١٢/٨ ، وعاد منها يوم ١٩٧٣/١٢/١٣ حيث عقد مجلس الوزراء الاردني اجتماعا تقرر فيه فجأة قبول الاردن المشاركة بمؤتمر السلام دون الاعلان عن مصير الشرط الذي علق به الملك اشتراكه بالمؤتمر ، بموافقة الدول العربية على اعتبار انه يمثل الى جانب منظمة التحرير ، الشعب الفلسطيني .

(٣) القضية الفلسطينية دوليا

تم تطبيق كل بنود اتفاقية وقف اطلاق النار التي وقعتها مصر واسرائيل عند الكيلومتر ١٠١ على طريق القاهرة السويس باستثناء البند الثاني الذي ينص على تسوية قضية عودة القسوات الاسرائيلية على الضفة الافريقية من قناة السويس الى مواقعها التي كانت قائمة في ٢٢ تشرين الاول ١٩٧٣ (راجع « شؤون فلسطينية » عدد ٢٨ ، ص ١٨٥ — ١٨٦) . بعبارة اخرى تم تبادل الاسرى والجرحى بين الطرفين بسرعة واخذت المؤن تصل الى مدينة السويس والجيش الثالث على الضفة الشرقية من قناة السويس بصورة منتظمة وتحت اشراف القوات الدولية (مع تفتيش اسرائيلي لضمان خلو المؤن من المواد العسكرية) كما تم رفع الحصار العربي الذي كان مضروبا على مضيق باب المندب. الا ان مفاوضات الكيلومتر ١٠١ فشلت في احراز أي تقدم باتجاه اقناع اسرائيل بالانصياع لقرارات مجلس الامن والعودة الى الخطوط الحربية كما كانت قائمة يوم ٢٢ تشرين الاول أي يوم صدور القرار الدولي رقم ٣٣٨ الداعي الى وقف القتال على كافة الجبهات. بعد سلسلة من الاجتماعات بين الطرفين العسكريين الاسرائيلي والمصري ونتيجة لرفض اسرائيل المتوقع لفكرة الانسحاب أعلنت مصر في آخر شهر تشرين الثاني توقفها عن المشاركة في اجتماعات الكيلومتر ١٠١ « بسبب مراوغة اسرائيل المستمرة في تنفيذ البند الثاني من اتفاقية اطلاق النار » على حد قول المتحدث الرسمي المصري . وعلى اثر هذا التطور الهام توتر الوضع العسكري على الجبهات العربية مما أدى الى بروز مساع دبلوماسية ثنائية ودولية بغية الحؤول دون انفجار الموقف العسكري من جديد. ففي اول كانون الاول اجتمع الرئيس السادات بالسفيرين السوفياتي والامريكي في القاهرة من أجل ايضاح موقف مصر من محادثات الكيلومتر ١٠١ وشرح قرارها بايقافها . وقد اكد السادات مسؤولية الدولتين العظميين في الزام اسرائيل على احترام اتفاقية وقف اطلاق النار وقرارات مجلس الامن باعتبار انهما ضمنا تنفيذ قرارات المجلس المتعلقة بالحرب الاخيرة وتنفيذ بنود القرار رقم ٢٤٢ . ومن ناحية اخرى تدخلت هيئة الامم بشكل مباشر في محاولة لمنع وقف اطلاق النار من الانهيار فقابل الجنرال سلاسفو، قائد القوات الدولية في المنطقة ، وزير الحربية المصري وتباحث معه في الوضع العسكري المتدهور ثم انتقل الجنرال الى اسرائيل حيث قابل دايان للغرض نفسه . كذلك أجرى الامين العام للمنظمة الدولية اتصالات بسفيري مصر واسرائيل في هيئة الامم في محاولة لاعادة احياء محادثات الكيلومتر ١٠١ . ويبدو ان المساعي الدولية قد نجحت في تهدئة الوضع العسكري ولكن بدون ان تؤدي الى احراز اي تقدم باتجاه ارغام القوات الاسرائيلية على الانسحاب الى خطوط ٢٢ تشرين الاول . وعلى الرغم من اشتراط مصر حضور مؤتمر السلام الذي سينعقد في جنيف في ١٨ كانون الاول (على الارجح) بالانسحاب الاسرائيلي المذكور ، تشير كل الدلائل الى ان محادثات الكيلومتر ١٠١ قد انتهت وان مسألة الانسحاب الاسرائيلي قد انتقلت الى مؤتمر السلام الذي سيناقشها ويفترض ان يبت فيها قبل أية قضية اخرى . وتركز النشاط الدبلوماسي الامريكي بشكل ملحوظ على العمل لعقد مؤتمر السلام في النصف الثاني من شهر كانون الاول . وتضمن هذا النشاط : نشر جو اعلامي متفائل وايجابي عن السياسة الامريكية الجديدة في المنطقة وحول امكانية انعقاد المؤتمر واحتمال توصله الى نتائج مرضية على صعيد تحقيق تسوية نهائية للنزاع العربي الاسرائيلي . ففي الاسبوع الثاني من شهر تشرين الثاني نشرت مجلة « نيوزويك » الامريكية اخبارا مفادها ان كيسنجر أبلغ الرئيس السادات انه بالامكان اقناع اسرائيل بالانسحاب من سيناء خلال عام واحد وانه طلب من الرئيس المصري بعض الوقت لاقناع اسرائيل بذلك . كما ذكرت المجلة على لسان سيسكو قوله لكبار المسؤولين في مصر ان اتجاه سياسة بلاده اخذ يتغير لمصلحة العرب بسبب المصالح الامريكية النفطية والاستراتيجية في المنطقة وان الكونغرس بدأ يعيد النظر في مواقفه في الموضوع ذاته على الرغم من النفوذ الصهيوني التقليدي في اوساطه . وفي منتصف شهر تشرين الثاني ادلى كيسنجر بتصريحات اثناء زيارته للصين تعزز هذا الاتجاه الاعلامي الامريكي حيث أشار الى امكانية عقد معاهدة دفاعية بين بلاده واسرائيل في مقابل

الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي المحتلة ، هذا بالاضافة الى الضمانات الدولية لحدودها . وأبدت أعلى الاوساط السياسية الاسرائيلية قلقها الشديد من جراء كلام كيسنجر اذ رأت فيه عودة الى مشروع روجرز الداعي الى انسحاب اسرائيلي مع بعض التعديلات الطفيفة على الحدود ، كذلك أعلن كيسنجر بأنه لم تعد هناك أية عراقيل في طريق عقد مؤتمر السلام في جنيف في ١٨ كانون الاول . ولا شك ان هدف هذه التصريحات كان طمأنة الجانب العربي و « مساعدته » على التغلب على أي تردد أو شك بالنسبة لحضور المؤتمر . وفي اواخر تشرين الثاني تم الاعلان عن زيارة جديدة سيقوم بها كيسنجر للمنطقة مما كان من شأنه تطويق احتمالات أي انفجار عسكري على الجبهات بعد ان قطعت مصر مفاوضات الكيلومتر ١٠١ . وسيرا على نفس هذا الخط الاعلامي أعلن الرئيس نيكسون في منتصف تشرين الثاني ان ازمة الشرق الاوسط أهم من ازمة فيتنام لان منطقتنا تقع على مفترق طرق العالم وتحتوي على جزء كبير من نفط العالم مما يعني انه على الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي المحافظة على مصالحهما الحيوية في المنطقة عن طريق الاتفاق تفاديا لاية مواجهات نووية . وعلى اثر اجتماع نيكسون وكيسنجر بأقطاب مجلس الشيوخ الامريكي صرح السناتور فولبرايت بأن مؤتمر السلام سينعقد في ١٨ كانون الاول وانه سيكون مؤتمرا جديا ، كما أضاف ان استئناف شحن النفط العربي الى امريكا مرهون كليا بمدى التقدم الذي تحرزه المفاوضات في المؤتمر . وجدير بالذكر هنا ان كيسنجر عقد مؤتمرين صحفيين مهمين بتاريخ ٢٤ تشرين الثاني و٧ كانون الاول عرض فيهما الخطوط العريضة للسياسة الامريكية بالنسبة لمؤتمر السلام وللنزاع العربي الاسرائيلي بشكل عام . وكانت أهم النقاط التي أبرزها الوزير الامريكي في مؤتمره الاول كما يلي :

١) ان المفاوضات العسكرية المصرية ـ الاسرائيلية على الكيلومتر ١٠١ أحرزت ما يكفي من التقدم لعقد مؤتمر السلام في جنيف قريبا بأشراف مشترك من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وهيئة الامم .

٢) ان الولايات المتحدة ألزمت نفسها بقرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ الذي ينص على تنفيذ القرار رقم ٢٤٢ مما يعني بأنها ستفي بتعهداتها ببذل جهود كبيرة لتنفيذ هذا القرار بكل أجزائه .

٣) ان هدف حكومته هو تحريك الاطراف المتحاربة باتجاه روح المصالحة وبذل اقصى جهدها من أجل تضييق شقة الخلاف بين فرقاء النزاع من أجل الاتجاه نحو السلام الدائم . الا ان الولايات المتحدة لن تتقدم بمشروع تفصيلي تضيع الجهود في مناقشته او مهاجمته بل ستترك للفرقاء المعنيين تحمل المسؤوليات المترتبة على المواقف التي يطرحونها في المؤتمر . وقال كيسنجر « حالما يحدد هؤلاء مواقفهم على مائدة المفاوضات ستتقدم الولايات المتحدة لسد الفجوة بينهم وعندئذ ستقدم بعض الافكار التي تبدو مفيدة لتحقيق هذا الغرض » . وشرح كيسنجر الاسلوب الذي يمكن ان يعمل به مؤتمر السلام باقتراحه عقد جلسات لكامل اعضاء المؤتمر تنقسم بعدها الى مجموعات تقوم بمفاوضات ثنائية تتناول القضايا المناسبة لهذا النوع من المفاوضات ، ولكنه شدد على انه يتوجب على الفرقاء المعنيين تحديد الاسلوب الذي يرونه مناسبا لتسيير المؤتمر واجراء المفاوضات خلاله .

٤) ان خطوط حرب حزيران ١٩٦٧ هي التي ولدت الحرب الاخيرة ولذلك ينبغي تبديلها ، وبما ان خطوط وقف اطلاق النار الحالية لا يمكن استمرارها لا بد للتسوية السلمية من ان تشمل انسحابا اسرائيليا وترتيبات أمنية بين الدول العربية المعنية واسرائيل . بالاضافة الى ضمانات خارجية للحدود . وعلى المؤتمر بحث كل هذه القضايا بالاضافة الى مسألة مستقبل القدس والفلسطينيين . وأكد كيسنجر انه ليس من الضروري ان تضغط الولايات المتحدة على اسرائيل لتحقيق هذه النتائج وجعلها تقدم التنازلات اللازمة للوصول الى مثل هذه التسوية . ان ما ستفعله حكومته هو اجراء مشاورات كاملة مع السلطات الاسرائيلية ومع الحكومات العربية المشتركة في المؤتمر وسيتم تحديد الموقف الامريكي (من موضوع الضغط على اسرائيل او عدمه) على ضوء تطور المفاوضات ومجراها ونوعية المواقف التي ستحددها الاطراف المعنية .

٥) ان مسألة دور الفلسطينيين في المؤتمر مسألة صعبة جدا « اذ انها تتناول اسرائيل والدول العربية ، وعلى الاخص الاردن » وهي مسألة

تحتاج الى بحث صريح في مرحلة لاحقة من سير أعمال المؤتمر لان المراحل الاولى ستركز على القضايا العسكرية . وأكد كيسنجر « ان القضية الفلسطينية ستكون من القضايا الرئيسية التي ستبرز في المؤتمر » .

٦) ان الولايات المتحدة تدعو الزعماء العرب الى اعطائها الفرصة اللازمة لتحقيق التسوية المنشودة بدون ممارسة الضغوط الاقتصادية والنفطية عليها خاصة بعد افتتاح مؤتمر السلام في جنيف . وشدد كيسنجر على ان مطالبة حكومته بتحقيق مطالب معينة تحت الضغط النفطي لن يؤدي الى نتيجة لان بلاده ترفض التعامل بهذا الاسلوب الذي يضر بمستقبل العلاقات العربية — الامريكية . ثم هدد الوزير الامريكي الدول العربية باتخاذ اجراءات مضادة اذا استمرت الضغوط النفطية على بلاده « بصورة غير معقولة والى ما لا نهاية » على حد قوله . وفي المؤتمر الصحافي الثاني الذي عقده كيسنجر كرر النقاط المذكورة أعلاه مع ابراز الامور التالية :

١) ان وقف اطلاق النار غير معرض للانهيار وان مؤتمر السلام في جنيف سينعقد في موعده المحدد وسيتناول القضايا العسكرية العالقة اولا ، ثم يتحول الى جوهر القضية السياسية ليتوصل الى تسوية شاملة للنزاع وفقا لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وأكد بهذا الصدد ان بلاده ستستخدم نفوذها في المؤتمر للخروج بمثل هذه النتيجة الايجابية .

٢) ان القضايا العالقة التي ادت الى انقطاع مفاوضات الكيلومتر ١٠١ قابلة للحل وخاصة ضمن اطار مؤتمر السلام حيث ستتمكن دول أخرى من القيام بدور أكثر فعالية من قبل في التوصل الى تسويتها .

٣) ان قضية دور الفلسطينيين في مؤتمر السلام تشتمل على ثلاث نواح هي :

أ) من يتكلم باسم الفلسطينيين ويشترك عنهم في المؤتمر ؟ . ب) ما هي طبيعة العلاقة بين الفلسطينيين والاردن من ناحية وبين الفلسطينيين واسرائيل وبقية الاطراف المشتركة في المؤتمر من ناحية ثانية ؟ . ج) ما هي الشروط الاساسية التي سيتم تقديمها في المؤتمر لحل القضية الفلسطينية ؟ وعلق كيسنجر على السؤالين الاول والثاني بقوله ان الاجابة عليهما متروكة للمؤتمر نفسه لان الفرقاء المعنيين من المشتركين فيه هم أفضل مرجع للبت في هذا الموضوع . أما بالنسبة للسؤال الثالث فقد أعطى كيسنجر الجواب الغريب التالي : « ان المؤتمر سيبحث الشروط المحددة لتسوية القضية الفلسطينية على اساس الارتباط الذي اعترفت به الولايات المتحدة في وثائق دولية متعددة بين حقوق الفلسطينيين وبين قدرة المناطق الفلسطينية التي كانت تحت الانتداب على الاستيعاب ». وهذه هي المرة الاولى التي ترد فيها مثل هذه الاشارة الى ارتباط حل القضية الفلسطينية بقدرة « فلسطين » على الاستيعاب ، أي استيعاب المزيد من السكان . وواضح ان الغموض يكتنف هذا التلميح من قبل كيسنجر وربما كان قصده ان حل مشكلة النازحين الفلسطينيين مرهون بقدرة الضفة الغربية وقطاع غزة على استيعاب المزيد من السكان . ومعروف ان هذه القدرة ضعيفة ، ضمن الظروف الحاضرة على أقل تعديل . وأجاب كيسنجر بقوله :

٤) ان الولايات المتحدة مستعدة للنظر في موضوع مرابطة قوات امريكية وسوفياتية بصورة دائمة في الشرق الاوسط كجزء من الضمانات الدولية لحدود دول المنطقة بعد انجاز التسوية السلمية .

٥) ان الاتحاد السوفياتي قام بدور بناء بالنسبة لعقد مؤتمر السلام في جنيف ، وان الحكومة الامريكية تدرك انه لا يمكن التوصل الى تسوية في المنطقة بدون تعاون الاتحاد السوفياتي . وأعرب الوزير الامريكي عن أمله في ان يستمر الاتحاد السوفياتي في دوره البناء هذا اثناء انعقاد المؤتمر « لانه اذا حاول السوفيات الدفع بحلول متطرفة سيصبح التوصل الى تسوية سلمية مسألة صعبة جدا » . كما ان الوفد الامريكي سيشجع بقوة جميع الفرقاء في المؤتمر على انتهاج سبيل الاعتدال مما سيسمح له بالتعاون معهم على الوصول الى الهدف المنشود .

بعد هذا العرض للخطوط العريضة التي طرحها كيسنجر حول السياسة الامريكية في منطقتنا من المفيد الاشارة الى ان عمر السقاف (وزير الدولة السعودي للشؤون الخارجية) صرح في الاسبوع الاول من شهر كانون الاول بان وزير الخارجية الامريكي « رجل قادر على العمل وقادر على ان ينتج ولا شك بأنه راغب رغبة قوية في تسوية

مشكلة الشرق الاوسط » .

أما بالنسبة لمؤتمر السلام نفسه فقد ذكرت الانباء ان أمانة عامة (لم تعرف هويتها) تعمل الان في جنيف تحت اشراف كيسنجر العام للتحضير لانعقاده في ١٨ كانون الاول ، وان المؤتمر سينشيء لجانا ولجانا فرعية تتولى كل واحدة منها دراسة موضوع من الموضوعات التفصيلية التي على المتفاوضين مناقشتها والتفاهم حولها . كذلك أكدت الانباء ان فالدهايم سيفتتح المؤتمر بحضور كيسنجر وغروميكو ، وانه لن تتم دعوة أي فريق لحضور المؤتمر (بالاضافة الى امريكا والاتحاد السوفياتي وسوريا والاردن ومصر واسرائيل وهيئة الامم) الا بموافقة اجماعية من المؤتمر نفسه . وواضح ان هذا الاجراء موجه ضد منظمة التحرير اولا وضد حضور دول اوروبية وافرو — اسيوية قد يرغب الجانب العربي بحضورها ثانيا .

عشية انعقاد مؤتمر السلام في جنيف قام كيسنجر بزيارة لمنطقة الشرق الاوسط شملت عددا من العواصم العربية بالاضافة الى تل ابيب حيث تباحث مع كبار المسؤولين بهدف العمل على انجاح مؤتمر السلام . بدأ الوزير الامريكي زيارته بالجزائر حيث قابل الرئيس هواري بومدين، وأعلن ان الرئيس نيكسون كان قد أخبر وزير الخارجية الجزائري اثناء مروره في واشنطن بأن الولايات المتحدة ستبذل كل جهدها لاحلال سلام دائم وعادل في الشرق الاوسط على اساس تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، واضاف كيسنجر قائلا « انه حضر الى الجزائر ليبدأ بتنفيذ هذا الوعد » كما وصف محادثاته مع الرئيس الجزائري حول الشرق الاوسط بأنها كانت « ودية ومفيدة وبناءة » . وذكر مسؤول امريكي ان « المحادثات حققت تقدما حسنا » كما لمح الى ان العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ستستأنف في الاشهر القليلة المقبلة . انتقل كيسنجر من الجزائر الى القاهرة حيث استقبل بحفاوة لفتت انتباه المراقبين . وعقد الوزير الامريكي اجتماعين مع الرئيس السادات توسطهما اجتماع للزائر مع السفير السوفياتي في القاهرة . وصرح كيسنجر بأنه ناقش مع الرئيس المصري نظام انعقاد مؤتمر السلام وجوانب المؤتمر الاجرائية وانهما اتفقا على ان تكون مسألة « فك الارتباط » بين القوات المصرية والاسرائيلية موضوع البحث الرئيسي في المرحلة الاولى من أعمال المؤتمر . ووصف كيسنجر محادثاته في القاهرة بأنها كانت « مفيدة جدا وشاملة للغاية » كما قال انه نقل الى الرئيس السادات ارتياح الرئيس نيكسون لسير المحادثات في القاهرة ، وذكرت مصادر مطلعة في القاهرة ان التفاهم قد تم في المحادثات المصرية الامريكية على ان يقوم فالدهايم، بطلب من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ، بتوجيه الدعوات للمؤتمر . وفي الرياض اجتمع الوزير الامريكي بالملك فيصل لمدة ٩٠ دقيقة خرج بعدها متجهم الوجه بعد ان كان قد دخل الاجتماع وهو يبتسم ابتسامته العريضة المعهودة . وذكرت المصادر الامريكية المطلعة ان كيسنجر يواجه في الرياض أصعب جزء من مهمته كلها نظرا لتصلب الملك فيصل بالنسبة لموضوع الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي العربية المحتلة وفي مقدمتها القدس . وذكرت مصادر صحفية مقربة من الاوساط السعودية ان كيسنجر عرض على الملك التساهل باستعمال سلاح النفط مقابل تقديم تعهدات امريكية — سوفياتية بارغام اسرائيل على الانسحاب ووضع القدس تحت ادارة عربية وعودة الفلسطينيين الى ديارهم وفقا لجدول زمني ينفذ على مراحل متقاربة وسريعة . كذلك ذكرت هذه المصادر ان الملك فيصل أبلغ كيسنجر بأنه يحمل امريكا وحدها مسؤولية عدم تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وبقية قرارات هيئة الامم المتعلقة بالقضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني، كما نفت أي نية لدى السعودية بالتساهل في استخدام سلاح النفط ما لم يصدر اعلان رسمي بعزم اسرائيل الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة مع ضمان هذا الاعلان من قبل الولايات المتحدة . وذكرت الانباء كذلك ان الملك فيصل أصر على ان تكون الضمانات الامريكية للانسحاب الاسرائيلي صادرة في بيان رسمي وعلني وانه لا يمكن ان يقبل بالضمانات السرية . وتوجه الوزير الامريكي من السعودية الى دمشق حيث قابل الرئيس حافظ الاسد وكبار المسؤولين هناك . واتسمت زيارته بالفتور بعكس الجو الذي ساد في العواصم العربية الاخرى .. ويبدو ان اللقاء الامريكي السوري لم يحقق أية نتائج تتعدى تبادل وجهات النظر حول القضايا المطروحة بعد حرب تشرين الاخيرة ، الا ان ذلك استغرق وقتا طويلا اذ ان المقابلة مع الرئيس الاسد استمرت لمدة ٧ ساعات تقريبا في حين انه كان مقررا لها الا

تستغرق أكثر من ساعتين ولذلك وصل كيسنجر الى عمان متاخرا خمس ساعات عن موعده المحدد رسميا . وترددت انباء صحفية تقول بأن الرئيس الاسد رفض طلب الوزير الامريكي بتسليمه قائمة بأسماء اسرى الحرب الاسرائيليين وأصر على أن سوريا لا يمكن ان تفصل بين قضية الاسرى وقضية الانسحاب الاسرائيلي من المناطق العربية المحتلة. وعند مغادرته دمشق اكتفى كيسنجر بالتصريح بأنه « أجرى محادثات طويلة وصريحة » في دمشق ، وعندما سئل ما اذا كان قد توصل الى أي اتفاق مع مضيفيه اجاب بقوله : « لا يمكن ان اقول أكثر مما قلت » .

وفي عمان اجرى الزائر الامريكي محادثات مع الملك حسين حول مؤتمر السلام واجراءاته وأهدافه بالاضافة الى الموضوعات التي سيتناولها. وأشاد رئيس الوزراء الاردني بالزائر قائلا ان كيسنجر يبذل كل ما في وسعه للمساعدة في الوصول الى تسوية سلمية لمشكلة الشرق الاوسط . ووصف المحادثات معه بأنها كانت مثمرة ومنتجة جدا وان الاردن توصل الى اتفاق كامل مع كيسنجر حول كل المواضيع التي تناولتها المباحثات . وتوجه كيسنجر من عمان الى لبنان حيث قابل رئيس الجمهورية ووزير الخارجية . وترددت انباء صحفية تقول ان المحادثات توصلت الى تحديد موعد حضور لبنان مؤتمر السلام في جنيف وان رئيس البلاد شدد على الخطر الاسرائيلي على جنوب لبنان ، وغلى حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره . وكان الوزير الامريكي قد أعلن بأنه « يزور لبنان كصديق من أجل تدارس امكانات الوصول الى حل لقضية الشرق الاوسط » . وعلق وزير الخارجية اللبناني على المحادثات بقوله انها كانت « مفيدة وباعثة على التفاؤل » . وكانت آخر مرحلة في رحلة كيسنجر هي زيارة اسرائيل حيث قابل رئيسة الوزراء وكبار المسؤولين . وتناولت المحادثات على ما يبدو مسألة تسوية المشكلات التي ما زالت تعترض طريق مؤتمر السلام في جنيف ، ونتائج المباحثات التي اجراها الوزير الامريكي في العواصم العربية بالاضافة الى مشكلة التسوية بشكل عام . وذكرت الانباء ان كيسنجر طمأن اسرائيل بأن شروط التسوية السلمية لن يقررها مجلس الامن بل مؤتمر جنيف وان مسألة تمثيل الفلسطينيين في مؤتمر السلام لم تكن من المسائل البارزة في أي من المحادثات التي اجراها في العواصم العربية التي زارها . وصرح كيسنجر بعد اجتماعه بفولدا مائير ان المحادثات تجري بصورة حسنة جدا ، الا ان آخر الانباء افادت بأن الحكومة الاسرائيلية لم تتمكن حتى اللحظة التوصل الى قرار اخير حول مؤتمر السلام وما يتفرع عنه من مشكلات وقضايا .

قبل بدء مؤتمر السلام في جنيف بثلاثة ايام تم الاعلان عن تأجيل انعقاده من ١٨ كانون الاول الى ٢١ منه . وفي الوقت نفسه أصدر مجلس الامن الدولي قرارا قضى فيه بوضع مؤتمر السلام تحت اشراف الامم المتحدة بدلا من الدولتين الكبريين . وقد طلب مجلس الامن في قراره من فالدهايم بأن يقوم بدور فعال وكامل في المؤتمر ، وأعرب عن أمله بأن يترأس الامين العام جلسات المؤتمر . وقد صوتت كل الدول الاعضاء في المجلس الى جانب القرار باستثناء الدول الخمس الدائمة العضوية في المجلس التي امتنعت عن التصويت .

على صعيد جبهة البترول عقدت الدول المعنية اجتماعا هاما في الكويت في الاسبوع الثاني من شهر كانون الاول قررت فيه : اولا استئناف خفض انتاج البترول بنسبة ٥ ٪ ابتداء من أول شهر كانون الثاني بالنسبة لجميع الدول ما عدا الدول المستثناة من ذلك بموجب قرارات سابقة . ثانيا رفع الحظر عن تصدير البترول الى الولايات المتحدة حال البدء بتنفيذ الانسحاب الاسرائيلي من كل الاراضي العربية المحتلة بما فيها القدس وفقا لجدول زمني توقعه اسرائيل وتضمن تنفيذه الكامل الولايات المتحدة الامريكية . ومن الملاحظ ان هذا القرار يشكل تراجعا عن القرار السابق الذي اتخذته الدول البترولية العربية بعدم رفع الحظر عن شحن البترول الى امريكا الى ان تنسحب القوات الاسرائيلية كليا من كافة الاراضي العربية المحتلة . ثالثا ، حال التوصل الى اتفاق حول الجدول الزمني للانسحاب تضع الدول العربية المعنية جدولا زمنيا لاعادة رفع انتاج النفط يتناسب طرديا مع مراحل الانسحاب . رابعا ، سيتم تزويد الدول الاسلامية والافريقية بالكميات المترتبة لها من البترول بموجب عقود حتى لو ادى ذلك الى رفع مستويات الانتاج شريطة الا يعاد تصدير أي من هذا النفط الى دول يشملها الحظر العربي. وفي تطور آخر رد أكثر من مسؤول عربي على

التهديد الذي أطلقه كيسنجر باتخاذ اجراءات مضادة ضد الدول العربية في حال استمرارها استخدام سلاح النفط للضغط على الغرب ، خاصة وان تكهنات كانت قد انتشرت حول امكانية قيام الولايات المتحدة باحتلال حقول النفط اذا دعت الحاجة الى ذلك . فقد صرح وزير البترول السعودي زكي اليماني بأن بلاده مستعدة لتفجير النقاط الحساسة في حقول نفطها في حال تعرضها لاية أعمال عسكرية معادية كما انها على استعداد لخفض انتاجها بنسبة ٨٠ ٪ اذا عمدت الولايات المتحدة واوروبا واليابان الى اتخاذ أية تدابير انتقامية لمواجهة المقاطعة النفطية العربية . كذلك أعلن الرئيس الجزائري هواري بومدين في الاسبوع الاول من كانون الاول انه « اذا حاول الغرب التصرف بعجرفة او استخدام القوة فانه سيصاب بكارثة لان كل الابار ستحرق وكل انابيب النفط ستدمر وسيدفع الغرب الثمن » .

وعلى صعيد آخر تركت المقاطعة النفطية آثارا سلبية كبيرة على الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في امريكا وفي عدد من دول اوروبا الغربية واليابان. ففي الولايات المتحدة تلقت سوق الاسهم ضربة لم تعرف مثلها منذ عقد من الزمن وأصيبت الصناعات البتروكيميائية وصناعات السيارات بنكسات كبيرة ومباشرة كما أخذ قطع النفط العربي يترك آثاره المضرة على صناعات الحديد والصلب المعروفة بأنها تشكل العمود الفقري للاقتصاد الامريكي . وفي اواخر شهر تشرين الاول أعلن نيكسون تطبيق اجراءات تقشفية قاسية للحد من تفاقم أزمة الوقود في بلاده . وكانت أهم هذه الاجراءات : منع بيع الوقود للسيارات ابتداء من مساء كل يوم سبت حتى صباح الاثنين (أي اغلاق محطات بيع البانزين خلال العطلة الاسبوعية) ، خفض كميات الوقود المعدة للتدفئة في المنازل والمكاتب والمصانع عدم انارة لوحات الاعلان (وهذا امر مهم جدا في امريكا) وأنوار الزينة بما في ذلك زينة أعياد الميلاد ورأس السنة ، خفض الحد الاعلى لسرعات السيارات على الطرقات الرئيسية ، خفض كميات الوقود المخصصة للطائرات النفاثة العاملة على الخطوط الداخلية والخارجية بنسب محترمة . واعترف نيكسون صراحة ان قطع النفط العربي عن الولايات المتحدة سيؤدي الى احداث عجز مقداره ١٧،٣ ٪ من امدادات البلاد بالنفط خلال الاشهر الثلاثة الاولى من العام ١٩٧٤ . أما اليابان فقد أعلنت رسميا عن تحول اساسي في سياستها حيال الدول العربية والنزاع العربي الاسرائيلي وذلك تحت ضغط حاجتها الماسة الى النفط العربي. وتجسد هذا التحول في البيان الذي أصدرته الحكومة اليابانية حول الشرق الاوسط قالت فيه بأنها كانت وما زالت تأمل في ان يتحقق سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط عن طريق التنفيذ العاجل والكامل لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ كما انها تؤيد قرار الجمعية العمومية للامم المتحدة المتعلق بحقوق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره . وحددت الحكومة اليابانية المبادىء التالية باعتبارها الاسس الصحيحة لتحقيق السلام في المنطقة : ١) عدم جواز الاستيلاء على أية اراض واحتلالها بالقوة . ٢) انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضي المحتلة في حرب ١٩٦٧ . ٣) احترام سلامة اراضي كل الدول في المنطقة وامنها على أساس الضمانات اللازمة لهذا الغرض . ٤) الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني واحترامها بموجب ميثاق الامم المتحدة . واستنكر البيان استمرار اسرائيل في احتلال الاراضي العربية ودعاها الى الالتزام بالمبادىء المحددة اعلاه . وبعد صدور هذا البيان ببضعة ايام أعلن مصدر مسؤول في وزارة التجارة الدولية اليابانية ان بلاده لن تشارك أبدا في أية مقاطعة موجهة ضد العرب لان اليابان تعتمد على النفط العربي الى أقصى الحدود وليس بامكانها مخاصمة الدول العربية واستعدائها .

وعلى صعيد آخر أكد الاتحاد السوفياتي في أوائل كانون الاول عبر صحافته عن تصميمه العمل على انجاح مؤتمر السلام في جنيف والمشاركة بنشاط في جلساته . وترددت انباء صحفية في بيروت تفيد : أ) ان الاتحاد السوفياتي يحبذ اشتراك لبنان في مؤتمر السلام لانه من غير الممكن التوصل الى تسوية نهائية للنزاع بدون مشاركة جميع الدول العربية المجاورة لاسرائيل ، ب) انه يؤيد اقامة دولة فلسطينية ديمقراطية تتمتع بالسيادة وتكون هي ارض الشعب الفلسطيني ، ج) انه ينظر الى وحدة حركة المقاومة سياسيا وتنظيميا على انها قضية اساسية وحيوية في تحقيق أي تقدم بهذا الاتجاه ، د) وانه يعتبر اشتراك الفلسطينيين في مؤتمر السلام ضروريا وسيسعى لتأمين هذا الاشتراك . وعاد الزعيم السوفياتي

اليكسي كوسيغن الى تأكيد موقف بلاده من التسوية السلمية في المنطقة بقوله في منتصف شهر تشرين الثاني انه لا يمكن احلال السلام الحقيقي في الشرق الاوسط بدون الانسحاب الاسرائيلي الكامل من كافة الاراضي العربية المحتلة . وكان من الطبيعي ان يحاول الاتحاد السوفياتي الاتصال بالعراق بالنظر الى موقف الاخير المعارض للتسوية السلمية ومؤتمر السلام في جنيف . ففي اواخر تشرين الثاني قام وفد سوفياتي رفيع ،(برئاسة بوريس بوناماريف العضو المرشح للمكتب السياسي وأمين اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي) بزيارة بغداد حيث اجرى محادثات على أعلى المستويات تناولت القضايا المتعلقة بالوضع الراهن لازمة المنطقة ومستقبلها . وعلى أثر انتهاء الزيارة صدر بيان مشترك أشاد بتطوير العلاقات الناجح بين حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي السوفياتي ، بالسياسة التحررية المعادية للامبريالية التي تسير عليها العراق كما أشاد « بالاجراءات الحازمة التي اتخذتها الحكومة العراقية في تأميم ثروتها النفطية وتطوير صناعتها النفطية » . وحول النزاع العربي الاسرائيلي ذكر البيان « ان الجانبين كرسا اهتماما خاصا للاوضاع في المنطقة العربية وادانا بحزم العدوان الاسرائيلي في هذه المنطقة على الشعب العربي . وانه لا يمكن تحقيق السلام الدائم والعادل في المنطقة من دون تحرير كل الاراضي العربية المحتلة وضمان الحقوق المشروعة لشعب فلسطين العربي » . كذلك أشار البيان الى « ان حركة المقاومة الفلسطينية جزء لا يتجزأ من الحركة الوطنية التحررية العربية ولا بد من استمرار تقديم المساعدات والتأييد لها » . واذا صحت الانباء الصحفية القائلة بأن هدف الوفد السوفياتي هو تأمين بعض التضامن من جانب العراق مع بقية الدول العربية بالنسبة للتسوية السلمية ومؤتمر السلام في جنيف ، فلا بد من الاستنتاج ان الوفد لم يتمكن من تحقيق هدفه على ما يبدو حتى الان . وترددت أنباء صحفية في بيروت لم تتأكد بعد بأن اتصالات سرية تجري في الوقت الحاضر بين المملكة العربية السعودية والاتحاد السوفياتي لتحسين العلاقات بين البلدين والنظر بامكانية انشاء علاقات دبلوماسية بينهما .

ترددت أنباء صحفية حول قيام مساعي عربية للاتصال بالفاتيكان من أجل ضمان مستقبل القدس والاماكن المقدسة فيها . وأفادت الانباء ان الرئيس النميري والملك فيصل أجريا اتصالات مع هيلاسيلاسي ، امبراطور الحبشة ، من أجل دراسة امكانية قيام الامبراطور والرئيس السوداني بزيارة البابا من أجل معرفة رأيه بالموضوع وابلاغه رسميا رأي المسلمين والمسيحيين في العالم العربي والقارة الافريقية الذي يرفض ابقاء المدينة المقدسة تحت السيطرة العسكرية لطائفة من الطوائف والتمني عليه تأييد قرار يرمي الى اعادة المدينة الى كل الطوائف التي تؤمن بقدسيتها وتتطلع الى تحريرها من سيطرة الطائفة الواحدة بأسرع وقت ممكن . وقام الرئيس النميري بدور هام في هذه الاتصالات اذ انه زار أديس أبابا والرياض في محاولة لوضع خطة عمل مشتركة للاتصال بالفاتيكان من أجل بيان اسلامي — مسيحي يشدد على ضرورة اعادة القدس الى العرب وعدم تهويد المدينة . وكان البابا بولس السادس قد أعرب في منتصف تشرين الثاني عن قلقه حول مصير القدس والاماكن المقدسة وعبر عن أمله في ان تؤدي المفاوضات بين العرب واسرائيل الى حل « يأخذ بعين الاعتبار الحقوق المشروعة لكل الاطراف المعنية وتطلعاتها » . كذلك ترددت انباء تقول ان الملك فيصل ينوي ارسال وفد على مستوى عال الى الفاتيكان للبحث في مستقبل القدس والاماكن المقدسة فيها .

في الامم المتحدة تبنت اللجنة السياسية الخاصة التابعة للجمعية العمومية توصية تؤكد حق النازحين الفلسطينيين الذين تركوا ديارهم اثناء حرب حزيران ١٩٦٧ في العودة الى منازلهم وتدعو اسرائيل الى المساعدة في تنفيذ هذه المهمة . كذلك تبنت اللجنة توصيتين تؤكد أولاهما حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وتعرب عن قلق كبير لان اسرائيل حرمت الشعب الفلسطيني من التمتع بحقوقه الثابتة ومن استخدام حقه في تقرير مصيره كما تعلن ان حق الفلسطينيين في العودة الى منازلهم واستعادة ممتلكاتهم أمر ضروري لتحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين . أما التوصية الثانية فقد حثت الدول الاعضاء في المنظمة الدولية المساهمة بسخاء في نفقات وكالة غوث اللاجئين .

صادق جلال العظم

(٤) المناطق المحتلة

حرب اوكتوبر ومصير المناطق المحتلة : لقد فوجيء سكان المناطق المحتلة كغيرهم بنشوب حرب اوكتوبر ، وكانت المفاجأة مشفوعة بالفرحة لسببين ، لواقع اندلاع الحرب على أمل التحرير والخلاص ، وللانجازات العظيمة التي حققتها القوات العربية في الجنوب والشمال وخاصة في الايام الاولى من الحرب ، وقد اعترف الصحفيون الاسرائيليون بالفرحة الغامرة التي اعترت نفوس المواطنين العرب هناك ، فقد ذكر الصحفي « يئير كونلر » : « خلال الايام الاولى لحرب يوم الغفران كانت هناك حالة من الاغتباط تسود نابلس ومدن الضفة الاخرى ، كان السكان المحليون يتحدثون بأصوات عالية ، يرفعون أيديهم ، ويرسمون بأصابعهم اشارة النصر ، يتجمعون في الساحات والحوانيت والمساجد ، وينفوهون بملاحظات تجاه وسيطة نقل اسرائيلية ، لقد كانت المعنويات عالية (ملحق هآرتس ١٩٧٣/١١/١٢) .

وقد خلق تحت ظلال هذه الحرب نوع من الحرب النفسية المتبادلة بين الاهالي العرب وسلطات الحكم العسكري ، فقد أخذ الكثير من الاهالي يعرضون على عدد من اليهود الحماية في حال انتصار الجيوش العربية ، وفي المقابل أخذ الحكام العسكريون يجتمعون مع رؤساء البلديات ويتدارسون مشاريع بعيدة الامد ، مثل مشروع تزويد مدينة نابلس بالمياه وتنظيم طرق المواصلات بها في عام ٢٠٠٠ ، والموافقة على اقامة مدرسة في بيت جالة ، ومنح البلديات قروضا ...

باستثناء حالة الفرح والاغتباط أملا في الخلاص من الاحتلال ، لم تحدث هناك مقاومة عنيفة ، بسبب مجموعة من الظروف والمعطيات ليس هنا مجال تفصيلها ، والتي حالت دون تصاعد النضال الوطني ، مما دفع بعض الفئات المراهنة الى توجيه نقد ضد سكان المناطق المحتلة متجاهلة ان المقاومة الشعبية العنيفة ليست بنت ساعة ، بل هي وليدة نضال يتطور ويتصاعد خلال أعوام طويلة . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان بعض الانظمة العربية قد عمل قبل حرب اوكتوبر ولا يزال يعمل على منع نقل أية قطعة سلاح لسكان المناطق المحتلة . ان ذلك لا يعني ان سكان المناطق المحتلة اكتفوا بتعقب سير المعارك ، فقد قام بعض الاهلين كما ذكرت المصادر الاسرائيلية برش الطرقات بالمسامير ، كما وحدثت بعض العمليات العسكرية ضد أهداف اسرائيلية . وقاطع العمال العرب منذ اليوم الاول لنشوب الحرب المرافق الاقتصادية الاسرائيلية ، وبالرغم من ذلك ، فقد عمدت احدى الاذاعات العربية التي حالت سلطتها دون جيشها من خوض معركة الشرف مع الجيش المصري والسوري ، الى ترديد نداء كل نصف ساعة تقريبا طيلة ايام المعركة الى العمال العرب في المناطق المحتلة للتوقف عن العمل في المرافق الاقتصادية الاسرائيلية ، موحية افتراء وبهتانا بان العمال العرب لم يتوقفوا عن العمل في تلك المرافق . والسؤال الذي يطرح نفسه ما هو مصير المناطق المحتلة بعد الحرب ؟ ان مصير هذه المناطق يرتهن بنتيجة صراع الارادة لدى الاطراف ذات الصلة بالموضوع ولذا فاننا سنكتفي هنا بسرد موجز لمواقف تلك الاطراف .

١ — مصر وسوريا : تدعوان الى العودة الى خطوط الرابع من حزيران واعادة الحقوق الشرعية للشعب العربي الفلسطيني .

٢ — المقاومة الفلسطينية : تطالب بدحر الاحتلال مع رفض عودة سيطرة النظام الاردني على أية منطقة تحتلها اسرائيل ، وعدم التخلي عن الهدف الاستراتيجي المتمثل في تحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني .

٣ — اسرائيل : عدم الرجوع الى حدود الرابع من يونيو مع استعداد للتنازل عن مناطق واسعة. ورفض قيام دولة فلسطينية مستقلة في الضفة والقطاع كما جاء في برنامج حزب العمل .

٤ — النظام الاردني : يسعى النظام الاردني بكل الوسائل لاعادة سلطته على الضفة الغربية وقطاع غزة مع ابداء استعداد لتنازلات أقليمية طفيفة على الحدود شريطة ان تكون متبادلة !! ويعتبر الموقف الاردني نشازا بين المواقف العربية التي تصر على استعادة جميع المناطق المحتلة بدون تعديلات طفيفة او كبيرة على الحدود . فقد جاء في المذكرة السرية التي بعثها الاردن الى سفارات الدول الكبرى والتي كانت صحيفة النهار

البيروتية قد نشرتها بتاريخ ١٩٧٣/١٢/٥ ما يلي : « ان الضفة الغربية من الاردن منطقة اردنية فلسطينية احتلتها اسرائيل سنة ١٩٦٧ . ان مسؤولية وواجب وحق الاردن استعادة هذه المنطقة للفلسطينيين ، نظرا الى ان خط ما قبل ١٩٦٧ ، كان خط وقف اطلاق النار مع اسرائيل ، **والاردن مستعد ان ينظر في تعديل طفيف متبادل في الحدود** ... » أما فيما يتعلق بمصير الشعب الفلسطيني بعد الانسحاب الاسرائيلي فنقول المذكرة « ... عند رجوع الضفة الغربية للاردن في اتفاق نهائي ومفصل ، فنحن مستعدون تنفيذا لالتزاماتنا وتنفيذا لكلمتنا للقبول بأن نعطي الشعب في الضفة الغربية للمرة الثانية الحق في تقرير مستقبله . نقبل ذلك من أجل مصلحة اعطاء الشعب الفلسطيني تماما حقه في تقرير مصيره ، شرط ان يطبق هذا على المناطق المعادة وسكانها ، وشرط ان يحل بعد الانسحاب الاسرائيلي وجود دولي ، هذا الوجود الذي عليه خلال أقصر وقت ممكن ان يعمل بأمانة تامة ومن دون تدخل على تحقيق تقرير لمستقبل مصير فلسطيني على الاسس التالية : ١ — ان تشكل حكومة فلسطينية منفصلة في جميع تلك المناطق . ٢ — تتحد مع الاردن وفقا لمشروع المملكة العربية المتحدة . ٣ — ان تكون جزءا من المملكة الاردنية الهاشمية » .

٥ — سكان المناطق المحتلة : يمكن تصوير الموقف العام لسكان المناطق المحتلة كما صوّره أحد الصحفيين من أبناء تلك المناطق لصحيفة الانباء الاسرائيلية ، فقد ذكرت صحيفة « الانباء » على لسان ذلك الصحفي بعد ان اجرى عملية استقراء لهيئات اجتماعية مختلفة انها تطالب بـ « (١) تشكيل حكومة فلسطينية مؤقتة تمثل الشعب الفسطيني ، (٢) انسحاب اسرائيلي من الاراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ ، (٣) وضع منطقة الضفة الغربية وقطاع غزة تحت اشراف الامم المتحدة لمدة لا تتجاوز خمس سنوات ، (٤) اجراء استفتاء شعبي بعد مضي ثلاثة سنوات تحت اشراف الجامعة العربية من أجل تقرير مصير الشعب الفلسطيني وفيما يتعلق بقضية تمثيل الشعب الفلسطيني « فان الاردن لا يملك حق التحدث باسم الشعب الفلسطيني » وان « **اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني** . وبذا يبقى مصير المناطق العربية المحتلة رهنا بنتيجة صراع المواقف المختلفة ذات العلاقة بالموضوع .

تصاعد حركة النضال المسلح في المناطق المحتلة: أخذت موجة النضال المسلح تتعالى في المناطق المحتلة وسط الجهود الدولية والمحلية المتلاحقة والسريعة لايجاد تسوية للنزاع العربي الاسرائيلي، وقد ترتب عن ذلك في المقابل ان اخذت سلطات الاحتلال تشدد قمعها للمواطنين الابرياء .

اتسمت هذه الموجة النضالية بتوجيه ضربات لاهداف مختلفة ومتباعدة وتراوحت ما بين زرع الالغام والقاء القنابل او دسها والقيام بهجمات ضد أهداف عسكرية ومدنية . وسنشير هنا الى بعض العمليات كما اعترف بها العدو ، فعند منتصف شهر نوفمبر تم نسف مضخة مياه وعامود كهربائي بالقرب من مدينة ايلات ، وفي الرابع من شهر ديسمبر وقع انفجار في أحد شوارع القدس العربية كان يعج بالمستوطنين اليهود ، وأسفر الانفجار عن اصابة ٢١ شخصا بجراح من بينهم خمس مجندات . وفي اليوم التالي وقع انفجار آخر داخل سيارة اوتوبيس كانت متوجهة من تل ابيب الى نتانيا وأسفر عن اصابة ١٦ شخصا بجراح ، وفي الثامن من نفس الشهر توج المناضلون كفاحهم بمهاجمة الحاكم العسكري لمدينة نابلس العقيد اليعازار سيجف اثناء مرور سيارته في المدينة وأسفر الحادث عن اصابة الحاكم العسكري بجراح ، وفي نفس اليوم قام الفدائيون خلال الليل بمهاجمة دورية عسكرية كانت تتجول في الخليل.

حيال هذه الموجة صعدت سلطات الاحتلال من قمعها من خلال اتباعها اربعة وسائل : (١) التفتيش المشفوع بالاهانة على الجسور المفتوحة ، حيث أخذت سلطات الاحتلال تشدد من قبضة التفتيش هناك ، وترغم من يمر فوق تلك الجسور على خلع ثيابه ويقف عاريا ، الامر الذي اثار سخطا شعبيا في المناطق المحتلة مما دفع بعض رؤساء البلديات الى تقديم احتجاج ضد هذه الاجراءات القاسية . (٢) خلق جو ارهابي في مدن الضفة الغربية وخاصة في مدينة نابلس ، حيث قامت قوات الاحتلال هناك بأعمال استفزازية مشينة ضد السكان الامنين مثل ضرب المارة وتوقيفهم في الساحات العامة لمدة طويلة وزج المئات بالسجون تمهيدا للتحقيق معهم ، واستمر هذا الوضع طيلة اسبوع حتى ظهور بوادر تمرد

شعبي عام ضد هذه الاجراءات . وقد توجه رئيس بلدية نابلس الحاج معزوز المصري على رأس وفد الى الحاكم العسكري للمدينة وقدم له احتجاجا ضد هذه التصرفات وذكر له « ان الاعتداء على المواطنين لن يفيد أي شيء وانما من شأنه ان يزيد من اشتعال نار الحقد والكراهية » . وهدد بتقديم استقالة المجلس البلدي في حال استمرار الاستفزازات ، وعلى اثر ذلك وتلافيا لحدوث اضراب عام اضطر قائد الضفة الغربية رفائيل فاردي ان يصدر اوامره الى وحدات الجيش والامن العام بالكف عن التعرض للمواطنين في المدينة .

٣ — الابعاد : في العاشر من شهر ديسمبر أقدمت سلطات الاحتلال على ابعاد ثمانية اشخاص من مواطني الضفة الغربية الى الضفة الشرقية بتهمة « التحريض » والتعاون مع « منظمات المخربين » . وهؤلاء الثمانية هم عبد الجواد صالح رئيس بلدية البيرة ، عبد المحسن ابو ميزر من القدس وعضو المجلس الاسلامي الاعلى ، الدكتور وليد قمحاوي ، حسين محمود زعرور ، عربي موسى عواد ، شاكر ابو حجلة من نابلس ، وجريس عياد قواس من البيرة ، وجميل حسين عودة من رام الله . وقد حاول هؤلاء بعد ابعادهم العودة الى الضفة الغربية الا ان القوات الاسرائيلية المرابطة على الجسر حالت دون رغبتهم بعد اشتباك معهم بالايدي . وكنتيجة لهذه السياسة قامت سيدات القدس بتنظيم تظاهرة ضد هذه الاجراءات، الا ان قوات الاحتلال فرقت المتظاهرات واعتقلت ١١ سيدة .

٤ — غلق مؤسسات تعليمية : لقد اقدمت سلطات الاحتلال عند منتصف شهر ديسمبر على غلق كلية بير زيت في رام‌الله ، بحجة ان هذه الكلية قد تحولت في الاونة الاخيرة الى بؤرة وطنية حيث قام طلبتها بسلسلة من التظاهرات، واصدروا مناشير تندد بالاحتلال ، كما واصدروا صحيفة « غير شرعية » واعلنوا تعاطفهم مع ما تسميه سلطات الاحتلال « بمنظمات التخريب » .

اغتيال فريد طشطوش في المعتقل الاسرائيلي : ارتكبت سلطات الاحتلال عشية حرب اوكتوبر جريمة بشعة حين أقدمت على اغتيال المناضل الفلسطيني فريد طشطوش من مدينة نابلس ، بعد ان قضى اسبوعين في الاعتقال الانفرادي تحت وطأة التعذيب الوحشي حتى لفظ انفاسه الاخيرة بين يدي جلادي المعتقلات .

وكعادتها في حالات سابقة ، لم تعترف سلطات الاحتلال بهذه الجريمة بل ادعت ان فريد طشطوش قد « انتحر » . وتعيد ذريعة « الانتحار » الواهية التي تحتمي بها سلطات الاحتلال عند اقدامها على قتل انسان ، الى الاذهان ، ذريعة « الامن » التي تتسلح بها عند اقدامها على نهب الارض ومصادرتها . فقد رفض الدكتور نايف الطيبي (من نابلس) بعد معاينته للجثة ، باصرار ، ان يسجل في بند سبب الوفاة كلمة « انتحار » وكتب فقط بعد المعاينة كلمة « قتل » ، كما وكشف النقاب عن وجود كسر في ساق المتوفي وعلائم زرقاء تكسو جسده ، مما يشير الى انه عانى من تعذيب وحشي . كما ان طبيب وزارة الصحة الاسرائيلي ي. مئير الذي وقع على رخصة الدفن لم يذكر هو ايضا سبب الوفاة ، بل أبقى فراغا مقابل سبب الوفاة .

وقبل أن ننقل ردود الفعل الذي احدثها اغتيال طشطوش تجدر الاشارة هنا الى اوضاع المعتقلين العرب في السجون الاسرائيلية . لقد سبق وان تطرقنا في شهريات المناطق المحتلة الى نضالات المعتقلين المتمثلة في قوالب شتى مثل الاضراب عن الطعام او حلاقة الذقن او عن زيارة ذويهم ، او رفض القيام بأعمال من شأنها افادة الجهد العسكري الاسرائيلي مثل حياكة شبكات التمويه الخاصة بالدبابات . وقد كشفت تلك النضالات عن الاوضاع السيئة التي يعاني منها هؤلاء المعتقلون، الامر الذي جعل قضيتهم تشق طريقها خارج أسوار المعتقلات ، فقد اخذ بعض اليساريين من ذوي الضمائر الحية ، مثل المحامية فيليتسيا لنغر ، يخرون وجه الاحتلال من خلال مقالات ينشرونها في الصحف . ويمكن تلخيص اوضاع المعتقلين كما جاء في مقال للمحامية لنغر تحت عنوان « الظلم بين الاسوار » (زوهديرخ ٨/١٠/ ١٩٧٣) بالنقاط التالية :

١ — التعذيب : لقد غدا التعذيب ضد المعتقلين العرب — كما تقول المحامية لنغر — الذي نفذ وينفذ في السجون وفي اقسام خاصة خاضعة لسلطة رجال المخابرات ، شيئا عاديا .

٢ — اكتظاظ المعتقلات : لقد غدا الاكتظاظ

صفة ملازمة للمعتقلات التي يزج فيها المعتقلون العرب ، حيث « يزج في كثير من الاحيان بالغرفة ضعف امكانية استيعابها » .

٣ — النوم على الارض : بالاضافة الى حالة الاكتظاظ هذه ، فان المعتقلين العرب لا يحظون بسرير او حتى بوسادة يضعونها تحت رؤوسهم ذلك ان « المعتقلين ينامون على البلاط ، على حصيرة واهية ، في الوقت الذي يستخدمون فيه الاحذية كوسادة ، جسد بقرب جسد ، وفي بعض الاحيان يجد المرء صعوبة في مد رجليه ، كما ان هنالك صعوبة في استنشاق الهواء اثناء حرارة الصيف ... ان الباطون البارد يسبب مرض الروماتزم كما وان الطعام البسيط والغير كاف يسبب امراض المعدة والامعاء ... » .

٤ — الافتقار الى العلاج الطبي : بالرغم من هذه الظروف القاسية التي تنجم عنها حالات صحية سيئة سواء من الناحية النفسانية او البدنية ، فان سلطات الاحتلال التي تتباهى عادة بالنسبة المرتفعة من الاطباء في مجتمع المهاجرين والمستوطنين تهمل الناحية الصحية للمعتقلين اهمالا تاما فـ « المعالجة الطبية ليست مرضية بالبتة ، ففي بعض الاحيان ينبغي التوسل من أجل اجراء فحص طبي شامل ، وعندما تجري عملية الفحص ، فان العلاج الذي يعطى بشكل عام يتمثل في قرص ابيض ، قرص اسبرين » .

٥ — عنصرية السجان : وفوق ذلك يواجه المعتقل العربي روحا عنصرية من قبل المسؤولين عن السجن ، فقد ذكرت المحامية لنغر انها توجهت باسم موكلها المعتقل الى احد المسؤولين عن السجن من أجل اصدار عفو عنه بعد ان قضى مدة طويلة في السجن مقابل تهمة بسيطة « أجابني الرجل : انني متأكد من انهم لن يعفو عنه ، **انني اريد أن اراه يموت رويدا رويدا ، وتخرج روحه عن طريق انفه** » .

٦ — عنصرية السجناء اليهود : لا تقتصر الروح العنصرية على السجان الاسرائيلي المسؤول بل تشمل ايضا اليهودي ، وفي كثير من الاحيان تسير الروح العنصرية السجان والسجين معا ضد المعتقلين العرب لارتكاب حوادث مشينة ، كما حدث في سجن شطة حيث « قام السجناء اليهود في سجن شطة بمذبحة ضد المعتقلين السياسيين العرب ، وكانت هذه المذبحة على درجة كبيرة من التخطيط، بحيث يمكن القول انه من غير الممكن ان تكون الادارة على غير علم مسبق بذلك » ... او كما حدث للمعتقلين العرب الدروز في هضبة الجولان في سجن « كفاريونا » حين كان يباغتهم السجناء اليهود بالضرب .

٧ — النظرة السيئة تجاه المعتقل السياسي : تتسم النظرة الاسرائيلية تجاه المعتقل السياسي وخاصة تجاه المعتقل العربي بالحقد والضغينة ، ولذا فان مفهوم اصطلاح السجين السياسي غير وارد هناك ، او كما تقول المحامية لنغر بحق « ان مفهوم السجين السياسي غير قائم عندنا ، ومن هذه الناحية نجد انفسنا ادنى ، للاسف ، حتى من البلدان الفاشستية » .

تحت وطأة هذه الظروف اغتيل او كما يحلو لسلطات الاحتلال « انتحر » فريد طشطوش . ومن المعروف ان هذا الشاب ينتمي الى اسرة فقيرة مسحوقة ، لم يمكنه عوزها من استكمال دراسة الطب في ايطاليا ، فعاد الى وطنه ليناضل ضد عدوين : الفقر والاحتلال ، واغتيل على يد العدو الثاني . وقد أحدث ذلك ردود فعل قوية في المناطق المحتلة وخاصة في مدينة نابلس ، حين شهدت قاعة بلدية المدينة عند مطلع شهر اوكتوبر الماضي مظاهرة نسائية ضخمة للتعبير عن الاستياء العام الذي عم الاوساط الشعبية نتيجة هذا العمل ، حيث اعتصمت أكثر من ٣٠٠ سيدة وآنسة ، وقامت المعتصمات بارسال مذكرة الى السلطات الاسرائيلية والصليب الاحمر جاء فيها : « نحن المعتصمات في قاعة بلدية نابلس والممثلات لامهات وزوجات المعتقلين والشعب في الضفة الغربية وقطاع غزة ، لاعلان استنكارنا واحتجاجنا الشديدين للحوادث الدامية المتكررة التي يتعرض لها ابناؤنا للموت في السجون الاسرائيلية بطرق مفجعة ، كاستشهاد السجين الطشطوش ومن قبله أنور الشخشير ومؤيد الحبش ، والاجراءات العقابية الاخرى التي تنفذ فيهم من اذلال وتعذيب، نطالب بتأليف لجنة محايدة ولجنة من الصليب الاحمر للبحث فورا في هذه الامور الخطرة خاصة واوضاع السجن عامة ، ولتسهيل الزيارة لذوي المعتقلين في سجون بئر السبع ، ولايقاف كل هذه المخططات الرهيبة الرامية للارهاب والقضاء على كل حق الانسان بأن يعيش في ارضه ووطنه عزيزا حرا ».

عبد الحفيظ محارب

(٥) اسرائيليات

[١]
دايان ... واللاءات السبع !

حطمت حرب تشرين (اكتوبر) للاسرائيليين خطوطا كثيرة وقواعد عديدة ، ليس اخطرها خط بارليف ، ولا اهمها القواعد العسكرية فوق الارض وتحت سطحها .

وفي محاولة لفهم حقيقة هذه الحرب وابعادها داخل المجتمع الاسرائيلي ، كما تنعكس عبر صحفه واذاعته ومواقف مسؤوليه وسياساتهم ، لا بد من تقديم عرض موجز للنقاط الاساسية التي كانت تشكل مرتكزات الوضع الاسرائيلي ، ثم دراسة مدى صمود هذه المرتكزات امام الواقع الذي تطور الى أن اوصل الى نشوب الحرب ، التي شكلت محطا حقيقيا كشف الحقائق وفصل الحقيقة عن الاوهام ، ليس امام اعين العالم واعيننا فحسب ، بل امام اعين الاسرائيليين انفسهم قبل غيرهم .

١ ــ اولى هذه النقاط كانت تتمثل في التأكيد على قدرة اسرائيل المطلقة ، ليس فقط على تحقيق النصر في أية مواجهة عربية اسرائيلية ، بل على تحقيق النصر الساحق الماحق والسريع كالبرق على جميع الجيوش العربية ، وعلى جيش مصر بشكل خاص .

٢ ــ وثانية هذه النقاط ، كانت تركز على تهديد الدول العربية ، ومصر بشكل خاص ايضا ، بأن أية محاولة من جانبها للبدء بحرب محدودة ، او أي نوع كان من حروب الاستنزاف ، ستقابلها اسرائيل بشدة ، وستحولها الى حرب شاملة .

٣ ــ وثالثة هذه النقاط ، كانت تقول بأن اية حرب جديدة تنشب ، ستكون ــ بفضل بعد خطوط المواجهة عن قلب اسرائيل ومناطقها الاهلة ، وبفضل التفوق المطلق للطيران الاسرائيلي ــ مجرد معارك سريعة يحسمها الطيران بفعالية كبيرة ، وهي ــ اي الحرب ــ لن تستدعي بالتالي دعوة الاحتياط ، او جميعه على الاقل ، وتعطيل سير الحياة الطبيعي في اسرائيل ، ذلك لان الذي يشارك في الحرب الى جانب الطيران ، اعداد محدودة من الدبابات وسيارات الجيب التي ستضم الى المناطق المحتلة مساحات جديدة تبلغ ما يمكن للدبابات والسيارات من وصوله عند اعلان وقف اطلاق النار من جديد .

٤ ــ ورابعة هذه النقاط ، هي تلك التي كانت تراهن ، على انه عاجلا ام آجلا ، ستتغير نظم الحكم في كل من مصر وسوريا ، ويصل الى السلطة « حكام واقعيون » ، يفهمون « الامر الواقع » ويستخلصون منه العبر ، وتكون حرب الايام الستة في حزيران ١٩٦٧ ، هي الحرب الاخيرة .

وفي الساعة الثانية من بعد ظهر السادس من اكتوبر ، بدأت هذه المرتكزات تتحطم الواحدة منها تلو الاخرى . اذ ان اسرائيل عجزت عن تحقيق النصر الساحق الماحق الذي كانت تتحدث عنه ، بل انها عجزت عن تحقيق النصر من اي نوع او اي لون كان ، وتلقت بدل ذلك هزيمة ذريعة وخسائر فادحة ، لم تتمكن عملية الخرق في القطاع الاوسط من جبهة القناة من اخفائها عن اعين الاسرائيليين .

كذلك فان مصر وسوريا سبقتا اسرائيل في جعل المواجهة حربا شاملة ، وجعلتا الحرب تمتد اكثر من سبعة عشر يوما ، لم يكن فيها للطيران الاسرائيلي لا التفوق ولا الحسم .

وقبل أن تتحطم هذه الركائز الاربع ، كانت ــ منذ حرب حزيران ١٩٦٧ ــ تشكل قاعدة قامت عليها سياسة اسرائيل ، وعبرت عنها الصحف الاسرائيلية ، ورمزت اليها بعض الشعارات و« الاقوال المأثورة ! » ، التي كان اولها قول دايان انه يجلس في مكتبه منتظرا رنين الهاتف الذي يتحدث من طرفه الاخر هذا الحاكم العربي او ذاك .

ولحق بهذا القول اقوال عديدة ، من ابرزها قول غولدا مئير أنها تفضل ان يغضب العالم على اسرائيل على أن يبكي عليها ، وقول دايان

« شرم الشيخ بدون صلح خير من صلح بدون شرم الشيخ » وشعارات زعماء حيروت حول « ارض اسرائيل الكاملة » ورافق هذه الشعارات انتشار اساطير كاذبة عن القدرات الخارقة للجيش الاسرائيلي في مقابل العجز المطلق على الجانب العربي .

ولقد خلقت هذه الامور مجتمعة جوا عاما في اسرائيل يعارض الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة ، وزادت من قوة وتاثير اليمين المتطرف في اسرائيل وسارت بالمجتمع الاسرائيلي نحو اليمينية والشوفينية والتطرف، التي يمكن ملاحظتها بوضوح — على سبيل المثال — عبر اشارتين :

١ — قبول الرأي العام الاسرائيلي — بشكل عام — لانسحاب كتلة غاحال اليمينية المتطرفة من حكومة « التكتل الوطني » احتجاجا على اتخاذ الاغلبية في الحكومة في شهر آب (اغسطس) ١٩٧٠ قرارا بقبول مشروع روجرز الذي انهى حرب الاستنزاف .

٢ — تحرك حزب العمل الحاكم نحو اليمينية ، كما ظهر ذلك جليا في ازدياد وزن دايان وكتلته داخله ، وعبر ما يعرف في اسرائيل بـ « الاتفاق غير المكتوب » الذي يتضمن مبدأ « الضم الزاحف ببطء » ، وكذلك عبر « وثيقة غالبلي » التي اتخذتها سكرتارية الحزب عشية حرب اكتوبر . (انظر حول هاتين النقطتين في مكان اخر من هذا العدد) .

وهذه السياسة الاسرائيلية المستهترة بالعرب وقدراتهم وحقوقهم ، قادت الى استهتار اسرائيل بالرأي العام العالمي وبالعديد من دول العالم والامم المتحدة وقراراتها ، وادت الى وضع أصبحت فيه اسرائيل معزولة ، او شبه معزولة ، وأصبح « لاسرائيل صديق وحيد هو الولايات المتحدة الاميركية ، وحليف وحيد هو الشعب اليهودي في الشتات » كما قال ذلك الجنرال اسحق رابين ، سفير اسرائيل السابق في واشنطن ، في مقابلة نشرتها جريدة على همشمار يوم ٧٣/١١/١٦ .

ومنذ أن بدأت تتضح للاسرائيليين نتائج الحرب ، عم اسرائيل جو كثيف من الجدل على جميع الاصعدة من عسكرية وسياسية . ولئن كانت اولى علامات عنف الجدل وخطورة الاتهامات قد بدأت بالظهور في الاسبوع الاول بعد وقف اطلاق النار ، لدى استقالة الوزير شابيرا احتجاجا على عدم استقالة دايان او اقالته ، فان شهر تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي ، كان « شهر الجدل وتبادل الاتهامات » التي لم يسلم منها احد على الاطلاق في اسرائيل ، حيث بلغت حدة وشمول الاتهامات بين الزعامة السياسية في الائتلاف والمعارضة ، وقيادة الجيش الميدانية وقيادته على صعيد التخطيط والاعداد والاستخبارات حد اتهام المجتمع الاسرائيلي وكل فرد في اسرائيل ، في عملية تعذيب للنفس ورفض لكل ما كان قائما قبل الحرب ، وفي ما أسماه ناثان دونفيتش في هآرتس يوم ١٩٧٣/١١/٢٨ « هجمة المازوشية » .

فكيف بدأ الجدل ؟ وكيف تطور ؟ والى اين وصل حتى الان ؟

حاولت غولدا مئير ، بداية ، امتصاص نقمة الاسرائيليين باعتمادها خطين ، اولهما التأكيد على ان جميع التطورات التي سبقت الحرب والتطورات اثناء سير المعارك هي قيد الدرس لاستخلاص العبر ، وثانيهما التأكيد على ان مسؤولية الوزراء هي مسؤولية جماعية ومردود تصرف أي وزير يعود على الحكومة مجتمعة .

لكن ، ومع رفض العديد من الاسرائيليين لهذا الاتجاه (معاريف ٧٣/١١/٢) بدأت محاولة ايقاف الجدل ومحاربة موجة الاشاعات العارمة حول « التخاذلات والتقصير » وتصرفات العديد من المسؤولين . وقاد هذه الحملة بعض من قادة حزب العمل الحاكم ، وكان ابرزهم أهرون يدلين سكرتير حزب العمل الذي قال في ندوة اذاعية شاركه فيها الدكتور اليميلخ ريملط رئيس ادارة حزب الاحرار (الذي يشكل مع حركة حيروت كتلة غاحال ، ومع غيرها من الاحزاب اليمينية ما يعرف باسم « التكتل ») انه يجب ايقاف الجدل والنقاش حول تهم التقصير والاخفاق عشية حرب ٦ اكتوبر « ذلك لانه اذا كان الكلام من فضة ، فان السكوت من ذهب » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/١١/٢) ، ورد ريملط على ذلك معارضا ومؤكدا انه « اذا كان هذا الموضوع يقع على عاتق ومسؤولية القيادة السياسية ، فسوف يكون موضوعا منطقيا للحملة الانتخابية » .

ولم يكن اليمين المتطرف وحده هو صاحب الذراع الطويلة في طرح هذا الموضوع للجدل وادارة النقاش حوله ، بل ان الاحزاب الاقل يمينية ، او

« اليسارية » بالمعايير الاسرائيلية (أمثال افنيري وغيره) كانوا أكثر تشددا وأكثر عنفا في حربهم ضد القيادة السياسية ، التي تشمل دايان وغيره من الجنرالات الاعضاء في الحزب الحاكم ، وأصدر أوري أفنيري أكثر من عدد من مجلته « هعولام هزي » بغلاف يطالب باستقالة دايان ومئير ، واقالتهما ، مثل غلاف يوم ٧٣/١١/٢٨ ، الذي أظهر صورة غولدا مئير تحت كلمة « أبعادها ! »، وغلاف يوم ٧٣/١١/١٤ ، الذي أظهر صورة تجمع دايان والعازار وسؤالا يقول : « هل يحققا مع أنفسهما ؟ » اضافة الى مواضيع عديدة اخرى تحمل دايان ومئير وغاليلي بشكل خاص مسؤولية الفشل ومسؤولية الهزيمة التي لحقت باسرائيل في حرب تشرين ، وضرورة استخلاص هؤلاء للنتائج وتقديم استقالاتهم .

هكذا تصاعد الجدل ، من حديث هامس في الغرف المغلقة ، الى ان وصل الى اعمدة الصحف ، ثم الى الكنيست في جلسات عديدة ، الى ان عم اسرائيل بكل ما فيها من مؤسسات وبلغ ابعادا لم يصلها جدل حول اي موضوع آخر من قبل ، واشتدت حملة المطالبة بتشكيل لجنة تحقيق ، تحقق في كل تقصير ، وتضع استنتاجات على ضوء ما يصل اليه تحقيقها . وقد عبر عن هذه المطالبة في افتتاحيات عديدة للصحف الاسرائيلية وفي مقالات كثيرة في صفحات الرأي والتعليقات (معاريف ١٢/ ٧٣/١١ ، هآرتس ٧٣/١١/٦ ، يديعوت احرونوت ٧٣/١١/١٢ وغيرها) .

وفي يوم ٧٣/١١/١٨ ، اقترحت غولدا مئير على الحكومة تعيين لجنة تحقيق قضائية (معاريف ١٨/ ٧٣/١١) بعد أن كانت ترغب من قبل في تشكيل لجنة تحقيق شعبية . ثم تشكلت هذه اللجنة من خمسة اعضاء هم : رئيس محكمة العدل العليا اغرانات وقاضي محكمة العدل العليا لنداو ، ورئيسين سابقين لهيئة اركان جيش الاحتلال هما حاييم لسكوف ، والبروفيسور يغآل يدين ، ومراقب حسابات الدولة نيفتسائيل .

الا ان تشكيل لجنة التحقيق قوبل بالرفض لدى بعض المعلقين الاسرائيليين مثل يرمياهو يوفيل (دكتور في الجامعة العبرية في القدس) الذي كتب في هآرتس ٧٣/١١/٢٨ مقالا بعنوان « الخطوط التي سقطت » وانتقد فيه تشكيل لجنة تحقيق ووجه الاتهام للسلطة السياسية وحملها مسؤولية التخاذل ، وقال « ان لجنة التحقيق التي شكلت بمبادرة من الحكومة ، قد تقوم بمهمة تضليلية . يجب ان نأمل ان يقوم أعضاء اللجنة بتنفيذ مهمتهم باخلاص ، وأن يتوصلوا الى نتائج صادقة ... لكن ، ان مجرد تشكيل هذه اللجنة يسبب اخفاء الجوهر . وليس فقط لان الحكومة ترغب عن طريق تعيين اللجنة اسكات كل مناقشة جماهيرية (باعتماد أسلوب المناورة بالسرية وفرض السرية على ما يدور من بحث) ، بل لان تشكيل اللجنة يخلق الانطباع وكأن التقصير الذي نحن بصدده ، هو مسألة تقنية بحتة ، خلل او اكثر اصاب الهيكل بالصدفة ، ويمكن اصلاحه بسهولة نسبية ، كما نغير دولابا أصيب بعطب او كما نخلع ضرسا مصابا .

« والواقع ان التقصير اعمق وأكثر جذورا . تبلغ جذوره بنية المجتمع كله ، ... وتمتص مصادره من القيادة مباشرة . واذا كان الجمهور مذنبا ، فان ذنبه فقط هو انه خدع بقادته ، الذين وضع بهم ثقته ، وقبل على مدى سنين ان يعطل عقله ونقده امامهم ، ووافق على الاشتراك معهم في غضبهم وسخريتهم من كل من حاول ان يطالبهم بتقديم تقرير ارادي عقلاني عن تصرفاتهم ، سواء كان ذلك عضو كنيست مراقب من المعارضة ، او كان مفكرا غير ملتزم ومتحرر بموجب مواهبه او محيطه من التأثير السام للتنظيرات الرسمية » .

وأكد في مقاله ان الذي سقط ليس خط بارليف وحده بل خط السياسة الحكومية التي قصرت على مدى السنوات الست بعد حرب حزيران في تقديم اي مشروع سلام والتقدم نحو التسوية نظرا لتصورات اثبتت حرب اكتوبر بطلانها وزيفها .

وعلى صعيد تبادل العسكريين الاسرائيليين للاتهامات بالتقصير والتخاذل والوقوع في الاخطاء برز دافيد العازار واريك شارون ، حيث اتهم العازار الاستخبارات العسكرية في مقابلة تلفزيونية (٧٣/١٠/٢٨) عندما قال ان فترة الانذار التي أعطيت للجيش الاسرائيلي كانت قصيرة للغاية وغير كافية . ولما كان توجيه الانذار وابلاغ الجيش بالتحركات على الطرف الثاني من الجبهة هو من مهام الاستخبارات العسكرية ، فقد فهم من ذلك ان العازار يحاول التفصل من المسؤولية بتوجيه اصبع الاتهام نحو الاستخبارات . وقد رد كثير من المعلقين والصحافيين الاسرائيليين على العازار ،

كذلك نفى هذه التهمة عدد من مسؤولي الاستخبارات الاسرائيلية سابقا (مثل يهوشفاط هركابي ، ومئير عميت (معاريف ٧٣/١١/٩)) ، وقال شبتاي طيفت في هآرتس ٧٣/١١/٢ ، تحت عنوان « افتقار للانذار ام ثقة بالذات ؟ » ان ما حدث في الواقع هو « ان رئيس هيئة الاركان العامة ، ووزير الدفاع اعتقدا بان التشكيل النظامي وحده باستطاعته ان يصد بنجاح هجوما عربيا ، او على الاقل ان يوقفه جيدا ويكون بذلك قد منح فترة كافية لتجنيد الاحتياط..».

اما العميد (احتياط) اريك شارون ، فقد وجه اتهاماته للقيادة العليا للجيش الاسرائيلي في مقابلات نشرتها الصحف الاجنبية (واشنطن بوست ، ولوس انجلوس تايمز يوم ١٩٧٣/١١/١١ وجريدة نيويورك تايمز يوم ٧٣/١١/١٠) وانتقد في هذه المقابلات الاسلوب التي اديرت به الحرب ، وادعى انه من الصور التي أخذت من الجو تمكن يوم ٧٣/١٠/٥ (أي قبل الحرب بيوم واحد) من معرفة ان الحرب ستنشب خلال يوم او يومين ، كما اتهم القيادة العسكرية بأنها لم تقدم له الدعم الكافي في عملية العبور التي قادها في القطاع الاوسط من قناة السويس . وقد قوبلت تصريحات شارون هذه بنقد شديد في الصحافة الاسرائيلية، ولابه رئيس الاركان عليها وطالب العديد من المعلقين الاسرائيليين بمنع الضباط في الجيش من الادلاء بتصريحات للصحف ووسائل الاعلام الاخرى .

على ان هذه الحملة التي تعرض لها شارون لم تقض عليه نظرا لاحتمائه بالهالة التى منحته اياها الصحف الاسرائيلية كقائد لعملية الخرق التى مكنت تلك الصحف من البدء بمحاولة تقليص حجم الانتصار المصري على طول جبهة قناة السويس ، ووضع عملية الخرق على قدم المساواة مع عمليات جيش مصر .

وخلال شهر نوفمبر الماضي ، حاول « التكتل » اليميني ، الذي يضم غاحال وغيره من الاحزاب اليمينية المتطرفة ، والذي كان شارون ابرز مؤسسيه ومرشحيه للانتخابات المقبلة (انظر حول موضوع الانتخابات في مكان آخر من هذا العدد) ، حاول أن يجير « انتصار » شارون لصالحه ، وطلب شارون سن قانون جديد يمكنه من الاستمرار في العمل ضمن صفوف الجيش ، والحفاظ على منصبه كأحد مرشحي التكتل في الوقت ذاته ، الا ان الكنيست رفضت اقرار مشروع قانون بهذا المعنى، وقال عدد من كبار المسؤولين في حزب العمل « انه لا يجوز اقرار أي قانون تحت تهديد ضابط في الجيش » (معاريف ٧٣/١١/٢٣) .

على الصعيد السياسي ، شهدت اسرائيل في شهر نوفمبر الماضي تحركا كثيفا بفعل حرب اكتوبر ، التي اثرت على كل المواقف الاسرائيلية ، وأدت الى تغيير موعد الانتخابات للكنيست واخضاع برامج الاحزاب للدراسة والمناقشة من جديد . كما أدت الى تشجيع العديد من الاحزاب والتكتلات والافراد على طرح مشاريع سلام جديدة على ضوء حرب اكتوبر، وما أدت اليه من تحريك لازمة الشرق الاوسط وتحرك اميركا وغيرها من الدول نحو الاسراع بايجاد حل والتوصل الى تسوية لها .

ومع زيارة كيسنجر الاولى الى عدد من دول الشرق الاوسط ، وبدء مباحثات الخيمة عند الكيلومتر ١٠١ على طريق القاهرة ـ السويس ، وتحديد يوم ٧٣/٢/١٨ لبدء عقد جلسات « مؤتمر السلام » في جنيف ازدادت وتيرة المشاريع التي تنشرها صحف اسرائيل لمعلقيها ولاحزاب اخرى على شكل اعلانات ودعايات انتخابية .

نبدأ بالحكومة ووزرائها . ان ابرز ما في اقوال غولدا مئير خلال الشهر الماضي ، هو استمرارها في التعنت ، خاصة بعد اجتماعها الى نيكسون في واشنطن في نهاية شهر اكتوبر ، حيث عادت بعدها الى مواقفها قبل الحرب ، « واستنكرت فكرة اقامة دولة فلسطينية غربي نهر الاردن » واضافت قولها « انه اذا أراد الاردنيون اقامة دولة فلسطينية على حدودهم الشرقية فانها لا تعارض هذا ويمكنهم تسميتها فلسطين الاردن او الاردن فلسطين ، لكن لا يمكن ايجاد دولة اخرى على حدود اسرائيل » ، (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/١١/٢) .

اما موشي دايان فقد ادخل على القاموس السياسي للازمة تعبيرا جديدا هو «اللاءات السبع»، وهي اللاءات التي أوردها على انها معالم سياسته في نادي الحقوقيين ، وأوردتها هآرتس يوم ٢٨/ ١٩٧٣/١١ على النحو التالي :

- لا انسحاب من شرم الشيخ .
- لا انسحاب من نهر الاردن .
- لا انسحاب من الجولان .
- لا انسحاب من جبال نابلس .
- لا تنازل عن برنامج العمل في المناطق (اقامة

مدينة يميت) .

— لا ضمانات بدل حدود آمنة .

— لا انسحاب بدون سلام .

ورغم ما في هذا الكلام (فولدا مئير وموشي دايان) من تعنت وتصلب ، فان قوة « الحمائم » داخل حزب العمل قد ازدادت بعد حرب اكتوبر ، وكبر حجم المؤيدين للخط المعتدل داخل الحزب ، والذي يقف على رأسه بنحاس سابير وزير المالية ، كما ازداد حجم كتلة اريبه الياف (السكرتير الاسبق للحزب ، وأحد أبرز منظري الحـزب ومعارضي قيادته والداعي الى تقديم مشروع تسوية يتضمن اقامة دولة فلسطينية) .

وقد نشر الياف مقالا في معاريف (٧٣/١١/٩) تحت عنوان « فتحت لنا بوابة » قال فيه « بهامة منتصبة ، وبفخر ودون التحرك شبرا واحدا حتى الان ، علينا أن نقول للشعب المصري الكبير اننا سنعيد له سيادته على سيناء في مراحل وبعد مفاوضات وحل جزئي وبعد التجريد التام لشبه جزيرة سيناء من الاسلحة ، وتحت مراقبة مصرية — اسرائيلية مشتركة ، وبوجودنا في المضائق . هذه المراقبة تخرج من قلوبنا تدريجيا الشكوك الرهيبة التي ازدادت بعد حرب يوم الغفران .

« علينا التوجه للعرب الفلسطينيين وللاردن حيث تكمن جذور النزاع ونقول لهم باننا سنتقاسم معهم تركة آبائنا وآبائهم ، أرض اسرائيل الكبرى من البحر الى الصحراء على ضفتي الاردن .

« علينا ان نكون مستعديـن لمفاوضة ممثلين معتمدين منهم لخلق أساس لدولة ، وربما دول لهم تضم شرق الاردن ومعظم مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة، في حين تكون الضفة والقطاع منزوعتي السلاح ، وتحت مراقبة مشتركة .

« علينا ان نجد سوية حلا خاصا مـن نوعه للقدس ، بابقاء المدينة موحدة وعاصمة لاسرائيل ، وتؤمن لهم في الوقت نفسه ممرا ذا سيادة لاماكنهم المقدسة ، او حلولا اخرى غير عادية .

« علينا أن نقترح ونساعد في ايجاد حلول على نطاق واسع وشامل لتوطين اللاجئين العرب فـي المناطق التي تعاد وفي الاردن .

« علينا ان نتوجه للسوريين ونقترح عليهم تقسيم الجولان وتوطين لاجئيه وبعد مفاوضات بمراحل ، تجريد ومراقبة متبادلة للمناطق التي تعاد » .

وبرغم ان جميع هذه البنود التي يقترحها الياف، مرفوضة عربيا وفلسطينيا ، الا ان بروزها من وسط حزب العمل الحاكم ، وان يكن من قبل كتلة الاقلية فيه ، مسألة تستأهل الاهتمام والملاحظة ، خاصة في هذه المرحلة التي تحرض فيها جماعات ضغط كثيرة في اسرائيل (هعولام هزي ٧٣/١١/٢٨) ، المعتدلين في حزب العمل للتصدي للتيار الذي يقوده ثلاثي مئير — دايان — غاليلي .

ولقد بدأت المواجهات داخل حزب العمل في شهر نوفمبر الماضي تأخذ شكلا مكشوفا اكثر من الماضي ، تظهره التعابير التي تحمل أكثر من تفسير في بيان المبادىء الاربعة عشر » الذي أقره مركز الحزب ، والتفسيرات المتناقضة التي يعطيها لهذا البيان كلا التيارين (انظر حول هذا الموضوع في مقال عن الانتخابات البرلمانية في مكان آخر في هذا العدد) .

وكذلك فانه رغم حاجة الحزب الشديدة — نظرا لاقتراب موعد الانتخابات — الى التظاهر وكـأن الاتفاق داخل صفوفه تام ، فان الصراعات داخله بدأت تبرز امام أعين الاسرائيليين ، وعلى صفحات الصحف ، وكان آخرها في شهر نوفمبر طلب أهرون يدلين من دافيد شوحام رئيس تحرير مجلة الحزب « أوت » بالاستقالة لانه فقد ثقته ، ورفض شوحام مؤكدا ان الثقة به مصدرهـا مكتب الحـزب لا سكرتيره ، وانه « سيكون من المؤسف جدا اذا ما اتضح ان الرجل الوحيد القادرة قيادة حزب العمل على اقالته نتيجة للتقصيرات ، هو محرر مجلـة أوت » (هآرتس ٧٣/١١/٢٨) . وكان تصريح يدلين ورد شوحام قد جاءا بعد توقيع شوحام على بيان وزع على الصحف يوم ٧٣/١١/٢٧ ، وفيه مطالبة بمبادرة سلام اسرائيلية فورية ، وادعى يدلين ان شوحام وقع على البيان مع رجال متسبين وسياح ، ورد شوحام انه رأى بين الموقعين أعضاء من أحزاب العمل والاحرار المستقلين والمفدال ، واضاف شوحام « ان من الغريب أن يكون سكرتير حزب العمل ما زال يعتقد بأن هناك امكانية تحميل المسؤولية عن كل ما يحدث في الدولة على مجموعة من ٢٠ شخصا من حركات متطرفـة ، ويتجاهل بعناد قرارات حلقة « اتغار » وحلقـات عريضة اخرى داخل الحزب » (المصدر السابق) .

وأعد أعضاء « الحلقة الفكرية لتوضيح قضايا المجتمع والدولة في حزب العمل » مظاهرة لدى

اجتماع مركز الحزب يوم ٧٣/١١/٢٨ ، مطالبين فتح قائمة مرشحي الحزب للانتخابات من جديد ، واجراء تعديلات عليها ، ومطالبين بوضع مشروع سلام وتقديم مبادرات سلام ، واختيار قيادة شابة. وعقد ممثلون عن هؤلاء مؤتمرا صحافيا في « بيت سوكولوف » في تل ابيب ، وقال الدكتور يوحنان بيرس من جامعة تل ابيب « ان جمهورا واسعا في الحزب ، يؤيد حاليا المبادىء ووجهات النظر الاساسية للحلقة ولمعظم الكنيست اربيه اليعاز ، كما عبر عنها في كتابه « أرض الغزال » (المصدر السابق) .

وتقابل هذه الخلافات داخل حزب العمل ، على صعيد الائتلاف الحكومي ، خلافات بين اطراف الائتلاف ، تجد لها أصداء عبر صحف اسرائيل ، وكان أبرزها حتى الان صوت وزير السياحة موشي كول من حزب الاحرار المستقلين الذي انتقد سياسة الحكومة الاسرائيلية وخط دايان بشكل خاص في مقال نشره في جريدة دافار شبه الرسمية ، قال فيه «لقد طالب حزب الاحرار المستقلين وممثلوه في الحكومة والكنيست ، بتشجيع اقامة تمثيل لعرب الضفة الغربية ، وبالسماح لهم بممارسة النشاط السياسي ، واشراكهم في التطور الزراعي والاقتصادي والاجتماعي ، وتمكينهم من بلورة مفوضية حقيقية تتألف من شبان جدد وقادة قدماء ، تفتش عن حل مع اسرائيل وليس ضد اسرائيل... وعارض وزير الدفاع هذا الامر ، ومنحه « التجمع » كامل التغطية ... »

« ويجب أن يأتي الحل عن طريق مفاوضات بين اسرائيل من جهة والاردن والفلسطينيين من الجهة الاخرى ، وبدونهم لا يمكن التوصل الى حل وسلام، والسؤال هو : من يمثل الفلسطينيين ؟.. لقد تحطمت مفاهيم مختلفة من مفاهيم حزب العمل والتكتل في الحرب الاخيرة ، نحن جميعا ندفع ثمن الاخطاء والاوهام والاغلاط ... » (دافار ١٩٧٣/١١/٢٦) .

اما مواقف الاحزاب المعارضة فقد كانت — بالنتيجة وليس لنفس الاسباب — متفقة حول موقف واحد هو مطالبة الحكومة بالاستقالة. (رصد اذاعة اسرائيل ١٩٧٣/١١/١٤) ، والاصرار على تحميل اعضاء الحكومة ورئيستها كامل المسؤولية عن التقصيرات التي كشفتها الحرب وتطوراتها ، وكان الابرز في اعلان ذلك مناحيم بيغن زعيم التكتل اليميني المعارض .

وعلى صعيد علاقات اسرائيل الخارجية ، انصب الاهتمام بشكل اساسي على علاقات اسرائيل بالولايات المتحدة باعتبارها « الصديق الوحيد » الذي يقي لاسرائيل ، على حد تعبير رابين ، وتنوعت المقالات التي تحدثت عن هذا الموضوع ، وكان المميز بينها ما كتبه موريس كار في معاريف يوم ٧٣/١١/١٢ ، حيث هاجم كيسنجر بشدة ، ووصف « واقعية كيسنجر السياسية » بأنها بالنسبة لاسرائيل « موت بالتقسيط » ، وقال « ان الضمانات والحلول المطروحة هي مدخل لاسرائيل الى نكبة ، وان اميركا رضخت للتهديد الروسي ولسياسة الابتزاز العربي » . وتقدم كار باقتراح من ثلاث نقاط هي : « ١ — ان تتوقف رئيسة الحكومة عن اعطاء الشعب حقنا مخدرة ، ٢ — اقامة حكومة تكتل وطني ، ٣ — محاولة عقد صفقة مع الاتحاد السوفياتي » .

ورد يعقوب رابي في جريدة « عل همشمار » (الناطقة بلسان حزب مبام الذي يشكل مع حزب العمل « التجمع » العمالي) ، يوم ٧٣/١١/١٥ ، على آراء ومقترحات كار واصفا اياها بانها هي التي تشكل « موتا بالتقسيط » لاسرائيل ، وقال : « ان فتح معركة مع الولايات المتحدة هو خطر كبير على اسرائيل ، وان اقامة حكومة « تكتل وطني » (أي حكومة تضم غاحال) ستقضي على أية مبادرة للسلام ، وان اجراء صفقة مع الاتحاد السوفياتي هو اكبر خطر على اسرائيل » .

وخلال شهر نوفمبر الماضي حفلت الصحف الاسرائيلية بالعديد جدا من المقالات التي تطالب الحكومة بتقديم مبادرات سلام واتهامها بالتقصير عن القيام بذلك في السنوات الست التي فصلت بين حربي حزيران وتشرين ، والتحذير من « تفاجؤ » اسرائيل بمبادرات السلام كما فوجئت بنشوب الحرب ، « والمهم ان لا ننتظر دون القيام بعمل ، حتى نتلقى الضربة السياسية من العرب في مؤتمر جنيف » (موشي جاك ، معاريف ٧٣/١١/١٤) .

وفي مقال تحت عنوان « منهكو قتال وجوعى للسلام » اتهم ا. ب. يهوشع في هآرتس (٧٣/١١/٢) اسرائيل بأنها كانت منذ ما بعد حرب حزيران، تحمل « السلام » اكثر مما يحتمل ، وتطالب بـ « سلام حقيقي » و« سلام ابدي » و« سلام دائم » ، الامر الذي يثقل على السلام ، والذي

حوله من شيء ملموس يمكن تحقيقه الى شعار مجرد ميتافيزيقي ، الى ان « أتت هذه الحرب ، وبضربة صاعقة أعادت الجوع الفوري للسلام ، وببساطة، لا سلام أبدي بل سلام بسيط لا يضطر فيه الانسان الى ترك عائلته ظهر يوم ليموت في صباح الغد ».

على ان عددا من اساتذة الجامعات في اسرائيل، ما زالوا حتى الان هم الاكثر حدة في مهاجمة سياسة الحكومة، وقد برز من بين هؤلاء البروفيسور يشعياهو ليبوفيتش من الجامعة العبرية في القدس الذي قال في هآرتس (٧٣/١١/٣٠) : « ان الخطأ لم يكن طوال الاعوام الستة الاخيرة (منذ حرب ١٩٧٢) ، وانما كان طوال الخمسة وعشرين سنة الاخيرة ايضا ، منذ توقيع اتفاقية رودس » ثم وصف السياسة الاسرائيلية القائمة على ابقاء اسرائيل في حالة لا سلم ولا حرب ، مع التأكيد على ان هناك أبدا حربا وشيكة الوقوع ثم شن الحروب القصيرة والمضمونة النتائج سلفا ، بأنها « سياسة اجرامية وشريرة » واتهم اسرائيل بـ « اننا ليس فقط لم نقم بأية محاولة الى الوصول الى سلام مع العرب، بل خربنا عن عمد وعن سابق اصرار كل مناسبة كان من الممكن ان تنطوي على امكانية احلال السلام » .

واعتبر البروفيسور افرايم اوربلخ (من معاريف ٧٣/١١/٢٣) ان نتائج حرب تشرين هي « اكبر فشل في تاريخ اسرائيل » وحمل دايان مسؤولية هذا الفشل .

وانتهى شهر نوفمبر دون ان تنتهي « هجمة المازوشية » في اسرائيل والتي قد تقود — عبر الانتخابات القريبة — الى احداث تغييرات في توزيع المقاعد البرلمانية ، وتقود بالتالي الى احداث تغييرات في تركيب الائتلاف الحكومي وأعضائه .

عماد شقور

[٢]
الانتخابات العامة في اسرائيل

حزب العمل : تجميد للصراعات الداخلية ، واقرار وثيقة عمل جديدة

أدت الحرب الاخيرة كالعادة الى وضع عدة أمور وقضايا تتعلق بالصراع الاثني والطبقي والاجتماعي في اسرائيل ، « على الرف » . لذلك ، بدأت بعض القوائم التي تقدمت للانتخابات العامة، والتي بنت نفسها على اساس خوض معركة الانتخابات مستغلة تدهور الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، وبروز التناقضات الطائفية ، بالمطالبة بتأجيل موعد الانتخابات ، وانضم الى هذه الفئات ، ولاسباب اخرى ، مثل ضرورة ابراز وحدة الشعب اليهودي وتكتله امام التحديات واحتمالات الضغوط العالمية والاميركية بشكل خاص ، بعض الصحفيين والكتاب والمفكرين الى جانب الحزب الديني القومي « المفدال » الذي دعا الى تأجيل الانتخابات واقامة حكومة طوارىء وطنية على غرار ما حدث قبيل حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . لكن التجمع العمالي الحاكم بزعامة جولدا مئير رفض دعوة المفدال وأصر على اجراء الانتخابات في موعدها المحدد ، وعدم تشكيل حكومة طوارىء وطنية .

وقد كان واضحا منذ البداية ان قبول المعراخ بتأجيل الانتخابات ، سيجره الى الموافقة على طلب المفدال التالي ، المتمثل باقامة حكومة طوارىء وطنية ، الامر الذي ، بالاضافة الى المعارضة الشديدة التي سيلقاها داخل حزب العمل والتجمع العمالي الحاكم ، كان سيفسر انتخابيا على انه اقرار من التجمع وحزب العمل بعجزهما عن مواجهة المرحلة القادمة . ومن ناحية اخرى كان سيضع قيودا على حرية الحركة والمناورة السياسية للتجمع الحاكم ، واخيرا سيكون منفذا للتكتل اليميني للادعاء بأن وجوده في الحكم حال دون تقديم التنازلات والمحافظة على المكاسب. هذه الحسابات الانتخابية ، الى جانب ضرورة اعادة الوحدة الى صفوف الحزب ، واعادة الهيبة المفقودة لزعامته

السياسية ، تلك الهيبة وتلك الوحدة التي اصيبت بشرخ خطير نتيجة للاتهامات الخطيرة الموجهة للحزب ولقيادته من الداخل والخارج .

ومن الداخل كان اول من بدأ في الهجوم وزير العدل يعقوب شمشون شابيرا الذي طالب باستقالة وزير الدفاع موشي دايان ، محملا اياه مسؤولية ونتائج حرب السادس من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ . وعلى الفور أعلن دايان انه يضع استقالته تحت تصرف رئيسة الوزراء ، التي بدورها أكدت ثانية على انه ما زال يتمتع بثقتها التامة والكاملة، مما ادى الى استقالة وزير العدل نفسه ، لكن وقوف جولدا الى جانب دايان ، مع تأكيدها على ان التحقيق سيأخذ مجراه لكشف وتحديد العيوب والسقطات ، لم يكن كافيا لاسكات اصوات الاحتجاج الداخلية التي أخذت تطالب باعادة النظر في مجمل سياسة الحزب ، وبضرورة صياغة برنامج انتخابي يأخذ بعين الاعتبار التطورات المستجدة وعلى رأسها مؤتمر السلام والتسوية السياسية وغيرها من الامور .

لذا بدأت اللجنة المركزية للحزب سلسلة من الاجتماعات ، منذ ٧٣/١١/٢٨ من اجل معالجة كافة المواضيع المطروحة ، مثل النظر في تأجيل الانتخابات ، واعادة فتح قوائم الترشيح ، وصياغة برنامج عمل انتخابي . وكان من ابرز الداعين الى اعادة فتح لوائح الترشيح سكرتير حزب العمل الاسبق آرييه اليعاف ووزير العدل السابق يعقوب شمشون شابيرا ودافيد هكوهين رئيس لجنة الخارجية والامن السابق ، لكن كلا المطلبين ، تأجيل الانتخابات واعادة فتح اللوائح رفضا بالاغلبية ، فقد رفض الاقتراح الاول بأغلبية ٣٠٠ صوت مقابل ٨٧ ، والاقتراح الثاني بأغلبية ٢٥٦ صوتا مقابل ١٠٧ أصوات .

وقد علل دافيد هكوهين الاقتراحين السابقين بقوله « تسود الجمهور اليوم خيبة أمل ، وليس من السهل جلب المقترعين الى صناديق الاقتراع». وادعى ان مكانة زعماء المعراخ قد تضعضعت ، بما في ذلك مكانة الوزير دايان ورئيسة الحكومة جولدا مئير . وانه اذا كانت هناك نية لدعم القيادة فينبغي فتح اللوائح وادخال دم جديد اليها . (ر أ أ — ٧٣/١١/٢٨ م . [٤٠٢]) .

وثيقة الاربعة عشر بندا

بعد أن اقرت اللجنة المركزية في اجتماعها الاول اجراء الانتخابات في موعدها المقرر ، وعدم ادخال تغيير على قوائم الحزب الانتخابية وترتيب المرشحين فيها ، تابعت مناقشة صيغة اتفاق بشأن سياسة الحزب حول القضايا الخارجية والامنية في الاعوام الاربعة المقبلة . وقد وضعت صيغة هذه الوثيقة لجنة مؤلفة من خمسة عشر عضوا يمثلون الكتل الثلاث في الحزب (المباي ، أحدوت هعفودا ورافي) وقد تم اقرار الوثيقة بعد جلسة صاخبة عقدتها اللجنة المركزية للحزب في اوائل الشهر الحالي . وفور اقرار الوثيقة بدأت النقاشات ، حول ما اذا كانت الوثيقة الجديدة تلغي وثيقة جاليلي ام لا . وقد طالب « الحمائم » في الحزب اتخاذ قرار بالغاء وثيقة جاليلي . امـا الصقور فعارضوا ذلك بشدة . وهذا هو نص الوثيقة كما أوردته صحيفة دافار الاسرائيلية الصادرة في ٢٩/ ٧٣/١١ :

أ — مقدمة

١ — ستجري الانتخابات للكنيست الثامنة بعد حرب يوم الغفران ، في ذروة الصراع السياسي من أجل السلم ، وتحت ظروف ضرورة الاستعداد المستمر ضد خطر تجدد القتال بمبادرة الدول العربية . ويجب أن تنعكس ، في برنامج المعراخ للكنيست الثامنة بجميع فصوله وأقسامه ، الدروس والعبر المترتبة عن ظروف الحرب ونتائجها ، واستعداد الشعب والمجتمع لتحقيق السلام كهدف رئيسي .

ب — الامن

٢ — تشيد اللجنة المركزية بقدرة جيش الدفاع الاسرائيلي على الصمود ، وبالنصر الذي حققه على جيوش العدو بفضل قوة مقاتليه وبطولتهم . فجيش الدفاع الاسرائيلي تغلب على أعدائه ، على الرغم من تفوقهم في العدد ، وفي السلاح والعتاد الذي زودهم به الاتحاد السوفياتي .

٣ — تعرب اللجنة المركزية عن مشاركتها في حزن العائلات الثكلى ، ووقوفها الى جانب الاسرى والجرحى وعائلاتهم .

٤ — يجب ان تتصدر ضرورات الامن اهتمامات الدولة . وعلينا الا نبخل بأي جهد يتطلبه دعم قوة جيش الدفاع الاسرائيلي وطاقته . فقوة جيش

الدفاع الاسرائيلي شرط أساسي لتحصين الامن وتحقيق السلام .

ج — السعي للسلام

٥ — هدف اسرائيل المركزي هو احراز السلام مع الدول المجاورة ، واقامة علاقات تعاون مع شعوب المنطقة . فاسرائيل تسعى ، منذ قيامها ، لذلك الهدف ، ولكنه لم يتحقق بسبب سياسة العداء ، وحالة الحرب والمقاطعة التي سلكتها الحكومات العربية خلال تلك الاعوام .

٦ — واليوم ايضا ، وفي غداة الحرب التي بادرت اليها مصر وسوريا ، بمشاركة دول عربية أخرى ، فان اسرائيل مصممة على السعي ، بجهد أكبر ، لتحقيق السلام . وبهذه الروح اتخذت الحكومة عددا من القرارات منذ نشوب حرب يوم الغفران :

(أ) الاستجابة لمبادرة وقف اطلاق النار ، وتنفيذه على اساس متبادل .

(ب) توقيع اتفاق البنود الستة مع مصر ، والسعي لاتفاقية بشأن فصل القوات وتثبيت وقف اطلاق النار .

(ج) الاعراب عن استعدادها للاشتراك في مؤتمر السلام الذي حدد انعقاده في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ .

٧ — ان مؤتمر السلام الذي سينعقد في كانون الاول (ديسمبر) هو حدث هام جدا في تاريخ المنطقة ، يحمل في طياته امكان تغير كبير في علاقات اسرائيل بالدول العربية . وان أمل اسرائيل وتوقعها هما أن تؤدي المفاوضات ، في المؤتمر ، بين اسرائيل وجاراتها الى السلام المنشود .

٨ — ستسعى اسرائيل ، في مؤتمر السلام وفي كل شبكة علاقاتها الدولية ، لاتفاق سلام ، يتم احرازه في مفاوضات دون شروط مسبقة . ويجب ان تدور هذه المفاوضات دون ضغوط او محاولات فرض من أي جانب .

٩ — ستسعى اسرائيل لاتفاق سلام يضمن :

(أ) انهاء جميع مظاهر العداء ، والحصار ، والمقاطعة .

(ب) حدودا يمكن الدفاع عنها ، وتؤمن لاسرائيل امكان الدفاع عن نفسها بفعالية ضد هجوم عسكري او مكيدة حصار ، وترتكز على حل اقليمي وسط . وستحل حدود السلام محل خطوط وقف اطلاق النار . ولن ترجع اسرائيل الى حدود الرابع من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، التي كانت بمثابة اغراء بالعدوان .

(ج) المحافظة على الطابع اليهودي لدولة اسرائيل من أجل تحقيق أهدافها الصهيونية ومهماتها في الهجرة وجمع الشتات .

(د) بدء مرحلة من العلاقات الطبيعية بين اسرائيل والدول المجاورة في الحقل السياسي والاقتصادي ، والاجتماعي ، والثقافي .

١٠ — يقوم اتفاق السلام مع الاردن على أساس وجود دولتين مستقلتين : اسرائيل وعاصمتها القدس الموحدة ، ودولة عربية الى الشرق منها . ويمكن للهوية الذاتية للعرب الفلسطينيين والاردنيين ان تجد تعبيرا لها في الدولة الاردنية الفلسطينية المجاورة ، من خلال سلام وعلاقات جوار جيدة باسرائيل . **وترفض اسرائيل قيام دولة عربية فلسطينية منفردة اضافية غربي نهر الاردن .**

١١ — كل اتفاق سلام سيوقع بمعرفة الحكومة والكنيست .

١٢ — الى حين اتفاق السلام ، ستحافظ اسرائيل على وقف اطلاق النار ، وكذلك على التسويات المرحلية التي يتفق عليها بين اسرائيل وجاراتها كتسويات مؤقتة على طريق السلام . وفي حالة انعدام معاهدة سلام او تسويات مرحلية ، تستمر اسرائيل في الابقاء الكامل على الوضع كما تحدد مع وقف اطلاق النار .

وسيعمل على استمرار الاستيطان وتدعيمه ، وبناء المستوطنات بحسب القرارات التي ستتخذها حكومة اسرائيل من وقت لاخر ، مع اعطاء اولوية لاعتبارات أمن الدولة .

د — العلاقات بالولايات المتحدة

١٣ — تقدر اسرائيل العلاقة الخاصة بينها وبين الولايات المتحدة ، والمساعدة الكبرى التي تتلقاها منها . وستسعى اسرائيل لتوثيق هذه العلاقات في المستقبل .

هـ — التوجه الى يهود العالم

١٤ — تقدر اسرائيل ، بالغ التقدير ، تجند

الشعب اليهودي في كل شتاته ، ووقوفه الى جانب دولة اسرائيل ، وتتوجه اليه بالنداء ليستمر في الوقوف الى جانبها في صراعها من اجل السلام والامن ، وفي جهوده لزيادة قوتها ، معنويا وماديا، وفي الهجرة الكبيرة الى اسرائيل .

اقرار للنص واختلاف في التفسير

لقد أريد للوثيقة ان تكون مقبولة على الجميع ، ولذلك فقد شارك في صياغتها واعدادها ممثلون عن جميع اجنحة الحزب . ومن يتمعن في بنود الوثيقة يلاحظ انها تتسم :

أولا ، بأنها عبارة عن صياغات لغظية قابلة للتأويل لمواقف حزب العمل السابقة .

ثانيا ، خلوها من مشروع تفصيلي للسلام ، والاكتفاء بطرح الموضوع كهدف تسعى اسرائيل لتحقيقه ، الامر الذي يفقد الموضوع اهميته ، اذ كهدف ، فان السلام متضمن في جميع برامج الاحزاب الاسرائيلية .

ثالثا ، خلوها من اي اشارة الى اتفاقات ووثائق حزب العمل والمعراخ السابقة سواء من ناحية التأكيد على استمرار مفعولها او من ناحية الغائها .

ويبدو ان هذه السمات بالذات ، هي التي جعلت بالامكان اقرار الوثيقة من كافة اجنحة الحزب ، حيث رأى فيها البعض (الحمائم) انتصارا للخط الذي طالما نادوا به ، بينما لم ير « الصقور » في عدم ذكر الوثيقة للاتفاق « الشفهي » ولوثيقة جالييلي الغاء لهما . وقد سارع وزير الدفاع موشي دايان للقول في نفس اليوم الذي نشرت فيه بنود الوثيقة ، للمقربين منه : « بأن واضعي الوثيقة اهتموا بألا تجيء متناقضة مع الوثائق السابقة ، بما فيها وثيقة جالييلي والاتفاق الشفهي . وان الوثيقة الجديدة ليست [برنامجا] عمليا ، ولكنها تتضمن كل العناصر الداخلة في وثيقة جالييلي » (م. د. ف — ٧٣/١٢/٦ ، العدد ٢٣) . بينما اعتبرها وزير المالية سابير في الواقع برنامج الحزب الانتخابي وطالب بعدم ادخال تعديلات عليها (رأأ — ٧٣/١٢/٥ ملحق ٤٠٨) . اما ابا ايبن فقال : « أعتقد ان الوثيقة الجديدة هي الوثيقة الوحيدة التي تلزمني كعضو في الحزب وذلك لعدة اسباب ، فأولا ، هذه الوثيقة قد وضعت بعد حرب يوم الغفران . وقد اخذت بالحسبان الوضع العسكري والسياسي والنفسي الذي نجم عن الحرب . وثانيا، كون الامور التي بدت معقولة للتنفيذ في آب (اغسطس) لا تحظى بالاولوية حاليا » (ر أ أ — ٧٣/١٢/٨ ، ملحق ٤١١) .

وثيقة جالييلي والاتفاق الشفهي

تركز النقاش في اللجنة المركزية لحزب العمل حول مصير وثيقة جالييلي والاتفاق الشفهي لحزب العمل . وكانت الاراء متناقضة تماما حول هذه النقطة . وقد مس هذه النقطة عضو الكنيست ابراهام عوفر (المباي — كتلة تل ابيب) ، اثناء مناقشة اللجنة المركزية للحزب للوثيقة الجديدة فقال : « اننا نتخذ قراراتنا كل مرة طبقا للوضع القائم في تلك الفترة . ووثيقة جالييلي كانت وثيقة حل وسط بين المواقف المختلفة ، وكذلك الوثيقة التي أمامنا هي ايضا وثيقة تسوية . وثمة فرق واحد بين الوثيقتين عدا كونهما واحدة قبل الحرب والاخرى بعد الحرب ، وهذا الفرق هو ، ان وثيقة جالييلي كانت وثيقة حل وسط ، ولكنها اقرت تحت الضغط وليس عن طريق حرية الاقتراع في الحزب، وقد أثرت العلاقات بين قادة الحزب على نص الوثيقة ، بينما الوثيقة الجديدة هي حل وسط عادل » . (ر أ أ — ٧٣/١٢/١ ، ملحق ٤٠٥) . واضاف عوفر ان الوثيقة الجديدة تعبر عن نهج جديد في طريق حزب العمل ، عندما تقارن « بالاتفاق الشفهي » حيث ذكرت الحدود التي تبتغيها اسرائيل .

اما عضو الكنيست آرييه الياف فقد اقترح ازاء البلبلة التي نجمت عن تفسيرات متناقضة للوثيقة الجديدة ولمصير وثيقة جالييلي ، اضافة بندين للوثيقة الاول بخصوص وثيقة جالييلي والثاني بخصوص اجراء تغييرات في قيادة حزب العمل . وقد تحدث الياف حول اقتراحه المذكور في مقابلة اذاعية فقال : « البند ١٥ يؤكد ان اللجنة المركزية للحزب تلغي وثيقة جالييلي التي أقرتها سكرتارية الحزب قبل بضعة اشهر ، وهذا ليس لانني ارغب بصورة خاصة بالغاء الوثيقة ، بل لانه بعد جلسة اللجنة المركزية قبل بضعة ايام ، بدا ان ثمة ١٠٠ تفسير للاربعة عشر بندا ، ومنها تفسيرات متناقضة يراها الذين وضعوا نص الوثيقة فبعضهم يقول ان وثيقة جالييلي لا تزال قائمة » . (ر أ أ — ٧٣/١٢/٤ ملحق ٤٠٧) . واضاف الياف ان الهدف من اقتراحه هو وضع حد لهذا الغموض . اما بالنسبة

للبند الثاني المتعلق باجراء تغييرات جذرية في القيادة ، فقد علله الياف بكونه يعبر عن رغبة جمهور واسع من المقترعين للمعراخ .

مقابل هذا فقد اكد كل من بيرس ودايان وجاليلي ان وثيقة جاليلي لم تلغ وانها ما زالت نافذة المفعول في حال توفير الاموال اللازمة لتنفيذها . وازاء هذا التباين في وجهات النظر بالنسبة لوثيقة جاليلي والاتفاق الشفهي نشر السكرتير العام للحزب اهرون يادلين ، بيانا جاء فيه : « ان المبادىء الموجهة لحملة التجمع العمالي الانتخابية (أي الوثيقة الجديدة) ... لم تأت لتلغي او لتصادق على قرارات سكرتارية الحزب المعروفة باسم وثيقة جاليلي » ... واضاف يادلين : « وبالنسبة الى المبادىء الاقليمية للتجمع العمالي ، المذكورة في الاتفاق الشفهي ، فان الوثيقة لم تشر الى الاتفاق الشفهي بقصد عدم رسم خرائط ، ولكن ليس هناك مبرر للقول انه لم يعد قائما » . (م. د. ف ـ ١٩٧٣/١٢/٦ العدد ٢٣) .

وقد أكدت رئيسة الوزراء جولدا مئير ما ذهب اليه سكرتير عام الحزب في كلمتها اثناء مناقشات اللجنة المركزية فقالت : « ... وبالنسبة لوثيقة جاليلي فانها لم تلق في سلة المهملات . فاذا توفرت لدينا الاموال نستطيع ان نجلس ونقرر ما ينبغي عمله من مخطط العمل الوارد في وثيقة جاليلي ، ولكن اذا كان الاشتراك في مؤتمر جنيف يتطلب الغاء هذه الوثيقة كشرط لتحقيق السلام فدعونا اذن نقترح على ذلك » . (ر أ ـ ٧٣/١٢/٦ ، ملحق ٢٠٨) .

وهكذا سحب الياف اقتراحه باجراء تصويت على الغاء وثيقة جاليلي بعد الحاح من الوزير سابير من اجل ذلك . وبقيت المسألة مجالا للتفسيرات المختلفة حيث لم يجر تأكيد ولا الغاء لوثيقة جاليلي.

لا جديد ... ولكن

كما تباينت الاراء والتقييمات حول الوثيقة الجديدة داخل الحزب ، هكذا كان الحال ايضا ، خارجه . فبينما رأى البعض فيها نهجا جديدا « يرسم خطوط سياسية واقعية » اعتبرها الاخرون مناورة وتكتيكا من ناحية ، ووثيقة تقود الى الاستسلام وتعرض اسرائيل للخطر من ناحية أخرى . وقد تحدث ران كسلف عن ردود فعل بعض الاحزاب على الوثيقة فقال ان مركز حيروت هاجمها بشدة وانه جاء في قرار اتخذه بصددها ما يلي : « ان الحكام العرب الذين اجتمعوا في الجزائر قرروا المطالبة بتصفية اسرائيل . وفي تل ابيب ، قدمت الى اللجنة المركزية لحزب العمل الحاكم وثيقة تقود الى الاستسلام وتعرض اسرائيل للخطر » . وقال كسلف ايضا بان الوثيقة وصفت في نقاش سياسي جرى في ادارة الاحرار المستقلين، بأنها « مناورة لجر انصار ليوبا الياف الى الادلاء بأصواتهم من أجل دايان وجاليلي ». (م. د. ف ـ ١٩٧٣/١٢/٦ ، العدد ٢٣) .

اما دانييل بلوخ فقد علق على الوثيقة في (دافار ١٩٧٣/١٢/٢) بقوله : « انها ترسم خطوط سياسية واقعية ، من خلال تخطي حقل الالغام [المتمثل] بالرجوع الى الماضي » . واضاف ان « الذي يشغل نفسه بالسؤال فيما اذا كانت [الوثيقة الجديدة] قد ابطلت « وثيقة جاليلي » أم لا ، هو انسان لا يعيش في الزمن الحاضر . فكل من يقرأ « وثيقة جاليلي » يعرف انها ارتكزت على فرضيات معينة ـ سياسية وأمنية واقتصادية ـ تقوم على الافتراض ان وقف اطلاق النار سيستمر. وفي اللحظة التي تغيرت فيها الفرضيات الاساسية، لم تعد هذه الوثيقة بالضرورة قائمة ». واضاف بلوخ : « وهكذا ايضا يجب النظر الى عدم ذكر الاتفاق الشفهي في الوثيقة الجديدة . فقد حدد الاتفاق الشفهي عددا من المبادىء بشأن الحدود الامنة المقبولة منا . ولا يزال معظم هذه المبادىء صحيحا ... ولكن ليس من الحكمة الاعلان عنها بصراحة ، وخلق الانطباع كما لو اننا نذهب الى المؤتمر بشروط مسبقة » . والنتيجة التي يخلص اليها بلوخ هي ان الوثيقة تمثل « تسوية واقعية ، فيها ما يرضي مطالب المعتدلين في كلا معسكري الحمائم والصقور » . ويضيف بلوخ : « خلافا للتكتل والحزب الديني القومي ، المستعدين للتنازلات في سيناء فقط ، فان وثيقة حزب العمل تعبر عن الاستعداد للتسوية الاقليمية في جميع الحدود ، بما في ذلك الاستعداد لاعادة أجزاء من يهودا والسامرة (الضفة الغربية) الى الاردن . والعنصر الموجه لحزب العمل هو الرغبة في رؤية دولة اسرائيل دولة ذات طابع يهودي واكثرية يهودية واضحة ومستقرة ، بالاضافة الى مفهوم واقعي ، هو انه لن تحدث تسوية سلمية دون تنازلات اقليمية كبيرة » .

ورغم اقوال بلوخ هذه ، فانه لا يجوز الاعتقاد وكأن نهجا جديدا بدأ في حزب العمل . من الصعب الاعتقاد ان حرب تشرين وافرازاتها داخليا وعالميا كافية حتى الان لاحداث تغيير جذري في السياسة الرسمية الاسرائيلية ، أي في سياسة حزب العمل. والعقيدة الصهيونية ، وبالتالي السياسة الاسرائيلية التي قامت على الاغتصاب والتوسع لا تستطيع ان تقطع شوطا بعيدا فيما يسمى « بالاتجاه الواقعي » . وكما بينا سابقا فان مضمون النهج المتمثل في الوثيقة الجديدة لم يحسم بعد داخل حزب العمل ، ولذلك فمن السابق لاوانه التبشير باعتدال في مواقف حزب العمل ، لان الموضوع لم يحسم بعد والخلافات والصراعات ، طويت مؤقتا وهي ما زالت عرضة للتفجر مرة ثانية ، وليس هناك ما يؤكد ويجزم بسير الامور داخل الحزب نحو تغلب الاتجاه المعتدل نسبيا . فالصقور لم يهزموا كليا ، وتجديد الثقة بجولدا مئير وزعامتها في اللجنة المركزية للحزب أعاد الاعتبار لقيادة الحزب — على الصعيد الداخلي — المؤلفة من جولدا — دايان — جليلي .

ان ما يساء تفسيره من نهج جديد وسياسة جديدة ، ما هو سوى انحناء لحين مرور العاصفة، من أجل الانتصاب ثانية . وما يسمى او يفسر على انه اعتدال اسرائيلي ، غير مستعد بعد للاقاة الدول العربية في منتصف الطريق بالموافقة على الانسحاب الكامل من الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ ، مقابل السلام وانهاء حالة الحرب والاعتراف بالحدود الامنة . وذلك لا يعني اننا نتجاهل بتاتا كل ما أفرزته الحرب عسكريا ، وسياسيا داخل اسرائيل وفي العالم ، ولكن استمرارية فعل هذه الافرازات تتوقف على مدى المثابرة على تصعيدها .

الاحزاب الاخرى

يمتاز مجتمع المستوطنين في فلسطين بطابعه التعددي من حيث تركيبه الاثني ، بالاضافة الى بنيته الاقتصادية التعددية أيضا (قطاع عام ، قطاع هستدروتي ، وقطاع خاص) . والى جانب هاتين الميزتين فان بنيته السياسية ، هي أيضا بنية تعددية . فعدد الاحزاب الممثلة في الكنيست الاسرائيلي يبلغ ثلاثة عشر حزبا وتنظيما . هذا بالاضافة الى منظمات اخرى ليس لها تمثيل برلماني. ولا يمكن اعتماد مقياس واحد لتصنيف هذه الاحزاب ، كأن نقول مثلا ، أحزاب عمالية وغير عمالية ، فهناك مقاييس أخرى ، مثل أحزاب صهيونية وغير صهيونية ، وهنا تصبح كافة الاحزاب الاسرائيلية في جهة والحزب الشيوعي الاسرائيلي « راكاح » في جهة أخرى ، ثم هناك مجموعة الاحزاب الدينية ، والاحزاب غير الدينية . ولكن اذا استثنينا « راكاح » ، يصبح بالامكان تصنيف الاحزاب الصهيونية كالتالي :

« أ » مجموعة الاحزاب العمالية ، الممثلة الان بالتجمع العمالي الحاكم (العمل + المابام) ، أو بشكل أصح وأدق البيروقراطية العمالية الحاكمة .

« ب » مجموعة الاحزاب البرجوازية على أساس السياسة الاقتصادية ، واليمينية المتطرفة على اساس السياسة الخارجية والامنية ، وتتمثل هذه المجموعة بالتكتل اليميني المؤلف من حزب حيروت ، حزب الاحرار ، القائمة الرسمية (بقايا رافي) ، المركز الحر (المنشقين عن حيروت) . ويمكن ادراج حزب الاحرار المستقلين ضمن هذه المجموعة بالنسبة للسياسة الاقتصادية ، غير انه لا يلتقي معها بالنسبة للسياسة الخارجية والامنية ، حيث انه قريب في هذا من مفاهيم بعض أجنحة حزب العمل (المباي) .

« ج » مجموعة الاحزاب الدينية — الحزب الديني القومي (المفدال) بشكل أساسي ، وتجمع حزبي اجودات يسرائيل وبوعالي اجودات يسرائيل. وهما حزبان مفرقان في التزمت الديني وغير فعالين من ناحية السياسة الخارجية والامنية .

« د » مجموعة الاحزاب والتنظيمات التي يمكن القول انها تلتقي حول شعار السلام والامن ، ولكنها تتباين في الوقت نفسه ، من حيث سياستها ومفاهيمها الاجتماعية والاقتصادية ، فمنها الاصلاحي مثل حركة شولام — هزه ، او كما أصبح اسمها مؤخرا المعسكر الاسرائيلي الراديكالي « ميري » ، الذي تشكل منها ومن المنشقين عن « ماكي » وعن « سياح » . ومنها ايضا ما زال بعض اجزائه يدعي الماركسية او اليسارية الوطنية مثل قائمة « موكيد » المؤلفة من حركة « موكيد » برئاسة العقيد احتياط مئير بعيل والحزب الشيوعي الاسرائيلي « ماكي » واغلبية اليسار الاسرائيلي الجديد « سياح » ، ومنها ما ليس له هوية عقائدية محددة ، بل قائم ومبني على اساس طائفي

مثل حركة الديمقراطيين الاسرائيليين بزعامة شالوم كوهين وجزء من الفهود السود .

هذه المجموعة بشكل عام ، والمعسكر الراديكالي الاسرائيلي بشكل خاص ، تحاول استقطاب القوة الانتخابية ما بين التجمع العمالي و « راكاح » ، أي القوة الرافضة لسياسة الحكومة (العمل) والساخطة على موقف المابام الذيلي ، أي انها تدعي تمثيل المصلحة الوطنية الاسرائيلية .

الصراع الرئيسي

يدور الصراع بشكل أساسي بين التجمع العمالي من جهة والتجمع او التكتل اليميني البرجوازي المتطرف من جهة ثانية . ولكن حتى الان لم تشكل المعارضة اليمينية بديلا جديا لسلطة التجمع العمالي . فقد اقتصر دور كافة احزابه — الى ما قبل اقامة التكتل — على كونها أداة ضغط خارجية، تستفيد منها السلطة العمالية لاظهار مدى مرونتها واعتدالها !! ازاء الرأي العام العالمي ، وعلى كونها عاملا مساعدا وداعما للاتجاهات اليمينية داخل حزب العمل ، التي كانت تعزز مواقعها داخل الحزب ، انطلاقا من التهديد القائم باحداث انشقاق والائتلاف مع اليمين . وبعد اقامة التكتل اليميني ازداد وزن وقوة الجناح اليميني داخل حزب العمل، وقد وجد هذا الامر تعبيرا له بفرض ومن ثم اقرار وثيقة جاليلي في سكرتارية حزب العمل . بالاضافة الى التكتل اليميني هناك حزب آخر يشكل أداة ضغط ائتلافية ودعم لمواقع الجناح اليميني داخل حزب العمل، وهو الحزب الديني القومي (المفدال). ومن الجدير بالذكر ان هذا الحزب هو شريك دائم تقريبا في جميع الحكومات منذ قيام الدولة . وهو رغم كونه لا يشكل منافسا للتجمع العمالي وقوة استقطاب لقوته الانتخابية ، اذ أن قوته (المفدال) ثابتة تقريبا ، فان وزنه ومدى ضغطه يتوقفان على نتيجة المعركة الانتخابية وعلى قوة المعراخ بشكل أساسي . فقد كان خروج المعراخ من المعارك الانتخابية قويا يساعده في المساومة والوقوف امام ابتزاز هذا الحزب ، سيما وانه اكثر قربا الى التكتل اليميني منه الى المعراخ من حيث مواقفه بالنسبة للسياسة الامنية والخارجية والاستيطان. وكون هذا الحزب لم يقطع « شعرة معاوية » في أي وقت من الاوقات ، وانه عمليا كان ينتهج سياسة ذيلية في كل ما يتعلق بالشؤون الخارجية والامنية رغم تطرفه اللفظي ومعارضته التنازل عما يسميه ارض الاباء والاجداد واصراره على الحق التاريخي « للشعب » اليهودي على كامل ارض فلسطين ، يعود الى حرصه على البقاء في الحكم ، والاستفادة انتخابيا من هذا البقاء . وهذا الحرص كان كفيلا بأن يحول دون احداث أزمة وزارية والى النزوع نحو ايجاد مخرج لكل أزمة . لكن وعلى الرغم من ذلك ، فانه يبقى مشكلة تواجه التجمع العمالي لدى تركيب كل حكومة . ومن الجدير بالذكر ، وتأكيدا لما نحاول الذهاب اليه ، الى أن المفدال كانت له حصة الاسد باقامة حكومة التكتل القومي قبيل حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وفي فرض موشي دايان وزيرا للدفاع .

اما شريك المعراخ الاخر في الائتلاف الحكومي ، فانه لا يشكل اشكالا للمعراخ فيما يتعلق بالسياسة الامنية والخارجية ، ولكنه يسبب له الحرج فيما يتعلق بأمور الدين والدولة (مشروع الزواج المدني — او مشروع هاوزنر) ، حيث يعرض الوفاق العمالي — الديني والصفقات المعقودة بينهما للخطر . لكن هذا الحزب يشكل من ناحية اخرى دعما للتجمع العمالي وعاملا مساعدا له امام ابتزاز المفدال اذ انه في حالة تمادي الاخير في ابتزازه ، فانه يبقى بالامكان تشكيل الحكومة استنادا الى هذا الحزب (الاحرار المستقلين) واستنادا الى النواب العرب المرتبطين بالتجمع العمالي .

قدمنا هذا العرض لاتجاهات ووزن وعلاقة القوى السياسية الرئيسية في اسرائيل بعضها ببعض ، لتكون مؤشرا لما يمكن ان تسفر عنه من انعكاسات على السياسة الرسمية في الفترة القادمة ، فترة ما بعد حرب تشرين ، فترة مؤتمر السلام والتسوية السياسية .

لقد كتب الكثيرون من الصحفيين والسياسيين الاسرائيليين وغير الاسرائيليين حول حرب تشرين وانعكاساتها وما أدت اليه من نتائج وطرحته من موضوعات واسقطته من مسلمات . وبالتالي فان الجميع يجمعون على ان معركة الانتخابات القادمة (بعد الحرب) لا يمكن ان تسير بنفس اسلوب ومفاهيم وطروحات ما قبل الحرب ، وانها ستكون معركة قاسية ، خاصة بالنسبة لحزب العمل والتجمع العمالي الحاكم. ولقد رأينا في الباب الاول من هذا العرض انعكاسات الحرب والظروف التي

خلقتها ، داخل حزب العمل وما أدت اليه من صراعات داخلية مريرة انتهت باقرار وثيقة الاربعة عشر بندا . ولكن وكما سبق وقلنا فان اقرار الوثيقة والتفسيرات المختلفة التي أعطيت لها ، والصراعات التي دارت حول ذلك ، وما رافقها من اصوات من الداخل والخارج تطالب باجراء تغييرات وتبديلات في قيادة الحزب واقالة بعض المسؤولين ، كل هذه الامور ، التي يبدو ان اللجنة المركزية لحزب العمل استطاعت تجميدها وتجديد الثقة بزعامة الحزب الحالية ، ستؤثر في نتائج الانتخابات المقبلة وستتأثر بها ، لجهة تعزيز او ضعضعة مكانة القيادة العمالية داخليا وشعبيا ، ولجهة الحسم في الصراع الناشب بين اجنحة الحزب . فنتائج الانتخابات سيكون لها تأثير على شكل الحكومة المقبلة من حيث الكتل المشتركة فيها ومن حيث وزن هذه الكتل وقدرتها على التأثير اعتدالا او تطرفا على الموقف الرسمي للحكومة في مؤتمر جنيف ، وعلى سير هذا المؤتمر .

تكتل اليمين :

بعد التجمع العمالي تتركز الانظار مباشرة على التكتل اليميني الذي طرح نفسه قبل الحرب كبديل للحكم . والاسئلة التي تطرح نفسها مباشرة هي : ما مدى تأثير الحرب على برنامج التكتل الانتخابي ؟ وهل ستبقى المنطلقات السابقة لكتل التكتل على ما كانت عليه ؟ وهل باستطاعة التكتل طرح برنامج سلام بديل ؟ وما هو موقف التكتل من مؤتمر السلام ؟

حتى كتابة هذه السطور ، لم يتضح بعد فيما اذا كان التكتل اليميني سيطرح برنامجا انتخابيا مغايرا لمواقفه المعروفة بالنسبة للنزاع العربي — الاسرائيلي ، وللسلام او التسوية السياسية وأسسها ، ومصير المناطق المحتلة . ولقد توقع الصحفي الاسرائيلي ران كسليف (هآرتس ٢٥/١١/٧٣) نشوب خلافات في الرأي بين الاحزاب التي يتألف منها التكتل . وقال : « اتضحت ، في الجلسة الاخيرة لادارة حزب الاحرار (المعقودة بتاريخ ١٩٧٣/١١/٢٣) في اثناء مناقشة وضع البرنامج الانتخابي الجديد للتكتل، معالم ابتعاد عن الموقف التقليدي لجاحال،في اتجاه الاستعداد لحلول اقليمية وسط بعيدة المدى مقابل اتفاقية سلام ». واضاف كسليف : ويمكن لهذا الموقف ان يتسبب، في الايام القريبة المقبلة ، في نشوب خلافات في الرأي داخل ادارة التكتل ، بين الاحرار وحيروت، خصوصا وان عددا من الشركاء الصغار في التكتل يميل الى قبول موقف الاحرار المعتدل » . وذكر كسليف ان عضو الكنيست يوسف تمير رئيس شعبة الاعلام في حزب الاحرار ، الذي افتتح النقاش في الادارة ، طالب بضرورة « اتباع سياسة حل اقليمي وسط ، والبرهنة على اننا لسنا حزب حرب » . ودعا تمير التكتل الى السعي من أجل سلام حقيقي على اساس المحافظة على حقنا في ارض — اسرائيل ولمعارضة تنازلات تشكل خطرا على الدولة » . وقال تمير « علينا عرض برامج بديلة في جميع المجالات وعدم الاكتفاء بالنقد » .

وذكرت هآرتس ايضا ان رئيسا بلديتي رمات‌جان ورحوفوت ، يسرائيل بيلد وشموئيل رخطمان قد عبرا عن رأيهما ، اثناء النقاش ، بوجوب تقديم تنازلات مقابل السلام الحقيقي . ودعا بيلد الى دحض افتراءات المعراخ الذي يحاول الصاق صبغة الحرب بالتكتل . أما رخطمان فقد دعا الى المفاوضات . كما وسمعت آراء تطالب بتغييرات تكتيكية في برنامج الحزب وبالتحدث عن الحدود الامنة بدل الحقوق التاريخية . وبالمقابل كانت هناك آراء معارضة لتقديم أية تنازلات . لكن مخطف كتل التكتل أيدت الذهاب الى مؤتمر السلام ، مع التشديد على ضرورة اعلان العرب عن اعترافهم بحق الشعب اليهودي في وطنه والتشديد على الحدود الامنة . (نفس المصدر).

أما رئيس حزب الاحرار فقد أعلن في مقابلة اذاعية تعقيبا على بيان نشره التكتل وجاء فيه ان التكتل يرفض اي انسحاب يشكل خطرا على الشعب وسلامته ، ان مبدأ التكتل هو انه ينبغي التمييز بين ارض — اسرائيل وبين منطقة سيناء . ان حزب الاحرار يعرب عن رأيه ان الحزب على استعداد ، في المفاوضات حول معاهدة سلام ، أي احلال سلام طبيعي وليس تسويات مؤقتة ، للتوصية باجراء مفاوضات مع مصر بغية التوصل الى تسوية اقليمية ، بشرط المحافظة على كل ما هو ضروري لامن الدولة ، أي بشرط ضمان حدود أمنية فعالة » . واضاف ريملط رادا على سؤال حول موقف بقية شركائه في التكتل فقال : « ان جميع الشركاء في التكتل يميزون بين ارض — اسرائيل الغربية — ونحن في التكتل لا

نؤيد تقسيمها مجددا — وبين مناطق اخرى . وحتى الان لم يتم تفصيل ذلك . ويحتمل ان توجد بين كتل التكتل اراء مختلفة حول الموضوع ، وحتى الان لم ندرس الامر » . (ر.أ.أ. — ٧٣/١١/٣٠، ملحق ٤٠٤) .

أما زعيم حزب حيروت فقد صرح في اجتماع عام عقده التكتل انه اذا قدر للتكتل ان يفوز بالاغلبية في الانتخابات المقبلة فانه سيدعو كافة الاحزاب للاشتراك في حكومة تكتل قومي . وأضاف بيجين ان الطريق الى السلام ليست طريق الخضوع والتنازلات وان الانسحاب دون شروط ودون مقابل لن يقرب السلام ، بل انه سيسهل على العرب تدمير اسرائيل (ر.أ.أ. ، ١٩٧٣/١٢/٦ ، ٤٠٨).

وكان تصريح بيجين هذا اول رد على نداء المغدال لاقامة حكومة طوارىء وطنية ، قبل الانتخابات او بعدها . وفي تصريح آخر دعا بيجين الى عدم انتهاك أمن اسرائيل عن طريق اعادة تقسيم ارض — اسرائيل ، ودعا ايضا الى الصمود وعدم قبول الاملاءات .

وحول المفاوضات مع الاردن قال رئيس حزب الاحرار اليميلخ ريملط انه اذا جرى التفاوض مع الاردن حول اتفاقية سلام فاننا نستطيع ان نقترح على هذه الدولة نطاقا اقتصاديا كونفدراليا وان نمنحها منطقة حرة في احدى موانئنا على شاطىء المتوسط . ثم أعرب ريملط عن معارضته لاقامة دولة فلسطينية وقال ان هذا الامر يعني اعادة تقسيم ارض — اسرائيل الغربية ومنح أقسام منها لياسر عرفات . (ر.أ.أ. ، ٧٣/١٢/٧ ، ٤١٠) .

من هذه التصريحات الاولية والتي اعتبرها كسليف بوادر نشوب خلافات في الرأي داخل التكتل اليميني (خصوصا تصريحات رئيس حزب الاحرار) يبدو انه لم يحدث تبدل اساسي في المنطلقات والرؤيا داخل تكتل اليمين . فالاقوال المتعلقة بالتسوية في سيناء ليست جديدة ، وبالفعل فقد كان هناك تمييز دائم لدى اليمين بين سيناء وبين ما يسمونه ارض — اسرائيل الغربية . ومع ذلك فالتسوية في سيناء حسب مفهوم التكتل ، كما يتضح اعلاه ، تخضع للاعتبارات والمفاهيم الامنية ، التي لا يبدو حتى الان انه قد طرأ عليها تحول بعد حرب تشرين . وفي اعتقادي فان التكتل اليميني سيستغل هذه الحرب — رغم انتقاده لما رافقها من أخطاء — للتدليل على صحة موقفه بالنسبة للعمق الاستراتيجي ولمفاهيمه الامنية .

برنامج بديل أم استغلال للاخطاء

ان التحالف العمالي بعدم تقدمه ببرنامج شامل ومفصل للتسوية وللسلام نجح الى جانب تخطيه لانعكاسات مثل هذا الامر وما يمكن ان يؤدي اليه من خلافات وربما انشقاقات داخلية ، نجح في سحب البساط من تحت أرجل التكتل اليميني الذي كان سيجد في ذلك فرصة ومادة دسمة لمعركته الانتخابية للمزايدة على موقف التجمع العمالي واستغلال وتوظيف خلافات الحزب الداخلية لصالحه في المعركة الانتخابية . ومن ناحية اخرى فالتكتل اليميني رغم انه يدعو للسلام مع العرب فان مواقفه السابقة واللاحقة المعلنة تجعل من شبه المستحيل عليه طرح برنامج للسلام اكثر اعتدالا وامكانية في ملاقاة الطرف الاخر (العربي) . ولو افترضنا حدوث ذلك فانه يفقد اساسا تميزه فيما يتعلق بالسياسة الخارجية والامنية عن حزب العمل والتجمع العمالي . وكل من هو مطلع الى حد ما على اتجاهات الرأي العام الاسرائيلي يرى بوضوح ان لا أمل لاي برنامج للسلام يطرحه اليمين بناء على مفاهيمه ونظرته للصراع ، في استقطاب غالبية الناخبين هناك . ولذلك فان حملة اليمين الانتخابية ، — في اعتقادي — ستبقى ضمن الاطر والمفاهيم التي كانت عليها حملته السابقة أي في انتخابات عام ١٩٦٩ ، والتي ترتكز بشكل اساسي على رفض الانسحاب ، ورفض اعتبار التنازلات الاقليمية مفتاحا للتوصل الى تسوية مع البلاد العربية المعنية . ولذا فان الحملة الانتخابية لليمين ستشدد في الانتخابات الحالية ، اضافة الى شعاراتها السابقة ، على العيوب والسقطات والاخطاء التي ارتكبت في الحرب الاخيرة . وفي هذا المجال بالذات يواجه اليمين مشكلة تحد من اندفاعه في الهجوم تتمثل في شخصية دايان او كما سماها الصحفي الاسرائيلي ران كسليف « مشكلة دايان » .

يقول كسليف بعد ان يشير الى حساسية وضع التكتل اليمني بالنسبة لشعاراته المتطرفة التي بني التكتل على اساسها ومنها شعار ارض اسرائيل الكاملة التي لم تعد ملائمة للوضع الجديد،

وفي نفس الوقت ليس من السهولة بمكان التراجع او التخلي عنها ، يقول كسليف ما يلي : « وفي المقابل يريد التكتل ادارة معركة انتخابات لا على اساس جبهة سياسية عامة ، بل في الهجوم على التقاعسات والسقطات الامنية التي يشير اليها الجميع لكن احدا لم يحددها بوضوح . ان الهجوم الرئيسي سيكون ، على ما يبدو ، ضد الحكومة وحدها . ويبدو هذه المرة ان «بقرة الامن المقدسة» لن تحول دون المعارضة ومهاجمة الجهاز العسكري الاسرائيلي ، والنظريات العسكرية لدى جيش الدفاع ، وحاملي هذه النظريات — القيادة العسكرية ورئيس الاركان » . ويضيف كسليف : « وحتى في هذه الجبهة ، يجد التكتل نفسه في وضع حساس جدا ، الامر الذي يريح زعماء المعراخ . ان الرجل الذي يربك زعماء التكتل هو موشي دايان ... واذا لم يشأ التكتل ان يبقى في مجال الهجوم الفاضح على الحكومة بصورة عامة ، من دون الدخول في تفاصيل السقطات وتحليلها ، فانه لا يستطيع الا المساس بدايان ، وهو (التكتل) على ما يبدو لا يرغب في ذلك . وما دام الامر كذلك ، فان الهجوم على سقطات الحكومة والجيش لن يكون مقنعا بما فيه الكفاية بحيث يضمن انتصاره في الانتخابات » (هآرتس ١٩٧٣/١١/٥) .

الحزب الديني القومي (المفدال)

لقد اشرنا في بداية هذا العرض الى ان مواقف هذا الحزب فيما يتعلق بالشؤون الخارجية والامنية كانت ذيلية لمواقف التجمع العمالي الحاكم من ناحية عملية ، رغم انها اقرب الى مواقف التكتل اليميني من ناحية لفظية . لكن هذه الحقيقة التي ثبتت في عدة مواقف (مثل اضطرار الحكومة الاسرائيلية للموافقة على قرار ٢٤٢ ، وما نجم عنها من تفسخ حكومة التكتل القومي) لا تعني بالضرورة ان هذا الحزب سيتصرف بنفس الاسلوب دائما وابدا . فهذا الحزب رغم انتهازيته (تحقيق بعض التنازلات من المعراخ في أمور اخرى مقابل بقائه في الائتلاف الحكومي) ، فان مدى هذه الانتهازية والابتزاز السياسي سيتوقف بالتأكيد على توازنات القوى السياسية الجديدة بعد الانتخابات العامة . ولذلك فانه من المحتمل جدا اذا اصر على موقفه الحالي المطالب باقامة حكومة طوارىء وطنية واذا ما سمحت له الظروف بالاستمرار في هذا الاصرار ، ان يؤدي بموقفه هذا الى تقوية جناح الصقور ، داخل التجمع العمالي الحاكم ، والى ترجيح كفتهم بالنسبة للامور التي لم يتم حسمها بعد . وبالتالي الى زيادة التصلب في الموقف الرسمي .

وسنختتم هذا العرض بالنسبة لمواقف بعض الاحزاب الاسرائيلية من النزاع العربي — الاسرائيلي ، بعد ان عرضنا مواقف الاحزاب والتكتلات الحزبية الرئيسية والفعالة ، بالتطرق والاشارة باختصار الى مواقف ثلاثة احزاب وكتل سياسية صغيرة (خمسة مقاعد حاليا) تلتقي جميعها في كونها معارضة غير يمينية بل متعددة الالوان ، ولكنها في نفس الوقت تختلف في منطلقات ومرتكزات معارضتها وفي رؤيتها للنزاع وطابعه وكيفية تسويته .

المعسكر الراديكالي الاسرائيلي « ميري »

ان المتتبع لمقالات اوري افنيري في مجلة هعولام — هزه يلاحظ تركيزا شديدا ومتواصلا في الهجوم على قادة او قيادة حزب العمل الحالية ، وعلى وزير الدفاع ورئيسة الوزراء والوزير جاليلي بشكل خاص . وأفنيري رغم مطالبته الدائمة بتنفيذ قرار مجلس الامن ٢٤٢ ، والانسحاب من المناطق المحتلة ، والدعوة الى اقامة كيان فلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة ، والى ضرورة التفاهم مع الفلسطينيين ، لا يتطرق الى حقوق الشعب الفلسطيني القومية والى حق تقرير المصير بمفهومه الاعم ، وهو حين يعالج مسألة النزاع العربي — الاسرائيلي لا يميز بين المعتدي والمعتدى عليه ، بل يحمل الطرفين مسؤولية استمرار النزاع واستمرار الحرب . وقد قال بهذا الخصوص ما يلي : « فالحرب القادمة يمكن ان تنشب بعد بضعة أشهر وحتى بعد بضعة اسابيع ... ونفس الاشخاص ، العرب والاسرائيليين ، الذين يتحملون مسؤولية الاهمال المخيف في السنين الاخيرة ما زالوا مستمرين في ادارة وتوجيه السياسة لدى الطرفين » (هعولام — هزه ١٩٧٣/١١/٧) .

وفي انتقاده للسياسة الاسرائيلية الرسمية يقول : « وما تفعله حكومتنا اليوم على الجبهة الاميركية ، هو عودة دقيقة على ما عملته خلال السنين الست الاخيرة »، ويضيف : « لكن مجموعة المفلسين الذين يديرون شؤون الدولة — جولدا —

دايان — جاليلي وشركاؤهم — لا تريد وغير مؤهلة للسير بهذا الطريق . واذا انضم بيجين الى هذه العصابة ، تحت ستار حكومة تكتل او طوارىء فاحتمال السلام سيصبح أكثر بعدا » ولـــذا « مطلوب قيادة جديدة للمعراخ وقيادة جديـدة للدولة ، مطلوب رص جديد لصفوف القوى المؤيدة لخط السلام ، لمواجهة المعسكر الذي يفضل الضم على السلام » (المصدر السابق) .

موكيـد

أما «موكيد» فلا تختلف كثيرا عن مواقف أفنيري، لكنها ترى بعكس افنيري ضرورة اجراء تعـديلات طفيفة في الحدود . اما بالنسبة للموقف مما أفرزته الحرب فقد شارك مئير بعيل أفنيري بالمطالبة بقيادة جديدة للمعراخ وباقالة دايان . ودعت موكيـد بتحويل المبالغ التي خصصت لتنفيذ بنود وثيقة جاليلي لتقوية الجيش وللشروع في حل مشـاكل اللاجئين . وبالنسبة لمصير المناطق المحتلة طالبت ادارة « موكيد » بالتمكين من اجراء انتخابات فورية بين سكان المناطق لايجاد ممثلين فلسطينيين في مؤتمر السلام المقترح كيلا يظل تمثيلهم في أيدي المنظمات الفلسطينية . كما وطالب رئيس قائمة موكيـد لانتخابات الكنيست الحكومة بأن تنشر بيانا عـن نوايا اسرائيل بالنسبة لمحادثات السلام ، وقـال ان مثل هذا البيان يجب ان يظهر بأن اسرائيل على استعداد لسلام عام مع الدول العربية على اساس مبدأ « مناطق مقابل السلام » .

القائمة الشيوعية الجديدة « راكاح »

ينفرد هذا الحزب كما سبق وأشرنا بكونه الحزب الوحيد غير الصهيوني الممثل في الكنيست . ويعتبر الحزب الوحيد الذي حمل السلطات الاسرائيلية مسؤولية عدوان حزيران (يونيو عام) ١٩٦٧ ، ومسؤولية استمرار الجمود الذي أدى الى نشوب حرب تشرين . وقد نشر هذا الحزب مشروعا للسلام (الاتحاد ١٩٧٣/١٠/١٦) تضمن أربع نقاط يقوم على اساس تنفيذ قرار مجلس الامن ٢٤٢ .

١ــ انسحاب اسرائيل من جميع المناطق التي احتلت في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .

٢ — الاعتراف بحق وجود وسيادة وسلامة دولة اسرائيل والدول العربية الاقليمية .

٣ — احترام حقوق الشعب العربي الفلسطيني القومية واحترام حقه في تقرير المصير وحق اللاجئين في اختيار الرجوع الى وطنهم او الحصول عـلى تعويضات .

٤ — ضمان حرية الملاحة لاسرائيل ، مثل جميع الدول في قناة السويس ومضائق تيران .

وعلى صعيد العلاقات الخارجية يدعو الحزب الى فك الارتباط بالامبريالية الامريكية سياسـيا وعسكريا واقتصاديا ، من أجل بناء اسـتقلال اقتصادي حقيقي ، والى الابتعاد عن المخططات الاستعمارية في المنطقة وانتهاج سياسة حيـاد دولية وصداقة مع الاتحاد السوفياتي . ويرى الحزب ان هذه الامور مرهونة بتغيـير ميـزان القوى السياسية في اسرائيل ووصول قوى السلام والتقدم الاجتماعي للسلطة .

هاني عبدالله

(٦) القضية الفلسطينية عسكريا

لا تزال الحرب العربية — الاسرائيلية الرابعة دائرة حتى اليوم ، ولا يزال حوار الارادات يجري على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والعسكرية . واذا كانت فترة القتال التي بدأت في ٦ تشرين الاول وانتهت عملياتها الواسعة في ٢٥ من الشهر نفسه عبارة عن مرحلة من هذا الحوار أخذت فيها الوسائل العسكرية مركز الصدارة مع استمرار عمل الوسائل الاقتصادية والسياسية ، فان فترة وقف القتال التي لا تزال قائمة حتى الان عبارة عن مرحلة تراجعت فيها الوسائل العسكرية الى الصف الثاني تاركة مركز الصدارة للوسائل الاخرى ، مع احتمال العودة الى العنف في اللحظة التي تعجز فيها الوسائل الاخرى غير العنيفة عن تحقيق هدف الصراع . وما دام سبب النزاع (الاحتلال وعدم الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني) موجودا ، فان النزاع قائم مهما اختلف الشكل الذي يأخذه والاساليب التي يلجأ اليها الطرفان المتنازعان لحسمه .

وبالرغم من مظاهر الهدوء النسبي المسيطر على المنطقة ، وذهاب عدد من الاطراف المتنازعة الى مؤتمر السلام في جنيف ، فقد شهدت فترة الهدوء التي نعيشها العديد من الاحداث العسكرية وكانت حافلة بالمسائل المتعلقة بالحرب بكل أشكالها . وفترة الهدوء هذه هي في جوهرها ، عبارة عن امتداد لجولة القتال الاولى ومقدمة لجولة القتال الثانية . انها لحظة سكون بين ايقاعين صاخبين . ولكنها لا تتسم بالسكون المطلق بل بالسكون المشوب بطنين الايقاع الصاخب الاول الذي انتهى وبداية الايقاع الصاخب الثاني الذي يمكن ان يبدأ في كل لحظة ، ولا يمكننا ضبطه او التحكم فيه اذا لم نستعد لاستقباله ولم نأخذ من لحظة السكون النسبي منطلقا له . ومن أهم الاحداث العسكرية التي شهدتها المنطقة خلال هذا الشهر وأعطت فترة الهدوء أهمية حربية خاصة الاحداث التالية :

١ — استمرار الاشتباكات على الجبهتين المصرية والسورية . ولقد استخدم في هذه الاشتباكات مختلف انواع الاسلحة البرية والجوية ، وكانت عبارة عن تراشق بنيران المدفعية والهاون والرشاشات . وحلقت الطائرات الاسرائيلية فوق خطوط القتال وتصدت لها وسائط الدفاع وأسقطت عددا منها ، وشهدت خطوط القتال عمليات القنص المستمرة وزرع الالغام على طرق تحرك الاليات . ويذكر الجنرال هيرتزل شاغير مدير فرع القوة البشرية في رئاسة الاركان الاسرائيلية ان عدد العسكريين الاسرائيليين الذين قتلوا منذ وقف القتال حتى يوم ١٢/٨ بلغ ٥٧ رجلا . ولقد زاد هذا الرقم الى حد بعيد في الايام التي تلت ذلك نظرا لتعدد الاشتباكات التي وقعت وضخامتها . ويمكن اعتبار هذه الاشتباكات نوعا جديدا من حرب الاستنزاف وهي تختلف عن حرب الاستنزاف الماضية بأنها تجبر العدو على تعبئة كل قواته لمدة طويلة من الزمن ، وتسبب له خسارة اقتصادية بالاضافة الى خسائره بالافراد والمعدات ، دون ان تسمح له بتسديد ضربات انتقامية تفوق في الحجم والشدة الضربات التي يتلقاها . وهذا وضع جديد كل الجدة بالنسبة لما اعتاد عليه في معارك استنزاف (١٩٦٨ — ١٩٧٠) .

٢ — اعادة بناء الجيشين المصري والسوري ، واكمال كافة المعدات التي فقداها في معارك تشرين الاول ، مع تركيز السوفيات على تقديم الدبابات الحديثة ت — ٦٢ بدل الدبابات المفقودة ، ورفع عدد وحدات الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات ، وزيادة عدد بطاريات الصواريخ ارض — جو من طراز سام — ٦ . وتذكر بعض المصادر الغربية ان سلاح الطيران المصري حصل على طائرة التفوق ميغ — ٢٥ (المقاتلة المعترضة) القادرة على التصدي لطائرات الفانتوم والتغلب عليها في المعارك الجوية . وتشير كافة تصريحات القادة العرب الى ان القوات العربية غدت أقوى مما كانت عليه في أي وقت مضى ، وانها مستعدة لبدء القتال عندما تأزف الساعة المناسبة .

٣ — اعادة بناء الجيش الاسرائيلي ، واكمال المعدات التي فقدها في معارك تشرين مع تركيز الولايات المتحدة على تقديم القذائف جو — جو وجو — أرض المتطورة ، والدبابات الامريكية الحديثة ، والصواريخ الموجهة المضادة للدبابات ، والطائرات القاذفة — المقاتلة مع طياريها من المتطوعين اليهود ، مع محاولة اصلاح عيوب التشكيل الاساسي للقوات المسلحة الاسرائيلية ،

تلك العيوب التي ظهرت خلال الحرب وتمثلت بنقص المدفعية والاسلحة المضادة للدبابات والاسلحة المضادة للطائرات ، وعدم كفاية وحدات المشاة المرافقة للدبابات . ولقد استطاع الامريكيون اعادة القوة المادية للجيش الاسرائيلي الى مستوى أفضل مما كانت عليه عند بدء القتال، ولكنهم لم يستطيعوا ان يعيدوا لهذا الجيش معنوياته وقناعته السابقة بأنه جيش اسطوري لا يغلب .

وهناك أنباء تقول بأن الولايات المتحدة ستعمل على تزويد اسرائيل بصواريخ أرض — أرض بعيدة المدى من طراز لانس المماثلة لصواريخ سكود السوفياتية . وتدعي واشنطن ان غايتها من اعادة تسليح اسرائيل هي جعل اسرائيل قوية لدرجة تجعلها قادرة على تقديم التنازلات في مؤتمر السلام (!) ولكن ساسة تل ابيب الغارقين في المزايدات الانتخابية حتى ذقونهم يفهمون الامور بشكل آخر ، ويرون في القوة مستندا لمزيد من التعنت والتمسك بالمفاهيم التوسعية العدوانية التي لم تثبت امام حقائق الحرب الرابعة .

٤ — تعدد حوادث الاشتباك مع وحدات هندسية معادية تعمل في مواقع متقدمة من الجبهة السورية، الامر الذي يدل على ان العدو ينوي تحسين مواقعه وتقديم أسلحة ثقيلة مضادة للدبابات الى الانساق الاولى ، كما يمكن ان يدل على انه يرسل الدوريات الهندسية لفتح ثغرات في حقول الالغام السورية استعدادا لهجوم مباغت . ولا يمكن تقدير طبيعة الاعمال الهندسية وهل هي هجومية أم دفاعية الا بعد معرفة أنواع المهمات التي كانت تقوم بها وحدات العدو وطبيعة المعدات التي كانت تستخدمها ، وهذا ما لم تذكره البلاغات العسكرية السورية . ومهما تكن طبيعة المهمات التي ينفذها العدو فان وجود وحدات هندسية تعمل نهارا — تحت ستار وقف اطلاق النار — في الخطوط الامامية ، دليل على اعداد شيء هام تستطيع القوات السورية التي اشتبكت معها تحديد طبيعة هذا الشيء الهجومية او الدفاعية . وهناك ما يدل بكل وضوح على أن القوات المسلحة السورية مصممة تماما على منع العدو من تحسين مواقعه داخل الجيب ، ومنع أية اعمال هندسية تزيد من مناعة هذه المواقع . وغاية السوريين من ذلك ابقاء الجيب الاسرائيلي ضعيفا ليسهل قطعه في المستقبل بهجمات من المجنبات .

٥ — زيادة حجم القوات الاسرائيلية الموجودة داخل جيب الدفرسوار وتحسين نوعية اسلحتها. وتذكر المصادر الغربية ان عدد القوات الاسرائيلية داخل الجيب وصل الى حوالي ٣٠٠ دبابة و٣٠ — ٤٠ الف جندي . ووحدات كثيرة من الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات .

ولرفع كفاءة خطوط الامداد والتموين عبر قناة السويس بنى الاسرائيليون في ١١/١٥ جسرا ثابتا ليحل محل الجسور العائمة التي نصبوها في ليلة ١٥ — ١٦ . ويمتاز الجسر الثابت على الجسر العائم بأن حساسيته للقصف أقل ، وعمليات صيانته أسهل ، ووتيرة عبور الاليات عليه أكبر ، وقد يسمح بالمرور في اتجاهين . ويستطيع العدو بعد بناء الجسور الثابتة فك الجسور العائمة لوضعها في احتياط المهندسين بغية استخدامها في المعارك المقبلة عند دمار الجسور الثابتة ، او عند العبور تحت النار في أماكن أخرى .

٦ — ارتفاع عدد ومستوى عمليات الثورة الفلسطينية داخل الارض المحتلة . فلقد قامت خلايا الداخل بعمليات نسف ، ومهاجمة دوريات ، ومهاجمة حاكم نابلس العسكري ، ... الخ ، وألحقت بالعدو خسائر بشرية ومادية كبيرة (راجع شهريات المقاومة الفلسطينية وجدول العمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية) . وتعتبر هذه العمليات امتدادا لنضال الشعب الفسطيني الذي انطلق لتحرير الارض منذ ٩ سنوات ، ولم يعترف بوقف القتال بعد حرب ١٩٦٧ او بعد حرب ١٩٧٣ .

٧ — تطويق القوات الاسرائيلية على الضفة الغربية وتحسين أوضاع الجيش المصري الثالث. ولقد تم هذا الامر بعد اتخاذ التدابير التالية :

أ — ايصال الذخائر الى الجيش الثالث عن طريق البحر ، ب — ضغط الجيب الاسرائيلي من الخارج عند ميناء الادبية جنوبي السويس ، ج — ضغط الجيب الاسرائيلي من الداخل عند ضاحية الزيتية غربي السويس ، د — خلق قوس قوي بوحدات الجيش الاول وجزء من الجيشين الثاني والثالث (مدرعات — مشاة — مدفعية — صواريخ ضد الدبابات ، صواريخ ضد الطائرات) يمتد من جنوب الاسماعيلية حتى جنوب ميناء الادبية ، هـ — تقليل عرض الجيب مقابل فايد كمقدمة لقطعه الى قسمين احدهما شمالي والاخر جنوبي ،

وعزل القسم الجنوبي عن خطوط التموين مع الضفة الشرقية ، و ــ انشاء احتياط استراتيجي (الجيش الرابع) يضم وحدات مدرعة مصرية ومغربيـــة وجزائرية .

٨ ــ فك الحصار عن مضيق باب المنـدب . ففي ١٢/١١ نقلت وكالة « سانا » السورية عن برقية من الكويت ان سفنا اسرائيلية استطاعت اختراق الحصار المصري على مضيق باب المندب وعبرته في حماية قطع حربية تابعة للاسـطول السابع الامريكي باتجاه البحر الاحمر في يـوم ١٢/٩ . وكانت مدمرتان مصريتان قد أغلقتا المضيق في وجه الملاحة الاسرائيلية منذ يوم ٦ تشرين الاول، وساعدتها في ذلك مراكب دورية ووحدات مـن القـوات البرية في الجمهورية العربيـة اليمنيـة وجمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية ، الامـر الذي جعل الامريكيين يدفعون عددا من قطـع اسطولهم السابع الى المحيط الهندي لعـرض عضلاتهم وتهديد امن اليمن ومساعدة المراكـب الاسرائيلية على خرق الحصار . ولقد بقي أمر هذا الحصار مجهولا حتى كشفته غولدا مائير في مؤتمرها الصحفي بلندن بتاريخ ١٢ تشرين الثاني عندما حاولت ربط تنفيذ اتفاق النقاط الست بعدة أمور من بينها « وضع نهاية سريعة للحصار المصري على باب المندب » (رويتر) .

ولقد أعطى الحصار ووجود وحدات بحريـة مصرية في البحر الاحمر نتائج جيدة خلال الحرب العربية ــ الاسرائيلة الرابعة ، ولم يصل الى ميناء ايلات أية مراكب خلال شهري تشرين الاول وتشرين الثاني . وكان من الممكن ان يؤدي الى نتائج اكبر خلال مرحلة المفاوضات لو ان الوضع العربي العام يسمح بوضع استراتيجية بحرية تستند الى القانون الدولي الذي يعطي اليمنيين حق اغلاق مضيق باب المندب في وجه مراكب العدو، حتى ولو ادى هذا الاغلاق الى مجابهة مباشرة مع امريكا .

٩ ــ مباحثات نقطة الكيلومتر ١٠١ : لقـد تحدثنا عن الاحداث الثمانية السابقة بايجاز رغم أهميتها ورغم حاجة كل حدث منها لبحث مستقل لا يسمح به حجم الشهريات . ولكننا سنتحدث عن مباحثات نقطة الكيلومتر ١٠١ باسهاب أكبر نظرا لانها لم تكن حدثا عسكريا فحسب ، بل كانت بداية مرحلة جديدة من مراحل الصراع . وكان لها بالاضافة الى معناها العسكري معنى تاريخيا بالغ الاهمية .

الكيلومتر ١٠١

في الساعة ٣٤١٠ من بعد ظهر يوم الاحـد ٧٣/١١/١١ تم توقيع الاتفاق المصري ــ الاسرائيلي الذي ينهي الجولة الاولى من الحرب الرابعـة ويوطد وقف اطلاق النار بانتظار عقد مؤتمر سلام دولي . ولقد تم توقيع هذا الاتفاق ، وهو أول اتفاق من نوعه بين مصر واسرائيل منذ هدنـة عام ١٩٤٩ ، داخل خيمة عسكرية عند نقطة الكيلو ١٠١ على طريق القاهرة ــ السويس . ومثـل الجانب المصري في هذا الاجتماع اللواء محمد عبد الغني الجمسي مساعد رئيس الاركان المصري (الذي غدا رئيسا للاركان في ٧٣/١٢/١٢) ومثل الجانب الاسرائيلي الجنرال أهارون ياريف مساعد رئيس الاركان الاسرائيلي (الذي كان من قبل مستشار رئيسة وزراء اسرائيل غولدا مائير للعمليـات الخاصة ، والذي يطمح ان يحتل اليوم منصبا سياسيا بارزا في اسرائيل) . وأشرف على التوقيع الجنرال أنزيو سيلاسيفو قائد قوات الطـوارىء الدولية . ولقد ابرزت النيويورك تايمز أهمية هذا الاتفاق بقولها : « ان هذا الحدث الذي كان غير معقول في العقدين الماضيين سيطوي الصفحة التي صورته كنبوءة قبل ستة اسابيع ليس الا . انه اليوم حقيقة تاريخية » (١١/١٢) .

واحتوى الاتفاق ست نقاط لا بد من ذكرها لمتابعة تطور المحادثات وما تخللها من عقبات بالنسبة لكل نقطة من النقاط منذ بدء المباحثات حتى ايقافها رسميا من قبل الجانب المصري والنقاط الست هي:

« ١ ــ توافق مصر واسرائيل على مراعاة وقف اطلاق النار الذي دعا اليه مجلس الامن الدولي بدقة .

« ٢ ــ يوافق الجانبان على بدء المحادثات بينهما فورا لتسوية قضية العودة الى خطوط وقف اطلاق النار القائمة في ٢٢ تشرين الاول ضمن نطـاق اتفاق على فصل القوات باشراف الامم المتحدة .

« ٣ ــ تتلقى مدينة السويس تموينات يوميـة من المواد الغذائية والماء والادوية وينقل جميـع الجرحى المدنيين من مدينة السويس .

« ٤ ــ لن تكون هناك عقبات في طريق انتقال

التموينات غير العسكرية الى الضفة الشرقية .

« ٥ ــ تحل نقاط تفتيش دولية محل نقاط التفتيش الاسرائيلية على طريق القاهرة ــ السويس . وعند نهاية الطريق قرب مدينة السويس يستطيع ضباط اسرائيليون الاشتراك مع الامم المتحدة في الاشراف على الطبيعة غير العسكرية للشحنات عند ضفة القناة .

« ٦ ــ وبمجرد اقامة نقط التفتيش الدولية على طريق القاهرة ــ السويس سيتم تبادل أسرى الحرب بما فيهم الجرحى » .

وبدأت المحادثات في يوم ١٢ ، وحاولت قوة الطوارىء الدولية استلام نقطة التفتيش عند الكيلو ١٠١ ، ولكن الجانب الاسرائيلي كشف عن سوء نواياه منذ البداية اذ قام عدد من جنوده بنزع حاجز الطريق الذي اقامه جنود قوة الطوارىء على طريق القاهرة السويس ، واشتبكوا مع القوات الدولية بالايدي ، وادعت تل ابيب ان هذا الحاجز يقطع القوات الاسرائيلية المرابطة على الطريق عن تلك المرابطة غربي مدينة السويس .

وكانت مسألة الاسرى (النقطة السادسة) أهم المسائل التي تمسكت بها اسرائيل نظرا لحالة القلق التي سادت البلاد بعد الحرب ، وغضبة الجماهير الاسرائيلية من ضخامة الخسائر التي أصابت القوات المسلحة الاسرائيلية ، وتظاهر أهالي الاسرى في معظم المدن ومطالبتهم ببذل أكبر جهد ممكن لاستعادة الاسرى . ومن المؤكد ان رغبة القيادة الاسرائيلية باستعادة الطيارين الاسرى لاعادة بناء سلاح الطيران بعد وصول الطائرات الامريكية وتعويض الخسائر بالمعدات كانت وراء الحاح الجانب المعادي على هذه المسألة حتى ان غولدا مائير هددت في الكنيست بتاريخ ١٣ تشرين الثاني ، بعد عودتها من لندن ، بقطع الامدادات عن الجيش المصري الثالث (وفي هذا خرق للبند الرابع من الاتفاقية) اذا لم يجر المصريون تبادلا للاسرى . وفي مساء ١١/١٤ اتفق الجانبان المصري والاسرائيلي على تبادل الاسرى وتأمين الامدادات غير العسكرية الى الجيش المصري الثالث . وبدأ تبادل الاسرى بالفعل في يوم ١١/١٥ واستمر حتى يوم ١١/٢٢ وتم خلاله تسليم ٢٣٨ اسيرا اسرائيليا من بينهم عدد كبير من الطيارين مقابل ٨١٠٤ اسرى من المصريين وفيهم أعداد من الفلاحين المدنيين الذين أسرهم العدو على الضفة الغربية للقناة بعد احداث الثغرة في يوم ١٠/١٥ . وانسحب الاسرائيليون من نقطتي التفتيش عند الكيلو ١٠١ و١١٩ وحلت محلهم قوات الطوارىء الدولية ، ومرت قافلة محملة بالمواد الغذائية والادوية والمياه في طريقها الى السويس . وبدأ نقل الجرحى المدنيين من مدينة السويس وبدا وكأن الاتفاق يسير نحو طريق التنفيذ بلا عوائق . واستمر هذا الوضع خلال اليوم التالي . وفي يوم ١١/١٧ وخلال بحث مسألة فك الارتباط بغية العودة الى خطوط ١٠/٢٢ (البند الثاني) قدم أهارون ياريف اقتراحا يقضي بفك الاتصال عن طريق انسحاب القوات المصرية والاسرائيلية الى مواقع ٥ تشرين الاول ، على اعتبار انه من غير الممكن تحديد خطوط ١٠/٢٢ . وان فك الارتباط الذي يمنع تجابه القوات المسلحة ووقوع حوادث تبادل اطلاق النيران سيأخذ شكلا عمليا عند الانسحاب الى خط واضح على ضفتي القناة . ولقد طرحت رئيسة وزراء العدو المسألة نفسها في مقابلة اذيعت بالتلفزيون في ١١/١٦ عندما قالت « ان اسرائيل تسعى الى فك الالتحام بين القوات بحيث يخلي المصريون الضفة الشرقية للقناة ويخلي الجيش الاسرائيلي الضفة الغربية للقناة » (رصد اذاعة اسرائيل ، العدد ٣٩٣) وكانت مائير قد أعلنت أمام الكنيست منذ ١١/١٣ انها « شرحت للحكومة الامريكية ان اسرائيل لا تنوي التخلي عن خطوطها الحالية للانتقال الى خطوط وهمية تسمى خطوط ٢٢ تشرين الاول » وأضافت « ان خطوط ٢٢ تشرين الاول ليست الا شعارا سياسيا أوجدته موسكو والقاهرة لوضع اسرائيل في موقف صعب ولانقاذ الجيش المصري من المحاصرة» (و.ص.ف.).

وجاء التأييد الامريكي لموقف غولدا مائير المراوغ على لسان جورج فيست الناطق باسم وزارة الخارجية الامريكية الذي قال تعليقا على كلام مائير « ان النقاط الست التي تضمنها الاتفاق هي مبادىء عامة ، وانها لا تطلب بالتحديد العودة الى خطوط ٢٢ تشرين الاول » (النهار ١١/١٤) .

ورفضت القاهرة اقتراحي مائير وياريف الذي يحاول استغلال غموض الفقرة الثانية من الاتفاق في سبيل البقاء في وضع عسكري مريح على الضفة الغربية ، وأعلنت تجميد اجتماعات العسكريين عند نقطة الكيلو ١٠١ ، وبدأت الاتصالات الدولية

بشأن العودة الى خطوط ٢٢ تشرين الاول (الاهرام ١١/١٧) وعلق احمد انيس الناطق الرسمي المصري على اقتراح مائير بقوله : « ان رئيسة وزراء اسرائيل تأخذ في الاعتبار ان الانتخابات العامة ستجري قريبا ، وان عليها ان تفعل شيئا ما لدعم موقفها » (النهار ١١/١٨) . وظهرت اول عقبة رئيسية على طريق المباحثات . ويرجع اهتمام الطرفين البالغ بالعودة الى خطوط ٢٢ تشرين الاول الى ان القوات الاسرائيلية كانت في هذا اليوم داخل جيب محدود يقع غرب القناة على عمق يتراوح بين ٢٠ و٣٠ كيلومترا ، ويمتد شمالا الى جنوبي الاسماعيلية . ويمتد جنوبا ليشمل جزءا من الضفة الغربية للبحيرات المرة . وكانت مقدمة الاسرائيليين تبعد عن مدينة السويس حوالي ١٥ كيلومترا ، ولم تكن وحداتهم قد أخذت مواقعها على جبل عتاقة . وكان الجيش الثالث آنذاك يعمل على ضفتي القناة ، وكانت وحداته مترابطة واتصاله البري مع القاهرة مؤمنا ، كما ان اتصاله البحري مضمون عن طريق ميناء الادبية . ثم حققت القوات الاسرائيلية بعد يوم ٢٢ تقدما وصل الى ميناء الادبية ، فقطعت الجيش المصري الثالث الى جزئين أحدهما شرقي القناة والثاني غربها ، وقطعت طرق امداد مدينة السويس برا وبحرا ، وأمنت احتلال مواقع حاسمة في جبل عتاقة . ولم تكن القوات القائمة بهذه العملية قوية ، وكان من الممكن دون شك تصفيتها ، ولكنها أخذت مناعتها من وقف العمليات الحربية . وكانت عودة القوات الى خطوط ٢٢ تشرين الاول تعني بالنسبة للاسرائيليين العودة الى جيب ضيق لا يسمح بالمناورة او الحشد ، وفقدان ورقة الضغط على الجيش الثالث ومدينة السويس . أما بالنسبة للمصريين فقد كانت العودة تعني فتح طرق امداد مدينة السويس ، وعودة تلاحم الجيش الثالث وتموينه واعادة قدرته القتالية بشكل كامل ، واستعادة مواقع منيعة تسهل في المستقبل تصفية الجيب الاسرائيلي . وكان تنفيذ الفترة الثانية من الاتفاق يعني الغاء أهمية النقرات الثالثة والرابعة والخامسة . وهكذا كانت العودة الى خطوط ٢٢ تشرين الاول لا تعني مجرد انسحاب قوات عسكرية من مواقع احتلتها ، بل كانت تعني احداث تعديل استراتيجي كامل في موقف الطرفين، واعادة الاسرائيليين الى الوضع الحرج الذي كانوا فيه حتى يوم ٢٢ تشرين الاول . ومن هنا جاءت أهمية النقطة الثانية وتمسك الطرفين بمطالبهما ازاءها .

ودام توقف المباحثات الرسمية من ١٧ الى ٢٢ تشرين الثاني ، ولكن الاجتماعات غير الرسمية بين اللواء الجمصي والجنرال باريف استمرت خلال هذه الفترة عند الكيلومتر ١٠١ كما استمر تبادل الاسرى وتموين الجيش الثالث بالمواد غير العسكرية . وكانت مصر تنتظر ان تؤدي الضغوط الدولية، والامريكية خاصة، الى اجبار الاسرائيليين على الانسحاب ، على حين كانت اسرائيل تعتمد على الموقف الامريكي المتفهم لوضع الحكومة الحرج قبيل الانتخابات ، وعدم قدرتها على تقديم تنازلات تضعف المركز الانتخابي للحزب الحاكم . وكانت اسرائيل راغبة في تمييع الموقف واطالة أمد البحث حول هذه النقطة على حين كانت مصر المقبلة على مؤتمر القمة في ١١/٢٦ تفضل الذهاب الى المؤتمر وبيدها ورقة انسحاب اسرائيل الى خطوط ١٠/٢٢ كدليل على ان ثقتها بالولايات المتحدة الامريكية بقدرتها على الضغط على اسرائيل كانت في محلها.

وعند عودة المباحثات في ١١/٢٢ قدم الجانبان المصري والاسرائيلي مقترحات متباينة ، وكان أهم بنود المقترحات الاسرائيلية (حسبما اوردتها الصحافة الاسرائيلية والعالمية) : ١ ــ انسحاب اسرائيل من الضفة الغربية ، ٢ ــ التراجع عدة كيلومترات شرقي القناة ، ٣ ــ تخفيف عدد القوات المصرية على الضفة الشرقية مع سحب الاسلحة الثقيلة (الدبابات والمدفعية والصواريخ) منها . أما بنود المقترحات المصرية فكانت : ١ ــ انسحاب اسرائيل الى حدود ٢٢ تشرين الاول او الانسحاب من الضفة الغربية بالكامل ، ٢ ــ تراجع الاسرائيليين عدة كيلومترات شرقي القناة ، ٣ ــ تخفيف القوات المصرية على الضفة الشرقية الى ٣ فرق فقط ، ٤ ــ تزويد الجيش الثالث بالمحروقات .

ولقد استمر الجدل حول هذه المقترحات اسبوعا كاملا . واخذ الاسرائيليون خلال هذه الفترة موقف المراوغة ، وكان من الواضح انهم غير متعجلين للوصول الى حل . وبالرغم من عزلة اسرائيل السياسية والضغوط الدولية المتزايدة عليها فقد بقيت تراوغ وتتهرب من المواقف الايجابية معتمدة

على التفهم الامريكي ، او بالاحرى تفهم كيسنغر وعجز نيكسون وتأييد القوى الصهيونية داخل أجهزة الحكم الامريكية . وفي مساء ١١/٢٩ أعلنت مصر انسحابها من المحادثات وادلى المتحدث الرسمي المصري أحمد انيس بان سبب وقف المحادثات هو مراوغة اسرائيل المستمرة في تنفيذ الفقرة الثانية من اتفاق ٧٣/١١/١١ . كما اعلن ان حكومة اسرائيل تراجعت عن الاقتراحات التي قدمتها من قبل لتنفيذ الفقرة الخاصة بفك التحام القوات والانسحاب الى خطوط ٢٢ تشرين الاول . وحملت مصر كلا من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي مسؤولية اجبار اسرائيل على التراجع عن موقفها المتعنت الذي يقف حجر عثرة في طريق السلام .

ولقد حاول الجنرال سيلاسيفو عبثا اعادة المتفاوضين الى خيمة الامم المتحدة ، وتابل وزير الدفاع الاسرائيلي موشي دايان لهذا الغرض . واتصل الدكتور كورت فالدهايم سكرتير الامم المتحدة بممثلي الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ومصر واسرائيل لتحريك الجمود الذي أصاب المحادثات ، ومنع عودة الاشتباكات على نطاق واسع . ولقد نجحت الاتصالات الدولية الى حد ما في تهدئة الطرفين ومنع الصدام العنيف الواسع الذي كان مرتقبا ، ولكنها لم تحقق أي نجاح في اعادة المحادثات . ويبدو ان اقتراب موعد انعقاد مؤتمر جنيف قلل الاهتمام بعودة العسكريين الى الاجتماع عند نقطة الكيلومتر ١٠١ نظرا لان مؤتمر السلام قادر على بحث ما لم يتم الاتفاق عليه على طريق القاهرة ـ السويس . ففي ٦ كانون الاول أعلن هنري كيسنغر في مؤتمر صحفي عقده في وزارة الخارجية بأنه غير متأكد من ان محادثات الكيلومتر ١٠١ ستستأنف . وان موضوع انسحاب المصريين والاسرائيليين من خطوط وقف اطلاق النار يجب ان « ينظر فيه بسرعة قصوى » في جنيف اذا لم يتم التوصل الى اتفاق مسبق عند الكيلومتر ١٠١ . وفي ١٢/١٠ ذكرت مجلة نيوزويك الامريكية ان انهيار المحادثات العسكرية عند الكيلومتر ١٠١ كان سببه الدكتور هنري كيسنغر ، وان الاسرائيليين كانوا مستعدين للتفاوض على فصل التحام القوات في المحادثات . لكن كيسنغر نصح بعدم الوصول الى مثل هذا الاتفاق ، واوصى بأن يكون هذا الموضوع اول بند في جدول أعمال مؤتمر السلام في جنيف لان أي تنازل من اسرائيل عند ابتداء المؤتمر سيجعل مفاوضات السلام تبدأ بداية مشجعة . وبالرغم من نفي ابا ايبان وزير الخارجية لهذا النبأ في يوم ١٢/١١ وادعائه بـ « ان كيسنغر أشار علينا بعكس ذلك . فقد طلب منا ان نبذل كل جهد للاستمرار في محادثات بناءة عند الكيلومتر ١٠١ » (الانوار ٧٣/١٢/١٢) فان روح الخبر لا تتعارض مع أسلوب وزير الخارجية الامريكي الذي يسعى الى ضمان النجاح بشكل مؤكد قبل البدء بأية مهمة ، ويعتبر النجاحات الجزئية مقدمة لنجاحات اكبر ، ويرى في محادثات نقطة الكيلومتر ١٠١ مدخلا الى محادثات السلام التي خطط لها بعناية فائقة ، وهو يعلم انه سيراهن في جنيف على رصيده السياسي الدولي وسمعته التي اكتسبها في حل النزاعات المستعصية .

المقدم الهيثم الايوبي

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ١١/١٦ — ١٩٧٣/١٢/١٠

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	خسائر العدو: السلاح المستعمل	البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: قتيل	جريح	مفقود	المصدر: البلاغ العسكري	تاريخه
١	١١/١٦	٣٫٠٠	يفتاح/الجليل الاعلى	هجوم	قذائف صاروخية واسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير بعض منشآت العدو	—	—	—	رقم ٩٨١	١١/١٦
٢	١١/١١	—	كريات شلومو/ حيفا	اشتباك	القنابل اليدوية والاسلحة الرشاشة	غيرمحدد	مهاجمة دورية للعدو	—	—	—	رقم ٩٨٢	١١/١٦
٣	١١/١٤	٢٠٫٣٠	الخليل	كمين	قذائف صاروخية واسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير آلية واعطاب اخرى	—	—	—	رقم ٩٨٣	١١/١٦
٤	١١/١٦	٤٫٠٠	بتاح تكفا	هجوم	صواريخ	غيرمحدد	تدمير عدد من المنشآت	—	—	—	رقم ٩٨٤	١١/١٦
٥	١١/١٦	٧٫٠٠	بتاح تكفا	كمين	ألغـــام	غيرمحدد	انفجرت الالغام بدورية تابعة لسلاح الهندسة	—	—	—	رقم ٩٨٤	١١/١٦
٦	١١/٢١	—	نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير جزء من بار هيلتون	—	—	—	رقم ٩٨٥	١١/٢٤
٧	١١/٢١	١٩٫٠٠	معسكر الجنيد/ نابلس	هجوم	قذائف صاروخية واسلحة مختلفة	غيرمحدد	اعطاب عدد من آليات العدو	—	—	—	رقم ٩٨٦	١٢/ ٢
٨	١١/ ١	٦٫٣٠	بين الخصب وهاكيكار/جنوب البحر الميت	تفجير	الغـــام	غيرمحدد	تدمير آلية عسكرية	—	—	—	رقم ٩٨٧	١٢/ ٣
٩	١١/١٣	٧٫١٥	الخضير والغمد/ النقب الجنوبي	تفجير	ألغـــام	غيرمحدد	تدمير سيارة لاندروفر	—	—	—	رقم ٩٨٧	١٢/ ٣
١٠	١١/١٨	—	بيتونيا/رام الله	تفجير	قنبلة يدوية	غيرمحدد	اعطاب أحد باصات شركة ايجيـد	—	—	—	رقم ٩٨٧	١٢/ ٣
١١	١٢/ ٤	١٢٫٣٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير عدد من المنشآت في شارع دافيد	—	—	—	رقم ٩٨٨	١٢/ ٤

الرقم	تاريخ العملية		موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة			المصدر : البلاغ العسكري	
	اليوم	الساعة						شهيد	جريح	مفقود		تاريخه
١٢	٥ / ١٢	١٠٤٢٠	بيت ليد ـ كفار سابا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير احد باصات شركة ايجيد	—	—	—	رقم ٩٨٩	٥ / ١٢
١٣	١١/٢٣	—	مفرق كريات اربع/الخليل	تفجير	قنبلة يدوية	غيرمحدد	اعطاب سيارة نصف مجنزرة	—	—	—	رقم ٩٩٠	٦ / ١٢
١٤	١١/٢٧	٧٤٣٠	بين رفح ـ الماسورة	كمين	قنابل يدوية وأسلحة رشاشة	غيرمحدد	اعطاب باص للعدو	—	—	—	رقم ٩٩١	٨ / ١٢
١٥	٥ / ١٢	—	باتيام/جنوب تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير الجناح الشمالي في فندق بان اميركان	—	—	—	رقم ٩٩١	٨ / ١٢
١٦	٧ / ١٢	—	الخليل	هجوم	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	مهاجمة دورية للعدو	—	—	—	رقم ٩٩٢	٨ / ١٢
١٧	٨ / ١٢	١٢٤٣٠	نابلس	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	اصابة سيارة الحاكم العسكري لمدينة نابلس	—	—	—	رقم ٩٩٣	٨ / ١٢
١٨	١١/٢٧	١٠٤٠٠	الحفيرة/النقب الجنوبي	تفجير	الغـــام	غيرمحدد	تدمير آلية للعدو	—	—	—	رقم ٩٩٤	٩ / ١٢

ملاحظة : تصدر التصاريح العسكرية عن القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية التي اعترف بها العدو من ١١/١٢ — ١٩٧٣/١٢/١٠

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١	١١/١٢	—	تل ابيب	تفجير	قنبلة يدوية	١	—	تدمير أجزاء من منزل جندي اسرائيلي	—	—	—	ن٠ رقم٣٨٩ ص١٦٧٣	١١/١٣
٢	١١/١٥	—	ايلات	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	نسف مضخة المياه لمشاريع النحاس في تمناع وايلات وتدمير عمود كهربائي	—	—	—	ن٠ رقم٣٩٢ ص١٧٤٥	١١/١٦
٣	١١/١٦	—	كيبوتس يفتاح	قصف	قذائف بازوكا	—	—	—	—	—	—	ن٠ رقم٣٩٣ ص١٧٦٤	١١/١٧
٤	١١/١٦	١٠٤٠٠	قرب ادميت	قصف	قذائف هاون	—	—	مهاجمة دورية لحرس جيش الدفاع الاسرائيلي	—	—	—	ن٠ رقم٣٩٣ ص١٧٦٤	١١/١٧
٥	١٢/ ٤	—	القدس	تفجير	قنبلة يدوية	٢١اصابة		—	—	—	—	ن٠ رقم٤٠٧ ص٢٠٨٤	١٢/٥
٦	١٢/ ٥	—	جنوب بيت ليد	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تفجير باص ولم ترد أية تفاصيل عن الاضرار	١	—	—	ن٠ رقم٤١٠ ص٢١٢٧	١٢/٧
٧	١٢ ٧	—	الخليل	اشتباك	أسلحة مختلفة	—	—	أدى الاشتباك الى مقتل أحد المواطنين	—	—	—	ن٠ رقم٤١٠ ص٢١٤٢	١٢/٨
٨	١٢/ ٨	١٢٤٣٠	نابلس	تفجير	قنبلة يدوية	—	١	اصابة الحاكم العسكري لمدينة نابلس العقيد العازر سيجف بجراح	—	—	—	ن٠ رقم٤١١ ص٢١٦٦	١٢/١٠

ن — نشرة رصد اذاعة اسرائيل تصدر يوميا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

غازي هورشيد